

عبد الوهاب بن منصور
عضو اكاڤيمية المملكة المغربية

اعلام المغرب العربي



الجزء السادس

(أحمد)



المطبعة الملكية. الرباط

1419 هـ - 1998 م

عبد الوهاب بن منصور
عضو أكاديمية المملكة المغربية

أعلام التغريب العربي



الجزء السادس

(احمد)



الطبعة الملائكة. الرباط

1419 هـ - 1998 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الأحمدون - تابع)

1558) أحمدُ الحارثي بن أبي بكر الدلائي الصنهاجي ثاني عالم من هذه الأسرة المجيدة تُعرف به في هذا الكتاب (1) ، عُرِف بالحارثي ، وُلد بالزاوية الدلائية الشهيرة (2) وأخذ بها عن أبيه الشيخ أبي بكرٍ وأخيه محمد وغيرهما من العلماء والفقهاء والأدباء الذين كانوا يرتادونها كالعربي بن يوسف الفاسي وأجازَه (3)

(1) الدلايون : أسرة مغربية شهيرة تنتمي إلى قبيلة لمتونة إحدى قبائل صنهاجة ، ومن المؤرخين من جعلها من سلالة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وهي منسوبة إلى منطقة تادلة أو تادلا - بوسط المغرب - حيث تُوجد زاويتهم بأقصى شرقها ، وعادةً المغاربة أن يحذفوا الناء الأولى والأخيرة من الأسماء البربرية عنعناً ينسبون إليها كما في الممناري المنسوب إلى تامسنا والرّداني المنسوب إلى تارْدانت والفزوي المنسوب إلى تافراوت .

وهذه الأسرة بدأت مهتمةً بالعلم والتصوف ، ثم تطلعت إلى الملك لما ظهرت بوادر الضعف والانحلال على ملك الأسرة السعدية ، وبُويعت فعلاً في جبال الأطلس وفاس ، ثم زاحمتها عليه الأسرة العلوية الناشئة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري حتى قضى على حكمهم السلطان مولاي رشيد العلوي لما احتل زاويتهم يوم الاثنين 8 محرم عام 1079 وخربها ونفى أعيانها إلى مدينة تلمسان .

وقد أنجبت هذه الأسرة عدداً كبيراً من الفقهاء والعلماء والأدباء سُعرف بهم في هذا الكتاب واحداً واحداً إن شاء الله .

(2) كانت هذه الزاوية توجد حيث تُوجد اليوم بلدة آاية إسحاق الواقعة في الطريق الذي يربط مدينة بني ملال بمدينة خنيفرة .

(3) يوجد نصُّ الإجازة في (البدور الضاوية) و(نشر المثاني) ، وهي مؤرخة في أواسط ذي القعدة

كان عالماً مشاركاً يُتقن علوماً دينيةً وفنوناً أدبيةً كثيرة ، لاسيماً التاريخ والأدب والنحو الذي درسه بكتاب سيبويه ، يُنشئ النثر البليغ وينظم الشعر الرفيع ، أثنى مترجموه على حسن أخلاقه ووصفوا سعة علمه وأدبه وصفاً يتجاوز حدَّ المعقول .

أخذ عنه عديدٌ من الطلبة الذين كانوا يُقيمون بالزاوية الدلانية أو يرتادونها ، كأخويه الشرقي ومحمد الحاج ، وابن أخيه محمد المرابط ، وألف كتباً وقيّد نقاييد كثيرة وأجاب أجوبةً عديدة في التفسير والحديث والفقه والأصول والتصوف ، منها شرحٌ على مختصر ابن الحاجب .

ذكر سليمان الحوات في (البُذور الضاوية ، في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلانية) أن المترجم به كانت له أشعارٌ أدبيةٌ ومكاتباتٌ وأسجاع ، تستحسنها الطباع ، تُنبئ عن طول بابه ، وأوسع أنديته في الكلام ورباعه ، وزاد قائلاً : (ولولا خوفُ السامة ، لأثبتتُ من كلامه ما يهتزُّ له الغصنُ الرطيب ، ويدينُ له ابنُ خاقانَ وابنُ الخطيب) ، ولينته فعل ولم يخف على أحدٍ من مللٍ أو سامة ، إذن كنا نفخرُ بعباء مترجمنا وبراعته الأدبية.

من شعره قوله يمدحُ أخاه محمد الحاج ويستمنح عطايه :

عطاؤك يرى عن عطاء حديثه
وجودك ما جادت سواكبُ جوده
ولي فوق هذا مطلبٌ تعلمونه
فإني أمسُ الناس منك قرابةً
أبوك الذي يحنو عليك تعطفاً
وربييتُ في حجر المجادة حجركم
ومن كان مثلي لاجئاً في احتياجه
وما قلتُ هذا جاحداً لجداكم
وكيف وقد حملتُ ما لا أوله
وخصصنتني بين الأقارب جهرةً
وسئبه يرويه عن ابن المسيب
ولا وكفتُ نعماه إلا وحلٌ بي
فلا تجعلنه حائلاً دون مطلبي
ومالي سواكم في التجائي ومهربي
ويوليك برأ - لست تنكره - أبي
أما كان هذا قاضياً بتقربي ؟
لمثلك إن تُعزُ النوائب يغلب
أنجحدُ شمس أو سنا بدرٍ غيب
وأسكنتُ ربناً مُخصباً أي مُخصب
بثوب إخاء أرديته وأحتبي

بفضلك فارحم عيَّلتني واشفِ عِلتي
ومَن يجمع الحُسْنَيْنِ فإنني
حنانيك واجعل بارقي غيرَ خُلْبِ
أخافُ على نفسي حديث ابن تغلب
ومنه قوله وقد طال درسُ أخيه محمد بن أبي بكر في إحدى عشايا
شهر رمضان :

ما للنهارِ اليومَ لا يتصرَّمُ
فكأنَّها في التَّيه ضلَّ سبيلها
أو كالجبانِ رأى الرماحَ تشاجرتْ
لا ، بل هي السلطانُ في كرسِيه
ياشمسُ لا محفَّتْ بهاءك كسفةً
سيرِي ، فإن الخلقَ تحتك صومُ
والشمسُ في أفقِ السماءِ تُخيمُ
وموتَّقُ يخطو ولا يتقدَّمُ
يُيدي التَّشجُّعُ ثمَّ عنها يُحجُّمُ
فترَى البريَّةَ تحته تتظلمُ
وقوله :

يا حاملاً للوجدِ أني تشكِّي
فإذا تمكَّنَ في القلوبِ أميره
والحبُّ مبدؤه تراه حلا حلا
أودى المقاومَ جيشه وحلاحلا
وفيه يقول محمد بن أبي بكر اليازغي في منظومته المسماة (حدائق
الأزهار الندية ، في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية) :

ثانهم المحققُ النحريرُ
الحارثيُّ أحمدُ المحمودُ
هو الإمامُ الفردُ ذو الإِتقانِ
وعنصرُ الأسرارِ والفضائلِ
قد كان في الفقه وفي الآدابِ
أخذ عن جماعة كرام
ولم يزل في رفعةٍ مغناه
شيخُ الشيوخِ العارفُ الكبيرُ
ومَن أقرَّ فضله الحسودُ
ومركزُ التحقيقِ والعرفانِ
ومنبعُ العلومِ والفواضِلِ
يسبي ذوي العقولِ والألبابِ
وعن أخيه الجهبذِ الامامِ
حتى ذوى وارتفعتْ رجلاه

تُوِّفِيَ مُعَمَّرًا بِفَاسٍ فِي أَوَائِلِ مُحْرَمِ عَامِ 1051 هـ وَدُفِنَ بِرَوْضَتِهِمْ
بِالكَعْطَاتِينَ بِصَفَّةِ وَادِي الزَّيْتُونِ (4) ، وَقِيلَ إِنْ وَفَاتَهُ تَأَخَّرَتْ إِلَى مَا بَعْدَ
الثَّمَانِينَ وَالْأَلْفِ (5) وَإِلَيْهِ أُمِيلُ .

1559) أَحْمَدُ بْنُ زَيْدَانَ بْنِ السُّلْطَانَ أَحْمَدَ الْمَنْصُورِ السَّعْدِيِّ ، أَمِيرًا
مِنَ الْأَسْرَةِ الْمَلِكِيَّةِ السَّعْدِيَّةِ الْمَتَمَلِكَةِ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، يُعْرَفُ بِأَحْمَدِ
الْأَصْغَرَ ثَارَ وَأَخَاهُ الْوَلِيدَ بِمَرَكَشَ عَلَى أُخِيهِمَا عَبْدِ الْمَلِكِ الَّذِي بَوَّعَ سُلْطَانًا
بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِمُ السُّلْطَانَ زَيْدَانَ فَجَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ 6 مُحْرَمِ عَامِ 1037 هـ ،
وَلَمَّا فَتِلَتْ ثَوْرَتُهُمَا سَارَ أَحْمَدُ إِلَى الشَّمَالِ فَدَخَلَ فَاسَ الْجَدِيدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ
25 صَفَرٍ وَأَعْلَنَ نَفْسَهُ بِهِ سُلْطَانًا وَضَرَبَ سَكَّةَ بِاسْمِهِ ، وَلَكِنِ الْأَمْرَ لَمْ يَبْقَ
لَهُ وَانْتَهَى بِهِ الْحَالُ إِلَى التَّشَرُّدِ وَالضِّيَاعِ ، وَاعْتَقَلَهُ عِيُو وَبَاهَا قَائِدُ فَاسِ
الْجَدِيدِ يَوْمَ 21 ذِي الْحِجَّةِ فَبَقِيَ فِي سِجْنِهِ سَبْعَ سِنِينَ اسْتِطَاعَ فِي آخِرِهَا
أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ مُسْتَخْفِيًا بَيْنَ نِسَاءٍ ، وَلَمَّا ظَهَرَ بِابِعْنَةَ الْعَامَةِ ، وَلَكِنَّهُ بَقِيَ بَيْنَ
طُفُوٍّ وَرُسُوبٍ حَتَّى سَاءَ حَالُهُ عَامَ 1047 فَفَرَّ إِلَى سُوسٍ وَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ
عَلِيِّ السَّمْلَالِيِّ الْمَكْنِيِّ أَبَا حَسُونٍ وَالْمَلَقَّبَ بِأَبِي دَمِيعةِ الَّذِي أَنْشَأَ إِمَارَةَ بَابِلِيغِ ،
فَحَاوَلَ هَذَا أَنْ يَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى فَتْحِ مَدِينَةِ مَرَكَشَ ، وَلَمَّا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ
أَعْطَاهُ سِلَاحًا وَمَالًا وَظَهَرَ أَعَادَ إِلَى فَاسٍ عَنِ طَرِيقِ دَرَعَةِ وَفِيلَالَةِ ، وَلَكِنَّهُ
رُمِيَ فِي مَلْعَبِ فَاسِ الْجَدِيدِ بِرِصَاصَةٍ كَانَتْ فِيهَا حَتْفُهُ يَوْمَ 24 ذِي الْقَعْدَةِ عَامِ
1051 هـ (6)

(4) وَإِذَا كَانَ يَدْخُلُ عِدْوَةَ الْأَنْدَلُسِ مِنْ فَاسٍ مِنْ بَابِ الْجَدِيدِ وَيَخْرُجُ فِي بَابِ الْحَمْرَاءِ ، وَقَدْ انْتَهَرَ
الْيَوْمَ هَذَا الْوَادِي الَّذِي كَانَ يَسْقِي نِصْفَ مَدِينَةِ فَاسٍ وَمَرَاقِهَا وَحَدَائِقَهَا وَسَائِطِهَا الْجَنُوبِيَّةَ وَلَمْ يَبْقَ مَا يُنْكَرُ
بِهِ إِلَّا بَعْضُ مَجْرَاهُ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ حَوَّلَ مَاءَ وَادِي فَاسٍ (وَادِي الْجَوَاهِرِ) لِاسْتِعْمَالِهِ فِي الشَّرْبِ عَلَى
الطَّرِيقَةِ الْعَصْرِيَّةِ .

(5) الْإِكْلِيلُ وَالتَّاجُ ص 23 وَالبُدُورُ الضَّائِعَةُ (مَخْطُوطَةٌ مَصْرُورَةٌ) ص 206 وَحَدَائِقُ الْأَزْهَارِ
النَّدِيَّةِ (مَخْطُوطَةٌ مَصْرُورَةٌ) ص 5 وَمَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ 1 : 176 وَنَشْرُ الْمُتَّانِي 2 : 365 وَسُلُوةُ الْإِتِّفَاسِ
2 : 93 وَشَجَرَةُ النُّورِ الزَّكِيَّةِ 1 : 301 ع 1166 وَالبِوَالِيَّةُ الثَّمِينَةُ 1 : 33

(6) التَّقَاتُ الدُّرَرُ 2 : 89 وَ114 وَالْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ 1 : 128 وَالْإِسْتِغْنَا 6 : 72 - 73 وَأَبِلِيغِ
ص 155 وَنَهْجَةُ الْحَادِي ص 244 وَنَشْرُ الْمُتَّانِي 1 : 278 وَ 2 : 9 .

1560) أحمد بن عبد الواحد الإيسي القدوري ، فقيه مقرئ من أهل سوس بالمغرب الأقصى ، أقرأ القراءان بالحرمين الشريفين ، وهو أول من خطب خطبة الجمعة بقرية إيلغ في عهد الأمير علي بن محمد الجزولي المكئي والملقب ببوحسون بودميعة .

توفي عام 1051 (7)

1561) أحمد بن قاسم الفقائي (8) الحجري ، عالم باحث و مترجم مناظر من أهل الأندلس ، ربما كان آخر مدجن (9) ألف بالعربية وانتصر جهرة للإسلام ، يُلقب بالمغاربة بالشهاب ، والاسبانيون بالبيخيرانو

• Bejerano

ولد عام 977 هـ (1570 م) حسبما يفهم من جملة كتبها بخط يده في حاشية كتابه ناصر الدين (10) بقرية قريبة من غرناطة تُسمى الحجر الأحمر ، ونشأ يُطن الإسلام ويُظهر النصرانية ، وعكف في صغره على دراسة اللغة القشتالية وأدابها حتى أتقنها إتقان الماهرين من أهلها وصار من يسمعه يتكلم بها لا يشك في أنه قشتالي أصيل ، أما أحكام الشريعة الإسلامية وقواعد اللغة العربية فإنه تعلمها من أهل بيته ، ولكنه لم يكن يجرؤ علي إظهار معرفته بها خوفاً على نفسه من التلف في ذلك الزمن العصيب .

(7) طبقات الحضيكي 1 : 67 .

(8) الفقائي اسم أسرة أندلسية ما زالت موجودة إلى اليوم بنطوان ، ويتبادر إلى الذهن أن يكون معناها المعالج الطبي الذي يفتأ البثور والخراجات والدمامل ويُعالجها ، وقد أعطي هذا الاسم صيغة بربرية فقيل فيه أفوقائي براو وأفقائي بدونها ، وكان أحمد بن قاسم المترجم به يُوقَع رسائله هكذا : أحمد بن قاسم فقّي الأندلسي تارة ، وأحمد بن قاسم تارة أخرى ، أما كتبه فكان يكتب فيها فعدوده كاملاً هكذا : أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه قاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي ، ولا عيرة بزعم من زعم أن أفقائي أو أفوقائي تحريف بالإسبانية لكنية أبي القاسم التي زعموا أنه كان يكتب بها .

(9) المدجن : اسم أطلق في الأندلس والمغرب على من أقام من المسلمين تحت حكم النصارى بالأندلس ، وقد شاع في السنين الأخيرة استعمال كلمة الموريسكي بدلها ، وهي تُؤدّي نفس المعنى .

(10) ناصر الدين ص 104 .

وعلى ذلك افتضح أمره لما اكتشف أسقف غرناطة جان مينينديث دي سالباتييرا JEAN MENENDEZ DE SALPATIERRA أنه يحسن العربية ، وسبب ذلك أنه كان يحضر مجالس تُعقد تحت رياسة الأسقف المذكور لترجمة نصوص عربية وجدوها يوم 19 ربيع الثاني عام 996 هـ (18 مارس 1588 م) في جدار صومعة الجامع الكبير التي أمر الأسقف بهدمها ، وكان يحضر تلك المجالس - مجالس الترجمة - تراجمة من المُدجّنين ، فكان إذا أشكل عليهم لفظ دلهم الفقّاي على معناه ، والمرء مخبوء تحت لسانه ، فعرف الأسقف أنه يجيد العربية وطمأنه للحاجة إليه ، وعرف به الأسقف دون بيدرو كاسترو DON PEDRO CASTRO الذي خلفه لما مات وبقي يعقد مجالس الترجمة بعد وفاته ، ولما سُئل الفقّاي عن العربية كيف تعلمها ؟ لم يسعه إلا أن يعترف بأن أصله من قرية الحَجَر الأحمر التي كان أهلها حتى ذلك الوقت يتكلمون العربية ، ويدّعي - كذباً - أنه بعد ما أتقن اللغة القشتالية وأدائها ذهب إلى مدريد حيث تعلم فيها قواعد اللغة العربية على يد طبيب أندلسي الأصل ، من أهل مدينة بلنسية التي كان يُباح فيها تعلم العربية لغير المسلمين ، ولما طُلب منه أن يدلهم على الطبيب المذكور زعم أنه تُوفي قبل سنتين أو ثلاث ، وما زال أمره يعظم عندهم والشعورُ بحاجتهم إليه يزداد حتى أعطوه رخصة بالترجمة من القشتالية إلى العربية ومن العربية إلى القشتالية .

وكان الفقّاي يُعني نفسه منذ صغره بالهجرة من الأندلس والاستقرار ببلد إسلامي فرأى من الاضطهاد الذي صبَّ على المسلمين بعد القضاء على الحكم الإسلامي ، وبقي يعمل الحيلة لتحقيق أمنيته حتى استطاع في ربيع سنة 1599 م (1007 هـ) أن يسافر مُتكرراً مع صاحب له على ظهر سفينة محمّلة بالقمح كانت متوجهة من ميناء شنتمريّة (11) إلى ميناء البريجة

(11) شنتمريّة بلدة صغيرة تبعد 19 كلم عن مدينة قانس شمالا و13 كلم عن مدينة شريش جنوباً ، تدعى بالإسبانية Puerto de Santa Maria لها ميناء صغير يُطل على فريضة قانس Bahía de Cadiz وصفها الحميري في الروض المعطار ص 349 فقال : «وشئت مرية على معظم البحر الأعظم ، سورها يصعد ماء البحر فيه إذا كان فيه المدّ ، وهي مدينة متوسطة القدر حسنة الترتيب ، بها مسجد جامع ومنبر وجماعة ، وبها المراكب واردة وصادرة ، وهي كثيرة الأعناب والتين ، وبينها وبين شلب ثمانية وعشرون ميلاً .

والذي يُنسب الأستاذ يوسف بن سليمان الشنتمري الأعلّم ذو التصانيف المشهورة .
وهي مدينة أولية ، وبها دار صناعة الأساطيل ، وبازائها جزائر في البحر تُنبئ شجر الصنوبر .

المغربي (الجديدة اليوم) الذي كَانَ يرزحُ يومئذٍ تحت نير الاحتلال البرتغالي ، ويصفُ المترجمُ في آخر تعريبه لكتاب (العزّ والرفعة والمنافع) رحيلَهُ من الساحل الأندلسي مُختلطاً بالنصارى المسافرين الذين لم يشكّ واحدٌ منهم في أنه واحدٌ منهم فيقول : (ولما أن جئْتُ إلى البلاد التي هي على حاشية البحر ، حيث هو الحرسُ الشديد ، وجلستُ بينهم فلم يشكُّوا فيّ بما رأوا من الكلام والحال والكتابة ، وجئْتُ من بينهم لبلاد المسلمين) ، ويؤكدُ أن ذلك لم يكن ليُنَيَّسَ له لولا معرفتهُ باللغة القشتالية واطلاعهُ على ما في كتب النصارى ، تلك المعرفةُ التي كان يبتغي بها القربَ من الله ، والتي فتحتُ له (بيبانُ الملوكِ المُسدودةِ عن كثير من الناس) . (12)

ولما نزلَ بالبريجة استدعاه قائدُ حاميتها البرتغالي ، وهو يُسميه القبطان ، وسأله عما جاء به وصاحبه إليها ؟ فأجابَ بأن شئتاً وقع بينهم وبين ناس من بلدهم هو الذي دفعَ بهم إلى الالتجاءِ إلى حرْمِها ، فرحّبَ به القبطانُ ولم يَرْتَبْ في صدق ما ذكره ، وفي أنه وصاحبه نصرانيان أصيلان ، وقوى الثقة به أنه كان يتكلمُ البرتغالية بطلاقة ، وأنه اشترى حصاناً انتظمَ به في سلكِ الفرسان البرتغاليين المحتلين .

وأقام الفقّاني بالبريجة يتحينُ فرصةً للهرب مع صاحبه إلى الداخل حيث لا سلطةَ لغير المسلمين ، حتى سنحت له في خبر طويل ، ففرّ إلى مدينة أزْمور التي تبعدُ 20 كلم شمالاً عن ميناء البريجة (الجديدة) ، وعانها في الطريق متاعبٌ ومشاقٌ من الجوع والعطش وخوف لحاق العدوِّ بهما وإرجاعهما إلى البريجة ، وبقياً على ذلك أياماً إلى أن بلغا مأمنهما بأزْمور ، ولما سمع قائدُها محمد بنُ إبراهيم السُفياني بمقدمهما احتفى بهما ، ولكنّه أخضعهما مع ذلك لتحقيق دقيق مخافة أن يكونا جاسوسين متكررين ، فسألتهما عن أمور تتعلق بأحكام الشريعة الإسلامية أجابه الفقّاني عنها إجابة العارف الممكّن ، ومن جملة الأسئلة التي طرحها القائدُ عليه سؤاله عن العربية هل يُحسِنُ كتابتها ؟ فلما أجابَ بنعم أعطاه ورقةً وطلبَ منه أن يكتبَ فيها

بالعربية أي شيء ، فكتبَ فيها ما ألهمه الله في تلك الساعة ، فلما قبضها القائدُ السفيناني احتفظَ بها ، ويظنُّ الفقَّايُّ أن القائدَ بعثَ بها مع تقرير عن خبرِ هزبهِ وصاحبهِ إلى السلطانِ أحمد المنصور الذهبي ، وأن السلطانَ أمره بعد ذلك باصطحابهما عندما يجيءُ مع وفدِ أزْمور لشهود حفلاتِ العيد معه بمراكش .

وبالفعل ذهبَ الفقَّايُّ وصاحبه مع قائدِ أزْمور ووفدها عندما حلَّ موعدُ السفر ، ولما وصلوا وادي نسيفة (تانسيفت) وجدوا السلطانَ أقامَ به مُخيماً لاستقبال الوفود الآتية إليه من مُختلفِ جهاتِ المملكة لتهنئته بالعيد ، وذلك بسببِ الوباءِ الذي انتشرَ في مراكش وفتكَ بسكانها ، وكان العيدُ عيدَ أضحي (الأحد 10 ذي الحجة عام 1007 هـ - 4 يوليوز سنة 1599 م) ، وينكرُ الفقَّايُّ أن الناسَ كانوا عندما يرونه في الطريق والمُخيمِ يعجبون من زيِّه ولهجته ويحسبونه نصرانياً ويطلبون منه التَّطَقُّ بكلمة الشهادة ، أما السلطانُ أحمدُ المنصورُ السَّعديُّ فإنه استخسَّنه لما رآه واستبقاه بحضرته ، ولما قوَّضَ خيامه المضروبة بوادي نسيفة وعادَ إلى مراكش بعدَ حفلاتِ العيد خصَّصَ له استقبالاً حافلاً يومَ الدِّيوان (13) حضره رجالُ الدَّولة والأعيانُ والمهاجرون الأندلسيون الذين كان يستخدمُ منهم أعداداً وفيرةً في قصره وجيشه ، ويصفُ الفقَّايُّ في كتابه (ناصر الدين) مقابلةَ السلطان له ، فينكرُ أنه أعدَّ خطبةً بليغةً انتقى ألفاظها وألقاها بصوتِ جهيرٍ خشعتْ لسماعه أصواتُ الحاضرين ، وظهرَ الفرحُ على وجه السلطان وعجبَ أن يكونَ بقي في الأندلس من يتكلَّمُ العربية بطلاقة العلماء مثمناً تكلمَ ، كما ظهرَ الفرحُ على وجوه المهاجرين الأندلسيين (14) ، ومن ذلك اليوم صارَ الفقَّايُّ من سكان حاضرة مراكش ، يعملُ فيها بديوان السلطان ، ويخالطُ من يجتمعُ ببابه من العلماء والأدباء والفقهاء ، ويتعلَّمُ من العلوم والفنون ما لم يكن من

(13) ناصر الدين ص 43 وينظرُ عن يومِ الدِّيوان نزهة الحادي ص 151 .

(14) ناصر الدين ص 43 .

الممكن أن يتعلمه بإسبانيا ، ومن أشهر شيوخه وأصدقائه بها أحمد بن قاسم ابن معيوب الفاسي متقدم الترجمة (5 : 308 ع 1533) ، وأحمد بابا بن أحمد التنبكتي السوداني متقدم الترجمة (5 : 333 ع 1547) ، وأحمد بن أحمد التواتي ، والقاضي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني ، ومحمد بن عبد الله الرجرجي ، ومحمد بن يوسف الترغي .

ولما تُوِّفِّي السلطان أحمد المنصور السعدي بفاس عام 1012 هـ خَدَمَ الفُقَّاهُ ابنُه السلطان زيدان ، وهو يَنكُرُ بافتخار أنه كانَ ترجمانه وكتاب سره باللسان العجمي (15) ويُشيرُ في مناسباتٍ كثيرةٍ إلى ما عَرَبَ له من الكتب والرسائل ، فلما تُوِّفِّي عامَ 1037 خَدَمَ ابنيَه المُتَمَلِّكين من بعده : السلطان عبد الملك بن زيدان المقتول عام 1040 ثم السلطان الوليد بن زيدان المقتول عام 1045 .

* * *

كان أحمد الفُقَّاهُ نابغةً من نبغاء المغرب الأعلام في القرن الحادي عشر الهجري ، وهو يختلف عن أكثرهم تكويناً وتفكيراً واهتماماً ، ويرجعُ السببُ في ذلك إلى ولادته ونشأته وتعلمه بإسبانيا ، وإتقانه اللغة القشتالية التي مكنته من الاطلاع على ما عند الأوربيين ، وصقلت الكتب التي قرأها بها ذهنه ، كما أكسبه احتكاكه بالمعلمين الذين قرأ عليهم ، والطلبة الذين تعلم معهم ، والرهبان والعلماء الذين اجتمع بهم أو ناظرهم ، أسلوباً متميزاً في الكتابة يُحسُّ به قارئُ الكتب والرسائل التي ألفها أو عربها ، وطريقة في التحليل والحكم تختلف عن طريقة معاصريه من علماء المسلمين ، ولولا ذلك لوجدناه يَجْتَرُّ مثلهم مباحث الأقدمين وينهجُ مناهجهم ، وهو لا يُشبهُ الكثيرَ منهم إلا في الاعتقادِ بفائدة الرُقي والتماثل وخطوط الجداول وأسرار الأسماء والحروف ، ولعلَّ هذا الاعتقادُ إنما لصق بعقله بعد انتقاله إلى المغرب واستقراره بمدينة مراكش التي اشتهرت هي وما خلفها وحولها من

وهُودٍ وَتُجُودٍ بِوُجُودِ نَاسٍ كَثِيرِينَ يَشْتَغِلُونَ بِذَلِكَ وَيَرْتَزِقُونَ مِنْهُ وَيَحْضُرُونَ
لدى الْمُعَقَّلِينَ مِنَ الْعَامَّةِ بِمَهَابَةٍ وَاحْتِرَامٍ بِسَبَبِهِ (16)

ويظهرُ من كتاباتِ الفَقَّاهِ غَيْرُهُ الشَّدِيدَةُ عَلَى الإِسْلَامِ الَّذِي يَدِينُ
لأَبَوَيْهِ وَأَسْرِيَتِهِ بِتَمَكُّنِهِ مِنْ قَلْبِهِ ، إِذْ هُمُ الَّذِينَ حَبَّبُوهُ إِلَيْهِ سِرّاً وَعَلَّمُوهُ قَوَاعِدَهُ
وَأَحْكَامَهُ فِي وَقْتِ كَانِ التَّدْبِيرُ بِالنَّصْرَانِيَّةِ فِي إِسْبَانِيَا الكَاثُولِيكِيَّةِ ضَرُورِيّاً لَمَنْ
أَرَادَ أَنْ يَبْقِيَ نَفْسَهُ الاضْطِهَادَ وَالتَّعْذِيبَ إِلَى حَدِّ الحَرَقِ وَالقَتْلِ ، كَمَا نَظَهَرَ
فِي كِتَابَاتِهِ غَيْرَتُهُ الشَّدِيدَةُ عَلَى المُسْلِمِينَ وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى الأَخْذِ بِالسَّبَابِ المَادِيَةِ
الَّتِي أَخَذَ بِهَا الأُورُبِيُّونَ لِتَكُونَ كَلِمَتُهُمْ مَسْمُوعَةً وَجَانِبُهُمْ عَزِيزاً ، وَهُوَ فِي
غَيْرَتِهِ عَلَى الإِسْلَامِ وَنَصْحِهِ لِلْمُسْلِمِينَ يَنْطَلِقُ مِنْ إِحْسَاسٍ شَمُولِيٍّ لَا يَنْقِيدُ
بِجَهَةِ مِنَ الجِهَاتِ وَلَا فِتْنَةٍ مِنَ الفِتَنِاتِ ، كَمَا يَتَجَلَّى ذَلِكَ مِنَ الدَّعَوَاتِ الحَارَّةِ
الَّتِي دَعَا بِهَا فِي آخِرِ كِتَابِ (العِزُّ وَالرَّفْعَةُ وَالمَنَافِعُ) لِلسُّلْطَانِ مُرَادِ العُثْمَانِي
ووالِيهِ عَلَى تُونِسِ الدَّايِ مُرَادِ (17)

وعلى معرفة الفَقَّاهِ لِللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَاطِّلاَعِهِ عَلَى مُعْظَمِ قَوَامِيْسِهَا
بِالأَنْدَلُسِ قَبْلَ الهِجْرَةِ وَبِالمَغْرِبِ بَعْدَهَا ، وَمَحَاوَلَتِهِ تَقْلِيدَ بَلْغَاءِ الكُتَّابِ فِي
الكِتَابَةِ المَسْجُوعَةِ وَاسْتِعْمَالِ المُجَسَّنَاتِ البَدِيعِيَّةِ وَتَضَمِينِ إِنْشَائِهِ آيَاتٍ مِنَ
الْقُرْآنِ وَجَمَلًا مِنَ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ وَقَبَسَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَالحِكْمِ وَالأَمْثَالِ ، فَإِنَّ

(16) لما ذكر محمد بن أحمد العبيدي الكائوني في كتابه جواهر الكمال ص 93 أسباب إهمال المغاربة
حياة هذا الرجل جعل من بينها خلوة الفقاه من المعارف الراقية وأن غاية ما يكون معه معلومات بسيطة ،
فإن كان يعني بالمعارف الراقية علم الفقه فإن أحداً لم يزعم أن الفقاه كان متضلعا فيه ، ولكنه كان متفوقاً
على الفقهاء بمعارف أخرى راقية كان فقهاء العصر خالين منها ، كما يظهر ذلك من مناظراته ومجادلاته
لعدد من المفكرين في أوروبا الغربية في وقته ، ومع ذلك فإن الكائوني عاب على رجال المغرب هذا الإهمال
قائلاً : كان الواجب يقضي بمعرفة حقه والإشادة بمنزلاته وتلقي ما عنده من المعلومات عن الجزيرة
الأندلسية بكل إجلال واحترام الخ .

(17) تولى السلطان مراد خان الرابع الخلافة العثمانية عام 1032 هـ (1623 م) ، أما واليه على
تونس الباي مراد - ويُعرف أيضاً بأسطا مراد - فتولى حكم تونس من عام 1022 هـ (1613 م) إلى عام
1041 هـ (1631 م) ، وهو جد الأسرة المرادية ، انظر كتاب العز والرفعة والمنافع ص 246 وص

قارىء كتاباته - خاصة إذا كان يُحسُن إحدى اللغات اللاتينية - يُحسُّ بتأثير الأسلوب الكتابي الأوربي على قلمه ، نتيجة ما تعلَّم وطالع من كُتُب غير عربية ، يشعرُ بذلك في تراكيب الجُمَل واستعمال كلماتٍ أعجمية ، إما إسبانية أو برتغالية وإما عامية محلية ، وقلب حروف يصعُب النطقُ بها على غير العرب كحروف الحَلْق ، وكتابة أعلام جغرافية حسب النطق الاسباني بها ، وعدم التقيد بقواعد الرّسم والنحو والصرف .

ومن أشهر الأعمال التي قامَ بها وسيّرتُ له نكراً في الشرق والغرب وكشفتُ جوانبَ كثيرةً من حياته وثقافته ومزاجه ، ذهابه إلى فرنسا للدفاع لدى ولّاتها وأمامَ تُضاتِها عن جماعةٍ من مُسلمي الأندلس المطرودين منها نهبهم البحارةُ الفرنسيون خلالَ نقلهم في سفُنهم إلى السواحل المغربية ، وتعريضه على هولاندة في طريق رجوعه إلى المغرب ، وما جرى بينه وبين علماء وأعيانٍ ورجالٍ دينٍ فرنسيين وهولانديين من مُناظرات ومُحاورات حَوَّلَ مسائلَ تتعلقُ بالديانتين اليهودية والنصرانية أو حوَّلَ شُبُهات ومفاهيمَ خاطئةً تتعلقُ بالديانة الإسلامية ، وقصةُ ذلك أنه بعدَ ما أصدرَ ملكُ إسبانيا فليپ الثالث سنةَ 1609 م (1018 هـ) قراره بطرد بقايا المسلمين من الأندلس شاركتُ سفنٌ فرنسيةٌ في ترحيل المطرودين بالأجر إلى سواحل البلدان الإسلامية ، وخلالَ عملية الترحيل كان البحارةُ الفرنسيون يَنْهبون المسلمين المطرودين ويسلبونهم ما حملوا معهم من مال ومتاع ، ويُنزلونهم إلى البرِّ حفاةً عراةً في حالةٍ تُدعى القلوب وتُفتتُ الأكبَاد ، وأنزلتُ جماعاتٍ منهم في سواحل المغرب أحسنَ إليهم السكان (18) قبل أن يواصلوا مسيرَهم إلى مراكش عاصمة الملوك السعديين حيث وصفوا لولّاتها وسُكانها ما لقوا من نُصبٍ وعذابٍ بالأندلس قبل الطرد ، وعلى مُتون السفن الفرنسية التي أفلّتهم إلى المغرب بعده ، وينقلُ الفقّاي أن عملية الترحيل استمرّت إلى عام 1020 هـ وأنَّ عددَ المطرودين تجاوزَ ثمانمئة ألف .

واتفق في ذلك الوقت أن أحد مسلمي الأندلس المطرودين كان يُقيم بفرنسا ، فلما بلغه خبر ما تعرّضَ له إخوانه الواصلون إلى مُراكش من نهب وابتزاز كتب إليهم يستقدم خمسة منهم إلى فرنسا يحملون وكالة من سائرهم يُدافعوا عن حقوقهم أمام محاكمها ، ويقترح عليهم أن يصحبهم واحد من مواطنيهم سبقهم إلى الهجرة إلى المغرب واستقرَّ فيه قبل سنين ، فاستجابوا إلى طلبه ، واقترحوا على أحمد الفقّاي أن يسافر مع الخمسة إلى فرنسا فقبل اقتراحهم ، وسافروا جميعاً من ميناء أسفي بعد ما زوّدهم السلطان زيدان السعدي برسائل توصية إلى ملك فرنسا وولاتها وقضاة محاكمها .

ولا نعرف تاريخ سفرهم بالضبط ، ولكنّ الفقّاي يذكر في كتابه (ناصر الدين) أنه كان بعد 12 سنة من هجرته إلى المغرب ، وهو ما يوافق سنة 1611 الميلادية والعام 1020 الهجري ، أي بعد صدور قرار الطرد بسنتين وخلال عمليات الترحيل التي استمرّت إلى سنة 1612 م (19) .

ويذكر الفقّاي أن مسيرهم في البحر من مرسى أسفي إلى فرنسا طال ثلاثين يوماً ، وأنهم اتجهوا شمالاً تاركين سواحل المغرب والأندلس عن أيّمانهم حتى رسّ سفينتهم بميناء لوهافر (20) الذي يسميه هبردي غرسي HAPRE DE GRACE ويشرح معنى الاسم فيقول إن معناه مرسى البركة ، وبعد أن قضوا ليلة في الميناء على ظهر السفينة نزلوا إلى البرّ ، ومن هناك ذهبوا إلى مدينة روان ROUEN التي اضطرت فيها إلى لبس الملابس الفرنجية ، كما لقي فيها تاجراً فرنسياً يتكلّم العربية بطلاقة لطول إقامته بمدينة مراكش التي عرفه فيها ، ومنها سافروا إلى باريس التي بهرّه عمرائها ووصف دور أعيانها ، وذكر أن النصاري يقولون إنها والقسنطينية ولشبونة مدن العالم الثلاث الكبرى ، ولكنّه عاب عليهم إغفالهم القاهرة التي تشكك في أن تكون باريس أكبر منها .

(19) ناصر الدين ص 17 و 20 .

(20) لوهافر LE HAVRE مدينة فرنسية تقع على مصب نهر السين في بحر الشمال ، أسست سنة 1517 ولها ميناء كبير ، خرب جزء كبير منها خلال الحرب العظمى الثانية وأعيد بناؤها بعد الحرب .

وفي باريس قدّم الفقّاي رسالةً سلطان المغرب إلى ديوان ملك فرنسا الذي كان وصلته أيضاً رسالةً من السلطان العثماني يُوصي فيها خيراً بالأندلسيين اللّاجئين إلى بلده أو المُستكين من ظلم رعيته أمام محاكمه ، ولم تكن مهمته بالسهلة ولا بالمريحة ، فقد اقتضت منه أن يتنقل طيلة ثلاث سنوات بين شمال فرنسا وجنوبها الغربي ، وأن يُقيم في مدينة بوردو سنةً كاملة يُدافعُ أمام قضايتها عن بلدييه المنهوبين ، ولكنه لم يحصل هنا وهناك إلا شيئاً قليلاً (مما كان قد أخذ على وجه النهب والتعديّة للأندلس الذين وُكّلوني على مسائلهم ، فاستنفعنا من شيءٍ قدر ما يكفيننا مما نحتاج إليه من النفقة واللّباس وما نحتاج للطريق حتى نبلغ إن شاء الله لبلادنا)(21) .

وبعد ما رأى الفقّاي أن رسائل السلطان زيدان لم تُجد نفعاً قرّر الرجوع إلى المغرب ، ولكنه خشي إن عاد إليه من فرنسا وعلى ظهر سفينة فرنسية أن يقع له ما وقع لإخوانه الأندلسيين المطرودين من إسبانيا ، هؤلاء الذين سافروا للدّفاع عنهم ، فضل أن يعود إليه عن طريق هولاندة (فلنضس) التي لم تكن أصلاً في برنامج سفره لأن أهلها لا يضرون المسلمين ، بل يحسنون إليهم ، فذهب إلى أمستردام ، ولما دخلها أخذ العجب العجائب مما رأى من حسنها ونظافتها وسعة عمرانها ، وقال في وصفها ما نصّه : (ولما أن بلغنا إلى مدينة مسترضام رأيت العجب من حسن بُنيانها ونقايتها وكثرة مخلوقاتها ، كاد أن تكون في العمارة مثل برّيش (باريس) بفرنجة ، ولم تكن في الدنيا مدينةً بكثرة السّفن مثلها ، قيل إن في جميع سفنها صغاراً وكباراً سنةً آلاف سفينة ، وأما الديارُ كل واحدة مرسومةً ومزوقةً من أعلاها إلى أسفلها بالألوان العجيبة ، ولا تُشبه واحدةً أخرى في صنع رقيمها ، والأزفة كلّها بالأحجار المُنبّئة ، والتقيت بمن رأى بلادَ المشرق وبلاد الصقالبة وروما وغيرها من بلاد الدنيا فقال لي إنه ما رأى مثلها في الزين والملاحة) (22) .

وفي لاهاي اجتمع الفقّاي بولاتها وأعيانها الذين طلبوا منه أن يحدثهم بتفصيل عن محنة الطرد التي تعرض لها مسلمو الأندلس ففعل ، كما اجتمع

(21) ناصر الدين ص 102 .

(22) ناصر الدين ص 105 .

فيها بالمستعرب كُوليوس GOLIUS والمستعرب إيرينيوس ERPENIUS أستاذ كرسِي اللغة العربية بجامعة لِيْدن ، وتُوَكِّدُ بعضُ الدراسات الأوربية المعاصرة أن الفُقَّايَ أقام بدار هذا المستعرب الأخير ، وهي الدارُ التي أنشأ فيها صاحبها مطبعةً عربيةً تطورت فيما بعدُ وصارت مطبعةً بريل الشهيرة حتى الآن ، وقد رأى الفُقَّايَ المطبعةَ في هولاندة وفرنسا رأَيَ العين ، وهو يُسمِّيها (القالب) ، وقال عن إحداها إنه لا يجوزُ لأحدٍ من (المُعَلِّمين) أصحابها أن يطبعَ بها كتاباً إلا إذا أذن أصحابُ الديوان لمؤلفه بطبعه .

وامتازت إقامة الفُقَّايَ بفرنسا وهولاندة بمناظراتٍ كثيرةٍ جرث بينه وبينَ عددٍ من الوُلاةِ والوُجَّهَاءِ والعلماءِ والمفكرين ورجالِ دينٍ من يهودٍ ونصارى ، كانت تدورُ على الأكثرِ حولَ مُعتقداتهم الفاسدة أو فهمهم المُعْوجَّ للديانة الإسلامية وتأويلهم الخاطيءِ لآي القرآن الكريم والحديثِ النبوي الشريف ، فكانَ يُفجِّمُهُم لمعرفته الكبيرة بما في التَّوراةِ والإنجيل ، تلك المعرفةُ التي اكتسبها وهو صغيرٌ بإسبانيا ، ووسَّعها وهو مسافرٌ مُتَجَوِّلٌ بفرنسا وهولاندة ، ولاطلعه أيضاً على تاريخ الديانات وسيرِ كبار الأُخبارِ والرُّهبان ، ولاسيما الباباوات الذين سردَ في كُتبه أسماءَ من زادَ منهم في النُصرانيةِ ونقصَ أو ابتدعَ فيها ما لم يكن في عهدِها الأول ، ولم يكن الحوارُ بينه وبينهم بالأمرِ السهل ، لأنهم كانوا يتَحَاوَرُونَ بِأكثرَ من لغة ، هوَ كانَ يُحاوِرُهُم بالإسبانية التي يفهمونها ولا يتكلمونها ، وهم كانوا يُجادلونه بالفرنسية التي يفهمها ولا يتكلمها ، وبالاطلاع على ما كُتِبَ عن هذه المناظراتِ يَبَيِّنُ المرءُ ما كان له من نفسٍ طويلٍ في الججاجِ والجِدالِ ، كما يَبَيِّنُ مدى رَحابةِ الصدورِ وسَعَةِ الأفكارِ التي كان المُتَحَاوَرُونَ يتحلَّوْنَ بها ، فقد كانَ للرجلِ غيرَةً شديدةً على الدين الإسلامي ، ومنطقٌ قويٌّ وهو يدركُ الشبهاتِ والأباطيلَ التي يَرُوجُّها عنه أعداؤه إِمَّا بِنِيَّةٍ سيئةٍ وإِمَّا لسوءِ فهمٍ ، ولا أظنُّ أَنَّهُ كانَ من المُمكنِ أن تُجْرِي في ذلك الوقتِ مناظراتٌ مشابهةً في غيرِ نَبِيكِ البلدَيْنِ دونَ أن تُسْفِكَ دِماءَ وتزهقَ أرواحَ .

وكان الفُقَّايَ عدى ذلك شديد الانتباه لما للأوربيين من تقاليد وعادات وتصرفات مجتمعية ، فهو يصف طريقَتهم في الأكل والشرب والفرش

والضيافة والسمر ، ولاسيما مشاركة النساء للرجال في المجالسة والمحادثة وإيناس الضيف وإمتاعه بالمذاكرة معه وتقريب ما لذ وطاب من الطعام والشرب إليه إذا اجتمعوا على مائدة ، وهو يعجب كثيراً من ظهور النساء متبرجات بزينتهن أمام الغرباء بمحضر بعولتهن ، ويحس المرء من وصفه أنه لا يتغلب على نوازعه البشرية إلا باللجوء إلى الله يستغفره ويستعيز به من وسوسة الشيطان ونزغيه ، وعلى ذلك فإنه وقع في غرام شابة فرنسية من بنات الأكاير كان يجتمع بها لما كان يُقيم ضيفاً بدار (صاحب الطابع) الواقعة بإحدى ضواحي مدينة بوردو ، ولم يتغلب على حبه لها إلا بجهد جهيد (23) .

وبعد إقامة لم تطل في هولاندة عاد أحمد الفقائي إلى المغرب ، ولا شك في أن ذلك كان سنة 1613 م التي توافقت عام 1022 الهجري ، لأننا نجدّه يذكر في رسالة كتبها في 25 ربيع الثاني من ذلك العام (10 يونيو) إلى صديقه أوبرت الذي تعرّف به في باريس والذي كان يُقيم في مراكش ويعمل بها جاسوساً لملك فرنسا - وهو يُسميه في رسالته منشّر هبرت وينعته بالطبيب - أنه ينتظر سفينة تمشي للمغرب يمشون فيها بعون الله وبركة الصالحين !

ولا نعرف من أخبار الفقائي بعد ذلك شيئاً كثيراً سوى عمله مع السلطان زيدان السعدي المتوفى عام 1037 هـ وولده عبد الملك المقتول عام 1040 ثم أخيه الوليد بن زيدان المقتول أيضاً عام 1045 وسوى بعض الختمات التي أنجزها للسلطين المنكورين كتعريبه الكتب والرسائل والمراسيم الأجنبية ، كل ذلك وهو لا يكف عن مكاتبة أصدقائه من العلماء الأوربيين الذين تعرف بهم في فرنسا وهولاندة ، والتعاون معهم في مسائل علمية ، كما نرى ذلك في رسالة كتبها من مراكش في 10 جمادى الأولى عام 1033 هـ إلى صديقه المستعرب الهولاندي غوليوس يذكر فيها أنه أرسل إليه كتاب (مروج الذهب) وكتاب (المستعيني) ، كما يشير فيها إلى أثاره مكتوبة بحروف محفوظة عنده تتعلق بميل الشمس ، ويقترح عليه أن

الحمد لله وكفى والسلام على عباده الذين اصطفى والشيخ كرم وجهه
 الكتاب من عند صاحبك الذي عرفته في تيريش من اجل صاحبنا
 الكبيب الفطيم منتشر في تيريش وهو جليل في حق الله السليم الذي
 جعله من عرشه في العزوة في شان الصومات فان اردتم ان تعلموا
 ما كان من امرنا في هذه العورة لغير مختصرا فاجابنا من تيريش
 الذي منته تيريش ونعدنا ايضا في العام نكتب الشرع ونفتح
 الله سبحانه ان اجابنا شيئا مما كان في هذه على وجه التعمير والتعمير
 الان لا نرسله من وقلوبه على من اجله فاستجبنا من شئ قدر
 ما كتبنا ما يحتاج اليه من النسخة والناس والحقائق للحريف
 حتى يبلغ اخاه الله ليلنا واجتبا الي تيريش وسالت عليكم وقالوا
 انظر يا عمير الي تيريش تم حفت الي مدينة زوزان وركبت البحر ورجعت
 لسنة المدينة الصربية المعروفة في تيريش فليفت هذا اصحابا تجار
 يعرفهم من مراكت وكذا كماله وايضا القيت رجلين وتكررا
 لهما حكم في انما مشبعة القرية العربية وفزحت والذ تعلمت به
 ان الاشغال تملك العلم العربي له برقة مشفورة ولا تتر من حرم ملك
 ضروري الاخر وما زلت وان طالت غش فخصت غير الله الحمد وله التت
 نسخ مناسفة من تيريش لبلانا في الله ونفسو فيها بعونه وبرقة الصالحين

صورة رسالة كتبها أحمد الفقاي بخط يده للمستعرب الهولاندي إيربنيوس يوم 25 ربيع الثاني 1022 هـ (10 يونيو 1613 م) أصلها محفوظ بمكتبة لينن (هولاندة)

الحمد لله والصلوة والسلام على رسوله

أما بعد حمد الله الواحد كما حذرنا في الصدق الزمان لم يلد ولم يموت ولم يكن
له كفواً أحد بل قبلة كتابك وفي حديث بما رأيت من ضحك
خطبك وجهت معناه ومزماه أما ما ذكرته من كتابي فمترجم
إذ هيبت إنهم يبلغ اليك وأنه نعمة العرب من أيدى حامله وذلك
عادة تنبع في هذه البلاد وفي هذا الزمان الصعب وفي حديث إذا جاء
علم غير ضحك الكتاب المستعجبين في صفاة الطب ما لك نكتب لك
في شأنه شياً إلا في غالب كنهه أن النسخة التي بيد صاحب بنا
الكبيب كنهه أن لها مكنوية نحو الأربع مائة سنة وهو
هذا الكتاب المذكور عجيب مقبول عندنا المعاصرين وكنت
تذكرت لي أن عندك حروفاً موهوبة لميل الشمس لو أمكن أن
أرثردها عن عربية أو في لسان الاستانبول وتبعثه لي نعم بذلك
والسلام وكتب في من أخصر العصر وسه في العاشم من شهر جمادى
الأولى من عام ثلث وثلاثين وألف سنة

خدم مع المقام العلم

أحمد بن فارس
الجب الله به

يُعرِّبها أو يكتِّبها بلسان الإشبانيول ويبعث بها إليه . لإدخال السرور عليه .

وقد كانت الأحوال السيئة والظروف العصبية التي صار المغرب وأهله يعيشون فيها بسبب سوء سياسة أبناء السلطان أحمد المنصور وقُبْح تفكيرهم وتدبيرهم باعثاً قوياً للفقّاي على التفكير في الهجرة من المغرب والابتعاد عمّا كان يعمّه من الفتن والفوضى والأوبئة والتفكك والانقسام ، حتى صَحَّ منه العزمُ عامَ 1045 على الرّحيل عنه إلى غيره من بلاد الله إثرَ قتل السلطان الوليد بن زيدان ، فذهب أولاً إلى قسبة سلا ورباطها بعد ما أقام بمراكش نحو أربعين سنة ، ومن واديها (أبي رقرق) ركب البحر متوجّهاً إلى المشرق بنية الحج ، فأدى الفريضة بيّنت الله الحرام ، ثم زار الروضة النبوية الشريفة بالمدينة المنورة ، وبعد ذلك غادر أرض الحجاز مغرباً عامَ 1046 ماراً في طريقه بمصر حيث اجتمع بفقهيها الشيخ علي الأجهوري (24) وقصَّ عليه أخبارَ رحلته إلى أوربا ومناظراته بها مع فقهاء الدّين من قسيسين وربّيين ، فأعجب الأجهوري بما حكى له ، واقترح عليه تأليف كتاب يُضمّنه تلك الأخبارَ والمناظرات ، فاستجاب له وألّف كتابه (رحلة الشهاب ، إلى لقاء الأحاب) ، ثم اختصره له قبل خروجه من مصرَ في كتابٍ صغير سمّاه (ناصر الدين ، على القوم الكافرين) ، وإثرَ ذلك سافرَ إلى تونس فأعجبَ بوليها التركي أسطاً مراد (25) واستحسنَ سيرته وسياسته ونوّه بمنجزاته الدفاعية ، وتعرّف فيها بمهاجر موريسكي اسمه إبراهيم بن غانم الرّباش الذي أطلعه على كتاب ألفه باللّغة الإسبانية في فنّ المدفعية وطلبَ منه أن يُعرِّبه ليعمّ النفعُ به المسلمين ، فلبّى الفقّاي طلبه ونقله إلى اللّغة العربية وسمّاه (العزُّ والرفعةُ والمنافع ، للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع) ، وكان ذلك عامَ 1048 هـ ولا نعرفُ بعد ذلك عنه شيئاً سوى اجتماعه مع ابنه بتونس سنة 1050 وبقائه مقيماً بها إلى يوم 20 رجب من

(24) علي بن محمد الأجهوري من شيوخ المالكية بمصر في القرن الحادي عشر ، ولد بالقاهرة عام 967 هـ وتوفي بها عام 1066 هـ له مؤلفات كثيرة في الحديث والفقه والتوحيد .

(25) سبقت الإشارةُ إليه في الصفحة 13 .

العام التالي ، ثم تنقطع عن أخباره ، ويغلب على الظن أن شمعة حياته انطفأت بها بعد سنين غير بعيدة ، لأنه كان يبلغ من العمر في ذلك العام الرابعة والسبعين .

* * *

وقد ألف أحمد الفقّاي أو عربّ عدداً من الكتب في فنون مختلفة ضاع أكثرها وهو بيقيد الحياة ، فقد أشار في كتابه (ناصر الدين) إلى كتب سُرقت له بمراكش مما كتب بيده في التوحيد وغيره بقرب مجيئه إليها من بلاد الكفار (26) ، ثم أشار إلى الكتب التي كتَب بيده أيضاً وضاعت مع الجمل الذي سُرِق له عام 1045 وهو في طريقه إلى الحج (27) .

وأورد فيما يلي أسماء ما هو معروف من هذه المؤلفات وما هو غير معروف :

(1) . رحلة الشهاب ، إلى لقاء الأحياب ، وهي حسبما نكر في مختصرها (ناصر الدين) شبه معلمة وصَف فيها الأندلس جغرافياً وتاريخياً ، وذكر نكبة المسلمين بها وما تعرّضوا له من اضطهاد إلى صدور قرار الطرد ، كما نكر ما رأى في أسفاره ورحلاته المشرقية والمغربية والجوفية (28) ومناظراته مع أبحار اليهود ورفبان النصارى بفرنجة (فرنسا) وبلاد فلنضس (هولاندة) مع إثبات نصوص أدبية كرسائل محمد ابن الخطيب السُّلماني .

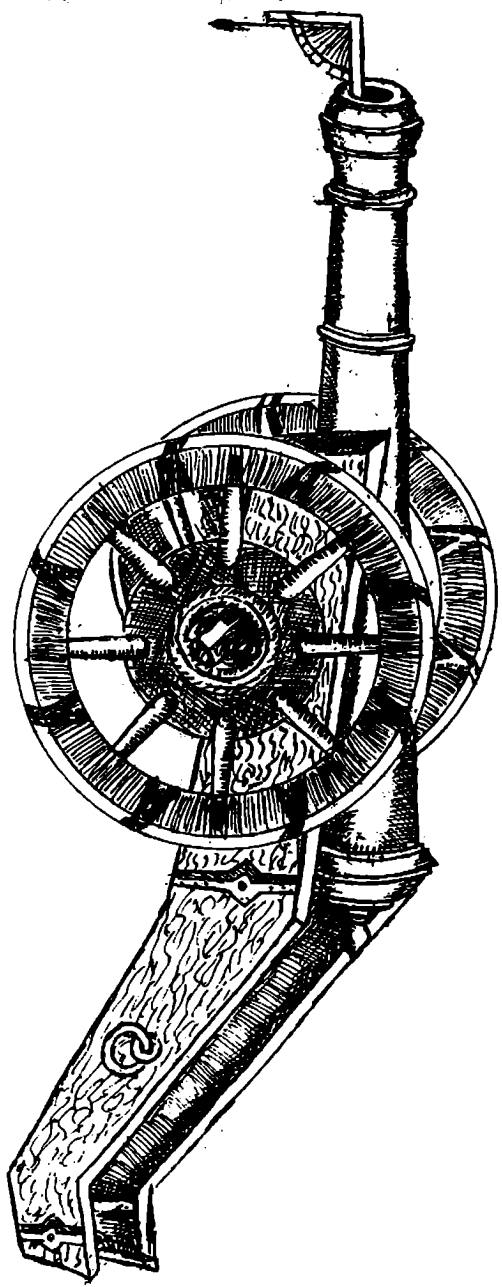
وقد نكر أنه قرأ هذه الرحلة على الشيخ علي الأجهوري بمصر وأعطاه نسخة منها لما عزم على الرجوع إلى المغرب واختصرها له في كتاب سماه (ناصر الدين) تلبيةً لطلبه .

(26) ناصر الدين ص 132 .

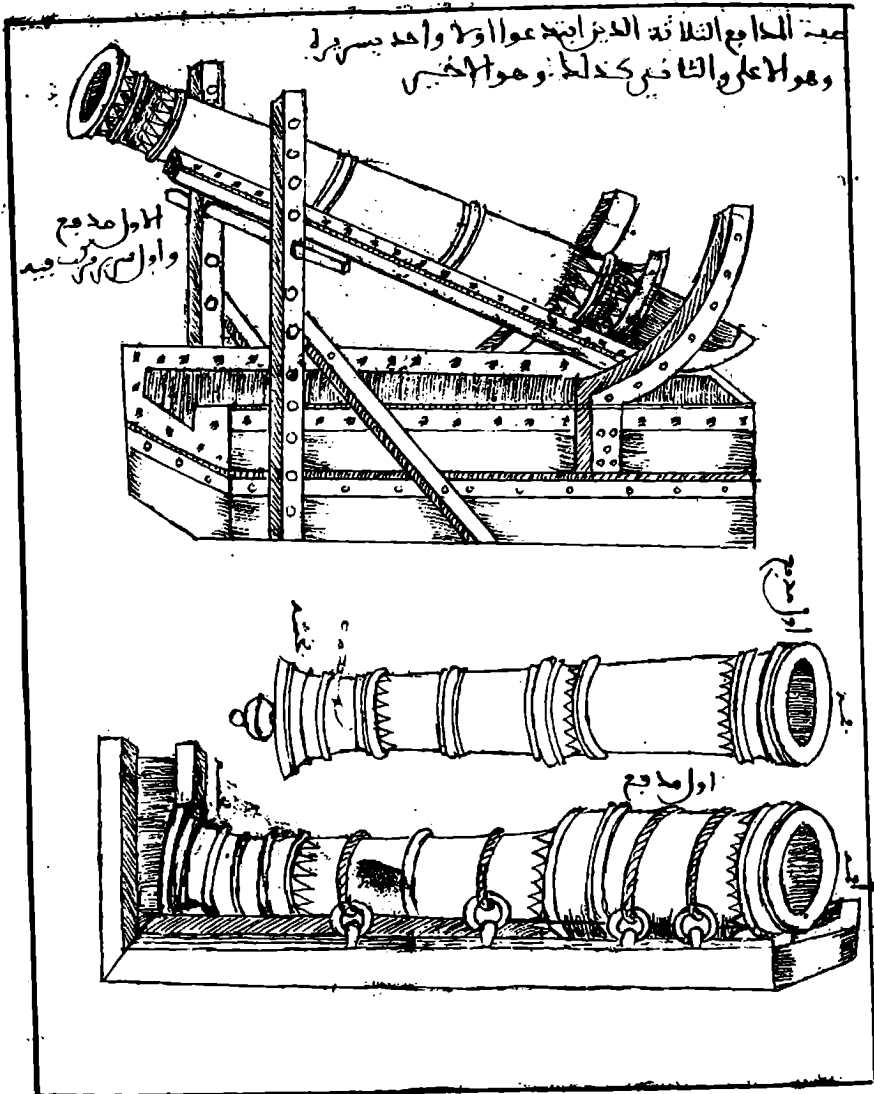
(27) ناصر الدين ص 132 .

(28) الجوف في الاصطلاح المغربي القديم هو الشمال ، وعكسه القبلة (الجنوب) .

ملاحة مع مرسية شفاء وهو اقل ريسه فيها من الريح



مثال من الصور التوضيحية التي رُئيت بها كتاب (المؤد والرفعة والمنافع)



مثال آخر من الصور التوضيحية التي زُينَ بها كتاب (العزُّ والرفعةُ والمنافع) .

وهذه الرّحلة غيرُ معروفةٍ الآن ، ولكن من غير الميؤوس أن يكونَ نُسختها التي أُعطيَتْ للشيخ الأجهوري وجودَ في إحدى دور الكتب العامّة أو الخاصّة بمصر ، كما يُؤمّل أن يُعثَرَ على نسخة منها في المغرب لأنّها من الكتب التي اعتمدَ عليها محمد الصغير اليفرنّي في كتابيّهِ (نزهة الحادي) و(صفوة من انتشر) ، ومُحمد ابنُ العياشي المكناسي في كتابهِ (زهر البستان) ، وقد ذكرَ صديقنا المرحومُ الفقيهُ السيّد عبدُ السلام ابنُ سودة في كتابهِ (لدليل مؤرّخ المغرب الأقصى) أنّ زميلنا الوزيرَ المرحومَ الأستاذَ محمد الفاسي أكّدَ له أنّ طرفاً منها يُوجدُ عند بعض أصدقائه (29) .

ومما لا شكّ فيه أن ظهورَ هذه الرّحلة بعد اختفاءِ سيّدنا بمعلومات قيّمة وجديدة عن الأندلس في آخر عهدها بالإسلام ، ومعلوماتٍ مفصّلة أخرى عن المِحنة التي تعرّضَ لها المسلمون بعد سقوطِ غرناطة ، ومعلومات عن حياةِ المؤلّف نفسه في الأندلس قبل الهجرة وفي المغرب بعدها .

2 - ناصر الدين ، على القوم الكافرين ، وهو مختصرُ الرّحلة المتقدمة ، والمرجعُ الأساسُ لمعرفة حياة مؤلّفها ، ألّفه بالقاهرة استجابةً لطلب الشيخ علي الأجهوري ، وفرغَ من تأليفه يومَ الجمعة 21 ربيع الثاني عام 1047 هـ ، وزاد فيه لما أعادَ نُسَخه بتونس ، توجدُ منه نسخةٌ محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس ، وأخرى بدارِ الكتب المصرية بالقاهرة محفوظة تحتَ نمرة 1634 ت مكتوبة بخطِ المؤلّف ، فرغَ من نُسَخها بتونس يوم 20 رجب عام 1051 وهذه النّسخة هي التي حقّقها الأستاذُ أحمد رزوق وطبعنها كليةُ الآداب والعلوم الانسانية بالدار البيضاء سنة 1987 م (1407 هـ) .

3 - العزُّ والرفعةُ والمنافع ، للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع ، كتابٌ بدأ تأليفه باللّغة الاسبانية إبراهيم بنُ غانم الأندلسي الملقّب بالربّاش بصحن حلق الوادي بتونس عام 1040 وأكملَه يومَ 22 ربيع الأول عام 1042 وموضوعه المدفعيةُ وكيفيةُ استعمالها والقتال بها ، ولما حلَّ أحمدُ

الفَقَّاهُ بتونس وهو راجعٌ إلى المغرب من الحجّ أطلعه مؤلفه إبراهيم الرِّبَّاش عليه وطلب منه أن ينقله إلى اللّغة العربيّة ليعمّ النفعُ به المسلمين ففعل ، وأتمّ تعريبه يومَ السبت 10 ربيع الثاني عام 1048 (21 أغسطس 1638 م) .

تُوجَدُ منه نسخٌ عديدةٌ بالمغرب والجزائر ومصر والنمسا وإيرلندا ، أما بالمغرب فتُعْرَفُ منه ثلاثُ نسخ ، أولاها محفوظةٌ بالخرزانة الحسنية الملكية تحت نمرة 2646 والثانيةُ محفوظةٌ بالخرزانة العامّة بالرباط ضمن مجموع نمرة 1342 د مبتورةُ الأخير ، والثالثةُ محفوظةٌ بنفس الخزانة تحت نمرة 87 د ، وهي أحسنُ النسخ وأصحُّها وأكملها ، مكتوبةٌ في 117 ورقة بخط أندلسي جميل واضح مُلَوَّن ومُصَحَّح ، ومزينةٌ بصور متقنة للمدافع وكيفية تحريكها والقتال بها ، ومذيلةٌ بخاتمة من وضع المعرب أحمد الفَقَّاهُ تحدثٌ فيها باختصار عن حياته بالأندلس والمغرب ورحلته إلى الشرق ووصوله إلى تونس في طريق رجوعه إلى المغرب .

وكانت هذه النسخة من الكتب المُحبَّسة على خزانة جامع الزيتونة بتونس قبل أن تُنقلَ إلى المغرب ، وعليها ثلاثُ شهادات أو تقرّيزات تُنوِّه بها وتُنَبِّه إلى قيمتها وأهميتها ، اثنتان نثريتان من إنشاء العلامة أحمد الشريف مُفتي الحنفية وإنشاء محمد بن عثمان الحشاشي الشريف مُتَّفَقِدِ خزائن الكتب بالجامع الأعظم والمُكلَّفِ بترتيبها ، والثالثةُ شعرية داليةُ القافية من نظم عبد الرحمان بن مسعود الجبالي .

4 - الرسالة الزكّوطية ، رسالة في علم التعديل ، وضعها عام 877 هـ على طول مدينة سَلْمَنْقَة الأندلسية SALAMANCA يهودي من أبنائها اسمه إبراهيم زكّوط ترجمها الفَقَّاهُ من اللّغة اللاتينية إلى اللّغة العربيّة بأمر السُلطان زيدان السعدي بمراكش بمُساعدة راهبٍ من الأسرى ، تشتمل هذه الرّسالة على 248 جدولاً لتعديل الكواكب موزعة على 248 صفحة يُمكن بواسطتها استخراج الحركات الطولية والعرضية للكواكب المرصودة ، توجد منها نسخة مخطوطةٌ بالخرزانة الحسنية بالرباط محفوظة ضمن مجموع نمرة 1433 وأخرى بنفس الخزانة نمرة 8184 وقد شاع استعمال هذا

الزيج الزكوطي بالمغرب بعد أن كان زيحُ أحمد ابن البناء الأزدي المراكشي منفرداً بالرّواج ، ووضع العلماء المغاربة مؤلفاتٍ لتكميله وتوضيحه ، كالرسالة التي ألّفها عبدُ الله أصناك المراكشي على جداوله ، والتعليق التي وضعها عليه عبدُ الله بنُ عبد القادر أبي الشيخ اللخمي القصري ، والكتاب المسمّى (تحفة المحتاج ، في علم التعديل والأزياج) ضمّنه مؤلّفه المجهول تكميلاتٍ وتوضيحاتٍ للرسالة الزكوطية ، توجد منه نسخةٌ في أول المجموع المشار إليه آنفاً المحفوظ بالخرزانة الحسنية .

وله غيرُ ما ذُكر من المؤلفات كتابٌ لعل موضوعه القرآن الكريم ، وكتابٌ في الردِّ على اليهود والنصارى من كتبهم ، وكتبٌ أخرى قام بتعريبها أو تعجيمها ، منها كتابٌ جغرافي كبير ألّفه مؤلّف اسمه قبطان (بلسان الفرنج) عن جبَل من أعظم جبال الدنيا وأمره السلطان زيدان السعدي أن يُترجمه له ، وكتابٌ من كتب المسلمين نَسِي اسمَ مؤلّفه طلبَ منه واحدٌ من فقهاء الأندلس أن يترجمه بالعجمية من العربي ففعل ذلك بمدينة سلا ، وينكرُ أن في هذا الكتابِ أخباراً كثيرةً عن غشِّ اليهود وحكاياتٍ مما وقعَ معهم للمسلمين .

وبالجملة فإنَّ أحمد الفُقائي جديرٌ بدراسةٍ مُعمّقةٍ لشخصيه وأفكاره ومراحلِ حياته ، وتحليلٍ دقيقٍ للموجودِ من مؤلفاته والبحث عن المفقود منها ، لاسيّما (رحلة الشهاب) التي يغلبُ علي الظنُّ أن تكونَ نسخةً أو نسخٌ منها موجودةٌ بخزائن مصر وتونس والمغرب .

لَمْ أقف على تاريخ وفاته ، وكان حيّاً بتونس يومَ 20 رجب عام 1051 هـ (30) .

(30) يُنظرُ عنه الأعلام للزركلي 1 : 198 والإعلام ، بمن حلِّ مراكزٍ وأغامت من الأعلام 273 ع 218 وإيضاح المكنون 1 : 550 والبحث العلمي (مجلة) 13 : 28 وجواهر الكمال ص 87 ودعوة الحق (مجلة) س 10 ع 3 ص 77 ولليل مؤرخ المغرب الأقصى ص 343 ع 1475 واللسان العربي (مجلة) ع 1 ومجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد 11 : 335 والمصادر العربية لتاريخ المغرب ص 152 و 155 والموسوعة 3 : 124 و 161 ونزهة الحادي ص 106 من طبعة فاس ، وص 118 من طبعة باريس وزهر البستان ، في نسب أخوال مولاي زيدان ص 140 (مخطوطة مصوّرة) وصفوة من انتشر ص 224 والإستوغرافيا والأزمة ص 75 وسفراء مغاربة في أوربا ص 11.

(1562) أحمد بن الحسن الداودي المئاني الحياي أديب و فقيه مفتي من المغرب الأقصى ، من آل سعيد بن عبد المنعم الداوديين سكان قبيلة زداغة إحدى قبائل حاحة بالأطلس الكبير ، تنتمي أسرته إلى بيت النبوة (31) ، أخذ عن عمه العلامة الجليل يحيى بن عبد الله ولازمه وتخرّج به ، وصار نظيراً له في رواية الحديث وحفظ الأدب وإجادة الشعر ، بارعاً في الفقه والنوازل ، مُشاراً إليه في الفتوى بالبنان .

درس بزواوية تافيلالت (32) الموجودة بقبيلة زداغة ، وإليها ينسبهُ بعضهم فيقولون فيه أحمد الفيلاي أو التافيلالتي ، ولما مات عمه وشيخه يحيى - وكان رئيساً متبوعاً ذا كلمة مسموعة بتلك الجبال - بايعه الناس ، ولكنه لم يقدر على منافسة الأمير علي السملالي المعروف بأبي حسون بودميعة ، فبقي في زاويته يقرئ الطلبة ويربي المريرين إلى أن مات .
خمس بردة البوصيري ، وشرح قصيدة الهبتي .

من شعره يرثي عمه يحيى المتوفي عام 1035 قوله وهو متوسط :

بوفاة العلامة الصنيد	ءاه قذ دك مجذ ءال سعيد
ق على رغم كل شان عنيد	ذهب الحق والإشادة بالحو
شاد والحلم والوفا بالوعود	ذهب الوعظ والخطابة والإر
م وتدريسه بفهم سديد	ذهب العلم والتضلع في العد
لاق في شعره البليغ الفريد	ذهب النثر والفصاحة والإف
ن لوعده الخلاق إثر الوعيد	ذهب النصح للعباد وإعلا
قاد أصحابه مقاد الرشيد	مات يحيى الإمام خير إمام

(31) فيما يلي مشجراً نسبه : أحمد بن الحسن بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم (ويقال أيضاً عبد النعيم) بن الحسن بن إبراهيم بن عبد الملك بن الحسن بن داوود بن خالد بن يحيى بن زكرياء بن منصور بن عبد المولى بن العافية بن محمد بن أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ .

(32) زاوية فيلالة أو تافيلالت زاوية تقع بمنحدرات الأطلس الكبير ، تبعد نحو 70 كلم عن مدينة زدانة إلى الشمال الغربي منها ، يجري أسفلها وادي العسل ، أسست في منتصف القرن العاشر ، بنى بها السلطان زيدان السعدي ضريحاً ليحيى الحياي مكافأة على وقوفه إلى جانبه ضدّ الثائر أحمد ابن أبي محلي متقدم الترجمة في الجزء الخامس .

عيني ابكي الإسلام من بعد يحيى الـ
ترك المسلمين بعد حيارى
قل لمن يشمتون من بعد يحيى
سترون الأمور من بعد ثم
سوف يأتيكم أناسٌ بظلم
مات من كان سدهم ليس يلوي
ذهب الصقر فليجل في الهوا العصد
وليجي الثعلبان للصيد فالغا
رحم الله من يصون حمانا

مُسلم المخلص العليم الرشيد
في صُراخ وندبة وفديد (33)
ليس يحيى في موته بوحد
ت تكون فخرآل سعيد
دائم من يدينهم والجنود
رأسه حين رُففات البنود
فوراً ما شاء في زمان جديد
بهُ ما في عرينها من أسود
فسنغدو من بعده في العبيد

توفي بزواية تافيلالت ليلة الاثنين 14 محرم عام 1052 وأقبر جوار عمه
يحيى عن يسار قبره (34)

(1563) أحمد بن إبراهيم الأنصاري المكروتي الدرعي ، فقيه مرابي
أحد صدور مشايخ التصوف بالمغرب في القرن الحادي عشر ، كان أعجوبة
زمانه في المحافظة على السنّة والاجتهاد في العبادة وتلقين الأوراد .

ولد عام 1001 وأخذ عن شيوخ الوقت في التصوف كالشيخ عبد الله
بن حسين الذي خلفه في إدارة الزاوية ، وله كلام كثير بأسلوب طبقة .
مات قتيلا ضحى يوم الجمعة 11 جمادى الأولى عام 1052 .

وهذا الرجل ليس على شرطي ، وإنما ذكرت اسمه لارتباطه بأسماء
لامعة ، ولعناية المؤرخين والأخباريين بذكره (35)

(1564) أحمد بن أحمد السوداني ، فقيه من سودان المغرب الذي يعرف
اليوم بمالي ، قرأ على الفقيه محمد بن محمود بغنيغ وغيره من أهل بلده ، وكان
جامعاً للنحو والفقه والأصول فصيح اللسان حسن الهنءام مهيباً .

(33) الفريد : علو الصوت وشنئه .

(34) طبقات الحضيكي 1 : 69 و مترعات الكؤوس (مخطوط مصور) 1 : 19 و المعسول
19 : 71 و 83 و 92 و سوس العالمة ص 182

(35) الإكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 19 والتقاط الدرر 2 : 116 والدرر المرصعة
(مخطوطة مصورة) ص 11 و 207 وطبقات الحضيكي 1 : 59 ونشر المثاني 2 : 21

أقرأ كتب النحو والفقه وتولّى قضاء تنبكتو .

له شرحٌ على الجرومية في النحو ، وءاخِرُ على مختصر خليل بن إسحاق المالكي في الفقه ، وتعليق على المرادي .

توفي عام 1054 (36)

1565) أحمد (الخضر) بن محمد (بوعسرية) الفاسي الفهري ، فقيه نحوي من المغرب الأقصى ، اسمه أحمد وعرف بلقب الخضر ، ولد بمدينة القصر الكبير عام 1033 ونشأ به ، واعتنى والدُه بتعليمه وتأديبه أحسنَ عنايةً ، وهو كان معلّمه الأول ، ولما حدقَ القراءان وحفظ بعض امهات كتب العلم رحل الى فاس لإكمال دراسته ، فمهر في كل علم او فن درسه وظهر تفوقُه على الأقران على صغر سنه ، ثم عاد إلى القصر الكبير مملوءً الوطاب بالمعارف ، لكنه توفي به مطعوناً في متم شهر ربيع الأول عام 1054 (37)

1566) أحمد بن محمد الزموري الفاسي ، فقيه نحوي من أهل فاس ، ولد بها عام 1012 ونسبُه سلفه إما إلى مدينة أزموور الساحلية (38) ، وإما إلى قبيلة زُمور السهلية المستقرّة بإقليم الخميسات (39) أو قبيلة بني زمور الجبلية المستقرّة بإقليم بني ملال (40)

أخذ عن عبد الرحمان بن محمد الفاسي وغيره .

(36) أزهار البستان لابن عجيبة (مخطوط مصور) ص 43 ونزهة الحادي .

(37) الدرر البهية 2 : 266 ومعلمة القراءان والحديث ص 158 وعناية أولى المجد ص 32

(38) أزموور مدينة تقع في الضفة الجنوبية لنهر أم الربيع على ساحل المحيط الأطلسي بين مدينة الدار البيضاء ومدينة الجديدة .

(39) زمور مجموعة قبلية كبيرة بإقليم الخميسات تشتمل على القبائل التالية : آاية جبل الدوم ، وآاية زكري ، وآاية زربيل ، وآاية يدين ، وبني حكم ، وبني عامر ، وحوّض الران والمصاغرة والقبليين ، وأشهر مدنها الخميسات قاعدة الإقليم والفلالية = تيفلقت = تيفلت .

(40) بني زمور مجموعة قبلية تسكنُ جبال الأطلس المتوسط بإقليم بني ملال ، قبائلها أولاد يوسف ، وبني بطاو ، والرواشد ، وأهلها شجعان شديبو البأس ، وأشهر مدنها مدينة أبو الجعد (جعيدان وبجد) .

وكانَ خطيباً مُدرساً حافظاً للفقهِ مُتقناً للنحو مُشاركاً في غيرهما من الفنون ، أعجوبة الدنيا في الحفظ والفهم كثيرَ النقلِ في التدريس .

وليَ قضاءَ فاس للأمير محمد الحاج الدلائي في أواخر رجب عام 1053 خلفاً للقاضي علي بن محمد المرِّي .

مات بفاس عصرَ يوم الجمعة 23 جمادى الثانية عام 1057 ودُفن بقرب الشيخ عبد الرحمان الهزميري (41)

وتقدمت ترجمةُ جدِّه وسميَّه أحمد بن علي الزموري (5 : 210 ع 1507) .

1567) أحمد خوجة الصنابلي ، أحدُ دايات تونس في عهد الباشا حمودة ، يُنسبُ إلى مدينة صنب التركية Sinob الواقعة بأرض الأناضول على ساحل البحر الأسود ، ورد من إسطنبول على تونس عام 1038 وعمل كاتباً (دفتر دار) بديوانها فلصقت به منذئذ كلمة (خوجة) التي تعني في التركية ما تعنيه كلمة كاتب في اللغة العربية ، وصار لا يعرف إلا بأحمد خوجة أو أوزون خوجة .

وخلال عمله بالديوان وهو المجلسُ الذي يجتمع فيه كبار قواد العسكر للنظر في القضايا المختلفة المتجددة سيما ما يهَمُّ منها الجيش والأمن تمكَّن حبُّ أحمد خوجة من النفوس لحسن خُلُقِه وطيبِ معشره وشِدَّةِ حزمه وإقتداره وكثرة عنايةه بالعسكر وبيتاماه ، فلما توفِّي الداي اسطا مراد يوم الأحد 18 ربيع الأول عام 1050 بايعه الجيشُ بإجماع .

وكان أحمد خوجة نبياً ذكياً مهيباً ذا ذاكرةٍ قوية وفراصة صادقة ، نكروا أنه كان لا يسأل الجنودَ عن أسمائهم وأسماء آبائهم ساعة تفريق المرتباتِ عليهم ، لأن مجرد نظره إلى الواحد منهم كان يكفيهِ للتعرفِ به .

41) الإكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 20 والتقاط الدرر 2 : 123 ونشر المثنائي 2 : 38 وقضاء فاس (نسخة مرقونة) ، وسلوة الأنفاس 2 : 70 وشجرة النور الزكية 1 : 308 ع 1192 واليوافيت الثمينة 1 : 34 والبدور الضاوية (أطروحة مرقونة) ص 397 .

ولما سكنَ الدارَ المخصصة له بعد توليته بالدرب المسمّى عنق الجمل ، وكانت تبعدُ قليلاً عن الجامع ، جدد مدرسةً قديمةً به (42) وصار يُصلي فيها خلفَ الفقيه محمد برناز ، كما أحيى المدرسةَ الشماعية بعد اندراسها وعيّن للتدريس بها الفقيه المذكورَ وهو أوّلُ مُدرس بها من الحنفية .

وفي أول ولايته هاجمت أساطيلُ إنجليزيةً ومالطيةً مرسى حلق الوادي وعجزَ البرجُ المشيدُ هناك عن صدّها ، فاستولت على سفن وأحرقت أخرى كان من بينها سفينة مغربيةً قاعدتها مدينة سلا ، وكانت هذه الحادثة سبباً في بناء برج ثاني بحلق الوادي لتقوية دفاعه والزيادة في تحصيناته ، وهو برجُ الخريطة الموجودُ قرب باب رادس الذي صار فيما بعد قصرًا للملوك .

وحدث في أيامه عام 1053 وباء عظيم عُرِف بوباء أحمد خوْجة دام سبع سنوات وانقطع به العلمُ في تونس ، وورد عليه عام 1055 أمرُ السلطان من إسطنبول يأمره بالاستعداد لغزو كندية عاصمة جزيرة كريت فأخذ يجهز السفنَ ويعبئُ الجنودَ وفرض على الرعية أموالاً طائلة ، وجمع آلات الحفر لإقامة المتاريس وزرع الألغام ، ثم بطلت تلك الاستعداداتُ في السنة التالية .

ومن أخباره السياسية أنه أراد يوماً أن يختبرَ طاعةَ جنده له ، فأمرهم يوماً بغتةً بالخروج إلى غار الملح ، فلم تكن إلا ساعةً حتى خرجوا عن آخرهم ولم يبق منهم بالمدينة أحد ، ففرح بذلك وزال ما خامر ذهنه من شكوك .

ومن أخباره السياسية أيضاً أنه فكّر يوماً في إلغاء (الديوان) وإبطال اجتماعاته ، ولما شاع ذلك جاءه صاحبٌ له من أعيان الديوان وطلب منه أن يعدلَ عما يفكرُ فيه ، وقال له يامولانا أين تجد مثل هذه الدرقة ؟ إن الأحكامَ تدورُ على كل حال بينَ الخطأ والصواب ، فما كان صواباً نُسبَ إليك ، وما كان خطأً وجدتُ فيه مُستنداً للاعتذار عنه بالديوان ، فاستحسن نصيحتَه وشكره عليها ، وأبقى الديوانَ على حاله .

(42) هي المدرسة العنقية المنسوبة إلى درب عنق الجمل ، أسسها الأميرة فاطمة بنتُ الأمير يحيى الحفصي عام 733 يُنظرُ عنها تاريخ معالم التوحيد ص 293 .

وعلى الجملة كان أحمدُ خَوْجَةَ قائداً حازماً وسياسياً متميزاً ، يعظم العلماء ويحبُّ الصالحين ، مسامحاً صفوحاً على حزمه واقداره ، مقتصاً للمظلوم من ظالمه ، مبسوط اليد لا يبخل بالمال الذي انصرفت همته من بذل ولايته إلى جمعه واحتجن منه الشيء الكثير .

مات بتونس في إحدى الجمادين من عام 1057 هـ ودُفن بتربته جوارَ الفقيه علي بن زياد ، وكان الذي تولَّى تجهيزه إمامه الشيخ محمد برناز الذي أشرف أيضاً على تنصيب الداوي محمد لاز خلفاً له (43) .

1568) أحمدُ بن محمد المدعو عبد العزيز الشريف الأندلسي ، فقيه أندلسي الأصل ، ولد بغرناطة في أواخر القرن العاشر وبها نشأ ، ولما اشتدَّ اضطهادُ الإِسبانيين للمسلمين المدجنين فرَّ من وطنه السليبي وألقت به أيدى النوى إلى تركيا ، واستقرَّ مدة ببلاد البوشناق التي تدعى اليوم البوسنة وكانت من جملة ممالك الخلافة العثمانية بالبلقان ، فأخذ عن علمائها ، ثم انتقل إلى مدينة بورصة الشهيرة فأخذ عن علمائها أيضاً ، وأتقن اللغة التركية وتمذهب بالمذهب الحنفي ، وكان رفيقه في الدراسة يحيى أفندي الذي صار فيما بعدُ شيخاً للإسلام في أيام السلطان مُراد خان الرابع فاتح بغداد .

أما أسرةُ المترجم فإنها هاجرت هي أيضاً من الأندلس واستقرَّت بمدينة تونس ، فلما بلغه خبرها انتقل إليها ليجمع شمله بمن فيها ، فدخلها ومعه علم وفير ، سيماً الفقه الحنفي الذي تعلّمه وتمذهب به فصار يبئنه فيها وأخذ عنه جماعة من أهلها كالشيخ مصطفى بن عبد الكريم آتت الترجمة ، ولما شاع نكره وعُرف قدره ولاه الداوي أحمد خوجة التدريس بالمدرسة الشماعية ، وهو أولُ مدرس حنفي بها ، ثم تولَّى فيما بعدُ الفتوى بمذهب الإمام أبي حنيفة .

وممَّا يُروى عن حذق المترجم وحفظه أنه كان يقرأ بتونس كتاب (درر الركाम ، في شرح غرر الاحكام) على الشيخ رمضان أفندي أولُ مفتي حنفي بتونس ، فرأى الشيخ فيه من مخايل النجابة ما يبهّر العقول ، فلما

(43) إتحاف أهل الزمان 2 : 48 والخلل المُتسمية 2 : 395 وصفحات كثيرة بعدها ، والخلاصة النقية ص 94 وتُيَلِّ بِشائر أهل الإيمان ص 93 و 94 والمؤنس ص 210 .

وصلَ بابَ البيوع ، وهو أوّل النصف الثاني من الدرر ، قال للمترجم أنا أكمله عليك ، فإنك أدري به مني ، فتتلمذ له شيخه المذكور وكمل الكتاب عليه ، وصار يُنتني عليه كثيراً بمجلس الداوي يوسف حتى قال له إنني قرأت عليه وهو أوّلَى بالمدرسة مني (44) ، وما أجمل أن يكون له بالمدرسة نصفُ ريال ، فوقى له به يوسفُ داوي من عنده .

واتفق خلال استيطان المترجم تونسَ أن السلطان مراد خان طلب من شيخ الإسلام يحيى افندي أن يختارَ له فقيهاً يتخذُه معلماً لأبنائه وإماماً لصلاته ، فلم يرَ أليقَ بهذه الوظيفة من رفيقه في الدراسة أحمد الشريف المترجم ، فلما بحثَ عنه قيل له إنه في تونس ، فاستصدرَ له من السلطان فرمان (مرسوم) تعيينه ، وأرسل إليه يستدعيه للمجيء إلى إسطنبول لتقلدِ الوظيفة الجديدة ، ولكن المترجم اعتذرَ عن المجيء لأسباب عائلية ، فقبل شيخ الإسلام عنده ، واستصدر له فرماناً جديداً عيّن له السلطان به راتباً يومياً قدره ستة ريالاتٍ توخّذ من جزية اليهود .

وكان المترجمُ به فقيهاً ماهراً عالماً فاضلاً متعبداً ورعاً صلباً في قول الحق بعيداً عن المراءاة والمداراة ، حتى أداه ذلك إلى تعصب الفقهاء عليه ، فنصبوا له فخاخ مكرهم ، ونسبوه للكفر في قضية حكاها في تأليف له في صفة الإيمان ، مضمئها سؤالٌ وجّه إليه عن بنتٍ صغيرةٍ في حضانة أمها المطلقة وصلت حدّ الشهوة ولم تبلغ بعد هل تسقطُ حضانةُ أمها أم لا ؟ فعزل من منصب الفتوى بعدما طالّت مدته فيه ، وعيّن بدله الشيخ محمد بن مصطفى الأزهري .

وقد ترك أحمد الشريف المترجم عدداً من المؤلفات ، منها .

1 - الأتوار ، في تحريم الأدبار ، مبحثٌ فقهي ردّ فيه على بعض أقوال الامام أشهب بن عبد العزيز المالكي ، جمع فيه أقوالاً كثيرةً لأعلام من المذاهب السنية الأربعة ، توجد منه نسخة مكتوبة بخط مؤلفها مؤرخة في شعبان عام 1051 بدار الكتب الوطنية بتونس نمرتها 18078 (مكتبة

(44) هي المدرسة اليوسفيّة التي بناها الداوي يوسف وأزيلت عام 1296 هـ (1879 م) بأمر المشير محمد الصادق باي لتوسيع المستشفى الصادقي .

حسن حسني عبد الوهاب) ، وأخرى بنفس دار الكتب المذكورة نمرتها 14628/8 وأصلها من المكتبة الأحمدية نمرتها 2573/8 .

2 - تبصرة الأخيار ، في خلود الكافر في النار ، توجد مخطوطة بمكتبة الأزهر (نمرة 2720 حليم) 33321 توحيد ، ونسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة نمرتها 56 توحيد .

3 - تكفير جاهل صفة الايمان ، رسالة ألفها عام 1047 توجد منها نسخ مخطوطة عديدة بدار الكتب الوطنية بتونس يلوح على اثنتين منها أنهما بخط المؤلف نفسه ، وواحدة بمكتبة ليدن (هولاندة) نمرتها 2083 اسمها هدية المهديين ، في تكفير جاهل صفة الإيمان .

4 - مانح العنا ، ومزيل العنا ، عن كتاب البنا ، شرح فيه لامية الأفعال ، فرغ منه في شوال عام 1038 توجد منه نسخة بمكتبة الأكاديمية التاريخية بمدريد ، ونسختان بدار الكتب الوطنية بتونس ، نمرة 1396 ونمرة 16010 (أحمدية 4289) .

5 - نهاية المجلي ، ودرة المهدي ، في حل ألفاظ منية المصلي ، وغنية المبتدي ، وهي في الفقه الحنفي تقع في جزأين ، فرغ من تأليفها عام 1043 توجد مخطوطتها بدار الكتب الوطنية بتونس نمرتها 5248 وأصلها من المكتبة العبدلية 1458 .

توفي بتونس عام 1061 ودفن بالزلاج قرب القنطرة التي أمام باب عليوة (45) .

(1569) أحمد بن محمد الولائي (46) ، فلكي من أهل مراکش ، وأصل أسرته من مدينة ولاتة الصحراوية وإليها ينسبون ، أخذ علماء التعديل والميقات بالمغرب في وقته ، عارف بهما ماهر فيهما ، أخذ عن أبيه وتولى بعده التوقيت بجامع الحرة .

(45) تراجم المؤلفين التونسيين 3 : 175 ع 284 والخلل السندي 2 : 353 . 354 . 398 . 431 . 478 . 529 . 573 وذيل بشارت أهل الايمان ص 170 وكتاب العمر 2 : 914 ع 261 .
(46) كُتِبَ الولائي خطأ في صفوة من انتشر .

أخذَ عنه محمد بن سعيد المرغيثي ءاتي الترجمة .
ماتَ بمراكش عام 1061 هـ (47) .

1570) أحمد بن علي الفاسي الفهري ، فقيه مغربي ، ولد بمدينة
القصر الكبير يوم الجمعة 4 صفر عام 997 هـ أدرك جدّه الشيخ يوسف
المكثي بأبي المحاسن ولازمه سنين وسمعَ عليه الحديثَ والعربية والكلامَ
وغيرها ، كما أخذَ عن والده علي وأخيه محمد المكثي بأبي عسرية ، وأحمد
ابن القاضي متقدم الترجمة (5 : 311 ع 1538) ورحل إلى فاس فأخذَ عن
جماعة من أهل بيته وغيرهم ، ثم عادَ إلى القصر الكبير بعلم غزير فجلسَ
به للتدريس وانتفع به خلقٌ كثير .

وكان متسعَ العارضة في الحفظ والفهم ، حسنَ الإلقاءِ والتعليم ،
مقصوداً من الطلبة محبوباً عند الناس .

أخذَ عنه ابناه المهدي والعربي ، وابنُ أخيه أحمد الخضر بن محمد
أبي عسرية متقدم الترجمة في هذا الجزء ومحمد المرابط الدلائي ،
وآخرون .

استوطن مكناس مدة ، واستقرَّ في آخر عمره بفاس إلى أن سافر
إلى القصر فأدرَكته به منيته .

توفي بالقصر الكبير صباحَ يوم الجمعة 13 شعبان (48) عام 1062
وحمل جثمانه إلى فاس فأقبر به ضحى يوم الاثنين 23 منه بتربة جده الشيخ
يوسف خارجَ باب فتوح (49)

(47) الإعلام ، بمن حل مراكش وأغماث من الأعلام 2 : 318 ع 237 ودعوة الحق (مجلة)
س 9 ع 2 ص 104 وطبقات الحضيكي 1 : 74 و الموسوعة 3 : 142 و 153 و صفة من انتشر
ص 162 .

(48) في عناية أولي المجد أن وفاته كانت صباح يوم الجمعة 12 شوال .

(49) ينظر عنه أزهار البستان ، في مناقب الشيخ عبد الرحمان (مخطوطة مصورة) ص 22
والإكليل والنتاج (مخطوطة مصورة) ص 20 والنقاط الذرر 2 : 131 والبذور الضاوية (أطروحة
مرفوعة) ص 93 - 467 ومرآة المحاسن ص 28 ونشر المثاني 2 : 58 و صفة من انتشر ص
45 وعناية أولي المجد ص 32 وسلوة الأتفاس 2 : 315 وشجرة النور الزكية 1 : 308 ع 1165
و البواقيت الثمينة 1 : 34 .

(1571) أحمد بن علي المصلوحي فقيه من ناحية سوس بالمغرب الأقصى ، كان قاضياً بوادي نولة .

مات عام 1062 (50)

(1572) أحمد بن محمد الرقادي ، شيخ طريقة صوفية ، أصله من أدغاغ ، ورد على نوات في عهد السلطان محمد بن الشريف العلوي ثاني سلاطين الأسرة الملكية العلوية بالمغرب وأسس به زاوية حوالي عام 1055 نُسبَتْ إليه واستقرَّ بالقرب منها فيما بعدُ أشرفَ ظلوا شيوخاً لزاوية كُنْتة .

توفي عام 1062 هـ (51)

(1573) احمد بن محمد القلصادي القرشي ، فلكي من أهل فاس ، هاجرت أسرته من الأندلس إليها في القرن التاسع الهجري ، وبرع عددٌ من أفرادها في الرياضيات والتوقيت ، ومنهم المترجم الذي تولّى التوقيت بمنار جامع القرويين .

أخذَ عنه عبدُ الرحمان الفاسي وقال سمعتُ عليه كتابَ القلصادي في الحساب ، وشرح فرائض خليل ، والمختصر الأصلي ، مع رسائل في الأسطرلاب ومسائل في علم الحساب والتعديل وما يلحقُ به .

مات بفاس عام 1063 (52)

(1574) أحمد بن محمد العربي الكومي الغماري ، فقيه من أهل مكناس ، أخذ عن محمد المنواري ومحمد بن عبد الحليم وغيرهما ، وكان فقيهاً مدرساً ولي قضاء بلده مكناس فحمدت سيرته .

قال عنه الشيخ المهدي الفاسي : قرأت عليه الرسالة ومختصر خليل .

توفي عام 1063 (53) .

(50) طبقات الحضيبي 1 : 67 .

(51) دعوة الحق ع 244 ص 22 (1985)

(52) الإكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 21 و التقاط الدرر 2 : 133 و نشر المثنائي 2 : 67 وهدية العارفين 1 : 160 .

(53) إتحاف أعلام الناس 1 : 339 والإعلام بمن مضي وغير (مخطوطة مصورة) ص 6 .

(1575) أحمد بن محمد طائفة ، فقيه مغربي ، أخذ عن العربي بن يوسف الفاسي وجماعة من فقهاء عصره ، وتولى قضاء مدينة تطوان عام 1040 .

توفي عام 1063 (54)

(1576) أحمد بن محمد الحاج الدلائي ، أخذ أعيان الأسرة الدلائية وعلمائها وأدبائها ، ولد بالزاوية الدلائية وأخذ العلم بها عن والده وعن غيره من جهاذة العلماء الذين كانوا يقدون على أبيه بها لتدريس العلم أو لمجرد الزيارة ، وصفه سليمان الحوات في (البدور الضاوية) بالأديب البليغ الأبرع ، والفقير الأجل العلامة المبجل ، وتكر أنه كان داهية في العلوم ، راشقة سهاؤه في المنثور والمنظوم .

لما بايع أهل فاس أباه السلطان محمد الحاج بالملك يوم فاتح ربيع الثاني عام 1061 عينه خليفة عنه بها ، فاستوطن فاس العليا وسار في ولايته سيرة حسنة ، وساس الناس سياسة مستحسنة ولم يسجل عليه ما يسيء سمعته من أعمال مستقبحة سوى أنه لم يكن حازماً ولم يستطع إخماد فتن القبائل المجاورة لمقر حكمه ولا سيما قبيلة الحياينة ، وأقام في ولايته ثلاث سنين وبضعة أشهر محمود السيرة طيب الأحوثة حتى وافاه أجله ، فخلفه أخوه محمد بن محمد الحاج .

لم أقف له على أثر علمي أو أدبي رغم ما وُصف به من علم وأدب ، ولا يعرف من آثاره العمرانية خلال سنوات حكمه بفاس إلا تجديده لضريح الشيخ محمد ابن عباد الكائن داخل باب فتوح .

توفي يوم 20 ربيع الأول عام 1064 (55) وخلفه في حكم فاس أخوه محمد آتي الترجمة ، وتقدمت ترجمة عم أبيه أحمد الحارثي الدلائي في أول هذا الجزء .

54) ابتهاج القلوب (مخطوطة مصورة) والاعلام بمن مضى وغير (مخطوطة مصورة) ص 6 وتاريخ تطوان 1 : 279 وعمدة الراويين (مخطوطة مصورة)

55) الاستقصا 7 : 19 - 20 والبدور الضاوية (اطروحة مرفوعة) 390 - 711 - 712 - 713 والزواوية الدلائية ص 225 - 227 - 228 - 240 ونشر المئاني 2 : 73

(1577) أحمدُ بنُ إبراهيم السملالي ، فقيه من ذرية الشيخ أحمد بن موسى ، كان عضداً أيمن لابن عمه الأمير علي بن محمد السملالي صاحب إمارة إبلنج بناحية سوس المغربية ، وصفه داوود بن علي الكرامي في (بشارة الزائرين) بالمرابط والولي الصالح ، وقال عنه العلامة المرجوم المختار السوسي في (المعسول) : «كان علامةً مُتقنناً معنياً باستنساخ الكتب العليا ، وقد وقفتُ على كتب كثيرة منسوخة له في خزائن جزولة ، وهناك في خزانة أدورُ مجموعٌ حديثي بخط أنيق عالٍ في مؤخره ما نصه : كُتب لسيدنا الامام ، القائم بوظائف الاسلام ، عمدة الأنام ، وملجأ الضعفاء المُرتضى الأسعد ، سيدي أحمد ، ابن السيد الأصيل ، الأبرُّ الحفيل ، سيدي ابراهيم ، كان الله له بمنه ءامين بتاريخ 14 صفر 1046 هـ ، وتلك المجموعة القيمة تدلُّ وحدها على مكانته العلمية ، إذ لا يستنسخُ القيمات من أعلق الكتب إلى نوو الأفهام السامية .»

توفي في 1 جمادى الثانية عام 1065 هـ (56)

(1578) أحمد بن علي ابن عمران السلاسي ، فقيه وأديب من أهل فاس ، وأصلُ سلفه من قبيلة سلاس (57) المتوطنة بإقليم تاونات وإليها نسبته ، كان أبوه علي قاضياً للجماعة بفاس وجدّه عبد الرحمان أحد كبار فقهاءها .

أخذَ عن أبيه وعن العربي الفاسي وأبي القاسم بن أبي النعيم وأحمد بن محمد المقرئ متقدم الترجمة (5 : 346 ع 1552) .

حلاه محمد المسناوي الدلائي بالشيخ الفقيه العلامة المحدث الحافظ الأديب البليغ ، ووصفه الحسنُ اليوسي في (الفهرسة) بالعالم العلامة الدين الخير .

(56) إبلنج ص 38 و 39 والحركة الفكرية بالمغرب ص 608 ومن خلال جزولة 2 : 61 و 62 والمعسول 2 : 56

(57) سلاس قبيلة بإقليم تاونات تتألف من البطون التالية : أولاد حمو ، والجمال ، والخندق ، والقصيل ، والورتزاغ ، ومن أشهر قراها قلعة سلاس والورتزاغ .

درس بجامع القرويين ، وتولَّى الإفتاءَ به ، كما درس بسلاس والزاوية الدلائية ، وسبب ذهابه إليها أنه أصابه عسرٌ بفاس وضاقت بها حاله ، فترك عياله وأولاده ووفد على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي بالزاوية المذكورة فأكرم نُزله وأحسنَ مثواه ، وأقام عنده يعلمُ أبناءه وغيرهم من الطلبة ، وكان الشيخ يرسلُ إلى أسرته بفاس كثيراً من المواد الغذائية والملابس والنقود دون أن يخبره بذلك ، كما كان يغمره بالهباتِ والعطايا وهو مقيمٌ عنده ، وندب الناسَ ذاتَ يوم إلى اكرامه فتسابقوا إلى ذلك وتنافسوا فيه .

من الآخذين عنه الحسن اليوسي ومحمد المرابط الدلائي وأبو عمرو بن محمد الدلائي والشاذلي بن محمد الدلائي وأحمد المدعو حمدون المزوار ءاتي الترجمة قريباً .

مات بفاس يوم 25 رجب عام 1065 (58)

(1579) أحمد بن عبد الصادق السجلماسي ، متصوف مغربي من ناحية سجلماسة ، اشتهر بالصلاح والتقوى وفعل الخير ، له صيت كبير بالمغرب وأتباعٌ بكل جهة ، وإليه تنسبُ الطريقة الصادقية وزواياها التي يجتمع فيها مريدوه للذكر والرفق على طريقتهم الخاصة .

توفي بالبطاطحة من وادي الرتب (إقليم الرشيدية) ليلة السبت 21 ربيع الأول عام 1066 (59)

(1580) أحمد بن محمد السكرادي الحسني ، شيخ صوفي شهير من ناحية سوس بالمغرب الأقصى ، ينسبُ إلى بلده سكرادة ، ومعناها بلهجة سوس البربرية الحجرة الملساء التي تُغسل فوقها الثياب ، أما نسبه الطيني

58) الإكليل والتاج (مخطوط مصور) ص 21 والتقاط الدرر 2 : 136 والإعلام بمن غير (مخطوط مصور) ص 10 والبدور الضاوية (أطروحة مرقونة) صفحات عديدة ، والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 487 والزاوية الدلائية ص 94 وطبقات الحضيكي 1 : 73 ونشرُ المثاني 2 : 74 وصفوة من انتشر ص 141 وفهرسة اليوسي (مخطوطة مصورة) ص 35 .

59) الإكليل والتاج (مخطوطة مصورة) ص 21 والتقاط الدرر 2 : 137 والإعلام بمن غير (مخطوطة مصورة) ص 10 والدرر المرصعة (مخطوطة مصورة) ص 183 ومرآة المحاسن ص 186 ونشرُ المثاني 2 : 77 وصفوة من انتشر ص 120 وسلوة الأنفاس 1 : 131

فألى الأدارسة الحسنيين (60) أخذ التصوف عن الشيخ داوود الدادسي وخلفه بعد موته ، وكان له صيِّتٌ ذائع مقصوداً بالزيارة من جهاتٍ بعيدة .
تُوفِّي ببلده سكرادة ، وقد أناف على المئة ، يومَ الخميس 1 رمضان عام 1067 (61) .

1581) أحمد بن علي الدادسي ، فقيه مغربي منسوب إلى ناحية دادس باقليم ورزازات ، درس بزاوية ابن مهدي بدرعة ، وكان رفيقه في الدراسة عبد الواحد السجلماسي ، واشتركا في إجازات عديدة من علماء المشرق باستجازة بعض الحجاج من علماء درعة وفيلالة وتوات ، أقام بقريته يُدرِّسُ ويعظُ إلى أن مات .

من مؤلفاته كتاب فتح المغيِّث ، في شرح اليواقيت ، فرغ من تأليفه عام 1058 توجد منه نسخة بالمكتبة الخديوية بالقاهرة .

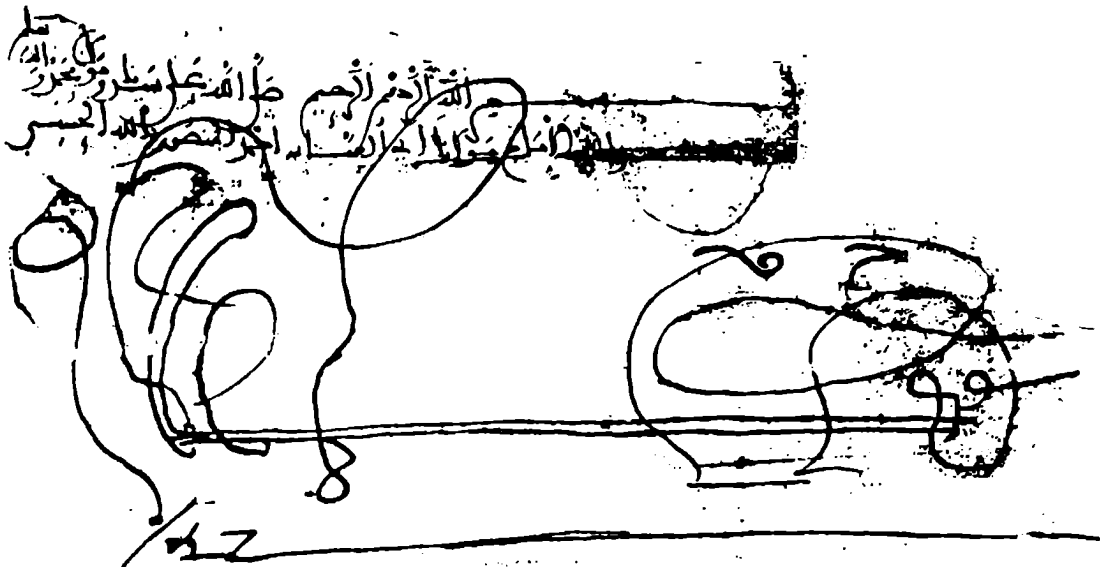
توفي بعد عام 1067 (62)

1582) أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان السعدي ، آخر سلاطين الأسرة الملكية السعدية بالمغرب الأقصى ، يعرف في لسان العامة بمولاي العباس ، بويع بعد قتل أبيه عام 1064 هـ وكان حكمه لا يتجاوز أسوار مدينة مراكش وقد طغى عليه أخواله الشبانان قبيل أمه وحاصروه عدة شهور ، فنصحته أمه بالخروج إليهم لاصلاح ذات بينهم ، فعمل بنصيحتها وخرج إليهم فقتلوه غيلة وهجموا على مراكش فاستولوا عليها وبايعوا فيها زعيمهم عبد الكريم بن أبي بكر الشباني ثم الحريزي ءاتي الترجمة في حرف العين .

(60) فيما يلي مُشجَّرُ نسبه : أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مسعود بن محمد بن محمد بن الحسن بن أحمد بن سالم بن إبراهيم بن موسى بن عيسى بن عبد الحليم بن عبد الكريم بن عبد السلام بن محمد بن أحمد بن جابر بن جعفر بن عبد الجبار بن محمد بن أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) .

(61) طبقات الحضيكي 1 : 67 والمعسول 11 : 222 .

(62) إيضاح المكنون 2 : 173 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 530 ومعجم المؤلفين 2 : 7 وفهرس المكتبة الخديوية 5 : 313

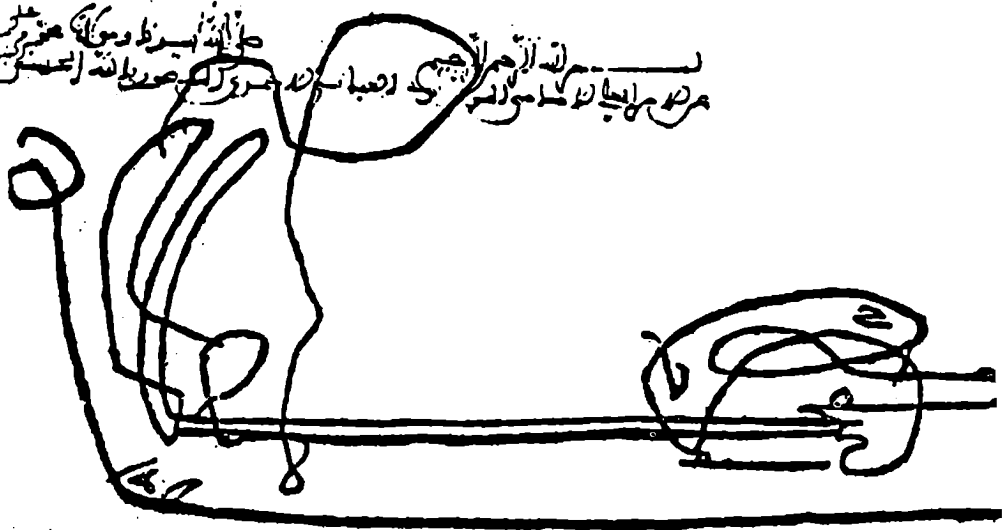


أيدك الله تعالى بغير نصير وأمر بصيرته ويسمى وحلته بعبادته وعمره
 حشره نأخذ الله وقوته لجملة من أرادكم للعالمية الله لكم أغير خبير
 البر الطالح ستراب مجر ضاح نفع الله به العافية أيدى سلام أيسر مجرود لراضيه
 مجرود خيم من الله العزيم للزاد باذنهما الحمد لما خيم القهار العليته
 البعثه بانم والوسم التنصتة احتم امملا واحتم ام زاوتها وتوفيقه
 ولا استراد باعشار الخار شير بلاه، وازاضيه حيث كلات واعشار انما
 من اقل انظر انتم مما علز او يتماوز كلاتهم وتبع بوالعشار مما علز يدوم
 واحتم ام اعلمها المعومير للزاوية المذكور تحديدا ثلثت ادم متصل
 الى كبح بيت مجرود شمع تاه مجرود والرمع في كل ما عرفه حسبما نصته انما
 العلية نعم اسم ذلك محل ولول العافية لسمم لذكور بما عرفه من توليته حكمة
 جامع ثم اسم على حادة والذو وما عرفه من الرتبة في الاكاسر وام الرواقف
 عليه مرفوا منا وخبرنا ان يستوصوا بها خيرا ولا يشتموا ما نهم ولا يسر
 وان يسلموا وتعلم جملة من الاول من خمس وستين والارب

مجلس

صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
وهذا ما كتبه المرحوم الامير ابي اسحاق بن علي بن ابي طالب
بسم الله في خطه الطيب الكرم لما يوحى اليه من الله عز وجل
الله الذي بين التخصير في المبدأ على ارضها واما في راحته جميع
ما يلزم من اوله سببها واسماها له عندهم لكونهم من خلقه زارونه
الاولي المذكور وانتم متولي امرهم ان يسترهم ولا يبرح من بيتهم
تجريد اوله ما كتبه في موضع التخصير بسم الله الرحمن الرحيم
الغراز واصلح برحمتك الله واليسير برحمتك الله والواهب علو من اجل
يمنع عنهم من عباده والتسليم ويكتبه اوله من سنة وتير والاب

وفي مديرية الوثائق الملكية عددٌ من الوثائق الراجعة إلى عهده ، منها ظهيران في توقيير بعض أولاد أبي محمد صالح دفين أسفي ومريديه ننشرُ اثنين منها مصورين في الصفحة التالية تنميماً للفائدة .

كان قتله عام 1069 وبقتله انقضت أيام حكم الأسرة السعدية (63) .
وتقدمت ترجمة السلطان أحمد (الأعرج) بن محمد القائم بأمر الله السعدي (5 : 173 ع 1477) ، و ترجمة السلطان أحمد بن زيدان السعدي (6 : 7 ع 1959) .

(1583) أحمد بن سعيد العروسي ، فقيه صالح يُنسب إلى آية عروس فخذٌ من قبيلة سملالة المغربية .
مات بيفرن (يفرن سوس) عام 1070 (64) .

(1584) أحمد بن سليمان الداوودي التلمساني ، هذا أديبٌ ظريفٌ يُتذكرُ باصحاب الكدية والفلاكة ، لم أقف على ترجمة خاصة به في كتاب ، وإنما استفدتُ بعض أخباره من استطرادات وردت في تراجم غيره ، ولستُ متأكداً من أنه تلمساني المولد والنشأة ، لأنه نُعت بـ (القرشي الحجازي) الشيء الذي يُخيلُ أن أسرته التلمسانية هاجرتُ إلى الحجاز واستقرتُ به ، ووُلِدَ هو هناك وتأدب وتعلم ، ثم لما كبرَ وامتلاً وطأبه أدباً وظرفاً ففكرَ في السفر إلى المغرب لصلة رحم أسرته وزيارة معاهد سلفه ، فدخل تلمسان ، وواصلتُ فَمَماه السيرَ به غرباً فدخل فاس ولقي علماءها ، وزارَ الزاوية الدلائية التي كانت تشهدُ قيامَ دولة سياسية بعدما شهدتُ قيامَ نهضة علمية ، فاستجدي أميرها وأغنياءها ومدحهم ، وكيفما كانت حقيقة أمره فنسبته التلمسانية ورحلته إلى المغرب ومساجلاته لعلمائه وأدبائه تُبررُ تخصيصه بترجمة بين الأعلام المترجمين في هذا الكتاب .

(63) الأعلام للزركلي 1 : 238 والإعلام للمراكشي 2 : 319 ع 228 والاستقصا 6 : 107 والموسوعة 3 : 134 ونزهة الحادي ص 257 .

(64) طبقات الحضيكي 1 : 68 والمعسول 5 : 13

من أخباره أنه لما عزم في آخر شعبان عام 1069 على الرحيل من الزاوية الدلائية كتبَ إلى أميرها محمد الحاج بن أبي بكر الدلائي الأبيات التالية يستجدي بها مطية يسافرُ عليها :

أياسيدَ الأقوام حانَ ارتحالنا ولابن السبيل في جنابك مطعُ
حميلٌ ولا حملان الا بحملكم عديمٌ ولا عدوانٌ لكي سميذعُ
فان لم يكن طرفٌ فأنثى فيبغلة وإلا فغيرٌ فيه مرأى ومسمعُ

فلما بلغت الأبياتَ الأميرَ الدلائي فرحَ بها وتضحك ، وقيل له إن الذين هوَ عندهم ذكروا أنهم سيحملونه ، فبعث له الأميرُ ثلاثين متقالا وقال هيَ أخفُ مؤونة ، ثم وهبه الدلائيان : الطيب بن المسناوي وأحمد بن عبد الله ثياباً رفيعة ، فعجِب المترجمُ من حسن صنيعهما وجميل فعالهما ، ونظم قصيدة يُطربهما ويشيد بكارمهما ضمَّنهما كثيراً من الاشارات النحوية ، ونترکه يتحدثُ بنفسه عن الداعي لنظمها ، قال :

«ولما فاجأتني سحائبُ همتُ ، وشمتُ بروفاً خلالَ أمطار طمتُ ،
وسقطَ بردُها كجواهر نثرت وانتظمت ، على حين محلي ، وفقدان نحلي ،
فتجمل لارتدائي من الغرب الطيبي ، ونهلني ولم ينهلني وقد هالني مشربي ،
وغالني مطلبي ، من طارفي وتالد نشبي ، وعلمي ابن عمه ولم يتعلل ،
فتضلعت من ثنائهما المبجل ، وتجملت بثيابهما ولم أتبدل ، فأنشدتُ على
شغل بالي ، بشعوب غربية كسرتُ نبالي ، وكانا حفظهما الله أتحناني بثياب
رفيعة ، ومدائح لهما فينا بديعة ، فلا أدري من أيِّ أمورهما أعجب ، أم
حسن ثيابهما ؟ أم من رفيع ثنائهما وإحسانهما ؟ فقلتُ من مجزور رجز فيهما
وفي جدُّهما الأكبر :

ياسيدُ يا طيبي يا خيرَ خيرة الجدا
ياذا التناء الطيب يامن به قد يُقتدى
ياأخذاً طبعَ الأبى بعد الكساد والصدى
فصننته عن غدا يضيغُ وده سدى
إن الحفيدَ للحفيد د من أبي بكر الهدى
ابن أبي محمد أحمد من قد مجدا

لبابي الهدى اهتدى
أطلب منه مسعدا
أن الفتى تفرّدا
له مساعي السعدا
كلاهما به ارتدى
بزّ العدا دون اعتدا
علماً وحلماً وشدا
طبيب عصره بسدا
نثراً ونظماً منشدا
لفظ مفيداً قصدا
قولٌ وفعلٌ وتدا
من لحظه قد جرّدا
بضبط أمر المبتدا
نياتٍ والد الجدا
لما رفغنا المسندا
لدفع دافع الردى
بحزم عدل يهتدى
وبئس من تصعدا
بالخفص خبراً بفدا
بدله لن يوجّدا
منكره لن يعضدا
يجيب أحرف النددا
بنائمه قد شيّدا
قفّاً لهم وشدا
لطفاً عليه مسعدا
على الذي قد وردا
بصرف فاعل العدا
مخذراً مع ندا

لما رأى الرشد بدا
من قال هين كلما
وذاك شاهدي على
بمجد والبد له
بادرثما لمجده
محمد الحبر الذي
قد فاض نبيل فضله
أستاذ صرف نحوه
معناه في بيانه
كلامه مـركب
أقسامه ثلاثة
إعرابه معرّف
فأول ابتدائه
ورفعه بالابتدا
أخباره بغربنا
مفاعل منصوبه
مسكّن إقليمه
نعم الفتى وحبّذا
أضاف أضيفاً له
مرفوع نعته بسدا
معرّف في البعدا
لسالم الجمع دننا
ونصف حاله لدى
وميزّ الورى مخدا
وأكد المـ.....
بصلة وعائدا
وخصّ مستغيثه
مد بقصر ودى

بندوبة يغري بر
وجملة الإنشاء ما
وكل مضمرة له
فالذي هكذا ولي
عروض عرض كامن
كذلك مستغيبه
تعدى فعله لها
حكى أباه إذ غدا
لدى تنازع على
كذا ولا أين وكم
منهم لم يستثن ذا
فحال كل منهم
وصار كل قارىء
رأيت أبناء لهم
مغامر جلال
أبا المكارم الذي
لأملأن العطر ان
بحب من عرفته
منكم يطالب الدعاء
نجل سليمان الذي
فادعوا له برحمة
وصل ربنا على
وءاله وصحبه

دع.....
تقي بأخبار المدا
يشير ختما وابتدا
س قام زيد فاعتدى
لعرض من تجلدا
سد ذرائع السردى
على اللزوم عددا
بيدي نواسخ ابتدا
اعمال ترخيم الندا
من غافل به اهتدى
وقف على دين الردا
أفعال تفضيل الهدى
منهم به قد يقننى
كل بمثلي يقننى
سمي ذع مسدا
طاب جدا ومحتدا
شاء الإله مرشدا
سليم صدر مخبرا
الداوودي أحمدا
في كل حال جاهرا
ولي بحسن الاقتدا
خير الوجود أحمدا
وتابعيهم سزمددا

ومما كتب به إليه الأديب الكبير أحمد بن عبد الله الدلائي الرسالة
التالية :

« الحمد لله الذي أطلع شمس المعارف في أفلاك العقول نيرة
الأشراق، وسقى أغصان الأدب بعد ذبولها بصوب الفكر فأضحت يانعة
الأوراق ، وصلى الله على سيدنا محمد الحائز قصبات السبق في مضامير

الفخار بالاستحقاق ، وعلى ءاله وأصحابه الباذلين في محبته أعلق الأرواح
وناهيك بها من أعلق .

وبعد فإني تأملت هذه الحديقة الغنا ، والخريدة الحسن ، فرأيت فيها
ما تغار منه الجهابذة الأيقاظ ، ورمقت عرائس الملحون والموزون تجلي
على منصة الألفاظ ، حديقة ألمعي العصر ، ونافت سحر البيان في عقد
الفكر، من بني قصور القوافي وشيد ، حامل راية البلاغة سيدي أحمد ،
لا زالت بلاغتك منتظمة العقود ، مرقومة البرود ، ما دمتم تُسيغون سلسالها ،
وتشعشعون جريالها ، كأنها هزت من رقة الصبابة ، هز الرياض إلا أنها
لم تحكها سحابة ، فلو سبقت عبد الحميد وابن العميد ولو بلحظة لما خطأ
طرساً ولا سمعا للقلم جرساً ، أو فساً للآزم بيته جلساً ، قد صاغت شهب
البيان أحسن صياغة ، وطرزت بوشي الفصاحة أعطاف رداء البلاغة

إنا بعثناك تبغي القول من كتب فجننت بالنجم مصفوداً من الأفق

لو حكى النسيم رقة تلك الألفاظ لما هز قدود الأغصان ، أو الخمر
لما تصدع لها نشوان ، قد أبرزت بنية فكرك من حجابها ، وإن كانت الفتنة
تخشى عند سفور نقابها ، فتقطع دونها أمانى الأطماع ، وتتحلى بحليها
وحلوائها الأفواه والأسماع ، فتاهت القلوب سروراً بها كأنها شربت عقاراً
صرفاً ، ورشفت معسول رضاب الأحبة رشفاً ، ولما هزنتي أريحية الانتشا ،
إلى المعارضة في الانشا ، انتهضت جواد إجادتي فتقاعس عن هذا الميدان ،
وقال ما لي بهذا المضمار يدان ، كيف تروم مدح من لو صيرت البسيطة
لمدحه كاغد ، أو نظمت له النجوم قصائد ، ما أدبت ما له من الحقوق ،
وكل حسن تراه فمن بعض محاسنه مسروق ، ولولا رجائي منك الإغضا ،
والتذكر بقول من مضى : وعين الرضى ، لما كلفت من هذه القريحة
الجامدة، بأن تحليكم بهذه الألفاظ الشاردة ، ولما رأى القريرض سبق النثر
إلى جنبك ابلغ لجيده متطلعاً ، وتعلق بذيله مستشفعاً ، فقال :

انظّمك هذا أم عقود جُمان أم الدرُّ يبدو في نحور غواني ؟
أم الروضة الغناء قد حاك وشيها صناع سحاب أم طراز بيان ؟
وتلك غوال في خدود مهارق أرى أم كؤوساً من عقار دنان ؟

برقم بناني أو ثناء لساني
وكيف ونظمي لا يطيع جناني
بأنك فرد لا يقاس بثنائي
لأرسلت في طلق البيان عناني
برفعة قدر أو علو مكان؟
بدور فخار من فخامة سان
وأنت على بكر المفاخر باني
قبول وإغضاء ونيل أمان
لأن علاك ابلجت لي معاني
برمح يراع، أو برمح طعان

تحدى بها من لو أردت مديحه
لما طقت حصر ما له من فضائل
وقد شهدت أقلام كل معاصر
ولو كنت أدري كيف يوئى مديحك
ومن ذا يضاهي من قريش قبيلة
سمت برسول الله حتى كأنها
وما ذا عسى أثني عليك بمقولى
وهذي عروس الفكر زفت ومهرها
وإلا فقدري واضح متعين
ودم هكذا يافارس النظم طاعناً

ومن أخباره ما ورد استطراداً في ترجمة القاضي الخطيب العربي
البوعناني من كتاب (الإعلام بمن مضى وغبر) ، فقد ذكر مؤلفه أنه وجد
بخط البوعناني المذكور مكتوباً ما يلي :

«الحمد لله ، يقول كاتبه عبد الله سبحانه العربي بن محمد بن محمد
البوعناني الحسيني كان الله له : لما قدم علينا بفاس عام سبعين وألف الفقيه
العلامة ، الحبر البحر الفهامة ، سيدي أحمد الداودي القرشي الحجازي
التلمساني الحائز من العلوم اللباب بل العياب ، ومن التاريخ والأدب العجب
العجاب ، كتبت هذه الألفاظ على كتابه ، وإن كنت لست أهلاً
لخطابه ، فقلت :

بل في جواهر بل علوم نافعه
بحيارة السبق المعاني الطائعه
في الشرق والغرب المحامد شائعه
متعلق منها بشمس طالعه
لكن له حجاج الغرائب ساطعه
ءافاق غرب بيده وبلاقعه
الجمر يقذف واللائي اللامعه
لا يدرك القيل الجليل بدائعه

متع جفونك في رياض يانعه
قد شدا العلم الذي شهدت له
الداودي الحبر أحمد من له
هو من قريش نسبة لكنه
هو في العلوم مميز لفنونها
كم جاب في طلب العلوم وكتبها
هو في المديح وفي الهجاء لسانه
كم من قصائد شاهدات أنه

إن قال أنصف للذين تقدّموا وتأخّروا كم من مآثر ذائعه
لا زال محروسَ الجناب مؤمناً مكرَ الزمان وغدره وخذائعه
ومن هذه الأثرية يُفهمُ أن للداودي المترجم كتباً ، وأنه كان يجوب
الآفاقَ لطلب العلم وجمع الكتب ، ذا صيتٍ بعيد شرقاً وغرباً .

ثم أوردَ البوعناني قطعة نونية القافية أجابه الداوديُّ بها عن القطعة
المتقدمة ، وهي تدلُّ على أن المترجمَ ليسَ بالأوصاف التي وصفه بها ، وقد
تركَّنها لاختلال وزنها وركاكة لفظها وسقم معانيها ، أمورٌ لا شكَّ في أن
النساخَ بتحريفهم وتصحيفهم يتحملون جزءً من وزرها .

وهذا الرجلُ غريبُ الأحوال والأطوار ، ويحتاجُ إلى مزيد من البحث
والتنقيب للكشف عن أخباره وءاثاره ، سيما في الفترة التي قضاها في زيارة
المغرب العربي ، وقد تعددت الإطالة في ترجمته على ما يُمكن أن يُقال فيها
وبحق ، وذلك لألفتَ النظرَ إليه ، ولأنني أخمن أن في بطون كتبنا المخطوطة
ودواويننا الغميسة أخباراً أهمَّ وءاثراً أحسن مما نقلت .

كان حياً عام 1070 (65)

1585) أحمد (حمدون) بن محمد بن موسى الأبار ، فقيه من أسرة
ثرية متنعمة بفاس ، يعرف عند العامة بحمدون ، ولد بها عام 1001 (66)
وسار في صغره عن سنن أهله في الاشتغال بالتجارة والتنقل بين البلدان
لترويج البضائع وجمع المال ، ثم ألقى الله على قلبه محبة العلم فأعرض
عن التجارة وأقبل عليه وعكف على دراسته ، ومن الشيوخ الذين تلقاه عنهم
أحمد ابن القاضي ومحمد بن أحمد الجنان وعبد الله بن علي بن ظاهر
الحسني وعبد الرحمان بن محمد الفاسي واحمد بن محمد المقرئ التلمساني
وعبد الواحد ابن عاشر .

وصفه محمد بن الطيب القادري في (نشر المثاني) بالشيخ الفقيه الإمام
العلامة الخطيب البليغ شيخ الجماعة ، ونكرَ أن له مشاركة حسنة في

65) الإعلام بمن مضى وغير (مخطوط مصور) ص 61 وص 76 .

66) في أزهار البستان لعبد الرحمان الفاسي انه ولد عام 986 .

الحديث وغيره من الفنون ، وأن عدداً من الاعلام تخرجوا على يده وانتفع به جل طلبة المغرب .

خطب مدةً مديدةً بجامع الأندلس ، ودرس النحو والفقه والحديث بجامع القرويين ، ووصف محمد الصغير اليفرنى في كتابه (صفوة من انتشر) طريقته في التدريس فقال : «حدثوا عنه أنه كان لا يزيد في القراءة على تشقيق الصورة وتفكيك اللفظ وإيضاح الكلام ، وما يقول في هذا العام لا يزيد عليه شيئاً في العام القابل ، حتى كان الطلبة إذا حكى لهم حكاية في موضع هذا العام إذا بلغ ذلك الموضع من السنة المقبلة يقولون يذكر هنا حكاية كذا ، فينكر ذلك لا يزيد على تقريره المعهود شيئاً ، ومع ذلك انتفع به جم غفير من الطلبة وتخرج به جماعة من الأعلام لحسن نيته في التعليم» .

أخذ عنه عبد الله (أبو سالم) العياشي وكتب له الإجازة بجميع مروياته ، ولازمه الشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي .
من مؤلفاته :

1 - التقاط الدرّ الجليل ، من شروحات مختصر خليل ، توجد نسخته المخطوطة عام 1056 بخزانة جامع القرويين .

2 - كشف الرواق ، عن صرف الجامعة للأوراق ، توجد نسخته المخطوطة بخزانة جامع القرويين .

تُوفِّي بفاس بعد ظهر يوم الثلاثاء 23 جمادى الأولى عام 1071 ودُفن براس القليعة داخل باب فتوح (67) .

1586) أحمد بن عيسى اليربوعي ، قاضي طرابلس الغرب ، كان في الأول إماماً بجامع الحاج إبراهيم الواقع بأقصى المدينة قرب ضريح

(67) أزهار البستان للفاسي (مخطوطة مصورة) ص 23 وأزهار الكمامة (اطروحة مرقونة) ص 248 والتقاط الدرر 2 : 148 والاعلام بمن غير (مخطوطة مصورة) ص 16 و نشر المثاني 2 : 109 و صفوة من انتشر ص 139 و فهرسة ابن الحاج (نسخة مرقونة) ص 18 و فهرس مخطوطات خزانة القرويين ع 410 و ع 1317 .

سيدي سالم المشاط ، وكان صديقاً للرحالة المغربي عبد الله بن محمد العياشي تعرف به خلال حجّته الأولى والثانية ، ولما دخل طرابلس وهو في طريقه إلى مكة لاداء حجته الثالثة نزل بمصرية (68) مجاورة للمسجد المذكور كان ينزل بها من قبل ، فسأل عن صديقه اليربوعي فقيل له إنه توفي ، فتأسف عليه وكتب عنه في رحلته قائلاً : كان من أمثال أهل البلد علماً وورعاً وزكاء أخلاق ، وطيب أعراق ، وكان أبوه سيدي عيسى قاضي المدينة منذ ازمان كثيرة ، فلما توفي أبوه تولّى هو القضاء وحُمدت سيرته فيه ، وتحلى بحلية العدل فيه ، ثم استعفى منه فأعفي ، ثم أعيد ثانية وعظم صيته وانتشر الثناء عليه وكثر مادحوه إلى ان توفي قبل وصولنا بأشهر قليلة وكثر تفجع الناس عليه وأعقب الذكر الجميل منهم .

توفي عام 1071 (69) .

(1587) أحمد الخطيب ، قاضي مراكش وأعمالها ، كان صديقاً للرحالة المغربي عبد الله بن محمد العياشي ورفيقاً له في السفر الثالث إلى المشرق ، وصفه في (الرحلة) بالفقيه النبيه ، المحترم الوجيه ، قاضي مدينة مراكش وأعمالها ، وأحد قضاة العدل في مغربنا على اختلاف أعمالها ، وذكر انهم لما نزلوا قرية أوجرت من اقليم توات - وهي آخر البلاد التي تحت طاعة الشريف صاحب سجلماسة (70) - وجّه إليه السيد إبراهيم السوسي سؤالاً منظوماً عن مسائل فقهية منها أمر النبي (ص) مانماً أيلزم أم لا ؟ .

فأجاب العياشي السائل عنها نظماً ، ثم وجّه بالسؤال والجواب معاً إلى أحمد الخطيب المترجم ، ووصفه مرة أخرى بالفقيه الأجل ، القاضي

(68) المصرية في العامية المغربية هي العُلّية أو العلية بالعربية الفصحى : بيتٌ منفصلٌ عن الأرض بيتٌ او مكان ، دُعِيَ هذا الشكل من البيوت بذلك لأنه مستوّرٌ من مصر ، وتكون المصرية في المغرب بأبواب الدور او بالطرق يسكنها العُزاب أو المنفردون ، أو يختلي فيها الأصدقاء بأصدقائهم بعيدين عن الضوضاء ، ومن الأمثال المغربية (إذا شفت النمل في الدروج أغرف العسل في المصرية) بضرب للشيء الجميل يتهافت عليه محبوبه .

(69) الرحلة العياشية 1 : 61 والمنهل العذب ص 257 .

(70) صاحبُ سجلماسة يومئذ هو السلطان مولاي محمد بن الشريف العلوي أول ملوك الأسرة الملكية العلوية بالمغرب .

الاعدل ، وطلب منه إن يتصفّحهما واستفهمه عن السائل من هو إذ لم يكن يعرفه إنداك وكان يظنّه رجلاً آخر ، فكتب إليه القاضي الخطيب هذا الجواب الذي يدلُّ على فضلة من طلب ، ونفحة من ادب :

وعلى سيادة سيدنا أفضل السلام وأطيبه وءارجه

هذا وإن صاحب السؤال في علمي مجهول لا يعرف ، ونكرة لا تتعرف ، فإن كان ممن توسّمناه حين تكلمنا على سؤاله الأول فانما يعلمه بشر ، فليستعمل الكلّ منا غايةً في الفحص عن ميسمه ، والتفرّس في توسّمه ، وليس من ناحية حضرتنا قطعاً ، وقد طالعنا السؤال والجواب ، وما لكم في ذلك من حُسن محاضرة الخطاب ، فلكم أجرٌ من سئل وأجاب ، وأرشد وأصاب ، ومسألة أمره صلى الله عليه وسلم مناماً لا جائز أن يكون زائداً على مضمون الأوامر الشرعية لكمالها (اليوم أكملت لكم دينكم) ولا مخالف لها ، إذ لا يقع ذلك منه صلى الله عليه وسلم ، وإن كان موافقاً فاللزوم من غيره وإلا لزم تحصيل الحاصل ، فليتأمل سيدنا بذهنه الثاقب ، وعقله الصائب ، والله تعالى يحفظ وُدكم ، ويديم سؤدذكم ، والسلام عائد عليكم والرحمة والبركة ه .

ثم ذكر العياشي أن هذا الجواب مع وجازته وإبرازه في صورة التحقيق كلامٌ من لم يحط بالمسألة خيراً ، أو ذهل عما ذكره العلماء فيها طراً ، وأخبره أنه عزم على تأليف رسالةٍ يُسمّيها (تحرير كلام القوم ، في أمر النبي عليه السلام في النوم) تتبيّن بها المسألة وتوضح ، وأطال بعد ذلك القول في رؤية النبي (ص) في المنام .

كان القاضي الخطيب حياً عام 1072 ولا يعرف من أخباره أكثر مما استفدته من (الرحلة العياشية) ، وإنما ذكرته لأنه قاضي مراكش الموصوف بالعدل والنباهة ، والرجل جديرٌ بأن تستقصى أخباره وتستجلي آثاره التي عفى عليها وجوده في فترة اشتدت فيها الأهوال واضطربت الأحوال (71) .

(71) الإعلام ، بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام 2 : 320 ع 239 والرحلة العياشية 1 : 25 .

1588) أحمد بن يوسف العلوي السجلماسي ، فقيه مغربي ينتمي للشرفاء العلويين أبناء الحسن الداخل دفين سجلماسة ، حجّ وجاور ، وأخذ عن أحمد القشاشي المكي وجماعة من مشايخ المغرب والمشرق ، وكانت له معرفة بطريقة الأسماء والأوقاف .

توفي يوم الثلاثاء 19 ربيع الثاني عام 1072 (72) .

1589) أحمد بن محمد الطالب القصري ، فقيه وصوفي مغربي من أهل مدينة القصر الكبير ، رحل إلى سلا بإشارة من شيخه محمد بن سعيد العتابي فاستقرّ بها وأقبل على التدريس ونشر أفكار الصوفية حتى أنه كان يفسرُ القراءان بمنزح صوفي ، ومن الكتب التي أقرأها كتابُ (المباحث الأصلية) لابن البناء السرقسطي وشرحها للشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي .

تُوفي بسلا ضحوة يوم الجمعة 1 رمضان عام 1072 ودُفن قرب جامعها الكبير (73) .

1590) أحمد بن علي المرّاش الزرهوني ، فقيه نحوي من المغرب منسوب إلى قبيلة زرهون الساكنة بجبلها شمال مدينة مكناس حيث ضريح الإمام إدريس بن عبد الله الكامل (ض) ، أخذ بفاس عن جماعة من الشيوخ كالشيخ عبد القادر الفاسي وابن عمه محمد بن أحمد الفاسي ، كان مبرزاً في الفقه والنحو ، لزم التدريس بجامع القرويين إلى أن مات فانتفع به طلبة كثيرون ، ومن تلاميذه عبد الله بن محمد العياشي وأحمد بن الحاج .

مات بفاس في شهر صفر عام 1073 (74) .

1591) أحمد بن محمد بن قاسم البيجري ، فقيه مغربي من أهل مكناس أندلسي الأصل ، رحل إلى فاس فأخذ عن مشيختها وعمدته من بينهم

(72) الإعلام بمن غير ص 21 .

(73) الإتحاف الوجيز ص 99 وإتحاف أشرف الملا (مخطوط مصور) ص 48 وأعلام القصر الكبير ص 127 والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 447 .

(74) الإعلام بمن غير (مخطوطة مصورة) ص 26 .

الشيخ عبد القادر الفاسي حضر عنده دروساً عدة ، ولازمه مدة قبل أن يرجع إلى بلده مكناس ويستقرّ فيه .

وكان نبياً فاضلاً سرياً متقدماً في الطلبة ، مشاركاً في أنواع من العلوم والأدب أغلب عليه .

توفي بمكناس عام 1073 (75) .

(1592) أحمد بن محمد ابن حمّو السريفي ، فقيه مغربي أصله من قبيلة سريفي (76) القريبة من القصر الكبير ، قدم منها إليه وانتسب للشرف الحسني وتولّى القضاء كرها ، وكان وديعاً لئب الاخلاق .

توفي بالقصر الكبير في شهر صفر عام 1075 هـ وله به عقب يعرفون بأولاد ابن حمّو (77) .

(1593) أحمد (الصغير) بن محمد بن أبي بكر الدلائي ، أحد أعيان الأسرة الدلائية التي تشوّفت إلى الملك بالمغرب الأقصى عندما دب الوهن إلى الأسرة الملكية السعدية في وسط القرن الحادي عشر ، ولد بالزاوية الدلائية (78) ، وأخذ العلم عن جماعة من شيوخها ودرّس بها وانتفع به عديداً من الطلبة .

وكان فقيهاً عالماً متقناً حافظاً مدركاً شديد الاعتناء بالمسائل العلمية والشغف بالكتب حتى أنه كان اذا وقع بين يديه كتاب أقبل على مطالعته واستيعاب ما فيه حتى يكاد يحفظه عن ظهر قلب ، شاعراً منشئاً يتصرف في النظم والنثر كيف يشاء .

(75) الإعلام بمن غير ص 34 .

(76) سريفي : قبيلة شهيرة بأقليم العرائش - دائرة القصر الكبير - بطونها : بني ادريس ، وبني فماج ، والجبيلية ، ومرقد الضباب ، والوطاويين ، ومن أشهر قرراها قرية زهجوكة المشهورة بالطرب المؤثر والرقص الفولكلوري البديع .

(77) نشر المثنائي 2 : 148 .

(78) تقدم التعريف بالزاوية الدلائية والأسرة الدلائية في ص 5 من هذا الجزء .

كما كان ذا ثروة ونعمة جواداً كريماً مبسوط اليد لا يبخل على سائل ولا يضمن بمعروف .

وصفه سليمان الحوات في (البدور الضاوية) بقوله : «الشيخ الفقيه الامام ، العالم النحرير الأوحْدُ الهَمَامُ ، غصن دوحة الكرام ، وخاتمة أولاد علم الأعلام ، امام المشاهير ، وسراج الدياجير ، علامة الزمان ، المشار إليه بالبيان والبنان ، أوحْدُ عصره ، وفريدُ دهره ، أدباً ودراية ، وأسماء محتدأ ورواية» .

تعرف به الشيخ الصوفي محمد بن عبد الله السوسي لما زار زوايئهم عام 1071 فصرفه بمواعظه المؤثرة عن العلم والأدب وحبب اليه الزهد والعبادة ، فأعرض عن الدنيا واستصغر متاعها وبقي على ذلك إلى ان مات .

ومن نظمه قوله يمدح أخاه محمد المرابط الدلائي وشرحه لكتاب (التسهيل) :

بشارك قد أيدت بالتكميل	وشرحت مبهم مشكل التسهيل
وأنتيت بدعاً في الأنام وإنما	فخرت بكم علماء هذا الجيل
فكفاك أن حزت المعالي جمة	وحويتها بنتائج التحصيل
من رام شأوك أو يضاهاي بعضه	كمعارض وسلا ببحر النيل
فاقبل هدية مملق لم يستطع	مقدار فضلك لا من التسهيل

توفي بالزاوية الدلائية يوم 5 ذي الحجة عام 1075 (79)

(1594) أحمد بن موسى البطيوي فقيه مشارك من أهل المغرب ، من تلاميذ الشيخ عبد القادر الفاسي ، سمع عليه العربية والحديث والأصول .

توفي في أوائل عام 1077 (80)

79) البدور الضاوية (أطروحة مرقونة) ص 568 - 571 والزاوية الدلائية ص 89 ومباحث الأنوار 1 : 107 والعلم والفكر ص 93 والشعر الدلائي ص 60 - 131 - 310 - 332 .

80) الإعلام بمن غير ص 39 ونشر المثاني 2 : 168 .

1595) أحمد الدغوشي الدلائي ، أحد كبار الشعراء الذين أنجبهم المغرب الأقصى في القرن الحادي عشر الهجري ، وأحد أعلامه المهملين الذين قلَّ اعتناءُ المؤرخين والمترجمين بهم على كثرة ما رووا من أشعارهم ، فهم لا يذكرون اسم أبيه ولا مكان ولادته وتاريخها مثلما لا يذكرون شيوخه ولا المواد العلمية والفنون الأدبية التي تلقاها منهم ، وغاية ما يذكرون اسمه ونسبه ، فلا يزيدون في حقه على قولهم : أحمد الدغوشي الدلائي .

أما النسبة الدغوشية فإلى عشيرة بني دغوغ الموجودة في جهات كثيرة من المغرب ، كالعشيرة الموجودة في بطن البخاتي من عمارة ربيعة ، والأخرى الموجودة في بطن مويسات من عمارة عامر ، وكلتا العمارتين تنتمي إلى قبيلة عبدة الكبيرة بإقليم أسفي ، وأما النسبة الدلائية فنسبة ولأى إلى زاوية الدلاء الشهيرة الكائنة بجبال الأطلس المتوسط التي يرد ذكرها كثيراً في هذا الجزء وأجزاء أخرى تأتي بعده ، وكان المترجم كثير الافتخار بهذه النسبة وهذا الولاء ، كقوله من قصيدة طويلة يمدح بها الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي :

وإني إذا عدُّ الأرقاً أرقاً من رقيق عريق من سلالة حام !
دغوشي ءاباءٍ دلائي سادو موال كرام ماجدين عظام

أما ما توهمه صاحب كتاب (أعلام القصر الكبير) من أنه قصري من أبناء هذه المدينة فلا أدري مستنده في ذلك ، وقد راجعت كتاب (الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى) الذي هو من مراجعه فلم أر مؤلفه صديقنا المرحوم محمد ابن تاويت التطواني نسبته إلى مدينة القصر الكبير لما ذكره .

وإذا كان المتقدمون بخلوا علينا بأخبار تقلبات هذا الشاعر في الحياة فإن فقرة واحدة وردت عنه في (نزهة الحادي) - وهي كل ما ورد - أفادت أنه نشأ بالزاوية الدلائية وتعلم بها وتأدب ، فلا شك إذن في أن شيوخه هم علماء وأدباء الأسرة الدلائية ومن كان يرد على زاويتهم من الفقهاء والعلماء والأدباء للزيارة أو للإقامة والتدريس ، وأنه تأثر بأفكار شيخها الكبير محمد بن أبي بكر وأعجب بسمته وحسن طريقته فلازمه وصار شاعر حضرته وبلبلها الصداح .

وصفه المؤرخون بالفقيه الشاعر البليغ الماهر ، كما وصفوه بالهَجَاء الذي قلما سلم من لسانه أحد ، ذكر المؤرخ الأديب محمد الصغير اليفرنى في كتابه (نزهة الحادي) ان الدغوي كان هجاءً لا يكاد يسلم من هجوه أحد، وحكى انه كان يجلس عند موضع مُعَدُّ لطرح الكناسات والقمامات فلا يمرُّ به نكر ولا أنثى إلا هجاه نظماً ونثراً ، وكان يصيب في غرض الهجاء ، وهجا عدةً من الشعراء فتحداهم ، قيل : ولم يعجمه الا رجل إسلامي كان ممن رضع تَدْيِي الأدب في الزاوية فقال فيه - وكان الدغوي فيه نقط من البرص - ما نصُّه :

يانقمةً جلسْتُ بمرِيضِ البقرِ ونُقطةً ظهرت في أقبح الصور
إذا رءاك أناسٌ قال قائلهم سبحان من أظهر الشيطان للبشر !

كانت حياته كلها بجنب شيخه محمد بن أبي بكر ، يمدحه في المناسبات، ويشيدُ بفضله ومروءته في الحفلات ، فلما انقضت حياة الشيخ عام 1046 انقطعت أخبارُ المترجم ونضبت أشعاره ، فلا نجدُ له من الشعر بعد موته الا قصيدتين ، أولاهما قالها في مدح الرئيس المجاهد محمد العياشي والثانية رثاه بها لما قتل عام 1051 والقصيدتان معاً تبعثان على التساؤل : هل غادرَ الدغوي الزاوية الدلالية والتحق بصف المجاهد العياشي ؟ لأن من المستبعد أن يمدحه ثم يرثيه وهو مقيمٌ بها ، إذ كان الطرفان - الدلائي والعياشي - يسعيان معاً في ذلك الوقت لإنشاء حكم يتحول إلى ملك في المغرب .

وقد جُمع بعض شعر الدغوي في ديوان توجد منه نسختان مبتورتان في لفاقتين مختلفتي الأوراق بالمكتبة الوطنية بمدريد ، نمرة الأولى 18600 ونمرة الثانية 18601 كما يوجد بالخزانة العامة بالرباط ميكروفلم نمرته 955 من مخطوطة نمرتها 5139 بالمكتبة الوطنية بمدريد أيضاً ، نكر من اطلع عليها ان ما فيها من الشعر يكاد كله يكون مذكوراً في كتاب (البدور الضاوية) .

ونثبتُ فيما يلي نماذج من شعره مؤملين ان تُظهرنا الأيام على ما خفي من حياته وجُهل من أدبه .

فمنه القصيدة التالية التي أنشدها في إحدى ليالي المولد النبوي مادحاً
الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي :

ألا من كان يبهج أو يسرُّ
فمولد خير خلق الله أبهى
هما يومان فضلهما جلِّي
وبعدهما وإن شرفاً مجال
فما الأيام ما غرر الملامي
سوى أن العيون تراك فيها
ونور جبينك الوضاح يبدو
وسنيك طبق الأقطار فضلاً
وجود يمينك الميمون أغنى
فغنم لم يكنه رضاك غم
وعيد لا نراك به وعيد
فلا فقدت بك الدنيا سروراً
ولا زالت بك الأيام تزهو
ولا زال الزمان أتم عيد

بأعياد وأزمنة تُسرُّ
لمبتهج، فسابعه الأغرُّ
على الأيام فهي به تقرر
... خيل غارته تكرر
وما دنيا بزخرفها تغرُّ
وهل عين تراك ولا تقرر
هدى، لدجا الضلالة منه فجر
وأحسب من بها عدلاً يسرُّ
وإمّن أن يخاف لديه فقر
وعدل لم يكنه قضاك جور
وما احلولى وكنت سواه مر
وأنت لأوجها شمس وبدر
على روض زها وحكاه تغرُّ
بكم حتى القيامة يستمر

وكان مرة رفع إليه في إحدى حفلات عيد المولد النبوي قصيدة لم
يُدبّرُها بمدحه ، فاعتبر الناس أن ذلك من تكران الجميل ، ووجهوا إليه
الأسنة بالملام ، فاعتذر عن غفلته بالقطعة التالية :

مولاي يا بحر الندى المندفق
يارأس ديننا ونبراسه
ياموسع الدنيا بقلب حوى
مدحتكم لو أن لي طاقة
والله لو أحصي فضل لكم
لكان لي عنز ، كفى أنني
جلالة أفضت إلى هيبة
كيف وبعض فضلكم أبحر

يامن به لكشف ضري أثق
ياشمس كل قمر متسق
كل المعارف ولما يضيق
بمدحك ، لأنني لم أطق
وكنت للإحصاء ممن رزق
في غشية من طولها لم أفق
من سادة بقلب عبد أبوق
في لجة منها الأنام غرق

أَيْحَسُنُ الإِعْرَابَ عَنْ فَضْلِكُمْ خَلَقَ مِنَ الإِعْرَابِ مِثْلِي مَثَقُ؟
وَمَنْ تَجَدَّدَ بِلَاءَ بِهِ ثَوْبُ اصْطِبَارٍ مِنْهُ بَالِ خَلْقِ
وَفِي رِهَانِ الدِّينِ ثَوْبٌ لَهُ بِالسُّوقِ أَمْسَى وَهُوَ رَهْنٌ غَلِقُ

وقال أيضاً يمدحُه وقد عاد ولدهُ مُحَمَّدُ الحَاجِ مِنْ مَنْطِقَةِ الغَرْبِ بَعْدَمَا
خَاضَ مَعْرَكَةَ نَصْرَةَ لَمَنْ اسْتَغَاثُوا بِهِ :

تَغْرُ السُّرُورِ وَأَيُّ تَغْرِ بِاسْمِ
بِالْيَمِينِ وَالْإِقْبَالِ لَاحَ مُبَشِّرَا
قَسَمًا بِإِقْدَامِ الكَمَاةِ لَدَى الوَغَى
وَالسُّمْرِ تَقَطَّرُ بِالدَّمَا مُحَمَّرَةً
وَالعَادِيَاتِ مُثِيرَةً فِي سَبْحِهَا
وخلَالِ ذَلِكَ بُنْدُقُ كَعَوَارِضِ
وَحِيَاةِ أَبطَالِ الهِيَاجِ الخَائِضِي
لِيُنَوِّرَنَّ الحَقُّ لَيْلَ ضَلَالِهِ
وَلِيُجَبِّرَنَّ الدِّينَ بَعْدَ صَدُوعِهِ
وَلِيُنَصِّرَنَّ اللهَ جَنْدَ وَلِيهِ
فَالحَقُّ مُتَضِحُ السَّنَا مُتَبَلِّجُ
وَسَوَاكَ تَخَدَعُهُ الذِّيَابُ كُفَيْتَ مِنْ
يَأْتِيهَا العَلْمُ الَّذِي بُوْجُودِهِ
يَارحمةً لِمَعَاشِرِ الضُّعْفَاءِ مِنْ
بِكَ شَبَّتِ الدُّنْيَا زَمَانَ مَشِيْبِهَا
وَالعَلْمُ أَصْبَحَ مِنْ جَوَارِكِ فِي حَمِي
وَالمَجْدُ مِنْ عَليكَ يورثُ ، وَالنَدَى
مَنْ رَامَ شَأوِكَ رَامَ مُعْتَسِفًا مُسَا
حَاشَا لِقَدْرِكَ أَنْ يُقَاسَ بِضِرْغَمِ
وَيَجَلُّ جودُكَ أَنْ يُعَارِضَ بَعْضَهُ
يَالحَلْمِ الحَلْمَاءِ أَحْزَمَهُمْ إِذَا
صَلَّ ، وَاغْلَظَنَّ فِي اللهِ ، وَاسْطُ مَجَاهِدًا

عَنْ ظَلَمِهِ كَشَفَ اللثَامَ لِلاِثْمِ
بِالنَّصْرِ بَارِقُهُ ، فَهَلْ مِنْ شَائِمِ
وَالحَرْبِ مَظْلَمَةَ اللَّطِي بِتَصَادُمِ
وَالبَيْضِ تُعَمَّدُ فِي طَلَأٍ وَجَمَاجِمِ
نَفْعًا كَغَيْمِ فِي أَشَدِّ تَرَائِمِ
مِنْ وَابِلِ المَطَرِ الأَعْمِ السَاجِمِ
لُجَجِ الجِمَامِ بِمَوْجِهَا المُتَلَاطِمِ
بِنَاقِيٍّ مِنْ كُلِّ أبيضِ صَارِمِ
وَلِيَهْدَمَنَّ رُكْنَ الفَسَادِ القَائِمِ
فُطِبَ الكَمَالِ أَعَزَّ نَصْرِي دَائِمِ
وَسَوَاكَ فِيهِ يَخَافُ لَوَمَةَ لَائِمِ
رَاعِ إِذَا افْتَرَسَتْ شَوَارِدُ غَانِمِ
أَرسَى التَّرَى حَرَسًا إِلهَ العَالِمِ
رَبِّ قَوِيٍّ لِلبرِيَّةِ رَاجِمِ
عَادَتْ لِشَرِّخِ شَبَابِهَا بِنَمَائِمِ
لَمْ يَخْشَ فِيهِ مَضْرَّةً مِنْ حَائِمِ
لَوْلَاكَ ءَاهَلُهُ كَرَبَعِ طَاسِمِ
بِقَةِ الصَّقُورِ بِلا قُوَى وَقَوَادِمِ
أَوْ كُلِّ لَيْثٍ فِي الوُجُودِ ضَبَارِمِ
جودُ الغَمَامِ ، فَكَيْفَ جَدْوَى حَاتِمِ
مَا الرَأْيُ رَدَّ إِلَى مَشُورَةِ حَازِمِ
بِحَسَامِ عَزَمِكَ ذِي الدَّءَابِ الحَاسِمِ

واقطع جبال خيال كل معارض
فإلى م تبرخ في الضلال قبائل
وتروم روم الشرك فرصة ماكر
وإلى سياستك السنية ينتهي
ولواء نصرتك المؤيد خافق
والدين أنت إمامه ورئيسه
فلئبشير الأعداء منك نذارة
ولئبشير الإسلام منك وأهله
وعناية بالعلم أسس ركنها

ومعاندي للحق غير ملائم
من عرب مغربنا سدى وأعاجم
بالمسلمين العر غير مسالم
نصح الورى ، ولأنت أعلم عالم
للدين بارد ظلّه من ناعم
والدهر عبدك وهو أطوع خادم
بتفرق لجموعهم وهوازم
بحماية ورعاية ومغانم
وتقى الإلاه فما له من هادم

لم أقف على تاريخ وفاته ، وقد خطر لي أن أحطه في السنة التي
خربت فيها الزاوية الدلائية وغرب سادته ومواليه وان كنت أعتقد أنه مات
قبل ذلك بكثير (81)

1596) أحمد بن عبد الرحمان ابن جلال المغراوي ، فقيه نحوي
من بيت علم بفاس وتلمسان ، وأصل أسرته من تلمسان ، ولد بفاس وأخذ
بها عن أبيه عبد الرحمان ، وعمه احمد بن محمد ابن جلال متقدم الترجمة
(5 : 388 ع 1557) وجماعة أخرى من شيوخها كالشيخ عبد القادر الفاسي
انتسب إليه ولازمه وهو عمدته ، والعربي الفاسي ، وأحمد بن عمران
السلاسي متقدم الترجمة في هذا الجزء وعبد الواحد ابن عاشر ومحمد ميارة
الخ .

وكان حافظاً للفقّه متقناً للنحو مشاركاً في غيرهما ، درس بجامع
القرويين وخطب بالمدرسة العنانية الشهيرة .

توفي فجأة عام 1079 (82) .

81) أعلام الفصير الكبير ص 105 والهدور الضاوية (أطروحة مرقونة) صفحات عديدة ،
والحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص 28 والحركة العياشية ص 193 - 194 - 207 -
279 والزاوية الدلائية ص 49 - 134 - 283 ونزهة الحادي ص 243 - 271 - 277 - 283 ونشر
المثاني 1 : 342 والشعر الدلائية صفحات عديدة ، والوافي بالأندلس العربي في المغرب الأقصى
734 : 3

82) ابتهاج القلوب (مخطوط مصور) ص 86 والتقاط الدرر 2 : 174 والإعلام بن مضي
وغبر (مخطوط مصور) ص 45 وتعريف الخلف ، برجال السلف 2 : 65 ونشر المثاني 2 : 179 -

1597) أحمدُ بنُ محمد بن يعزى ابن عبد السميع الغاتيني
الرسموكي ، أديبٌ كبيرٌ من أهل سوس بالمغرب الأقصى ، ينتسبُ إلى قبيلة
رسموكة (83) الشهيرة وإلى قريته غاتينة (تاغاتين) (84) فلذا يقال فيه
الرسموكي والغاتيني ، والرسموكي أكثر .

ولد بقرية غاتينة ، ونشأ بها وسط أسرة نبهه المحدثين ، ءاباؤه من
ءال عبد السميع المشهورين بالديانة والعلم ، وجده لأمه هو الشيخ الشهيرُ
محمد بن يوسف الرسموكي ، وأدبَه والده احسن تأديب ، واختار له من
الأساتيد كل نابغة أريب ، كالشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي ، والشيخ
محمد بن الحسن بن قاسم اللكوسي .

وكان فقيهاً مفتياً أديباً مبرزاً قويَّ العارضة طویل النفس شعراً ونثراً ،
جماعاً لكتب العلم ودواوين الادب ناسخاً لما يعجبه منها ، عمل بديوان
السملالين اصحاب إمارة ايليج وكتب لهم ودرس بحضرتهم ، وله كتاب في
التاريخ مفقود ، وفتاوي كثيرة يوجد بعضها في مجموعة عبد العزيز البرجي
وأخرى في مجموعة عبد السميع المزالي ، وكانت له مهارشات ومناقشات
مع بعض العلماء والادباء بقطره كالقاضي أحمد امزوغار الوجداني .
نعته الرسموكي في (الوفيات) بالفقيه الأجل الكاتب العالم العلامة
الدراكة النحوي اللغوي الفيلسوف ، وقال عنه صديقنا المرحوم المختار
السوسي في (المعسول) إن هذا الأديب الكبير له ءاثارٌ تدلُّ على أنه عظيم
النفس نبيةٌ في زمنه عزوفٌ عن المهانات ، وقفنا له على قوافٍ تدلُّ على
كل هذا .

من شعره القصيدة التالية التي رثى بها شيخه عبد الله بن يعقوب
السملالي المتوفى عام 1052 هـ :

خليلي إن البينَ داعٍ إلى السهد ألم تدرِ أن السمَّ يُمزج بالشهد
قفا وقفةً وأسعداني فأنسي أقاسي بهذا الدهر ما جلُّ من وجد

83) رسموكة ، قبيلة شهيرة بإقليم تزنيت أنجبت عديداً من القراء والفقهاء والعلماء والأدباء ، وهي
تنقسم إلى رسموكة السهلية ورسموكة الجبلية ، فالأولى بطونها ءاية بوكورة ، وءاية الشيخ ، والزغنائين
(ايزعان) ، ويشوخاتين ، والثانية بطونها ءاية ريبيس ، وأدني ، وتافراوت المولود .

84) غاتينة (تاغاتين) دوار بيطن تافراوت المولود من رسموكة الجبلية .

لظاه يثورُ في العظام وفي الجلد
كرامٍ وأهوالٍ تنيفُ على العَدِّ
ويعقبه حزناً يجلُّ عن الحدِّ
وبدَل ما أدرى من النوم بالسهد
بدورُ الدياجي في الإضاءة في اللحد
وليس يلامُ في خطاه وفي العمد
تَرْدُ ذوي النُّها عن الهزل للجد
دليلٌ على توحيد خالقنا الفرد
قلوباً ، وغمرٌ ما يُعيد وما يُبدي
ومن طالح يسطو بعضب من الهند
وقطع الفيافي للأحابيش والسند
وعشق بُنيَّة وميلٌ إلى هند
عمى وعن المحتوم أبطأ من فند
وليس له سوى المشقة والجهد
ومظهره والقلبُ كالحجر الصلد
وذي شرطة قد شانه صعُرُ الخدِّ
ونذلٌ إلى الظهور يشتاقُ والمجد
وقاضٍ وما يدري ولو مورثُ الجدِّ
ملاقاءً أهل الله في الغور والنجد
غفولٌ وفي سبل الضلالة لا الرشد
مصيبٌ وبعضُ الظنِّ إنمَّ وقد يُردي
ولا فرق بين الحرِّ في الحكم والعبد
لسلطانه يعتزُّ بالمال والجند
وأشفقٌ في يوم المعاد من الطرد
يكونُ على الأحداث من جملة الوفد
ولو نابِه الذي دهاني بلا صمد
ولو خصني لهانَ عند الورى وحدى
أظافيرها في شيخنا عادم الندِّ

تأوَّبني الحزنُ الطويلُ ولم يزل
فراقُ أحبةٍ وفقدُ معاشر
وهمٌ يثيرُ الصبرَ من وكناته
ورزءٌ جليلٌ زعزع النقيسَ وقعه
وتغيبُ أعلامُ كأنَّ وجوههم
هو الدهر لا ينفكُ يدي عجائباً
عجبتُ وفي كلِّ الخلائق عيرةً
تباينُ أحوال الورى وأمورهم
فمن عالمٍ أحيى بوافر عمله
ومن صالحٍ راعى حقوقَ الإله
ومُعزى بتطواف البلاد وجوبها
ومن هائمٍ بحب سعدى وزينب
تراه إلى المحظور يركضُ طرفه
وذي سُبحه يتيه في الأرض دائباً
وذي نُسكٍ يكفيك رونقُ وجهه
وذي إمرةٍ له على القوم صولةٌ
ونذب على الخمول وطَّن نفسه
وقاضٍ شهير العدل والحلم والحجا
وأنحلٍ ساحٍ في البراري وقصده
ومعظمهم عن المنون وريبه
ويحسبُ جهلاً أنه في صنيعه
قضى الله وهو العدلُ في الخلق بالفنا
وسوف يموتُ الغمرُ والشهم والذي
قله ترُّ من أنابٍ لربِّه
ويعلمُ أنه ولو طال عمره
ووطَّن نفسه على الصبر والرضا
نعى فرى الكبود إذ عمَّ خطبه
ولم أنسَ إذ قالوا المنية أنشبت

عليه مخايل الهدى وهو في المهدي
من العجب والرياء والفخر والحقد
بدرع من الإيمان مُحكَمَة السرد
سفينة أهل الجد في جنّة الخلد
مدى عمره إلى الهوى غير مرتد
حوالك من يهدي الإلاه هو المهدي
يجود بلا من ويعطي ولا يكدي
علوماً وكانت قبل منسية العهد
وقار، ومعقل من الدين منهذ
على أنه يختال في مطرف الزهد
فعاجله الخسوف في منزل السعد
وكادت نفوس القوم تزهر للفقْد
يجاورها وقيل بوصف بالجد
جمالاً وبالبياض بعد شككت عندي
يباباً، وربع الأنس عمراً بالصد
إلى أحد (أبو المودة) (85) بالود
كثيباً بوجه شاحب اللون مسود
وعلم التصوف المنزه عن بد
وأسعه الحساب بالأعين الرمد
عرفت مع الإعراب يعول لالأد
فزلاً ولم يظفر بشكر ولا حمد
وكم فزعوا إليه في الحل والعقد
وذي حاجة أولاه ما شاء من رفد
فصارَ بيمنِ بابه غير منسد
جديداً مَوْجَحَ النكا واري الزند
قلله ما أخفيه منه وما أبدي
أشق عليه ما علي من البرد؟
فان مت حدث الزمان بها بعدي

فقيه عظيم القدر والشأن قد بدت
إمام جليل في العلوم مطهر
فلهفي على شيخ حباه إلاه
فجد ولم يسأم إلى أن رست به
ودينه تقوى الإلاه وطرفه
ولهفي على نذب أنار بعمله
ولهفي على سَمَحِ تواتر أنه
ولهفي على حبر أبان بفهمه
ولهفي على طود من الحلم زانه
ولهفي على امرىء تباعد صيته
ولهفي على بذر تكامل نوره
فاظلمت البلدان وانجاب حسنُها
وأعولت الأنفاس والقلم الذي
عهدنا السواد للمحابر عصره
غدت أربع التدريس بعد وفاته
لشدة وجد الفقه لم يلق بعده
وقابلنا التفسير والنحو مغضبا
وأبدي الكلام والبيان تأسفاً
كما سفح التصريف صرف دموعه
وأصل الأصول اجنت، والمنطق الذي
فكم رجل رام الفتاوي بعده
وكم معضل لولاه دام ارتباكاه
وكم مشكل في العلم فض ختامه
وكم كُربِ هالت وأرتج بابها
وحزن على فقْدِ ابن يعقوب لم يزل
وبي جزع لا يحبط الأجر حملهُ
إمام به قد زال جهلي فكيف لا
أحدث عنه بالمحامد دائباً

تَحَقَّقْتُ أَنْ نَعَاهُ يَوْمَ وَفَاتِهِ
فَكَرُّ ضَارِباً فِي الْأَرْضِ وَأَطْلَبُ نَظِيرَهُ
يَقَاوِمُهُ وَالغَيْرُ عِنْدِي كَالْتَّمَدِ
إِلَيَّ (سَعِيدٌ) أَنَّهُ فَازَ بِالْقَصْدِ

* * *

رَثِيثٌ عِلاهُ بِالذِّي هُوَ أَهْلُهُ
مَضَى وَأَنْقَضَى ، وَحَطَّنَا الصَّبْرَ وَالرِّضَا
أَدِينُ بَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ يَقْبَلُ الْفِدَا
فَصَبْرًا بِنِيهِ وَاتَّحُوا الدَّهْرَ نَحْوَهُ
سَقَى الْوَلِيَّ قَبْرَ ذَا الْوَلِيِّ بِصُوبِهِ
وَحَيَاهُ بِالرَّيْحَانِ وَالرُّوحَ رَبُّهُ
وَيَخْتُمُ هَذَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
وَأَفْنِيْتُ مِنْ عَيْنِي الْمَدَامَ لَوْ تُجْدِي
وَلَيْسَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِنْ جَاءَ مِنْ رَدٍ
لَجَدْتُ بِمَالِي فِي الْفِدَاءِ وَبِالْوَلَدِ
وَلَيْسَ لَكُمْ عَمَّا قَضَى اللَّهُ مِنْ بَدُ
وَأَنْبَتَ فِي أَرْجَائِهِ عَاطِرَ الْوَرْدِ
وَبِوَاهُ بِفَضْلِهِ جَنَّةَ الْخُلْدِ
أَبُو عَذْرَةَ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ وَالْحَمْدِ

وَلَهُ قَصِيدَةٌ فِي هَجْوِ الْقَاضِي أَحْمَدَ أَمْزُغَرَ الْوَجَانِي جَعَلَ قَافِيَتَهَا كُلِّهَا
كَلِمَةً أَمْزُغَرَ مَطْلَعُهَا :

أَمَدٌ إِلَهِيٌّ فِي الْمَعَالِي مَذَاهِباً
وَأُخْرَى يَشْكُو فِيهَا بَعْضَ حَسَنَدِيهِ لِلْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ السَّمْلَالِيِّ
(أَبُو حَسُونِ بُوْدَمِيْعَةَ) مَطْلَعُهَا :

مَاذَا يَرِيدُ التَّعْلُبُ الْمُسْتَضْعَفُ
مِنْ قَسُورٍ مِنْهُ الْعِدَا تَنْقَصُفُ ؟

أَمَّا نَثْرُهُ فَقَدْ عَثَرْتُ مِنْهُ فِي (مَجْمُوعِ رِسَائِلِ سَعْدِيَّةِ وَعُلُويَّةِ) الْمَحْفُوظِ
بِالْخَزَانَةِ الْحَسَنِيَّةِ الْمَلِكِيَّةِ عَلَى جَوَابِ مُؤَرِّخٍ فِي 5 جُمَادَى الْأُولَى عَامَ 1061
كَتَبَهُ عَلَى لِسَانِ مَخْدُومِهِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ السَّمْلَالِيِّ (أَبُو حَسُونِ بُوْدَمِيْعَةَ) إِلَى
السُّلْطَانِ مَوْلَايَ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّرِيفِ الْعُلُويِّ ، وَكُنْتُ أَنْوِي نَشْرَ نَصِّهِ وَنَصُّ
الرِّسَالَةِ الْمَجَابِ عَنْهَا كَوَثِيفَتَيْنِ مِنْ وَثَائِقِ التَّارِيخِ الْمَغْرِبِيِّ لَوْلَا مَا فِيهِمَا مِنْ
رِكَازَةٍ وَتَكْلُفٍ وَتَحْرِيفٍ مِنَ النَّاسِخِ وَتَصْحِيفٍ ، وَهَمَا مَعَا مَنْشُورَانِ فِي كِتَابِ
(إِبْلِيغٍ قَدِيمًا وَحَدِيثًا) .

وَلِلْمُتَرَجِّمِ ءَاثَارَ كَثِيرَةٍ شَعْرِيَّةٍ وَنَثْرِيَّةٍ ضَاعَتْ فِيمَا ضَاعَ أَثْنَاءَ الْقَضَاءِ
عَلَى إِمَارَةِ إِبْلِيغٍ وَنَسْفِ عَمْرَانِهَا .

توفي بغاتينة (تاغاتين) يوم الثلاثاء 18 جمادى الآخرة عام 1080
ودفن ظهر غده (86) .

1598) احمد بن محمد بن مروان التاجموعتي السجلماسي ، فقيه
نبيه من بيت علم ودين بناحية سجلماسة ، ونسبته إلى تاجمومت ذكروا أنها
بلدة بسوس ، قال عنه محمد المحبي في (خلاصة الأثر) كان علامة نحوياً
فقيهاً مقرئاً شائع الصيت ذائع الذكر ، وهو أحد أشياخ العالم الأديب الحسن
اليوسي ، نعتة في (الفهرسة) بالمحقق الفاضل وذكر أنه قرأ عليه القرآن ،
وجملة من مورد الظمان وجملة من مختصر خليل ، ولقيه عبد الله بن محمد
العياشي ووصفه في (الرحلة العياشية) بالفاضل الفقيه النبيه اللبيب المدرس .
توفي يوم الاثنين 9 قعدة عام 1080 (87) .

1599) أحمد بن سعيد الكنسوسي المراكشي ، فقيه صوفي مغربي
أصله من قبيلة كنسوسة (88) المتوتنة بناحية سوس ، نشأ بمراكش وتعلم
وكان من حذاق طلبتها ، وأمّ ببعض مساجدها ، وصفه أحمد بن محمد بن
يعقوب الولاقي في كتابه (مباحث الأنوار) بالفقيه العلامة ، وذكر أنه كان
مشاركاً في علوم كثيرة ذا ثروة وجاه .

تعرف بالشيخ الشهير محمد بن عبد الله السوسي لما وفد على مراكش
فتأثر بأفكاره ومواعظه ، وأعرض عن الأهل والولد والمال ، وصار عيبه
أسراره وأخص أصحابه ، وسافر معه إلى الحجار لأداء فريضة الحج ، فلما
توفي شيخه بقي هناك إلى أن توفي .

(86) إلبليغ ص 131 ورسائل سعدية وعلوية (مخطوط مصور) ص 117 وطبقات الحضيمي
1 : 76 ومن خلال جزولة 2 : 58 - 180 والمعسول 5 : 19 - 29 - 37 . و 7 : 96 و 11 : 213
و 18 : 281 والموسوعة 2 : 151 وسوس العالمية 185 وشعر داوود الرسومي ص 94 ووفيات
الرسومي ص 31 .

(87) الإكليل والتاج ، (أطروحة مرقونة) ص 174 والتقاط النثر 2 : 179 و خلاصة الأثر 1 :
347 والرحلة العياشية 1 : 17 ونشر المثاني 2 : 184 والفقيه اليوسي (مخطوط مصور) ص
345 و 365 وفهرسة اليوسي ص 40 وشجرة النور الزكية 1 : 312 واليوافيت الثمينة 1 : 34 .
(88) كنسوسة قبيلة شهيرة باقليم تيزنيت من ناحية سوس ، اشتهرت بوفرة قرانها وفقهائها ، بطونها
عالية يكرن ، وءاية إيمكرط ، وءاية وانزال .

مات عام 1081 وجدتُ هذا التاريخ مكتوباً بجُذائاتي ، ونسيْتُ من أي المراجع أخذتُه ، وما توهمه البعض من أن يكون هو شيخ الحسن اليوسي المذكور في فهرسته غيرُ صحيح ، أستاذُ اليوسي هو أحمد بن سعيد المجيلدي ءاتي الترجمة قريباً (89) .

1600) أحمد بن عبد العزيز الحيجي ، فقيهٌ مغربي منسوبٌ إلى قبيلة حاحة (90) الشهيرة ذكره عبدُ الله بنُ محمد الفاسي في كتابه (الإعلام بمن مضي وغبر) ووصفه بالفقيه القاضي وقال إنه حضر مجالسَ الشيخ عبد القادر الفاسي وروى عن القاضي ابن سودة وغيره ، وإنه كان من عدول فاس .

تُوفي في ءاخر رمضان عام 1084 (91) .

1601) أحمد (حمدون) بن محمد الزجني ، فقيهٌ من أهل فاس ، ولد بها عام 1014 وأصله من قرية أزجن (92) الشهيرة القريبة من وزان ، أخذ عن جماعة من علماء القرويين كأحمد ابن عمران السلاسي متقدم الترجمة في هذا الجزء ، وعبد الواحد ابن عاشر وأحمد بن موسى البطيوي ، وخطب بجامع الأندلس مدة ثم نقل للخطابة بجامع القرويين ، ولما توفي القاضي محمد بن محمد ابنُ سودة ولاه السلطان مولاي رشيد العلوي خطة القضاء مكانه ، واستمر بها إلى أن حدثتُ بينه وبين الفقيه المفتي محمد بن أحمد الفاسي مشاحنة فعزلهما السلطان وولّى مكانهما الفقيه محمد بن الحسن المجاصي .

(89) الإعلام ، بمن حلّ مراكز وأعمات من الأعلام 2 : 324 ع 241 ومباحث الأتوار ، في اخبار بعض الأخيار ص 84 وصفحات أخرى كثيرة .

(90) حاحة على وزن سادة وقادة ، والنسبة إليها حيجي ، قبيلةٌ تسكن على ساحل البحر بإقليم الصويرة ، بطونها : الشمالية إيدا وكورض ، ويسارة ، ونكنافة ، وزلطانة (ءاية زلطان) ، وزمزمة (إيدا وزمزم) ، وبتونها الجنوبية : ءاية عيسى ، وبوزية ، وجلولة ، وإيدا وكاوز ، ووتغومة ، وإمكراض .

(91) الإعلام بمن مضي وغبر (مخطوط مصور) ص 57 .

(92) دوار بيطن بني زكون من قبيلة رهونة .

وكان المترجمُ علامةً كبيراً وخطيباً مصقفاً متقناً لعلوم شتى كالنحو والبيان والفقهِ والحديث والتفسير ، عامراً الوقت بالتدريس ، مرجوعاً إليه في حل المشكلات ، له نظم ونثر وخطب بليغة وتقاييدُ أغلبها في النحو .

أخذ عنه أحمدُ بنُ العربي ابنُ الحاج ، والعربي بردلةً ، وعبد الله (أبو سالم) بنُ محمد العياشي ، والمهدي الفاسي ، وعبد السلام جسوس ، وأحمد بنُ عبد الحي الحلبي ، وءآخرون .

وفيه يقول عبد الله (أبو سالم) بن محمد العياشي من قصيدته المسماة (نفثة المصدور ، إلى الإخوان والصدور) التي وجهها من طرابلس إلى أصدقائه بفاس وهو في الطريق إلى الحجاز :

ومن بعده شيخى الذي طار ذكره	بأجنحة المداح في كل بلدة
مفيد العلوم جامعاً لشتاتها	محققها مزوارها في الحقيقة
رئيس علوم العقل طراً كأنه	تجسد شخصاً من نكاهٍ وفطنة
لجمع خصال الحمد قد زيد في اسمه	علامة جمع بعد حمدٍ لنكتة (93)
فأكرم به من عالم أي عالم	سما رتبة فوق السهى أي رتبة
له حالة لم يرضَ نو العقل غيرها	ودين متين لم يُدس بريبة
إلى رقة في القلب من خوف ربه	وإن شئت فانظر حاله عند خطبة
فتعلم قطعاً أن ذاك إشارة	من القلب قبل اليوم كامن خشية

مرض بعد عزله مرضاً شديداً وبقي يُعانيه إلى أن مات ضحى يوم الأربعاء 13 رجب عام 1084 ودفن وراء الشيخ علي بن حرزهم خارج باب فتوح (94) .

1602) أحمد بن عبد العزيز بن محمد مروان التاجموتي ، أديب مغربي من بيت نبيه اشتهر منه أفرادٌ عديدون بالفقهِ والعلم والادب ، رحل

93) يشير إلى لفظ (حمدون) الذي كان يعرف به عند العامة وهو بصيغة جمع المذكر السالم .

94) النقط الأزرر 2 : 195 ، والإعلام بمن مضى وغير (مخطوط مصور) ص 55 والدر النفيس ص ... والموسوعة 3 : 151 ونشر المثاني 2 : 205 وصفوة من انتشار ص 172 وفهرسة أحمد ابن الحاج (أطروحة مرفوعة) ص 20 وسلوة الأتفاس 3 : 77 وشجرة النور الزكية 1 : 312 ع 1214 والرحلة العراشية 1 : 72 .

إلى المشرق عام 1082 فحجَّ وجاور بمكة وأقرأ بالحرم الشريف وأملى أدباً
وشعراً .

ومما يذكر من أخباره أن أحد أبناء السلطان مولاي رشيد العلوي
خرج لينظر الى إبل وخيل وردت عليه من بعض أحياء العرب ، فأقام عندها
أياماً ، وانشغل خاطرُ أبيه بسبب غيبته ، فأمر المترجم أن يكتب إليه كتاباً
فأرسل اليه القصيدة التالية وهي من الشعر الرفيع :

سکران حبٌ غیر صاح	بلت مدامعه البطاح
شبه من تحرقه وصاح	وضع الیدین علی الحشا
بنواهد الغید الملاح	صب تولع منذ نشا
والقاتلات بلا جناح	الفاکات بلا ظبا
فعل المنقفة الرماح	هن الفواعل بالحشا
غصناً تلاعبه الرياح	من کل غانية حکت
ويردّها الكفل الرداح	تغی النهوض بخصرها
انفتلت عليه البدر راح	فکأنها غصن إذا
تفتت إليه السرب راح	وتخالها طبيباً إذا الـ
مقل مريضات صحاح	ترنو بهاروتیة
تصمي الفؤاد بلا جراح	غنح سهام جفونها
شبه الشقائق في البطاح	وقطوف روضة خدها
مختوم صهباء وراح	من لي برشف لمي حكي
يحكيه مطلق الأقسام	وصفيف ثغر أشنب
ورضابه عذب قراح	نفاثه مسكية
لحرام قتلتني استباح	ياؤها البدر الذي
تفتت عن فلق الصباح؟	أو ما كفتك مراشف
سمعاً بخي علي الفلاح	لم يلق صب إذ بدت
بنة بالمغالط والمزاح	ولطالما يخفي الصبا
وبحاليه المكنون باح	والدمع نيم بسرّه
غيد المكعبة الملاح	ياؤها المشغوف بالـ
فمن الذي بالشوق ناح	فلئن كيت تشوقاً

ولئن سَقَمَتْ من الجوى
شَطُّ المـَـزَارُ ولا أرى
أنساک من سکن الحشَا
وتعاهدُ العُسلَ التي
من كل شائلة حكَتْ
ورضاب عذب الثغر قد
ومشاهد عُوْضَتْهَا
وأفاضل يهدون من
لطفاء قد أُبدلتهم
عجبا عنانك لاويا
فأبو القصيدة أحمد

فمن الذي بالسقم جاح
لك في الصبابة من نجاح
حُبُّ الصوافن واللقاح
قَرَتْ عيونك بالرداح
مُزناً تراكم في المراح
أنساکه وضع القُداح
بمفاوزِ هُنَّ بِـرَاح
طُرف القريض إلى الصباح
بوغود أعراب قحاح
لعنان أفراس جماح
قاص بذاك ولا جُناح

سافر إلى مصر فأدرکه بها الأجل في شهر ربيع الثاني عام 1085 (95).

1603) أحمد بن محمد المريني ، أستاذ مقرئ كبير ، قرأ بفاس
على محمد الفيلاي وعبد الرحمان ابن القاضي ولقي عبد الرحمان بن محمد
الفاسي ، وكان شيخا مفيدا عارفا بالتجويد حسن الإلقاء والإقراء .

توفي بفاس يوم الثلاثاء 4 صفر عام 1086 وسماه عبد الله بن محمد
الفاسي في (الاعلام بمن مضى وغبر) محمد بن أحمد ، واعتمدنا في
تصحيح الاسم على صاحب (التقاط الدرر) و(نشر المثنائي) (96) .

1604) احمد بن القاسم الوداني فقيه من إقليم شنجيط المغربي
المسمى اليوم موريتانيا ، أخذ عن أبي القاسم الوداني .

كان استاذاً فاضلاً وفقهياً جليلاً ، له فتاوي في الفقه سلك فيها سبل
الاختصار .

(95) خلاصة الأثر 1 : 236 .

(96) التقاط الدرر 2 : 198 ، والإعلام بمن مضى وغير (مخطوط مصور) ص 59 ونشر
المثنائي 2 : 218

أخذ عنه جماعة من الفقهاء كالفقيه عبد الله بن محمد الشنجيطي وأحمد ابن الحاج الشنجيطي ومحمد بن المختار ابن الأعمش الجكاني .

مات عام 1086 (97)

1605) أحمد بن عبد العزيز الفيلاي ، فقيه مشارك من ناحية فيلالة (98) بالمغرب الأقصى ، وصفه محمد بن الطيب القادري في (نشر المثاني) بالفقيه المشارك الأديب الناظم الناثر الكاتب البليغ ، ونكر أنه كان يجيد صناعة الترسيل انتهت إليه الرئاسة في ذلك ، مع معرفة للتاريخ والأنساب والمغازي والسير وفهم للسياسة وطبائع الملوك .

خطب بمسجد الكتبية بمراكش ، وأسند إليه الأمير أحمد بن محرز العلوي - أيام ثورته على عمه السلطان مولاي إسماعيل - رئاسة ديوانه ، فكان كاتب دولته وعيية أسراراه .

توفي قتيلا بمراكش عام 1088 (99)

1606) أحمد بن عبد الكريم المطغري ، فقيه من ناحية فيلالة بالمغرب الأقصى ، قرأ بفاس على شيوخها وصحب الشيخ عبد القادر الفاسي وانتفع به ولازمه سنين عديدة .

تولى القضاء بببلده وبه توفي مطعوناً في شهر ذي الحجة عام 1089 (100)

(97) فتح الشكور ص 40 ع 18

98) فيلالة (تافيلالت بالبربرية) ناحية باقليم الرشيدية تمتد من مضيق الخنق الواقع جنوب جبل تاغية إلى قرب جبل صفرو وسبخة بومعيز ، وتحمل الجهات الواقعة بين هاتين الجبلين اسماء خاصة مثل الخنق ومدغرة والرتب وتيزيمي والجرف والسفالات والغرفة ووادي بجلي ، وقد يضيق معنى فيلالة فلا يعني إلا الجهة الواقعة جنوبي تيزيمي وأكبر بلداتها الرفود والريصاني ، وقد يتسع المعنى فيدل على اقليم الرشيدية كله .

(99) نشر المثاني 2 : 222

(100) الإعلام بمن مضى وغيره ص 67

(1607) أحمدُ الصادق بنُ أُويس التاركي اللمتوني ، صاحبُ زاوية أكذز الشهيرة ببلاد النيجر من السودان المغربي ، كان عالماً جليلاً ومربياً كبيراً ، مالكي المذهب سهوردي الطريقة ، له أتباعٌ ومريدون عديدون هناك ، ذكرَ مَنْ لَقِيَهُ أنه كان يقول : إن لنا بالمغرب الأقصى داراً هم منا وإينا : أولاد الشيخ أبي بكر الدلائي .

أخذ عنه أحمد بن محمد اليميني ءاتي الترجمة .

مات عام 1090 (101)

(1608) أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي ، شاعرٌ نائر ، وفارس نائر ، من السادة الدلائيين أصحاب الزاوية الشهيرة بجبال الأطلس المتوسط بالمغرب الأقصى ، ولد بالزاوية الدلائية ونشأ ، وتلقَى بها معارفه من علماء بيئته ومن أكابر العلماء والفقهاء والأدباء الذين كانوا يقصدونها من مختلف الجهات ، وتدرَّب في صغره على ركوب الخيل واستعمال الاسلحة وافتحام الأخطار واستصغار الأهوال ، فلما شبَّ كان مثال الفتى السويِّ الممتلىء فكره عالماً وأديباً ، المكتمل بدنه قوةً وسامة .

هذا الأديب الكبير شحَّ المترجمون بأخباره حتى لكانهم تعمدوا ذلك وأنفقوا عليه ، ونعجبُ من هذا الشحِّ كلَّ العجب ، لأننا من خلال البيئة التي نشأ فيها ، ومن خلال الأوصاف الطنانة التي أضفى عليه المؤرخون حللها ، ومن خلال ما خلفه من شعر فائق ونثر رائع نجدُ أنفسنا أمام أديب عملاق يُمكن مقارنته بعمالقه أديب العصر العباسي ، كما ندرُك من أخبار المرحلة الأخيرة من حياته أننا أمام فتى طموح يسعى لتحقيق حلم عجز عن تحقيقه جدُّه .

وتنقسمُ حياةُ هذا الأديب إلى ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى وهي الطويلة تبتدىء بيوم ولادته وتنتهي بانهزام انصار أسرته سنة 1079 أمام

(101) التقاط الدرر 2 : 124 ، والبذور الضاوية ص 13 ومباحث الأنوار (اطروحة مرقونة) ص 200 ونشر المثنائي 2 : 265 .

جيش السلطان مولاي رشيد العلوي ببطن الرمان (102) وخراب زاويتهم، والمرحلة الثانية تبتدىء من تاريخ استقراره في منفا بتلمسان وتنتهي عام 1088 والمرحلة الثالثة تبتدىء برجوعه إلى المغرب عام 1088 واجتماع بربر الأطلس المتوسط عليه في محاولة لانشاء حكم كان يسعى جدّه محمد الحاج لتأسيسه ، وتنتهي هذه المرحلة بموته عام 1091 .

ففي المرحلة الأولى يسكت المترجمون سكوتاً مطلقاً عن أخباره فيها ، فهم لا يُشيرون إلى تاريخ ولادته كما لا يسمون الشيوخ الذين أخذ عنهم العلم بالزاوية وغيرها والذين أبرزوا بالتهذيب والتتقيف مواهبه وطبعوا حسه ونوقه ، ولم يشدّ منهم إلا عبد الله الفاسي الذي أشار وحده في كتابه (الاعلام بمن مضى وغير) إلى أن المترجم دخل فاس وقرأ بها على الشيخ عبد القادر الفاسي التفسير والحديث وغيرهما ، ولكنه هو أيضاً لا يذكر له شيخاً بفاس غيره ، ويرتسم في ذهن أن أحمد الدلائي بعد ما استكمل دراسته أقام بالزاوية يواصل ممارسته للفروسية وتدرّبه على القتال ، ويشارك أهله فيما كانوا يظلمون به من أعمال البر والاحسان ، كما كان يشاركونهم وزائريهم من العلماء والأدباء فيما كانوا يخوضون فيه من مناقشات علمية ومساجلات أدبية ، وكذا في الأعمال السياسية والحربية الرامية إلى نشر النفوذ الدلائي وإنشاء سلطة سياسية تتحوّل بالتدرّج الى ملك ، ويُرجح هذا انه تولّى حكم فاس عام 1070 لمدة قصيرة ، وأنه شارك في القتال ضدّ منافسي أسرته وضدّ جيش السلطان مولاي رشيد .

وكانت المرحلة الثانية مرحلة تربص وانتظار ورسم الخطط للقيام بثورة ضد الحكم العلوي الذي أعاد للبلاد وحدتها بفضل مهارة السلطان مولاي رشيد وحزم أخيه السلطان مولاي إسماعيل ، وتختلف الروايات عنه في بداية هذه المرحلة ، فأكثر المترجمين يذكرون أنه التحق بتلمسان مباشرة بعد انهزام أنصار أسرته أمام جيش السلطان مولاي رشيد ببطن الرمان ،

(102) بطن الرمان مكان بجبال الأطلس المتوسط يقع على بعد 12 كلم شرقي خنيفرة عن يمين الذهاب منها إلى قصبة تادلة ، يقال له بالشلحة بورمان .

وينفردُ محمد الفاسي بالقول إن السلطان المذكور استكثبه بديوانه قبل أن يُرَحَّلَ مع أسرته إلى تلمسان ، ولا شكَّ في أنه بعد استقراره بها فكَّر في الاستعانة بترك الجزائر نظيراً ما كان يفعله أمراء الأسرة السعدية من قبل ، يدلُّ على ذلك إصراره على البقاء بتلمسان بعد عفو السلطان مولاي إسماعيل عن أهله وإذنه لهم بالرجوع إلى فاس أعزاء مُكرمين لتدريس العلم وإقامة شعائر الدين متعللاً بغيبة أبيه في الشرق وعدم قدرته على نقل أهله من مستقرهم بدون إذنه ، كما يدلُّ عليه توصية أبيه عبد الله لديوان الترك حسناً به لما مرَّ بالجزائر عام 1085 وهو راجعٌ من المشرق بعدما أدى فريضة الحج ، وعدم مسِّ الترك إياه بسوء لما جردوا حملةً كبيرةً على تلمسان عقاباً لأهلها على ثورتهم ضدَّ ظلمهم وعسفهم وتطلُّعهم إلى إعادتها إلى حكم سلطان المغرب كما كانت من قبل ، تلك الحملة التي انتهكت فيها الأعراضُ ونُسف العمران حتى ضريح الشيخ أبي مدين الغوث بقرية العباد حيث كان المترجم يسكن ، ولكن الأتراك لم يُعينوه بشيء خوفاً من سطوة السلطان مولاي إسماعيل وحذراً من إنجاده أهل تلمسان التائرين ، فاكفَى بشيعته من بربر الأطلس الذين كان يُكاتبهم وكانوا يُكثِّون له ولأسرته وافر المحبة ومكين الولاء .

على أن المُدَّة التي أقامها المترجم بتلمسان وطالت تسعة أعوام امتازت بمساجلات أدبية ومراجعات علمية ومراسلات إخوانية تارة منظومة وأخرى منثورة ، ففيها تفجرت قريحته بالشعر الرفيع وسال قلمه بالنثر البديع ، متسجراً من الغربة والبعاد ، ومتألماً من فراق الأحباب والأصدقاء ، ومتشوقاً إلى مراتع صباه ومعاهد أنسه وهواه بجبال الأطلس الجميلة ، متضرعاً في كل ذلك إلى الله ومتشفعاً عنده بالصالحين من عباده أن يفرج كربته ويزيح غمته ، ويجمع شمله بأهله ووطنه ، وعندما يقرأ المرء ما صدرَ عنه في هذه المرحلة من آثار شعرية ونثرية يدرك ما له من رقة وجدان وبراعة في التعبير وحفظ للغة حتى أن أحد الباحثين المغاربة المعاصرين قال ولم يبالغ : إن تلمسانيات أحمد بن عبد الله الدلائي المترجم تُضاهي روميات أبي فراس الحمداني .

أما المرحلة الثالثة من حياته فتبتدىء من أوائل عام 1088 فقد اغتتم انشغال السلطان مولاي إسماعيل بثورة ابن أخيه الأمير أحمد بن محرز وخروجه من مكناس لمقاتلته بمراكش ، فدخل المغرب وقصد عرين أسرته بجبال الأطلس المتوسط مُدعياً أن بعض الصالحين أذن له في الخروج لاسترجاع ملك أسرته ، وأنه موعودٌ بإدراكه والظفر به ، ومثل هذا الادعاء السخيف كان يلقي تصديقاً من ضعفاء العقول وكثير ما هم في ذلك الوقت الذي خلع فيه الجهل سراييله على الخاصة والعامة ، فالتفَّ حوله بربير تلك الناحية واجتمعت كلمتهم عليه ، وبلغ خبر ظهوره فاس في منتصف ربيع الثاني ، فاحتمى أهله المقيمون بها بضريح الامام إدريس وضريح أحمد الشاوي خوفاً على أنفسهم من اتهام السلطان إياهم بالتواطىء معه وبطشه بهم بسبب ذلك ، وجرث بيته وبين جيش السلطان معارك كان النصر فيها حليفه ، وبلغت سراياه ضواحي فاس ومكناس ، ولم تفذ فيه الرسائل والأشعار التي كان محبوب أسرته ورواد زاويتهم كالفقيه الحسن اليوسي والشاعر أحمد التاساوتي يبعثون بها اليه واعظين ومذكرين ومحذرين من عاقبة أمره السيئة ، ولكنه أصمٌ أذنيه عن سماع نصائحهم واستمر على فتنته حتى خرج السلطان بنفسه يوم 5 صفر 1089 لمقاتلته ، وما أن عبر بجيشه وادي العبيد حتى وجد أحمد الدلائي وجيشه في انتظاره ، فدارت بينهما معارك مبيدة كان النصر فيها سجالاتاً بينهما في الأول ، وقتل فيها من الجانبين خلقٌ كثيرٌ قدر بثلاثة آلاف قتيل منهم اربعمئة من رماة فاس ، وانتهت بانتصار جيش السلطان إسماعيل ، فالتجأ أحمد المترجم إلى قبيلة آية سري (103) وأقام بينهم في جبالها الوعرة مسموع الكلمة نافذ الأمر إلى أن مات .

تلك هي المراحل الثلاثة لحياة أحمد الدلائي ، ولا شك في ان جل جوانبها يكتنفه الغموض لاسيما جوانب المرحلة الأولى ، غير اننا لا نشك أيضاً في أن هذا الغموض سينجاب عندما تقدم إلى الطبع عشرات الكتب والدواوين والفهارس التي ألفت في هذا العهد أو بعده بقليل .

(103) آية سري : قبيلة كبرى بإقليم بني ملال (دائرة القصيبة) ، قبايلها أربع : آية ام البخت ، وآية محند ، وآية عبد اللولي ، وآية وييرة .

أما آثار المترجم الأدبية فسنختارُ منها بعضَ القصائد والرسائل التي تدلُّ - وكلها دالة - على علوِّ كعبه في صياغة القريض وصناعة الترسيل .
فمن شعره قصيدة رثى بها والده عبد الله بن محمد الحاج لما توفي بتلمسان أواخر عام 1086 وهي :

يُسألني عن محنتي وأسائله
وأشكو له قلباً دهته بلابله
ويُخمدُ وجداً ليس تخبو مشاعله
بباطن أحشاء الحزين دواخله
تُذابُ فما تُجدي الحزينَ هواطله
شكايته يوماً لمن لا يُشاكله
وقلبُ المعنى قد أصيبتُ مقاتله
تنيرُ غداياهُ الأسي وأصائله
كما مالَ بانَ رُحنته شمائله
فحزنُ الفتى إن دام لا شكَّ قاتله
بفيه الثرى هل يعرفُ الصبرَ تاكله ؟
كما فارقتُ كفَّ الشجاع مناصله
فساعدُ بجفنٍ ليس يرفأ هامله
وأضحى على رغمي خلاءً منازلته
كما حازَه من قبل ذلك أوائله
ولو عاشَ ما أعياهُ أمرٌ يُحاوله
بموتِ كريمٍ يخجلُ السحبَ نائله
كما نارَ هندیّ جلته صياقله
وتذكو بعرفِ الجودِ منه شمائله
وضاعت على مرَّ الزمانِ وسائله ؟
بنفسي من لا يعرفُ البخلَ سائله
كريمُ التنا لا يغلبُ الحقُّ باطله
لإجلاله من كلِّ فوجٍ أفاضله

ألا هل فتى مثلي كئيبٌ أراسله
يطارحني أحزانه وهمومه
لعلَّ النَّاسِي يُعقبُ القلبَ سلوةً
ويُطفي بفيضِ الدمعِ حزناً تغلغلت
على أن دمعَ العينِ فضلُ حُشاشة
وأعظمُ ما يلقاه ذو الحزنِ والأسى
يخاطبُ شخصاً ذاهلاً عن مُصابه
يظنُّ كئيباً لا يقرُّ قراره
يميلُ إذا ما الشوقُ ناجى ضميره
يُقالُ تجلذُ للزمانِ وصرفه
ومن لي به والحزنُ يذكي لهيبه
لقد فارقتُ نفسي الشجيرةً صبرها
فياصاحبي إن كنتَ لي خيرَ صاحب
على من شجى المجدِ الصريحَ مصابه
همامُ حوى المجدَ المؤنثَ يافعاً
فضى من طلابِ العزِّ أقصى مُرايه
ألَهفي على موتِ المكارمِ والعُلا
جميلُ المحيا يستنيرُ طلاقه
ينمُّ بأسرارِ المعاني جيبه
فمن للندى والعُرفِ أغلقَ بابَه
يهشُّ إلى العافين من فرطِ جوده
لطيفُ التأتى حازمٌ في أموره
عظيمٌ إذا ما حلَّ قطرٌ تبادرتُ

كما ذاقه من كل جيل أرادله
صموت إذا ما جد باللغو قائله
على قدر ما يستحسن الملح أكله
وجالت فلا شهيم هناك يقابله
وتندبسه أنصاره وقبائله
إذا المخل لاحت للعيون مخايله
إذا سترت شمس النهار قساطله
بأحزانه مهما استدارت محافله
وبالكره مني غيبته جنادله
وكيف وقد صارت أيامي خلائله
وما عذر قلب ليس تغلي مراجله ؟
على من توارت بالتراب فواضله
وتافت إليه خيله ورواجله
فمن لي بأن تخفي عليهم دلائله
وحق لهم إذ لا تنام غوائله
ومن هابه يزجر عن العذل عاذله
ستصطاتكم أشراكه وحبائله
يموج به كالبحر والموت ساحله
ففي نسليه من يحمل المجد كاهله
وفينا ثوث من غير فخر فضائله
ففي الشهب ما يهدي إذا غاب آفله
وما في القضايا في النتائج حاصله
وعما قريب يعلم الأمر جاهله !
ونسمو على بنيانه ونطاوله
ترقيه ، والمرفوع بالفعل فاعله
تمازجه وسط الثرى وتداخله
كما سقت العافين طراً أنامله
وفي لحده ظل السماح ووابله

مصونُ الغلاما ما ذاق للذلل مطعماً
صدوق التظني حازم في صدوره
يمارح أحياناً إلى الحلم والتقى
وقور إذا ما الخيل طاشت حلومها
ستبكيه بيض الهند والخيل والقنا
وتبكيه أيتام مضاعون جوع
ويبكيه مظلوم بملء جفونه
ويبكيه دست العلم والملك معلناً
على الرغام مني فارقنتي فضائله
فمن لي بصبر يقهر الدمع والاسى
فما عذر جفن لا تفيض هوامله ؟
فيأمهجتي ذوبي أسى وكآبه
لعمري لقد حنت إليه منازلله
وهبني كتمت الحزن يوماً عن العدا
كأنني أراهم ءامين بموته
فهم منه في خوف يشرد نومهم
وقل لهم إن الجمام بمرصدي
وما المرء إلا كالغريق ودهره
فلا تفرح الأعداء إن غاب بدره
فما غاب إلا شخصه وعيائه
لئن كان بدرأ يستضاء بنوره
وفي ماء ورد ما ينوب عن أصله
وفي سقط ضوء الرند أكرم شاهد
سنبني على أساسيه وبنائه
ولست كذي جهل يظن جدوده
عليه من الله المهيم رحمة
ولا زال مزن الغيث يسقى ضريحه
وكيف التماس السقي يوماً لقبره

وقال يخاطبُ ابنَ عمِّ والده وهو محمد بن أبي عمرو بن أبي بكر
الدلائلي بعد رجوعه من منفاه بتلمسان إلى فاس ويفخرُ بشعره ويُنوهُ :

مُعْبِرَةٌ الْأَذْيَالُ مِنْ نَفْحَةِ الرَّهْرِ
وَلِلصَّبْحِ غَارَاتٍ عَلَى الْأَنْجُمِ الرَّهْرِ
يَقْلُدُهَا عَقْدًا نَفِيسًا مِنَ السُّرْرِ
تَفَارُحُ عَرَفِ الْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ الشَّحْرِي
تَحِيَّةٌ مُشْتَاقِي إِلَى ابْنِ أَبِي عَمْرُو
وَأَرْعَى لَهُ فِي السَّرِّ عَهْدِي وَفِي الْجَهْرِ
وَأَهْفُو كَمَا تَهْفُو الْحَمَائِمُ لِلوَكْرِ
غَدَاةٌ اسْتَقَلُّوا وَالرَّكَابُ بِهِمْ تَسْرِي
وَحَاشَى لِعَهْدِي أَنْ يَحُولَ إِلَى غَدْرِ
لَأَيَامِنَا اللَّاتِي غَدَتْ غُرَّةُ الدَّهْرِ
يَرِفُ رَفِيفُ الزَّهْرِ فِي عَقَبِ الْقَطْرِ
وَعَصْنُ الصَّبَا يَهْتَزُّ فِي حَلْلِ خُضْرِ
فَحَفِظْ عَهْدِي الْوَدَّ مِنْ شَيْمِ الْحُرِّ
تَحِيَّةٌ مَشْبُوبِ الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
أَخَا وَلَهُ حَيْرَانٌ فِي مَهْمِهِ قَفْرِ
عَلِيٍّ ، وَمَنْ لِي بِالتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ
وَمَا بَضْمِيرِ الْقَلْبِ مِنْ أَلَمِ الْجَمْرِ
وَشِدَّةِ مَا أَلْقَاهُ مِنْ فَادِحِ الضَّرِّ
فَأَرْتَاخُ إِذْ يَبْدُو خِيَالُكَ فِي فِكْرِي
أُنَاجِيكَ مِنْ فَرَطِ التَّشَوُّقِ وَالذِّكْرِ
وَلَكِنْ قَضَاءُ حُمٍّ مِنْ مَالِكِ الْأَمْرِ
وَأَنْتُمْ بِأَفْلَاكِ السِّيَادَةِ كَالزَّهْرِ
عَلَيْهَا إِلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ وَالوَكْرِ
وَيُنْسَخُ حُكْمُ الْبُؤْسِ وَالْعَسْرِ بِالْيُسْرِ
نَوَازِعُ أَشْوَاقِي لَهَا أَبَدًا تَسْرِي

أَرِيحاً سَرَتْ بَيْنَ الْحَدَائِقِ وَالنَّهْرِ
وَبَاتَتْ بَوَادِي الْغُورِ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا
وَزَارَتْ رِياضَ الْحَزْنِ وَالظَّلِّ قَدْ غَدَا
وَمَرَّتْ عَلَى أَكْتَافِ دَارِيْنَ فَانْتَهَتْ
إِذَا مَلَّتْ نَحْوَ الْغَرْبِ يَوْمًا فَبَلَغِي
خَلِيلِي وَمَنْ صَافِيئَهُ الْوَدَّ فِي الْهَوَى
وَأَهْتَاجُ شَوْقًا إِنْ سَرَى الرِّكْبُ نَحْوَهُمْ
وَقُصِي عَلَيْهِ مَا لَقِيْتُ مِنَ النُّوَى
وَأُنِّي عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ لِنَابَتْ
وَفَرَطُ اسْتِيَاقِي نَحْوَهُ وَتَذَكَّرِي
زَمَانَ الصَّبَا إِذْ عَيْشُنَا الْغَضُّ رَائِقُ
وَإِذْ نَحْنُ فِي ظِلِّ مِنَ الْعَرِّ وَارِفِ
وَقَوْلِي لَهُ لَا تَنْسَ مَا كَانَ بَيْنَنَا
وَعَوَّجِي عَلَى رِبْعِ الدَّلَاءِ وَحِيَّهِ
يَمِينًا لَقَدْ خَلَفْتُمُونِي بَعْدَكُمْ
كَنِييَا كَأَنَّ الْأَرْضَ حَلْفَةً خَائِمِ
فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مَا بِي مِنَ الْأَسَى
لَأَحْزَنْتُكَ حَالِي وَفَرَطُ تَشَوُّقِي
يُمَثِّلُكَ الْفِكْرُ الْمَرْوَعُ مِنَ النُّوَى
وَيُذْنِيكَ مِنِّي الْوَهْمُ حَتَّى كَأَنَّي
وَحَقِّكَ مَا أَرْضَى تَلْمَسَانَ مَوْطِنًا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى ذَلِكَ الْجَمَا
وَهَلْ أَتْرَكُنْ يَوْمًا تَلْمَسَانَ رَاجِلًا
فَتَذْرُكَ أَمَالَ وَتَقْضَى مَارَبُ
عَلَى أُنْيِي لَوْ سَرَتْ عَنْهَا لِأَصْبَحْتُ

ولم لا؟ ولي فيها إمامٌ معظّم
إمامٌ له في حضرة القدس مَقْعَدٌ
وإخوان صدقٍ يُكرمون جليسهم
أبو مدين (104) قطب المشايخ والعصر
يُنزّه عن زيّد هناك وعن عمرو
ويولونه ما يستحقُّ من البرِّ

* * *

وخذها علي ما في الحشا من كآبة
من الأندلسيات طبعاً ورقّة
من الكلم المنخول بالطبع لفظه
يوذ الغواني لو ظفرن بدرها
كلاماً كما نمنمت وشياً مفوّفاً
يميل ابن زيدون (105) لها طرباً بها
ولو راسل الأحباب يوماً بشعرها
هدية من قد شطّ عنكم مزاره
سباسب جردت تعزف الجن حولها
صاحح تشكو الخيل من طولها الوجي
تجنّ إلى مأوى السيادة والعلّا
وخيّ على بعد المدى بتحيّة
أجلّة أعمامي وأهلي ومن له اند

حديقة شِعْرٍ جادها صيب الفكر
تُحاكي اطراد الماء في صفحة النهر
يروقُّ كما رافتك صافية التبر
ليجعلنه عقداً على لبّة النحر
صنيع فتى قد فاق في صنعة الشعر
كما مال تشوان نزيّف من السكر
لما ذاق من ولادة (106) مَضْنُ الهجر
تجوبُ إليكم كلُّ مُستخْشِنٍ وعر
ويخفق فيها القلب من شدّة الدعر
مجاهل ضلّت في فلاها القطا الكدري
فقابلها من معهود بركٍ بالبشر
مُعطرة الأذيال طيبة النشر
تماءً إلى غوثِ الوري ابن أبي بكر

104) أبو مدين الفوث أحد كبار أولياء المغرب في العصر الوسيط ، اسمه شعيب بن الحسين الأنصاري ، ولد عام 515 بقرية فطنيانة القريبة من إشبيلية ، وثقفي بوادي يسرّ القريب من تلمسان عام 594 ونقل إلى قرية العباد المطلة عليها فدفن بها ، وبنى عليه الخليفة الموحدى ضريحاً جده السلطان علي (أبو الحسن) المريني .

ننظر ترجمته المفصلة في أعلام المغرب العربي 2 : 15 ع 314

105) احمد بن عبد الله ابن زيدون المخزومي ، شاعر الأندلس الكبير المولود بالرصافة إحدى ضواحي قرطبة عام 394 والمتوفى بإشبيلية عام 463

ننظر ترجمته المفصلة في أعلام المغرب العربي 3 : 119 ع 827

106) ولادة بنت محمد بن عبد الرحمان الأموي الملقب بالمستكفي بالله ، شاعرة أندلسية من بيت الخلافة ، اشتهرت بأخبارها مع الوزيرين ابن زيدون وابن عبدوس ، توفيت بقرطبة عام 484 .

ننظر ترجمتها المختصرة في كتاب الإعلام للزركلي 8 : 118

وَقَلْ لَهُمْ إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ ثَابِتٌ مُقِيمٌ عَلَيْهِ مَا حَبِيبْتُ إِلَى الْحَشْرِ
وَعُدْرًا فَإِنَّ الْبَيْنَ غَيْرَ فِكْرَتِي ولله أشكو ما تضمَّنه صَدْرِي
فَلَا زِلْتُ فِي أَمْنٍ وَعِزٍّ مُؤَبَّدٍ مُؤَفِّي مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ نَكْبَةِ الدَّهْرِ

ومن نثره الرسالة التالية التي كتبها إلى السلطان مولاي إسماعيل
يعتذر فيها عن بقاءه في تلمسان بعد صدور العفو السلطاني عن قومه
ورجوعهم إلى فاس ، ولم يكن صادقاً فيما اعتذر به ، لأنه إنما كان ينتظر
الوقت المناسب للرجوع إلى جبال الأطلس للقيام بثورته ، ونصها :

« باسم من يضع الملك حيث يشاء ، فاختار له علي علم قريشاً ، يتفياً
الرسوم وارف ظلال الدوحة النبوية ، ويتنسم عرف أزهار عوارفها
المصطفوية ، ويترقى إلى حيث النجوم الشوابك ، والمعالي أرائك ، من
تحمز من هيبة جلاله الأنقاس (107) ، على خدود الأطراس ، ويتشرف
بلم يمينا طالما ازدحمت على تقبيلها الأملاك ، وانجابت لحسن صنيعها عن
بني الآمال الأحلاك ، أبقاها الله آخذة بيد من زل به الزمان ، ولحل ربة
كل عان ، ولتقبيل أفواه وإعطاء نائل وإمساك هندي وحبس عنان ، وشيد
لراقمه في كنف الدولة الهاشمية كنفاً ، واستوهب له منها عفواً لا يعقب ندامة
ولا خوفاً ، دولة مولانا الذي ملك البواطن بحسن بشره وعفوه ، والظواهر
بشدة بأسه وسطوه ، محيي الدولة ، ودرية الأبطال عند الجولة ، قاهر
الملوك ، وواسطة عقد السلوك ، من دانت لهيبته فتاكه الأقطار ، وترنمت
بمآثره خداة القطار ، ظل الله على بريته الظليل ، أبو الفتوحات مولانا
إسماعيل .

لا زالت رياح العز تنشر خوافق ألويته وراياته ، والنصر يتلو في
مأزق الحروب محكم آياته ، وليت شعري بم أحيي ذلك المقام النبوي ؟
والجناب العلوي ، وأي عبارة أرتضيها للإفصاح عن قدره ؟ أو تقوم
بمواهب حقه وبره ؟ وغاية جهدي يستغرفه عفواً فضائله ولو كنت سبحان
وائل ، ويخجله أيسر فواضله حتى أكون في الفهاية كباقل ، إن قلت تحية

كسرى في السنا وثبّع ، جفّ القلم استحياءً من سلوك هذا المهيع ، وأولى ما يُحيي به ذلك المقام الذي اتخذ الأفلاك مهادا ، والنجوم سادا ، التحية التي أضاء الشرع نبراسها ، وأدار على أمته كاسها ، وأغفل الله عنها الأمم وأجناسها ، وخبأها لهذه الأمة المحمدية نكرمة لها فلم تستنشق أمة غيرها وردها ولا آسها :

سلامً على سيدنا ورحمةً الله تعالى وبركائه ، ورضوانه الأعمّ وتحياته ، من عبد له يخرُّ على طرف بساطه لاثماً ، ويقضي من حقوق الخدمة فرضاً لازماً ، أحمد بن عبد الله .

أوجّبها إلى الحضرة الكريمة التي يتلقّى فيها الصادرُ الواردُ بالبشائر ، ويسلو فيها الغريب الخائف بحسن ملاحظتها عن الأهل والعشائر ، الإعلام سيدنا بعذري عن التخلف ، فليعلم مولانا السلطان نصره الله أن موجب ما معي من عيال أبي فكرهت أن أفئات عليه في عياله وهو غائب ، فلم أزل أستدنيه حتى بلغ الجزائر ، ولما خرج برسم الوصول إلى العباد (108) حرم القطب الغوث أبي مدين نفع الله به وجدّ هذه الفتنة (109) بين يديه ، فتأخّر حتى يسكن هرجها ، ويخمد هجها ، ولا يصغ مولانا نصره الله إلى أقوال الوشاة فينا إن بلغه غير هذا ولا يقبله ، فإن الله سبحانه وتعالى لم يقبل في مولانا أقوالهم ، ولا وافق شهواتهم وأغراضهم ، ولو وافق أغراض البعض في البعض ، ما أدّى نفل ولا فرض ، ولا يضيق علينا من عفو ما وسع أهل المغرب ، فقد مددنا إلى سيدنا كفّ الضراعة ، مستشفعين إليه بجدّه صاحب الشفاعة ، أن يمن علينا بعفو يزيل إحاشنا ، ويسكن جاشنا ، أبعثه إلى والدي ، فإن أحبّ فذاك هو المطلوب ، والأمل

108) العباد قرية شهيرة تقع بظاهر تلمسان من جهة الجنوب وتطل عليها ، بها مدفن الشيخ أبي مدين الغوث وكثير من العلماء والصّلاح .

109) يشير إلى الثورة التي وقعت بتلمسان ضدّ ولاية الترك الذين كثر ظلمهم وعيبتهم فيها فساداً ، حتى أنهم كانوا يخطفون البنات ويبيعون الأطفال وينتهكون أعراض المحصنات ، وقد أرسل حكاهم بالجزائر عام 1085 جيشاً لقمع ثورة أهل تلمسان ، فلما وصلها نكل بهم ونسف عمران مدينتهم حتى ضريح الشيخ أبي مدين خربوه ، ولكن جنوده لم يمدوا أيديهم بسوء إلى بيت المترجم وبيت أبيه وأهلها .

المرغوب ، وإلا ركبتُ إلى سيدي عزمًا يحكي الرياح في الهبوب ، فقد طالَتْ بي في انتظاره الغربية ، ونالْتني من ذلك كلُّ كربة ، والله سبحانه المسؤول ، أن يُبلِّغني ما أرجوه منكم من كل مطلوب وسؤل ، فأنا عبدُكم المتشرفُ بخدمتكم ، والنباتُ الذي أنبت تحتَ ربابِ سحابكم :

وواله ما فارقتكم عن قلِّي لكم ولكنَّ ما يقضى فسوف يكون
ولما تزوجَ المترجمُ بالزاوية الدلالية هنا العلامة الحسنُ اليوسي
ومدحه بقوله :

وطالُعها يَمَنَ لمَقْتَبِلِ العُمَرِ بَهاها فِجاءَتْ مِثْلَ مِكنونَةِ الدُرِّ فكانتْ كَنجَمٍ حَلَّ في هالَةِ البِذْرِ كريمةَ أحسابِ مَطهَرَةِ النَّجْرِ إلى صِرحِ مَجْدٍ بَعْدَ مَهْمَةٍ فِقرِ ووجهاً مُضِيئاً مُسْفِراً بِاسْمِ الثَّغْرِ لَقَدْ سَرَّها وَجَهٌ تَطَلَّقَ بِالبِشْرِ إِمامُ المِعالِي فَخَرُ عِالِ أَبِي بَكرِ مِبيدُ الأَعادي بِالمُتَقَفَةِ السُّمْرِ وَمُفني طَريفِ العِزِّ في تالِدِ الفِخْرِ يُطاوِلُ أَعصارِ المُلْتَمَةِ العِزِّ ! وحزَّتْ مَقامَ العِزِّ في موكِبِ النُصْرِ عِقاداً لِذاكِ المِجدِ طِوقاً عَلى النُّخْرِ وأولِيَتْ نُعمى دُونَ أصغِرها شُكري وقَدْ صارَ عِيداً لِلزِمانِ مَدى الدَّهْرِ	مِطالِعُ شِمسِ الحِسنِ مِنَ مِشرقِ الخِذْرِ عَقيلَةٌ قَوْمِ صِينَ في صَدفِ العِلا تُزَفُّ إلى صِدرِ المِجادَةِ والعِلا أنتَ كِ خِفوراً مِنَ خِجالِ حِياتِها وَمِنَ عَجَبِ أنِ صارَ طِبي كِناسِها رَأَتْ مِناكَ لِيثاً بِخِصْبِ القِرنِ في الوِعا لِئنَ راعِها لِيثٌ بِغابِ رِماجِها حِوثُ شِرفِ العِلياءِ إِذْ صارَ كِفاها مِفيدُ الأَبادي بِالسِماحَةِ والنَّدى مُجددُ رِسمِ المِجدِ بَعْدَ عِفايَها فَقَدْ صارَ هِذا العِصرُ فيكَ مِفاخِراً سَموتُ إلى أَقصى مَدى الفِضْلِ راقِياً فلو كانَ في طِوقِ النِجومِ نِطْمِثُها فَكِيفَ وَقَدْ أَجزلتْ أَفضلَ مُنعمِ لِيُهِنِكَ عِرسُ لِلسُّرورِ مُجَدِّداً
--	--

وبعثَ إليه عبدُ الله (أبو سالم) بنُ محمد العياشي رسالةً مع رسولِ يستعيرُ
منه كتابَ (شرحِ المواقفِ العِضدية) لِلانْتِساخِ ، فَرَدَّ الرِساوِلَ ولم يُعِزْه الكِتابَ ،
فأرسلَ إليه العياشي القِصيدَةَ التالِيَةَ :

زكاء أصل ، وفرع أثمر الحسبا
بوجهك اكتسبياً نوراً به التهباً
منه سقى من نأى عنه ومن قرباً
ظنٌ جميلٌ ، فلا تردده مكتئباً
وجهك قبلة من في الخير قد رغباً
ومن كتابي يعودان كما ذهباً
غدا بخفي حنينٍ منك محتجباً
أعبأ بها فرددت الوفاء منقلباً
إن الجواد إذا استوهبته وهباً
صادفت غيث نداء اليوم منسكباً
غيث يكون لذاك النوع منسباً
فلأردته بالرغم محتسباً
فعلى وفعلكم في ذلك العجباً
أبلى الفتى العذر فيما فيه قد دأباً
يملأ أسماع من يهواكم طرباً
أداء واجبه إخواني الأدباً
بين المحافل أفضي منه ما وجباً
شكر ، كما أكثر الإلحاح إذ طلباً
لو مسني وصب لا اشتكي نصباً
كما وجدت لساناً قائلًا نرباً

أنالك المجد موروثاً ومكتسباً
ماء الصبا ووقار العلم قد مزجا
هدى إلى بابك الآمال فيض ندى
وقد سما أمني إليك يقدمه
وجهت وجهه سؤالي لك حين غدا
ما كان ظني أن الوفاء من أمني
حتى أتى رائدي صفر اليدن وقد
فعاتبتني وساسن الصدور فلم
فقلت عوداً على بدء فعذ أمني
وللمقادير أوقات فربنما
قد خلف النوء أحياناً فيعقبه
فان يعد ثانياً من غير رغبته
حتى ينال المنى أو يقضي الناس من
بأن يقولوا - وحاشا - الجود غاب ، وقد
وإن يعد بالمنى فسوف أنشر ما
أشدو بشركم وأستعين على
أودعه الكتب منظوماً وأنثره
لكي يقول بنو الآداب أبلغ في
وإني بكلا الأمرين مضطلع
وقد وجدت مكان القول ذا سعة

فلما وصلت القصيدة المترجم بعث إليه بالكتاب ومعه جواب من

بحرها ورويتها هو :

والفجر ينثر من عقد الدجا الشهباً
والشمس ما رشفت من تغره السنباً
كان حمرتها خد قد التهباً
تصبي الوقور بشدو يبعث الطرباً
فرد للجسم روحاً كان مغترباً

ما روضة جادها وسم قد انسكباً
فافتر زهر أفاح الروض من طرب
ولا كورس وقد لاحت أشعتها
على أغالي غوان في دجى سحر
ولا وصال حبيب زار عن شحط

من قد غدا علماً في الشعر للأدبا
خط ، وأبلغ من أملى ومن كتبنا
تخاله من غرار السيف مقتضبا
تُزيح أنوارها الأحلاك والحجبا
تبدي اعتذاراً وتُخفي تحته غضبا
يظل ما عاش منها الدهر مُكنتبا
والعفو من أحسن الأشياء لمن غلبا
وأنت تولي لراجيك الذي طلبا ؟
من بلغ الطالبين السؤل والأربا ؟
يا من يسر بما يعطي إذا وهبا
أدهى وأغرى بنا الأحداث والنوبا
فكيف نهرج منك العلم والأدبا
ومن يساجل بحراً هاج واضطربا ؟
ما قبلت وجنات الورد ريح صبا

عندي بأحسن من شعر سمعته من
الناثر الدر في طي المهارق إن
نو مقول ترهب الكتاب صولته
شمس العلوم تبدت في سما دول
وافت خليلك أبيات خجلت لها
إن صدرت هفوة من خلكم سفها
فجد بعفوك إن العفو من كرم
لم لا أنيلك ما ترجوه من أمل
وكيف أمنع من إدراك بُغيته
كل يساء بما يعطيه من نشب
لا تلتزمني نبأ ساقه قدر
وبيئنا نيم ترعى شرائطها
هذا جوابي عن أبيات شعركم
لازلت تُحيي رسوماً للعلاند درست

ومما هجى به المترجم على لسان السلطان مولاي إسماعيل قول الفقيه
الشاعر سعيد بن عبد الله المنداسي التلمساني من قصيدة صدرها :

لنا ، وعليكم محنة ووعيد
إذا قعقت تحت العجاج رعود
متى قابلت جنس الأسود قروذ ؟
فإنا بما تبغي عليك نجود
علينا من الأبطال منا أسود
وأنت من المجد الأثيل بعيد
إلى السيئات بالعقاب نعود
ستبلغ من غي الصبا ما تريد
وأنتم لنا تحت السيوف عبيد
وبحري بمرج الصافات وجود

تأهب ليوم الحرب فالحرب عيد
ستعلم أشقى الناس يوم لقائنا
فسل إن جهلت الناس عنا وعنكم
دعوت مجيباً ، فارتقب ما طلبته
عدينا فحول الخيل إن لم تصلكم
أطلب دار الملك من غير قدرة
أسأتم وكنا المحسنين ، وعدتم
عفونا وكان الظلم منك سجية
أنجهل قبل اليوم ما قد علمته
فبحرك يابن البربرية غائض

قال أحمد ابن الحاج في كتابه (الدرُّ المنتخبُ المستحسن) وباقي القصيدة لا ينبغي نسبة الأمر به لهذا الأمير الكبير الشأن (يعني السلطان مولاي اسماعيل) .

وللمترجم أشعارٌ ومساجلاتٌ ومراسلاتٌ كثيرةٌ أخرى مبنوثةٌ في بطون كتب أغلبها مخطوط ، منها رسائله إلى أصدقائه لما نهضَ لطلب الملك وأجوبتهم عليها سنشير إليها في تراجمهم إن شاء الله .

تُوفِّيَ مطعوناً ، وقيل مسموماً سمَّه ابن بركة كبيرُ قبيلة يمورة (آية يمور) وابنُ راحة كبيرُ قبيلة آية المقداد من هسكورة يومَ 1 محرم عام 1091 هـ (2 يراير سنة 1680 م) وبلغَ خبرُ موته إلى فاس يوم 11 منه ، وقال سليمان الحوات في (البدور الضاوية) إن موته كانَ يوم 21 والأول أرجح (110)

(1609) أحمد المحمودي ، فقيه حيسوبي من أهل المغرب الأقصى ، أخذ بفاس عن الشيخ عبد القادر الفاسي ولازم مجالسَه ، فسمع منه صحيحي البخاري ومسلم والأصول والعقائد وغيرها ، وكان فقيهاً عارفاً بالحساب والفرائض .

(110) الإكليل والتاج (أطروحة مرقونة 175) والتقاط الدرر 2 : 219 وأدب التاساوتي (أطروحة مرقونة) ص 686 والاعلام بمن غير (مخطوط مصور) ص 76 والبدور الضاوية (أطروحة مرقونة) ص 723 - 763 وصفحات أخرى كثيرة ، وحركة الأدب في المغرب على عهد مولاي اسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 25 و 1048 و 1070 وتاريخ الدولة السعيدة للضعيف (تحقيق ذ . أحمد العماري) ص 62 - 64 - 159 - 161 - 169 وتذكرة المحسنين (مخطوط مصور) ص 319 والدرُّ المنتخبُ المستحسن (مخطوط مصور) 6 : 79 - 95 والرحلة العياشية 2 : 384 - 388 والزواوية الدلالية صفحات كثيرة ، وزهر الأكم للريفي ص 163 - 164 وكناشة ابن سودة (مخطوط مصور) ص 54 ومجموع أبيي لبعض الدلايين (مخطوط مصور) ص 91 والمنزع اللطيف ص 158 ونزهة الناظر (مخطوط مصور) 1 : 66 ونشر المثاني 2 : 229 - 230 والشعر الدلالي ص 333 .

أسند إليه السلطان مولاي رشيد العلوي قضاءً مدينة تازة فأبى غاية الإباء والتجأ إلى شيخه الفاسي راغباً أن يتوسط له عند السلطان ليُعفيه مما أسند إليه ، فشفع له عنده فأعفاه .

توفي بالطاعون العام في شهر رجب عام 1092 (111)

1610) أحمد بن حسن الشريف ، مفتي تونس وإمام جامع دار الباشا بها ، فقيه كبير ، ومحدث شهير ، ينتمي إلى بيت شريف النسب من الفرع الحسيني ، قدم سلفه من الهند إلى تونس واستوطنوها فحفظوا عند الخاصة والعامه وتولوا نقابة الأشراف وإمامة جامع دار الباشا ، والمترجم هو الخامس أو السابع من أسرته الذين تولوا هاذين الوظيفين .

أخذ العلم عن جماعة من فقهاء تونس ومحدثيها كأبي القاسم بن جمال الدين المسراتي القيرواني والمحدث ساسي بن نويته الأنصاري الأندلسي ، ورحل إلى المشرق مرات عديدة فزار مصر والشام والحجاز وتركيا وأقرأ الحديث ولقي أعلاماً استفاد منهم وأجازهم وأجازوه ، ورأس في بعض رحلاته ركب الحاج التونسي فكان أمينه وإمامه .

وكان مبرزاً في الفقه المالكي قائماً على الصحاح السنّة وعلوم كثيرة بجامع الزيتونة ، نقي الشيبية حسن السميت مقصوداً في الشفاعات .

أخذ عنه جماعة من الفقهاء والعلماء وانتفعوا به ، منهم محمد ابن الشيخ ، ومحمد ابن أبي دينار مؤلف كتاب (المؤنس ، في أخبار إفريقية وتونس) ، وعبد العزيز الفراتي الصفاقسي ، وسعيد المحجوز ، وسعيد الشريف الطرابلسي .

له فهرسة ذكر فيها شيوخه ومروياته ، وثبت أجاز به أحمد بن عبد القادر الرفاعي المكي ثم المدني توجد منه نسخة في المغرب كانت في مكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني بفاس .

تُوفِّي بتونس - وقد طعنَ في السَّن - يوم الاثنين 12 رجب عام 1092
وصُلِّي عليه بجامع الزيتونة ، ودُفِن أسفل جبل الفتح من الزلاج (112)

1611) أحمد بن محمد ابن حمدان التلمساني ، فقيه محدث
تلمساني الأصل دلالي الولاء ، أخذ عن الدلائيين أصحاب الزاوية وعمن كان
يرد عليها من العلماء والفقهاء للزيارة او الإقامة والتدريس ، وأخذ بفاس عن
الشيخ عبد القادر الفاسي وعبد الرحمان ابن القاضي المكناسي ، وبمراكش
عن محمد بن سعيد المرغيتي وغيره ، ورحل إلى المشرق لأداء فريضة
الحج ، فلقى بمصر والحجاز عدداً من الأعلام أخذ عنهم واجازوه ، ثم رجع
إلى فاس وتصدَّر لإقراء السيرة النبوية والحديث وعلومه بالجامع المنسوب
لسيدي علي ابن حرزهم بحومة چرنيز ، وولاه السلطان مولاي إسماعيل
خطبة المسجد الاعظم بفاس الجديد في 4 ذي القعدة عام 1087 .

وكان استاذاً في القراءات ، محدثاً حافظاً مشاركاً في فنون كثيرة ،
أخذ عنه أحمد بن محمد التملي الهشتوكي الملقب بأخزي ءاتي الترجمة
قريباً .

تُوفِّي مطعوناً في أول رمضان عام 1092 (113) ، وزعم صاحب
(أعلام القصر الكبير) أن وفاته كانت به ، وأن له ضريحاً هناك يُزار ،
ولا أعرف مستنده في ذلك .

1612) أحمد بن عبد الله بن يعقوب السملالي الحسني ، فقيه
متصوفاً من بيت علم وصلاح بقبيلة سملالة إحدى قبائل إقليم سوس
بالمغرب الأقصى ، ولد بزمورة (تازمورت) إحدى قرأها وأخذ عن والده

112) إتخاف أهل الزمان 2 : 70 وتراجم المؤلفين التونسيين 3 : 178 ع 285 والخلل
السندسية 2 : 486 وصفحات أخرى كثيرة ، وذييل بشأنر أهل الايمان ص 262 وفهرس الفهارس
والأثبات 1 : 116 وشجرة النور الزكية 1 : 306 ع 1188 واليوافيت الثمينة 1 : 26

113) النقاط الدرر 2 : 223 والإعلام بمن غير (مخطوط مصور) ص 91 وأعلام القصر
الكبير ص 119 وتاريخ الدولة السعيدة للضعيف (تحقيق أحمد العماري) ص 62 و 64 وطبقات
الحضبيكي 1 : 75 و 83 ونشر المئاني 2 : 301 وفهرس الفهارس ص 1103

العلامة الشهير عبد الله بن يعقوب ءاتي الترجمة ، وأتقن على يده وأيدي علماء قطره كثيراً من العلوم الدينية واللغوية .

له مؤلف في الطب وءآخر في التنجيم ، وشرح الأجرومية وعقائد السنوسي ومورد الظمان في القراءات ، واختصر كتاب (التشوف ، إلى رجال التصوف)

تُوفي يوم 4 ذى القعدة عام 1093 (114)

1613) أحمد بن عبد العزيز الشرفي الصفاقسي ، فقيه فلكي من أسرة شهيرة بمدينة صفاقس التونسية ، رحل إلى مصر واستقر بالقاهرة وعرف بالأزهري ، لعل ذلك لكثرة تردده على جامع الأزهر عالماً أو متعلماً .

أخذ عنه علي بن موسى السوسي الأزهري ومحمد بن محمد الشرفي المؤدب .

من تأليفه :

1) تذكرة الإخوان ، في الرد على من قال بحلية الدخان ، 2) وفتح البرية ، لحل ألفاظ النسمة النهجية ، المتضمنة للرسالة الفتحية .

لم أقف على تاريخ وفاته ، وكان حياً عام 1093 (115) .

114) الأعلام للزركلي 1 : 161 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 56 ورجال العلم العربي في سوس ص 28 وطبقات الحضيكي 1 : 77 والمعسول 5 : 49 وفهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط 2 : 359 وسوس العالمة ص 184

115) إبطاخ المكنون 1 : 272 و 2 : 464 وتراجم المؤلفين التونسيين 3 : 166 ع 278 ومعجم المؤلفين 1 : 176 و 2 : 243

1614) أحمد بن سعيد المجيلدي ، فقيه كبير من المغرب الأقصى يعرف بنسبته إلى قبيلة بني مجيلد (116) الواقعة باقليم يفرن جنوبي مدينة مكناس ، أخذ عن أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلائي (6 : 5 ع 1558) وأحمد بن علي ابن عمران السلاسي (6 : 40 ع 1578) وعبد الله (أبو سالم) بن محمد العياشي وأجازة وله ألف فهرسته المسماة (اقتفاء الاثر ، بعد ذهاب أهل الأثر) ، وعن الشيخ عبد القادر الفاسي ، وعبد الله الامام التنغراسي التلمساني ، وعبد المومن التنجدي ، وسواهم من المغاربة ، ورحل إلى المشرق فأخذ بمصر والحجاز عن عيسى الثعالبي واحمد بن محمد الخفاجي وابراهيم الكوراني .

وكان مبرزاً في الفقه مسدداً في القضاء مستحضراً للنوازل منصفاً في المباحثة واسع الاطلاع على التاريخ والسير ، مشاركاً في عدة فنون ، درس وعلم بجامع القرويين وانتفع به جل الطلبة في وقته وتخرج منهم على يده عددٌ كبير ، كالعلامة الأديب الحسن اليوسي وأثنى عليه في فهرسته .

ولّى قضاء فاس الجديد مدة أربعين سنة بعضها أيام حكم السعديين وبعضها في السنوات الأولى لحكم العلويين ، وكان أحد فقهاء فاس الذين رشحوا للملك الأمير مولاي إسماعيل لما بلغهم نعي أخيه السلطان مولاي رشيد عام 1082 والسلطان مولاي إسماعيل هو عينه قاضياً لمكناس بعد عزله قاضياً محمد (ابو مدين) السوسي المكناسي في أواسط شوال عام 1088 .

له تأليف منها :

(1) أم الحواشي ، كتاب شرح به مختصر خليل بن إسحاق المصري في الفقه المالكي ، (2) والاعلام ، بما في المعيار من فتاوي الاعلام ، كتاب

(116) بني مجيلد قبيلة كبرى باقليم يفرن قاعدتها بلدة أزرو ، تتكون من القبائل التالية : واية إلياس ، واية بوكمان ، واية مروول ، واية مسعود ، واية مولي ، واية عرفة ، واية علي بن ابراهيم ، واية قبل الحرام ، واية واحي ، وركلاوة (إيركلون) ، ولكل قبيلة من هذه القبائل عمائر ووطنون كثيرة .

اختصرَ به كتاب المعيار المعرب ، والجامع المغرب ، عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، لأحمد بن يحيى الونشريسي التلمساني ، (3) وكتاب التيسير ، في احكام التسعير ، كتاب في الحسبة طبعته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر بتحقيق موسى القبال ، (4) وفرسة ذكر فيها شيوخته ومروياته .

توفي بفاس مغربَ يوم الاثنين 25 صفر عام 1094 ودفن خارج باب الشريعة (المحروق) جوار ضريح أبي بكر بن العربي (117)

1615) أحمد بن أحمد الفاسي الفهري ، فقيه صوفي من أسرة بني الجد الفهريين ، ولد بمدينة القصر الكبير في شهر رجب عام 1021 بعد موت أبيه ، واخذ عن عمه الشيخ العربي بن يوسف الفاسي وعن ابن عمه الشيخ محمد (أبو عسرية) بن علي الفاسي وغيرهما ، ثم اشتغل في بلدته بالاقراء والتدريس وأسّس بها زاوية أولعَ فيها باطعام الطعام وأفاعيل من خصال البرِّ العظام .

تُوفِّي بالقصر الكبير عام 1094 ودفن بزوايته من حومة القطنين ، ورتاه أكابرُ أهل وقته بقصائد كثيرة (118) .

1616) أحمد بن محمد بن عيسى ءادم فقيه من أهل المغرب الأقصى ، أخذ بفاس عن عبد القادر الفاسي ومحمد بن أحمد ميارة وأحمد

117) إتحاف أعلام الناس 1 : 324 والكليل والتاج (اطروحة مرقونة) ص 175 والتقاط الدرر 2 : 226 والأعلام للزركلي 1 : 131 والأعلام بمن مضى وغير (مخطوط مصور) ص 92 والدرر الفاخرة ص ... وطبقات الحضيكي 1 : 74 وكتاب التيسير (مقدمة المحقق) ، والمناهل (مجلة) ع 23 ص 47 ومعجم المؤلفين 2 : 234 والموسوعة 3 : 100 ونشر المئاني 2 : 306 وصفوة من انتشار ص 190 وفهرس الفهارس 2 : 557 وفهرسة اليوسي (مخطوط مصور) ص 43 وقضاة فاس (مرقون) 3 : 9 وسلوة الألفاس 3 : 206 وهدية العارفين ص 163 واليوافيت الثمينة 1 : 35 .

118) ابتهاج القلوب (مخطوط مصور) ص ... والتقاط الدرر 2 : 226 والإكليل والتاج (اطروحة مرقونة) ص 176 وأعلام القصر الكبير ص 140 ونشر المئاني 2 : 307 وعناية أولي المجد ص 42 وشجرة النور الزكية 1 : 315 ع 1228 .

(حمدون) الأبار متقدم الترجمة وغيرهم ، ورحل إلى الجزائر فأخذ بها عن الشيخ سعيد بن ابراهيم قدورة ، ولما عاد الى فاس جلس للتدريس ، ومن الآخذين عنه محمد بن عبد الرحمان الفاسي ، قال عنه في كتابه (المنح البادية ، في الأسانيد العالية) سمعتُ عليه الحديث المسلسل بالأولية ، وأحاديث من الصحيحين وأجازه فيهما وفيما له من مقروء ومسموع ، ثم استوطن في آخر عمره مدينة الرباط وتولّى خطابة جامع الكبير .

توفي في شهر ذي الحجة عام 1094 (119)

1617) أحمد بن أبي بكر المحجوبي الولاتي ، فقيه من أهل ولاته (120) بلدةً بصحراء شنجيط المغربية ، ولد يوم 27 رمضان عام 1034 كان فقيهاً نحوياً لغوياً ، تولى قضاء بلدته وإمامة مسجدتها ، وعلم بها ودرس ، قال عنه محمد البرتلي الولاتي في كتابه (فتح الشكور) إنه كان ماهراً في القراءة مشهوراً بالصلاح والورع ، جامعاً بين العلم والعمل ، وذكر انه كان يحفظ مقامات الحريري .

أخذ عنه جماعةً من الفقهاء منهم الحسن اغبد ، وعثمان بن عمر الولي ، وعمر بن بابا .

توفي عام 1095 (121) وتقدمت ترجمة احمد بن محمد الولاتي المراكشي في هذا الجزء .

(119) الاتحاف الوجيز ص 100 والاعتباط ص 8 ومجالس الابتساط 1 : 78 ، والإكليل والتاج (أطروحة مرقونة) ص 176 والتقاط الدرر 2 : 227 والإعلام بمن مضى وغير (مخطوط مصور) ص 93 ونشر المثاني 2 : 309 ، واليوافيت الثمينة 1 : 35 .

(120) ولاته بلدة في الجنوب الشرقي لموريتانيا قريبة من حدود جمهورية مالي ، كانت محطة للقوافل الداهية والأبية بين المغرب والسودان ، زارها الرحالة المغربي محمد ابن بطوطة اللواتي عام 753 وقال عنها في رحلته تبدو عليها مظاهر الشيخوخة والقدم ، ووصف رجالها بأنهم محافظون على الصلوات وعلم اللغة وحفظ القرآن .

ويردُ اسمها في بعض الكتب هكذا : ولاتن وإيولاتن حسب النطق البربري .

(121) فتح الشكور ص 41 ع 20 .

1618) أحمد بن محرز بن الشريف العلوي ، شريف من الأسرة العلوية الملكية ، كان وزيراً و عاملاً وقائداً من قواد عمه السلطان مولاي رشيد بن الشريف العلوي ، فلما تُوْفِي عام 1082 وبويغ بالملك أخوه السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف ثار المترجم عليه ونادى بنفسه سلطاناً ، وأنته البيعات من فاس ومراكش وتازة ورُدانة (122) ولكن في أوقات متقطعة ، فقام لحربه عمه السلطان مولاي إسماعيل ، وطارده في كل مكان ظهر فيه ، ودام القتال بينهما أربعة عشر عاماً ، واستقرَّ الشريفُ الثائر في آخر حياته برُدانة قاعدة إقليم سوس ، وانضمَّ إليه عمه الحران بن الشريف ، فسارَ إليه السلطان مولاي إسماعيل بجيشه وحاصرهما فيها .

واتفق ذات ليلة أن خرج احمد بن محرز مع عبيده من رُدانة على حين غفلة لزيارة أضرحة بعض الأولياء بناحيها ، فاعترضه كتيبة من كتائب جيش السلطان تنتمي إلى قبيلة زرارة (123) وقاتلوه حتى قتلوه وهم يحسبونه قائداً من قواده ، ولما تبين لهم أنه أحمد بن محرز نفسه بعثوا بالخبر إلى عمه السلطان مولاي إسماعيل ، فجاء حتى وقف عليه وأمر بتجهيزه ودفنه ، وبعد أيام خرج شيعته من رُدانة فنيشوا قبره وحملوه في تابوت إليها ودفنوه بها .

وكان قتله في أواسط شهر ذي القعدة عام 1096 (124)

122) رُدانة على وزن جمانة وأمامة (تأردنت بالشلحة) والنسبة إليها رُداني : مدينة شهيرة بصفح سوس وقاعدة إقليم من أقاليمه ، تبعد 68 كلم عن أجدير شرقاً و 225 كلم عن مراكش جنوباً ، وهي مدينة عتيقة اشتهرت في العصر المرابطي وما بعده ، واتخذها السعديون قاعدةً لعملياتهم ضدَّ الحاميات البرتغالية بساحل سوس وسُمِّرها المحمدية نسبةً إلى محمد الشيخ مؤسس دولتهم . وهي اليوم قاعدة إقليم فسيح يشتمل على عديد من البلدات والقرى .

123) زرارة قبيلة عربية باقليم سيدي سليمان تنتمي إلى مجموعة الشراردة القبلية (إحدى قبائل الجيش) بطونها خمس : الكبار ، ومشرع الصفا ، والعوامر ، وقرينات الحرشة ، وسيدي قاسم . ومنها بطون تحمل اسم زرارة مندمجة في قبائل أخرى بجهات أخرى من المغرب .

124) الأعلام للزركلي 1 : 202 ، والإعلام ، بمن حل مراكش وأغامت من الاعلام 2 : 322 ع 240 والاستقصا 7 : 46 وما بعدها ، والنقاط الدرر 2 : 233 ، والبدور الضاوية (أطروحة مرقونة) ص 432 والبستان الظريف (مصور مخطوط) ص 39 والجيش العزمم الخماسي 1 : 74 ، وصفحات أخرى عديدة ، وروضة التعريف ص 67 - 68 - 69 ، ونشر المثنائي 2 : 331

1619) أحمدُ شَلْبِي ، أشهرُ داياتِ (125) تونس في عهد الحكم المرادي ، أصله من تركيا ، وجاءَ تُونس لِيخدمَ جندياً في جيش باياتها (126) وتوسّم فيه أحدُ كَتَبَةِ ديوان العسكر أَنه سيكونُ قائداً كبيراً ، وبالفعل ما زال يترقّى في الرتب العسكرية حتى صارَ (127) القايبَة ، وفي ضحي يوم الأحد 2 شوال عام 1093 هـ صارَ داياً بعد ما تمرّد وأغلق باب القايبَة عليه وعلى مَنْ معه ، ولم يسع الباي علي بن الباي مراد إلا ان يترضّاه وأرسل إليه جماعةً من الأعيان وصبايحية الترك فبايعوه وألبسوه قفطان الولاية .

وكان أحمدُ شَلْبِي ضابطاً حازماً شجاعاً شهماً مهيباً سديدَ الرأي لطيف التدبير ، محباً للعلماء ولم يتقدّم له مثيلٌ في سطوته ، إلا أَنه أمضى أغلب أيام ولايته في حروب مع علي باي وأخيه محمد باي ، حروب انتهت بسقوطه جريحاً بسبخة سيجوم ليلة الأحد 11 رجب عام 1097 هـ فأخذ وغلّ ووضع تحت نظر إبراهيم خوجة حاكم الجزائر .

وفي ليلة الأربعاء 28 رجب 1097 أرسل الباي محمد بن مراد مَنْ قتلَه خنقاً (128) .

125) السداي لقبٌ تركي كان يطلق أيام الحكم العثماني للجزائر وتونس علي قائد الجيش بكلّئهما ، وهو دون لقب الباي الذي يعني الوالي العثماني رئيس السلطة العليا ، لكن الدايات كانوا يُنافسون البايات في الحكم بسبب القوة التي بين أيديهم ، وعن ذلك يقول محمد ابن أبي دينار في كتابه (المؤمنس) ، في أخبار افريقية وتونس ص 301) وكبيرهم (أي كبيرُ العسكر) يُقال له الداي ، فهو بمنزلة السلطان علي الحقيقة ، لأنه المتصرفُ بحكمه في الاقليم .

126) الباي كلمةٌ تركيةٌ كان يُلقبُ بها الوالي العثماني لتونس ، وبقيت تطلق علي رئيس الدولة بها إلى أن أعلن النظام الجمهوري سنة 1957 .

127) هاغا كلمةٌ تركيةٌ كانت تطلق علي واحد من الضباط السامين في تونس والجزائر ، ودخلت أيضاً في مصطلحات الجيش المغربي إلى أن أُلغيت سنة 1912 .

128) إتخاف أهل الزمان 2 : 71 و خلاصة تاريخ تونس ص 172 و الخلاصة النقية ص 99 - 106 - 107 - 108 و الخلل السنديسي 2 : 501 و صفحات كثيرة بعدها ، والمؤنس ص 207 - 211 - 285 .

1620) أحمدُ السبعِ القصري ، فقيه نبيه من مدينة القصر الكبير بالمغرب الأقصى ، أخذ العلم عن مشايخ فاس ولقي الشيخ عبد القادر الفاسي بعد عام 1050 واستجازه بعد ثلاثين سنة من لقائه ، وارتحل إلى المشرق ودخل القاهرة ، ولقيه الرحالة عبد الله (أبو سالم) بن محمد العياشي في حجته الثالثة وذكره في رحلته ، وذكر أنه لما نظم قصيدته التي مدح بها الشيخ عيسى بن محمد الثعالبي الجزائري كان المترجمُ ممن أجاب عنها بقصيدة لم يثبثها في كتابه (الرحلة العياشية) لطولها ولما وقع من الانحلال في كثير من بيوتها ، ولكنه أثبت القصيدة التي خاطبه بها وهي على وزن قصيدة السبع القصري ورويتها ، ونصها :

أو الدرُّ يُجَلِّأ في نحور الكواعب
تصافحُ أعلاه أكفُ السحاب
فأبدى لنا وجهَ الضحى في غياهب
وقد أخذتُ بالتار من عقل شارب
قريحةٌ خلَّ واعدِ الذهن ثاقب
أديبٌ زكيُّ الأصلُ جمُ المناقب
قديمًا عليها منه أقصى المغرب
فكم مثلها في دهرنا من عجائب
وما قصرُوا عن نيلِ أعلا المناصب
من المجد في أعلا الذرى والغوارب
ينادى إذا ما حاربتُ باسمِ غالب
وقيدتُ لدرس العلمِ حُمُرُ النجائب
لها بجنانٍ حاضرٍ غيرِ غائب
وترنو له الأعناقُ من كلِّ جانب
ومدَّتْ له الأعناقُ من كلِّ طالب
مخافةً جهلٍ يلتجى كلُّ هارب
وسر له في القربِ أعلا الرغائب

أتاني نظامٌ كالنجومِ الشواقب
أو الزهرِ المزهُوِّ في الروضِ قد بدا
فما هوَ إلا البدرُ أشرق نورُه
أو الراحُ أبدتُ للعيونِ حُبابها
بسحرِ حلالٍ واضحٍ نفثتُ به
إمامٌ همأمٌ فاضلٌ متبيِّنُ
ليهن بلاد الشرق ما افتخرتُ به
فلا تُعجبوا من غربةٍ قذفتُ به
وقدماً نبتُ بالأكرمين ديارهم
وكم من غريبٍ حلَّ بعدَ اغترابه
هزبرُ العلومِ اللوذعيُّ ومن غدا
إذا اغبرتُ الهيجاءُ واحمرتُ القنا
هنالك يبدو حاسراً غيرَ دارع
فيوضُحُ منها مشكلا ويزيله
ودانتُ له صعُبُ العلومِ بأسرها
هو العلمُ الفردُ الذي بجانبه
جزاه إلهُ الخلق ما هوَ أهلهُ

مات قتيلا بطرابلس الغرب عام 1099 (129) .

1621) أحمد بن منصور الهادفي ، فقيه من مدينة توزر التونسية،
اشتهر بتأليف جمة مفيدة ، قطب من أقطاب العلم ببلده ومن علماء الفلك
ورجال الادب .

من تأليفه (1) زاد المسافر في فنّ الفلك ، (2) ونزهة النظر ، على
متن المختصر ، وهو شرح لمختصر الشيخ خليل بن إسحاق المصري في
الفقه المالكي .

توفي عام 1100 (130) .

1622) أحمد بن محمد المكني فقيه من أهل طرابلس ولد بها عام
1042 ونشأ ، وبيته بها بيت نبيه أصله من مدينة صفاقس التونسية .

أخذ عن الشيخ محمد ابن مساهل وغيره من علماء بلده ، ولم تكن
له رحلة لطلب العلم خارجه ، وكان وقوراً مهاباً بارعاً في الفقه ماهراً في
علوم شتى ، تولى الإفتاء بطرابلس بعد عزّل شيخه ابن مساهل عنه ، فسار
فيه بأعدل سيرة ، ولم يكن يخشي في الحق لومة لائم ، وإذا رأى منكراً
غيّره وأقرّه على التغيير أولو الأمر ، ولما تخلى عن الإفتاء أسند إليه
التدريس والخطابة والامامة بجامع طرابلس الكبير .

لقيه عبد الله بن محمد العياشي في ذهابه إلى الحج وإيابه منه ، وأتني
عليه في رحلته (131) ووصفه بالشاب الزكي ، الفقيه اللوذعي ، خير خلف
عن خير سلف ، وقال لقيته بداره ، ولم تطل مجالستي له ، واستعرت منه
المطول لسعد الدين فأعاره ، وكانت له خزانة كتب ليس مثلها لأحد من أهل
بلده ، ثم استعرت منه بعد ذلك العصد على مختصر ابن الحاجب وكان ذلك
قرب رحيلنا فأعاره وكتبت له مع الرسول بيتين هما :

130) تراجم المؤلفين التونسيين 5 : 89 والجديد في أدب الجريد ص 81 .
131) كتب اسمه محمد في الرحلة العياشية المطبوعة ، وهو خطأ .

فَمَثُوا بِهِ قَبْلَ الرَّحِيلِ كَمَا لَنَا تَطَوَّلْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ بِالْمَطْوُولِ
فَانَكُمْ أَهْلٌ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ كَمَا أَنْكُمْ أَهْلٌ لِكُلِّ تَفْضُلٍ .
له كتاب ردّ فيه على الأباضية سمّاه (شكر المنّة ، في نصر السنة) .
مات بطرابلس عام 1101 (132) .

1623) أحمدُ بنُ محمدِ العمراني التونسي ، فقيه من أهل فاس
ينتمي إلى الفرع التونسي من الأسرة الإدريسية الشريفة ، أخذ عن الشيخ
عبد القادر الفاسي وابنه محمد وعن محمد المرابط الدلائي وغيرهم من
مشايخ فاس ، كان فقيهاً مدرساً عالماً بأحكام الوثائق وعللها حسن الأخلاق
محمود السيرة ، كان القاضي محمد بردلة يقدره ويقدمه على غيره من أبناء
عصره وربما أتاه في أحكام القضاء .

مات بفاس يوم 17 جمادى الثانية عام 1102 ودُفن خارج باب فتوح
إزاء ضريح الشيخ علي حماموش قرب مصلى العيد (133) .

1624) أحمدُ بن إبراهيم العطار المراكشي ، عالم من أهل مراكش
أندلسي الأصل ، أخذ عن عيسى السكّثاني ومحمد المزوار وأحمد بن إبراهيم
التاملي ، ومحمد بن سعيد المرغيتي أخذ عنه فنّ القراءات وأجازته ، ورحل
إلى فاس لإكمال دراسته فأخذ عن شيوخ العلم بها ، ولقي الشيخ عبد القادر
الفاسي ، ومحمد بن محمد بن ناصر الدرعي وحصل على الاجازة منهما .

وكان ديناً خيراً عالي النفس رفيع الهمة ، عرض عليه قضاء الجماعة
فأباه بعد إلحاح ، لا يأكل إلا من عمل يده وإجلتها في نسخ الكتب ، فقيهاً

132) أعلام ليبيا ص 80 والتكرار ص 234 وتليل المؤلفين العرب الليبيين ص 74 والرحلة
الناصرية 1 : 68 و 74 والرحلة العياشيّة 1 : 68 و 2 : 384 وليبيا في كتب التاريخ والمسير ص
275 والمنهل العذب ص 279 ونفحات النسرين والريحان ص 132 وهديّة العارفين 1 : 165
والبواقيت الثمينة 1 : 33 (خلط مؤلفه بينه وبين أبيه محمد) .

133) النقاط الدرر 2 : 261 ونشر المثاني 3 : 24 وسلوة الأتفاس 2 : 234 والبواقيت
الثمينة 1 : 36 .

متمكناً مديد الباع في المعقول والمنقول ، أديباً شاعراً ، طبيبياً ماهراً ، درس
ونصح وأرشد ، وتخرج به جماعة من الأعيان ، له طُررٌ كثيرةٌ وتقاييدٌ في
مسائل شتى .

وفيه يقول محمد بن قاسم ابن زاكور الفاسي طالباً إقراءه أرجوزة ابن
سينا في الطب :

ما ذا علي العطار لو أهدى لنا
وأباحنا أسرارها تلك التي
إني وان شهدت بنقصي سيرتي
لا أرتضي لكالمه - حاشاه - أن
هذا وراية حبه ووداده
وغصون روض الشكر وهي نضيرة
نفحاته من جونة (134) الأرجوزه
أمسيت علي من دونه محروزه
وبه شمائل شيمتي ملموزه
تبقى المعارف عنده مكنوزه
أبدأ أراها في الحشا مركوزه
ما إن تزال بذكره مهزوزه

وكان صديقاً للفقهاء الأديب الحسن بن مسعود اليوسي ، وقعت بينهما
مراجعات فقهية (135) ومساجلات شعرية ، ولما مدحه المترجم بقصيدته
التي أولها :

صددت والصد منك غير معهود
فما اجترامي وقد أمسيت مشتكياً
وبالوصول قصرت كل ممدود
بنقض عهد كذا إخلاف موعود
والتي منها :

متى نظمت عقوداً في خلاك حكمت
فتى له قدم في الفضل راسخة
شمائل الحسن الرضا ابن مسعود
ومنزل في العفاف غير مجود

(134) الجونة سليلة تكون مفضاة بجلد نخبغ فيها العطور ، وهي من الفصيح الذي يستعمله عوام
المغرب ، إلا أنهم يتوسعون في إطلاقه ، تخبغ فيها الأشياء من غير تخصيص ، ومن الأهازيج الجارية
على السنن الاطفال : طب (بب) الفار ف الجونة ، كلا (أكل) لي خيزا وزيتونا .

(135) يوجد في مجموع خطي محفوظ بالخرانة العامة بالرباط تحت نمرة 8/د/1755 جواب للفقهاء
العلامة الحسن اليوسي عن سؤال للمترجم حول دليل إبطال حوادث لا أول لها ، أي التمسك ، مع تعقيب
لأحمد بن محمد بن يعقوب الولالي ، أوله : سأل الأديب الأريب ، الحائق اللبيب ، أبو العباس أحمد بن
إبراهيم العطار المراكشي شيخ شيوخنا علامة الأعلام سيدي الحسن بن مسعود اليوسي الخ .

أجابه اليوسي بقصيدة على وزنها ورويها أثبتنا فيما يلي على طولها
وحوشي ألفاظها إظهاراً لقيمة المترجم وإذاعةً لنصّ غميس من الأدب
العربي المغربي :

إن أصبحت هي لا توفي بموعود
بثغرها فامنحنينا رشفة العود
منها وإلا فثبها غير معضود
وشوقها بالمطايا القود أو قودي
مُعطراً من شذاها كلّ ترديد
أيدي الصبا قلب صبّ خير تزويد
من المجود بهاتيك الربا جودي
إلا لوائح من تلك المواعيد
رضابها جدّ بعذب منك مورود
ألا اسلمي من سلّمي القلب معمود
بطيفها وهو يرجو الفوز بالجود
شجواً وجسم بأيدي الدهر مقدود
فسم الضواري أديم الصيد بالبيد
جنبيه فهو غريب غير مشهود
عشناه إلا ليالي البيض في السود
والسيد المحض محسود على السود
وسمره الطعن من سلّكي ومن أود
ما لاح نجم قري همّ وتسويد
فيفتح الفتح باباً غير مسدود
والوجد يسمى بتجنيد وتنجيد
فينتني بفؤاد منه منجود
لنّفحة من شذا تلك المعاهد
كالماء يشرق طوراً باللغاديد
نّفحاً وأذهبها لفتحاً لمفؤود
من الجنوب نشوقاً غير مردود

يا نسمة الروح من أرجائها عودي
وياأراكة ذاك السّفح إن بخلت
فإن يكنّ منك معضوداً يكنّ صلةً
وياصباها ألا اجدي من صبابتها
ورددني منك أذبال النسيم بنا
وزودينا فإنّ الطيب تمنحه
وياخمائل وادبها بنافحة
فما أعشاب ذاك الروض إن نفحت
ويازالل مجاريها إذا منعت
وياليالي وصلّ بالجمي سلقت
يشكو من الدمع طوفاناً وقد بخلت
ذي فكرة بنبال الوجد شائلة
تقسّمته تباريح الهوى شغفاً
وشقّ غرب الأسا من بعد شفته
فما لييلات ذاك العصر في زمن
والسود تخملّ عنا بيضه حسداً
وصائلّ البنين لا يالو بأسهمه
يارحمة لنزوح الدهر مطعمه
يُسدّد البنين سهميه ليصميه
وينشر الوجد في الأحشاء غارته
ويستغيث إلى السلوان يُنجدّه
يظلّ نحو مهافي الريح معترضاً
فالنفس تحيي وتفتي لوعة بهوى
وقد نشقنا من الأرواح أطيبها
وقلّ لريح الصبا أقصر فإن لنا

من كلِّ حبِّ شقيق القلب مودود
إلا شَفِينَا الحِشَا منهم بتبريد
فاعجب لِقُرْب كسوناهُ بتبعيد
أرواحنا وصفت من كلِّ تنكيد
ومسكهُ وهو مسكٌ غيرُ معهود
فقد ترجَّبت شيئاً غيرَ موجود
بالغيب لا من دمٍ في الجيد مقلود
علو إلى هيكل اللوث ممهود
لكن حياة ورَبِحَان لمفؤود
لفظٌ ، ولكن ثمين الدرُّ في الجيد
تنافسُ الدرُّ ربأت المناجيد
بلا جبين بنضح المَوج مكود
أمثاله في نحور الخرد الرُود
من فيك صافية لا من نواجيد
نكا نكائك لا من بنت عقود
شروبها من أذى نرقي وتنفيد
غضُّ بأجرع ذي شرجين معهود
من الحيا ساريات غير تصريد
مكتسياً ثوب جثاثٍ ويعضيد
فضحك الزهرُ مرتاحاً لتصعيد
بين الأحياء في ودِّ بتجديد
ووجنة الورْد أضحت ذات توريد
ويكتسي بعد عزي كلُّ أملود
فعدن في عُفوانٍ يوم تسخيد
نحور حورٍ ولكن غير منضود
فوق الوريقي بتطريب وتغريد
طوراً ومنخفضاً في كلِّ أخدود
من السماء بمنثور ومعقود

ريح إذا ما سرت أهدت لنا أريجاً
أحبةً ما نكرناهم على ظمياً
حلوا السويداءَ والحمراءَ منزلهم
إذا سرت سحرة أرواحهم حبيبت
وجاء فيها من العطار عنبره
مسك متى نرُج في الغزلانٍ مُشبهه
مسك وداذ من الأرواح منبعه
طيب به في صفاءٍ ثم أنزل من
وما الوداد الذي وافى وداذ هوى
وما كلام أبي العباس يبرزه
تنافست فيه لبأت الصدور كما
لله درك من عواص أبحره
ومخرج اللؤلؤ الرطب الذي عمدت
وممتع النفيس بالصهباء تفرغها
تديرها من بنات الفكر يعقدما
طابت مذاقاً وفاحت معبقاً ووقت
وما القريض الذي أبدى سوى زهر
سفته كاساً جوارى الجو سادله
فاهتر لما تعاطى الكاس منتشياً
بكت لتنزيلها من جوها حزناً
يمشي النسيم سفيراً من خمائله
والنرجس الغضُّ أبدى ثغره فرحاً
والدوخ تختال في أثوابها مرحاً
كأنما القصب قبل الغيث في هرم
والطل يحكي عليها الدرُّ تحمله
والورق تشدو وتطري قلب ذي شجن
والنهر كالأرقم المنساب مرتفعاً
بل جئت بالزهر لا بالزهر تنزلها

مجردات بتشمير وتجريد
ركبت منه على قيد الأوابيد
فربُّ طيبٍ من العطار محمود
حبوا إليك وألقت بالمقاليد
لنا فدانت وءاذنت بتعبيد
إذ صار وُدك علماً غير تقليد
فأصبح اليوم من أقوى المسانيد
من زاهر الودِّ فيحاء المقاليد
مستوطناً جار إيمان وتوحيد

هذا ولا غرو أن ترقى إلى أفق الـ
وأن تكون فنوص شارِد بحجي
وأن تفوق عبير عنبر خُلُقاً
فقد أنت لسنُ هذا الشأن زاحفةً
وقد ملكت بما أبديت أفئدةً
وصرت من ذاك قد قلدتنا منناً
وكان وُدك م الأرواح ترسله
وقد أبحنك منا روضة أنفاً
بل قد حلت من الأحشاء منزلةً

ومن شعر المترجم قوله :

فتأملت عقدها هل تناثر؟
نظم در من التيسم اآخر

كلمتني فقلت در نثير
وازدهاها تبسم فأرثني

توفي بمراكش عام 1105 وذكر بعضهم أنه توفي بعد ذلك وهو

مرجوح (136)

1625) احمد بن (محمد) الشاذلي الدلاني ، فقيه أديب من الأسرة

الدلانية الشهيرة بالمغرب ، ولد بالزاوية الدلانية وأخذ بها عن أبيه وعلماء
أهله والوافدين عليهم من الفقهاء والأدباء ، وكان فقيها ماهراً أديباً ممتازاً ،
فارس النظم والنثر ضارباً في فنون من المعرفة بسهم مصيب ، خرج من
الزاوية بعد استيلاء السلطان مولاي رشيد العلوي عليها ونسف عمراتها ،
وغرب مع أهله إلى تلمسان ، ولما عفا عنهم السلطان مولاي اسماعيل

136) الإكليل والتاج (اطروحة مرقونة) ص 179 والتقاط الدرر 2 : 290 والإعلام ، بمن حل
مراكش وأغمات من الاعلام 2 : 326 ع 244 وحركة الأدب في المغرب على عهد مولاي إسماعيل
(اطروحة مرقونة) ص 101 - 130 - 1508 والطب والأطباء في المغرب (تأليف ذ . عبد العزيز بنعبد
الله) ص 84 وطبقات الحضيكي 1 : 111 و المنتخب من شعر ابن زاكور ص 76 و صفة من انتشر
ص 214 والعلم والفكر في مطلع العصر العلوي (اطروحة مرقونة) ص 105 وديوان اليوسي (مصور
مخطوط) ص 67 والفتية اليوسي ص 98 وفهارس مخطوطات الخزانة العامة 3 : 112 والشعر
الدلاني ص 135 واليوافيت الثمينة 1 : 36

وعادوا إلى فاس أقبل المترجم به على الاقراء والتدريس بها ، وكان فصيح اللسان له تقابيد كثيرة ومكاتبات وأسجاع وأشعار لم أقف على شيء منها بعد البحث الشديد عنها .

وإليه أشار محمد بن أبي بكر اليازغي في منظومته المسماة (حدائق الأزهار الندية ، في التعريف بأهل الزاوية الدلانية البكرية) بقوله بعد ذكر والده محمد الشاذلي :

ومنهم ذو الضبط والتحصيل وصاحب الإكرام والتجليل
أحمد محمود الورود والصدر ونزهة النفس وروضة الفكر
أخذ عن جماعة أعلام وعن أبيه قدوة الإسلام
توفي بفاس عام 1106 ودفن بروضة أهله الكائنة بالكخادين (137) .

1626 (أحمد بن عيسى الغرياني ، فقيه ليبي ، ولد بطرابلس عام 1014 وتفقّه بعلمائها ، وكان عالماً عاملاً حريصاً على الحق شديد التمسك به ، يحكى أن عثمان باشا حاكم طرابلس التركي حبس أملاكه على بنيه ، وسأل بعض الفقهاء فأفتوا بصحة التحبيس (138) وشهدوا به وأفتى هو ببطلانه ورفض إمضاء وثيقته اعتماداً على ما عند القرافي في (الفروق) ، وكان الحق في جانبه ، فسجنه الباشا على ذلك ، وكثيراً ما نالته الاذاية بسبب حرصه على الإفتاء بالمشهور .

مات بطرابلس عن سن عالية ضحى يوم الاثنين 10 شعبان عام 1108 (139) .

1627 (أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي ، فقيه كبير من أهل فاس ولد بها عام 1042 وأخذ بها عن أحمد (حمدون) الأبار ، (6 : 51

137) البيدور الضاوية (أضروحة مرقونة) ص 810 وحدائق الأزهار الندية (محظوظة مصورة) ص 10 والحركة الأدبية في المغرب ص 225 وسلوة الأنفاس 2 : 98 واليوافيت الثمينة 1 : 37 .

138) الخبث في اصطلاح المغاربة هو الوقف في اصطلاح المنارة .

139) أعلام ليبيا ص 43 والتذكار ص 235 واليوافيت الثمينة 1 : 37 .

ع 1585) وأحمد (حمدون) المزوار وأحمد بن عبد الرحمان ابن جلال التلمساني (6 : 62 ع 1596) ومحمد بن أحمد ميارة وعبد الله بن محمد العياشي وغيرهم ، ولازم الشيخ عبد القادر الفاسي وأخذ عنه جل مروياته وهو عمدته وعليه مدار إسناده في الغالب ، ولما رحل إلى الحج عام 1078 نفي بالقاهرة ومكة والمدينة جماعة من العلماء استفاد منهم وأجازوه .

وكان ماهرا في الفقه حسن التبليغ في التدريس صبورا على المباحثة متحملا جفاء الطلبة ، خبيراً بفن القراءات انتفع به خلق كثير وتخرج به جماعة من نجباء الطلبة كأحمد الجرندي وإدريس المنجرة والحسن ابن رحال المعداني ومحمد بن احمد القسنطيني .

لم يتصد للتأليف لانصرافه إلى التدريس ، وله نقايد وتقايد وإجازات ، وقطع شعرية صغيرة لا يرقى بها إلى مصاف الشعراء ، وجمع تلميذه محمد بن عبد السلام بناني فهرسة بإذنه ذكر فيها أسماء بعض شيوخه ومروياته ، وكانت هذه الفهرسة موضوع أطروحة أعدها الطالب الحسن حالي ونوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط خلال الموسم الجامعي 90 - 1991 .

وفي بداية عام 1105 رشحه السلطان مولاي إسماعيل لولاية قضاء فاس الجديد بتوجيه من الشيخ أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي فامتنع المترجم من ذلك وأبى ثم قبله على مضض مخافة أن يتغير عليه خاطر السلطان ، فتولاه يوم 22 محرم ، فحمدت سيرته فيه وثبت عدله ، وكانت العادة جارية أن القاضي بفاس الجديد هو الذي يتولى خطابة مسجدتها الأعظم وصلاة العيد ، ويصنع اليهود كسوة للخطيب كل عيد من الجزية فصنعوها له وأتوا بها يوم العيد فردها عليهم وضرب بها وجوههم ، فلما بلغ السلطان ذلك اكبره وبعث إليه بكتاب إطرأ وتنويه سننبتة فيما بعد .

ومن تحريه وورعه أنه كان يجمع الأجر الذي يقبضه من الأعباس على القضاء في ربيعة (140) ، فلما حضره الموت أخرج الربيعة وحلف

أنه لم ينتفع منها بدائق ، وأوصى أن يُشترى بما فيها حائطٌ أو ربعٌ يُحبس على المسجد الجامع بفاس الجديد ، فنفذت وصيته بعد وفاته ، واشترى حمام الإمام إدريس الواقع قرب ضريحه ، وفعله هذا يشبه فعل الشيخ محمد بن عباد الرندي الذي كان يُصلي إماماً بجامع القرويين ، ووجد جميع ما قبضه من أجر على الإمامة مجموعاً فاشترى به حمام حومة القطنين المسمى باسمه وحبس على جامع القرويين .

ومن مواقفه السياسية الدالة على تمسكه بالحق وصلابته في الدين رفضه التوقيع في الدفتر على تملك حراطين (141) فاس واستعبادهم لما ورد كتاب السلطان بذلك وقرىء على المنبر ، فانه تضجر من ذلك والتجأ إلى ضريح الإمام إدريس ، ورثي فيه وهو يبكي استنكاراً لاستعباد الأحرار ، ثم قضى نحبه بعد ثلاثة أيام نكداً وهماً .

من قطعته الشعرية القليلة قوله يستعطف الإمام إدريس الثاني دفين فاس ويحث على زيارته :

فليس سواه في المهمات يُعتمد
وأسيئت في هم وأصبحت في نكد
له السؤدد المخصوص عند نوي الرشد
سنام العلاء ، والمكرومات بلا عدد
فليس يضيع من لجانبه استند
تقاعس عنها كل من قام أو قعد
أناخوا ركاباً كلهم يرتجي المدد
فحاشا يخيب من إلى جودكم وقد
بها أمر المختار حقاً بلا فند
كسوتهم ثياب اليسر والعيشة الرغد
وذي علة أعيت فزالت إلى الأبد
على فنة جاءت لتصلح ما فسد

خليلي ثق بالواحد الأحد الصمد
وإن ضيقت ذرعاً بالذنوب وحملها
فزرت نجل سبط المصطفى الحسن الذي
إمام ذوي العلياء إدريس من له
ولي زكي هاشمي مرقع
حبابه إله الخلق مجدداً ورتبة
فيا ابن الرسول زائرون ببابكم
فأنجز قراهم سيدي من نداكم
إجازة وفد شيمة نبوية
فكم من كسير قد جبرتم ومعدم
وكاسف بال قد رددتم بحبرة
فيا ابن الكرام عطفة وتكرماً

(141) الحراطين جمع حرطان وحرطاني اسم يدل على ناس سمر الألوان يحتلون طبقة وسطى بين طبقة الأحرار وطبقة العبيد ، فهم كالموالي عند العرب .

تَسْعُهُمُ وَالْأَصْحَابَ وَالْأَهْلَ وَالْوَالِدَ
عَلَيْهِ صَلَاةٌ لَا تُحَدُّ وَلَا تُعَدُّ

أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ مِنْ عَنَابَتِكَ الَّتِي
بِحَاكِهَا أَبْيَكُمُ سَيِّدُ الْخَلْقِ أَحْمَدُ
وَقَوْلُهُ فِيهِ أَيْضًا :

يَا مُلْجَأَ لِلْوَالِيَةِ الْمُتَحَيِّرِ
وَالْفَضْلِ وَالْمَجْدِ الرَّفِيعِ الْأَشْهَرِ
إِنْ هَالَنِي أَمْرٌ فَطِيعُ الْمَنْظَرِ
فَوَجِدْتُ بِحَرْبِ الْجُودِ غَيْرَ مُكَدَّرِ
بِشَرِيفِ جَاهِكُمُ الْعَلِيِّ الْأَكْبَرِ
فُورِنْتُ بِهَا أُخْرَى بِغَيْرِ تَأْخُرِ
نَيْلُ النَّجَاحِ مَعَ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
حَازَ الْمَفَاخِرَ كَابِرًا عَنِ كَابِرِ

يَا بِنُ الرَّسُولِ الْهَاشِمِيِّ الْأَطْهَرِ
يَا قُطْبَ دَائِرَةِ السَّمَاةِ وَالنَّوَا
يَاسِيدِي ، نُحْزِي ، وَعِزِّي ، عُدَّتِي
إِنِّي أَنْخَتُ رِكَائِبِي بِفَنَائِكُمْ
وَقَصَدْتُكُمْ مَتَوَسِّلًا مَتَشَفِّعًا
كَيْمَا أَفُوزَ بِحُجَّةٍ مَبْرُورَةٍ
وَعَهَدْتُ مَهْمَا زَرْتَكُمْ فِي لَيْلَةٍ
فَأَمْنُنْ عَلَيَّ بِمَنْيَتِي يَا سَيِّدَا

وكان المترجمُ ممدوحاً من الكتاب والشعراء مدحوه في الحياة وأبْنوه
بعد الممات ، فمن ذلك قول الشاعر محمد بن قاسم ابن زكوز الفاسي يمدحه
عام 1093 :

وَكَمْ كَبِدِي تُفْرِي وَكَمْ عَبْرَتِي تُذْرِي
أَتَاخَ لِي الْأَحْزَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
لَدَى الصَّدْفَيْنِ الْمَشْرِقَيْنِ عَلَيَّ الْحَمْرَا
وَزَادَكَ إِمَامُ الصَّبَا بِهَجَّةٍ أُخْرَى
وَنَثَّتْ لَكَ الْأَرْوَاحُ مِنْ طَيْبِهَا نَشْرَا
مُنْضَرَّةً أَدَكَّتْ لَطْفِي كَبِدِي الْحَرَّى
تَجَلَّى عَلَيَّ أَطْوَاقِهِ وَجْهَهُ بَدْرَا
فَأَكْرَمَ بِهِ بَدْرًا وَأَعْظَمَ بِهِ خُمْرَا
وَنَوَّرَ الصَّبَا غَضُّ سَفَاهِ الْحَيَا نَوْرَا
عَلَى ضَيْقَتِي نَهْرَ بَشْنَيْلٍ قَدْ أَرَى
وَفَتْ ذُبَالُ الشَّمْعِ فِي مَثْنِهِ تَبْرَا

لِي اللَّهُ كَمْ قَلْبِي يَذُوبُ مِنَ الذِّكْرَى
حَنِينِي لِمَنْ قَدْ شَطَّ عَنِي مَزَارُهُمْ
فِيَا دَارَنَا الْغُرَا عَلَى الرَّبْوَةِ الْخَضْرَا
سَفَاكِ رَدَاذُ الْغَيْبِ مِنْ بَعْدِ وَبَلِّهِ
وَحَيْثُكَ أَنْفَاسُ الْأَزَاهِرِ مَوْهِنَا
ذَكَرْتُ بِمِغْنَاكِ الْكَرِيمِ مَعَاهِدَا
لِيَالِي خَدْنِي كُلِّ يَمْنُودٍ (142) أَعْيِدِ
يَبِيْتُ يُعَاطِبُنِي سَلَافَ رَحِيقِهِ
إِذِ الدَّهْرُ دَهْرٌ وَالزَّمَانُ مُسَاعِدٌ
وَلِلَّهِ لَيْلٌ فِي رُبَاكِ سَهْرَتِهِ
كَسَاهُ ضِيَاءُ الْبَدْرِ لِأَمَّةٍ فِضَّةٍ

عُطَارِدُ وَالْجُوزَاءُ وَالْقَطْبُ وَالشَّعْرَى
وَقَدْ مَدَّ جَيْشُ اللَّيْلِ أَلْوِيَةَ سَمْرًا
وَبَاتَتْ نَجُومُ الْأَفْقِ تَزْجُرُهُ زَجْرًا
قَوَارِيرُ بَلُورٍ عَلَى لَجَّةِ خَضْرَا
صَرِيحُ هَوَى قَدْ نَالَ مِنْ حَبِّهِ هَجْرًا
وَهَيْهَاتَ ! أَمَا الصَّبْرُ عَنْهَا فَلَا صَبْرَا
وَحَنَّتْ لَهُ كَيْمَا تَشَدُّ لَهُ أَرْزَا
وَلَمْ تَسْتَطِعْ عَبْرًا شَقِيقَتَهَا الْأُخْرَى
وَتُرْسَلُ مِنْ أَحْقَانِهَا عَبْرَةَ عَبْرَى
وَقَدْ عَاقَهَا الْعِيُوقُ عَنْ قِصْدِهَا قَسْرَا
سَنَا شَيْخِنَا ابْنَ الْحَاجِّ فِي حَلْفَةِ الْإِفْرَا
إِذَا لَمَحُوا أَنْوَارَهُ فِي الدُّجَا تَنْرَا
أَبْدَرُ بَدَا أَمْ بَارِقٌ قَدْ سَرَى مَسْرَى ؟
نَجَى الْوَهْمُ فَانْزَاحَتْ دِيَا جَبْرِهُ نَفْرَى
وَيَانُورُ مَا أَجْلَى سَطُوعِكَ إِذْ أَوْرَى !
فَشَاهَدَهَا مِنْ كَانَ لَا يَبْصُرُ الْبَدْرَا
وَخَوْلَهُ عِلْمًا وَأَعْظَمَ بِهِ فَخْرَا
وَقَدْ وَجَمُوا قَالَتْ طَلَاقَتَهُ بَشْرَى
وَخَاطَبَهَا سَرًّا فَدَانَتْ لَهُ جَهْرَا

* * *

بِقَلْبِي وَأُنْكِي الْوَجْدُ فِي كِبْدِي جَمْرَا
يُودُونَنِي جَهْرًا وَيُودُونَنِي سَرًّا
أَبْحَنُهُمْ مِنْ الْأَضَالِعِ وَالصَّدْرَا
أَنَا الْكُوكَبُ الْوَهَّاجُ فِي اللَّيْلَةِ الْغَرَّا
لَأَوْلِيَتُهُمْ مِنْ مَقُولِي الْبِطْشَةَ الْكَبْرَى
تَوَزُّهُمْ أَرَا وَتَنْظُرُهُمْ شَرْرَا
فَلَا يَجْنُونَ الدَّهْرَ فِي حَرْبِهَا نَصْرَا
سَمَتْ لِلْعَلَا لَا تَرْضَى أَبْدَا غَدْرَا

فَشَبَّهَ بِهِ نَهْرَ الْمَجْرَةِ حَلَّةُ
أَدْرْنَا عَلَيْهِ الرَّاحِ رَاحِ مَسْرَةِ
وَأَرْخَى عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ سُنُورَهُ
كَانَ الذَّرَارِي الشُّهْبُ فِي كِبْدِ السَّمَا
كَانَ سُهَيْلًا إِذْ تَأَلَّقَ مُفْرَدَا
يُرِيدُ التَّرْيَا وَالْبِعَادُ يَعْوُقُهُ
وَقَدْ رَفَّتِ الشَّعْرَى الْعُبُورُ لِحَالِهِ
وَقَدْ عَبْرَتْ نَهْرَ الْمَجْرَةِ نَحْوَهُ
لِذَلِكَ مَا تُؤَلِّي أُنَيْنًا وَزَفْرَةَ
تُرِيدُ أَخَاهَا إِذْ أَضَرَ بِهِ النَّوَى
كَانَ ضِيَاءَ الْبَدْرِ وَالشُّهْبُ حَوْلَهُ
يَكَادُ يُرِيدُ الْجَاهِلِينَ شِعَاعَهُ
يَقُولُونَ جَهْلًا إِذْ أَضَاءَ مَعَالِمَا
بَلَى ! إِنَّهُ نَوْرُ الْهَدَى لَاحَ فِي الدُّجَى
فَيَاوَهُمُ مَا أَدْجَاكَ فِي أَعْيُنِ الْوَرَى
تَجَلَّتْ بِهِ حُورُ الْعُلُومِ عِرَائِسَا
إِمَامٌ حَبَاهُ اللَّهُ جِلْمًا وَسُودَدَا
إِذَا اسْتَصَعِبَتْ غُرُّ الْمَعَانِي لِمَعِشَرِ
وَرَوْضَهَا حَتَّى تَذَلَّ صَعْبَهَا

بَعِيشِكَ أَنْصَبْتُ لِي فَقَدْ بَرَّجَ الْجَوَى
أَعْنَدَكَ أَنِّي قَدْ بُلَيْتُ بِمَعِشَرِ
عَلَى أَنَّنِي لَا دَرَ لَلَّهِ دَرُهُمْ
يُودُونَ إِخْفَانِي وَهَيْهَاتَ إِنَّمَا
فَلَوْلَا سَمَاءُ الْعِلْمِ تَهْوِي نَجُومَهَا
وَجِنْدَتْ مِنْ فِكْرِي إِلَيْهِمْ كِتَابِنَا
وَتُصْمِيهِمْ حَيْثُ اسْتَقَلُّوا سِهَامَهَا
وَلَكِنْ أَبَتْ لِي هَمَّةٌ أَدْبِيَّةٌ

وهاك عروساً من بُنَيَاتِ خَاطِرِي تُطَاوِلُ خُوداً أَلْبَسَتْ خُلَا حَمْرَا
شَرِيفَةً قَدْرٌ لَمْ أَجِدْ كَفْوَأَ لَهَا سِوَاكَ - أَمَا الْعَبَّاسُ - فَاهْنَا بِهَا بَكْرَا
رَشُوفاً أُنُوفاً عَذْبَةً الْقَوْلِ غَادَةً مُعْطَّرَةً أَرْجُو الْقَبُولَ لَهَا مَهْرَا
فَلَا تَنْتَقِذْهَا بِالْمَلَامِ فَإِنِّي أَحْمَلُهَا بَيْتاً يَكُونُ لَهَا عُدْرَا :
فَإِنَّ الَّذِي يُهْدِي إِلَى مَصْقَعِ شَعْرَا نَظِيرُ الَّذِي يُهْدِي إِلَى طَيْبَةِ ثَمْرَا

ونختّم هذه الترجمة بإيراد الرسالة التي بعث بها السلطان مولاي إسماعيل إليه بعدما بلغه خبر قبوله خطة القضاء بفاس الجديد ونصّها :

إلى الفقيه العلامة ، الصدر الفهامة ، المدرس البركة الحجة ، القاضي الأعدل ، مُحَبِّبًا أَبِي الْبَرَكَاتِ ، السيد احمد ابن الحاج ، حفظه الله ورعاه ونفعنا بمحبته ءامين .

سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاته ولا متعرّف بحمد الله إلا الخيرُ والعافيه ، ونِعْمَ اللهُ السَّابِغَةُ الضَّافِيَةُ ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَشْكُرُهُ وَنَسْتَزِيدُهُ مِنْ خَزَائِنِ نِعَمَاتِهِ الْوَافِيَةِ .

وبعد فإنّه قد ورد على أبوابنا العالية بالله الرجل الصالح السيد أحمد بن ناصر بقصد الزيارة ، وحين التقينا معه طلبنا منه بدل النصيحة والدلالة على رجل من أهل الظاهر وسرّ الباطن نستعين به على أمر ديننا ودنيانا وما نحن بصددّه من أمور الخلافة ، وأكّدت عليه في ذلك ، وحين فهم الرغبة منا والجهد لنا عليك ، وقال لنا فيما يرويه عن والده سيدي محمد ابن ناصر رحمه الله وإن العارف بالله الفقيه السيد أحمد بن العربي ابن الحاج رجل من بيت كبير علماً وصلاً ورُهداً ، رجل من أهل السرّ الباطن متبحر في العلوم الدينية واللدية يتولّى خطة القضاء بالمدينة البيضاء أواخر عمره ، نجل الإمام الوليّ العالي العارف الربّاني ، صاحب الكرامات أبي إسحاق إبراهيم ابن الحاج البليغي السلمي دفين مراكش (1 : 82 ع 84) نسبه إلى العباس بن مرداس ، وقد كان أخبرنا بهذا العلامة الهمام السيد الحسن اليوسي عن شيخه المذكور وسمعه من غيرهما ، فلاح لنا بذلك أنّ السرّ من أهله ، والدرّ من معدنه ، (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ، فحمد الله الذي جمع

لنا فيك ما نُحِبُّه : شرفُ العلمِ وعلوُ النَّسَبِ ، فأسْهُمْنَا من دعائك الصالح في خلواتك وجلواتك ، وابدُلْ لنا النصْحَ الواجبَ لنا عليك .

وقَدْ شُكِرْنَا لَكُمْ صَنِيعَكُمْ كَوْنَكُمْ امْتثلْتُمْ أَمْرَنَا وساعدْتُمونا على تَوَلِّيَتِكُمْ الخِطَّةَ وَأَطَعْتُمُ اللهَ بطاعتِنَا ، بارِكْ اللهُ فيكُمْ ، ذلكَ الظَّنُّ فيكُمْ ، والمعهودُ من صالحِ مَحَبَّتِكُمْ ، فَقَدْ كُنْتُ مُهْتَمًّا من عَدَمِ قَبُولِكُمْ تلكَ الخِطَّةَ وَبِتَغْيِيرِ خَاطِرُنَا عَلَيْكُمْ ، فَحِينَ وَصَلَنِي قَبُولُكُمْ لَهَا وامْتثالُ أَمْرِنَا سجدتُ لله شُكْرًا ، وَوَاللهُ ما حَمَلَنِي على تَوَلِّيَتِكُمْ تلكَ الخِطَّةَ إِلا إِحْيَاءُ شُعَائِرِ الدِّينِ من بعدِ غرْبَتِهِ كما قَالَ عليه السَّلامُ : بدأ الدِّينُ غريباً وسيعودُ غريباً فطوبى للغرباءِ ، وأنتَ منهم .

وتَقَرَّرَ عِنْدِي سِيرَتُكَ الجميلةَ ، وَوَصِفْتَ لَنَا أوصافَكَ الحميدةَ الغريبةَ الجليلةَ ، التي عَزَّ وجودُها في هذا الزمانِ ، فهي التي تدلُّ على علوِ نَسَبِكَ وحسبِكَ ودينِكَ ، وخصوصيتِكَ من بينِ أَهْلِ زمانِكَ ، نفعَكَ اللهُ ونفعَ بكِ ، وأسعدنا بمعرفتِكَ ، ونفعنا بِمَحَبَّتِكَ .

فَقَدْ أَخْبَرْنَا أَنَّ أَهْلَ الدِّمَّةِ أَخْزَاهُمُ اللهُ أَتَوْكَ لَيْلَةَ العِيدِ بِمَا وَظَّفَنَاهُ عَلَيْهِمُ من كِسْوَةِ القَاضِي التي يَخْطُبُ بِهَا خُطْبَةَ العِيدِ ، فَضَرَبْتَ بِهَا وَجوهَهُم ، وَأَبَيْتَ قَبُولَهَا مِنْهُمْ ، فَأَنْهَوْا الأَمْرَ لِشَيْخِهِمْ بَعْدَ أَنْ عَزَمْتَ على عَقوبَتِهِمْ أَشَدَّ العَقوبةِ ، فَذَكَرَ لِي أَنَّكَ امْتَنَعْتَ من قَبُولِهَا ، فَجَزَاكَ اللهُ عَنَّا خَيْرًا ، فَمِثْلُكَ في هذا الزمانِ وَجودُهُ أَعَزُّ من الكَبْرِيتِ الأَحْمَرِ .

وأخبرنا خَدِيمُنَا الناظِرُ رضوانَ وَأَنَّكَ امْتَنَعْتَ من قَبْضِ ما كانَ يَقْبِضُهُ أمثالُكَ من الأوقافِ ، وَإِنَّمَا قَبِلْتَ من ذلكَ شَطْرَهُ مَعَ ما أَنهَى إِلَيْنَا من تحريكِ في الأحكامِ وتوقُّفِكَ في المسائلِ وَرَدَّهَا إلى غيرِكَ مَعَ غِزَارَةِ عِلْمِكَ وتضلُّعِكَ في الفقهِ ، فالصمدُ لله الذي أنعمَ علينا بوجودِ أمثالِكَ في دولتنا نستعينُ به على أمرِ الدينِ ، فاللهُ سبحانه يُعِينُنَا على القيامِ بالواجبِ لكِ عَلَيْنَا ءامِينِ .

وأطالَ إلى أن قال :

ءأمرُ باحترامِ دارِكَ وقِرابَتِكَ وَمَنْ لَه أدنى انتسابِ إِلَيْكَ ، فدارُكَ جعلناها حرماً وزاويةً ، فَمَنْ لادَّ بِهَا واحترَمَ فعلِهُ أَمِنَ اللهُ وَأَمُنَّا ، وَمَنْ تَعَدَّى أَمْرَنَا في ذلكَ خَلَعَ ذَمَّةَ اللهِ وخالفَ أَمْرَنَا .

والله تعالى يتولى هُداك ، وينفعنا بمحبَّتكَ ، ولنا عليك مزيدُ الدعاء
في سائر خلواتك وجلواتك وتوجُّهك لنا بقلبك ، فالله سبحانه يُوفِّقنا لطاعته
وامتثال أمره ءامين ، ياربِّ العالمين ، والسلام .
وبه كُتِبَ أواسط صفر الخير عام 1105 .

تُوفِّي بفاس في 1 ربيع الأول عام 1109 ودفن بروضة سيدي عزيز
بالدرب الطويل ، وله عقبٌ سكنوا درب الرندي بوسعة العيون ، وأدركتُ
فريقاً منهم يسكنون بالدرب الواقع أمام ضريح سيدي محمد ابن الفقيه من
نفس الحومة (143) .

1628) أحمدُ بنُ محمد السلامي العلمي ، فقيه مغربي ينتمي إلى
الأسرة العَلَمِيَّة الشريفة من فرقة بني عبد الوهاب سكان جبل العلم بقبيلة بني
عروس القريبة من مدينة تطوان (144) ، رحل إلى فاس وقرأ على
شيوخها، ولما أتمَّ دراسته عادَ إلى موطنه وعُيِّن قاضياً به وعقد مجالس
لتدريس طلبته .

مات عام 1109 (145) .

143) أزهارُ البستان لابن عجيبة (مخطوط مصور) ص 179 والأزهارُ العاطرةُ الأنفاس ص
45 والإكليل والتاج (أطروحة مرقونة) ص 181 والتقاطُ الدرر 2 : 273 والبدورُ الضاوية (أطروحةُ
مرقونة) (643 - 644) و 652 و 653 والحركة الأدبية في المغرب على عهد مولاي إسماعيل
(أطروحة مرقونة) ص 37 و 1137 والحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 136
والدرر البهية 2 : 327 ورياض الورد 1 : 62 ومباحث الأتوار (أطروحة مرقونة) 2 : 92 والموسوعة
1 : 64 و 3 : 115 والمورد الهني ، ونشرُ المثنائي 3 : 83 وصفوةٌ من انتشار ص 223 والعلم
والفكر في مطلع العصر العلوي ص 102 وفهارسُ علماء المغرب (أطروحة مرقونة) ص 737
وفهرسةُ ابن الحاج (أطروحة مرقونة) ص 49 وفهرسُ الفهارس والأثبتات 1 : 117 وقضاة فاس
(نسخة مرقونة) 3 : 12 وسلوة الأنفاس 1 : 153 وشجرة النور الزكية 1 : 327 واليوافيت الثمينة
1 : 37 والدرُّ المنتخب المستحسن (مخطوط مصور) 6 : 350 و 389 .

144) بني عروس قبيلة جبلية شديدة الباس باقليم العرائش ، بطونها ست : ايباط ، بني ومراس ،
المدائر ، عزابة ، وراء الظهر ، يركود .

من أشهر قراها تازروت ، وبها ضريح الشيخ الشهير عبد السلام بن مشيش الادرسي الحسني .

145) نشر المثنائي 3 : 83 .

(1629) أحمدُ بنُ محمد القادري اليميني ، فقيهٌ صوفي ، يميني الأصل ، مصري الولادة ، مغربي الاستيطان والممات ، ينتمي بنسبه إلى الشيخ الشهير عبد القادر الجيلاني دفين بغداد .

ولد في حدود عام 1040 بقرية معلق الواقعة على شطّ النيل بين صعيد مصر وأرض الحبشة ، وكان لأهله بها إمارةً وجاه ، ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره خرج سنة 1075 من بلده بقصد الحج وطلب العلم والجهاد ، فحجَّ وزارَ بلاداً كثيرةً ولقي عدداً كبيراً من الفقهاء والعلماء سيما مشايخ الصوفية ، ودخل السودان والصحراء وجال كثيراً في مناكبها ، وأثناء تجوُّله لقيه عدد من المتصوِّفة وشيوخ الزوايا كالشيخ أحمد الصادق بن أويس التاركيّ اللمتوني (6 : 73 ع 1607) والشيخ عبد الله بن عبد الجليل البرناوي فأخذ عنهم وانتفع بهم ، وما زال ينتقل من بلدٍ إلى آخر حتى انتهى به المطافُ إلى سجلماسة من أرض المغرب الأقصى ، فألقى عصي التسيار واستقرَّ بها مدةً عزيزاً مكرماً ، ولما كان مُقيماً بها سمع كثيراً عن فاس وتبحرَ عمرانها ووفرة من بها من رجال العلم والصلاح ، فسافر إليها ودخلها يومَ 28 جمادى الأخرى من عام 1079 فنزل بعلية مسجد السراج المعروف اليوم بجامع الأبارين وأقام بها سنتين مشمراً على العبادة والناسُ يقصدونه للزيارة إلى أن تمكنت المعرفة بينه وبين الشيخ أحمد بن عبد الله معن الأندلسي فسعى في تزويجه ونقله إلى السكنى بحومة المخفية سنة 1090 وأجرى عليه ما يقوم به ويسائر ما يحتاج إليه ، وهناك أقبل عليه الناس من لالة فَمَن دونهم للزيارة والتماس البركة وطلب الدعاء وسماع دروس فقهيةٍ كان يُلقِيها شارحاً بها مختصراً الشيخ خليل بن اسحاق المصري .

وفي ليلة الاثنين 18 شعبان عام 1092 خرج من فاس قاصداً بلاد نيجيريا الحالية لزيارة شيخه عبد الله البرناوي صاحب زاوية برنو ، ولما وصلها وجدته قد مات فعادَ إلى فاس عام 1094 وأقام بها يُدرِّسُ الفقه بزاوية صديقه أحمد بن عبد الله معن وينشرُ الأفكار الصوفية والناس يقبلون عليه ويستمعون إليه إلى أن مات .

وهذا الرجل لئس على شرطي في هذا الكتاب ، وهو من الاستثناءات القليلة فيه ، وإنما ذكرته لاهتمام الناس به وانشغال الأفكار به وكثرة الأخذين عنه والمنتسبين إليه والمصدقين بما كان يدعيه أو يدعونه له من خصوصيات وكرامات وتصرف عام وكشف قوي تام ، كزعمه أو عمهم أنه قطب الأقطاب والغوث الجامع ، وأنه يلقي الخضر ويعرف اسم الله الأعظم ، وأنه كشف له جميع ما يقع في الوجود ، الشيء الذي يدل على حالة الأفكار في ذلك الوقت وفي عاصمة إسلامية عظيمة كفاس وماغشها من أوهام واران عليها من جهالة جهلاء .

توفي بفاس قرب طلوع الفجر من ليلة الخميس 1 رجب عام 1113 وافتتن الناس عند الصلاة عليه فكسروا نعشه ومزقوا حصيرته وكادوا يقتتلون فيما بينهم ، حتى اضطر حاكم البلاد لإرسال قوة لتفريقهم ، ودفن بالقبب خارج باب فتوح (146) .

1630) أحمد بن حسين البهلول الطرابلسي ، فقيه صوفي من أهل طرابلس الغرب ، وُلد بها ونشأ وأخذ مبادئ العلم عن شيوخها ، ولما شب ارتحل إلى مصر لطلب العلم ، فأخذ عن شيوخ مبرزين في الفقه وعلم الكلام مثل أحمد البشبيشي الكبير ومحمد الخرخشي وعبد الباقي الزرقاني وحسن الشرنبلالي ، ثم حج وعاد إلى بلده ، فجلس به للإقراء والتدريس .

وكان فقيهاً نحوياً نال حظاً وافراً من العلوم الدينية واللغوية والأدبية ، مدح شعراً ونثرأ من كثير من المغاربة والمشاركة ، لكنه كان على ذلك بنيسا سيء الحظ قُدّم عليه من دونه .

(146) الإكليل والتاج (أطروحة مرقونة) ص 180 والتقاط الأدرر 2 : 281 والأعلام للزركلي 1 : 239 والتعريف بأبي العباس أحمد اليميني (مصور مخطوط) ، وحركة الادب في المغرب على عهد المولى اسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 1476 وكناشة العربي القادري (مصور مخطوط) ، ومباحث الأنوار (أطروحة مرقونة) 2 : 195 والمقصود الأحمد (مصور مخطوط) ، ونشر المئاني 3 : 121 وصفوة من انتشر ص 219 والعلم والفكر في مطلع العهد العلوي ص 309 وفهارس الخزائن العامة بالرباط 2 : 215 وسلوة الأتفاس 2 : 334 والبيواقيث الثمينة 1 : 38

خَمْسَ القصيدِ العياضية (147) في مدح رسول الله (ص) ، وله قطعٌ شعريٌّ في الغزل لا تتعدى الواحدة منها البيتين ، وأنظماً ركيكةً في الفقه المالكي والحنفي لا تؤكدُ النعوتَ البراقةَ والصفاتِ الفضاضةَ التي أضفاها عليه مؤرخو بلده وأدباؤه بدافع العصبية المحلية ، ورأيي فيه أن شهرته وعناية الناس به إنما جاءت من تخميسه للقصيدِ العياضية المرتبة على حروف المعجم ، ومن بعض أرجالهِ الصوفية في التوكل والمديح ، كالقصيدِ البهلوية التي أولع الناسُ في بلاد كثيرة بإنشادها في مختلف المناسبات ، وءاثاره الأدبية مجموعةٌ في ديوان يُسمى (ديوان أحمد البهلول) عني بتقديمه وتحقيقه علي مصطفى المصراطي .

فمن شعره ما خمسَ به بعضَ أبياتِ حرفِ الهمزة من القصيدة العياضية :

أذوبُ اشتياقاً ، والفؤادُ بحسرة وفي طي أحشائي توقدُ جمره
متى ترجعُ الأحبابُ من طولِ سفرة (أحبةٌ قلبي عللوني بنظرة
فدائي جفاكم والوصالُ دوائي)

رحلتمُ وخلفتمُ فوادي مُعذباً يهيمُ بكم بين المراعِ والرِّيا
وفي كيدي نارٌ تزيدُ تلهباً (أجنُ إليكم كلما هبت الصبا
فيزدادُ شوقي نحوكم وعنائِي)

ومن أبياتِ حرفِ التاء :

أياعادلي دعني ومن لو رأيته لهمتُ اشتياقاً نحوهُ وهويته
فصرخُ بذكري عندهُ إن لقيته (تحالفٌ وجدي والغرامُ فليته
يرقُ لحالي في هواه وذلتي)

147) القصيدُ العياضية يتبادر إلى الذهن أنها منسوبةٌ للقاضي عياض بن موسى البحصبي السبئي دفين مراكش ، ولكن لم ينسبها له أحدٌ ممن أرخوا له وعُتوا بجمع ءاثره الأبنية ، سيما أحمد بن محمد المقرئ التلمساني الذي ألف عن القاضي عياض كتابه الحافل (أزهار الرياض) وخصَّ فصلاً من فصوله لأشعاره ، والذي لم يكن ليغفلها لو عرف أنها له .

تمكّن في الأحشاء كلّ التمكّن وصافينته في الودّ من كلّ مُمكن
ولما رأيتُ العمرُ في الصدّ قد فني (تغرّلتُ في شعري به غيرَ أنني)

رجعتُ إلى مدح النبي بهمتي)

هو المصطفى حقاً لقد شرف اسمه وقد جُلّ عن وصفٍ وقد تمّ رسمه
نبيّ كريمٍ قد تعاضمَ حكمه (تلوثُ به مدحاً حكى الشهد طعمه)

وأنفَعُ ما يَبْزَا به داءُ علّتي)

ومن حرف الطاء :

نبيّ هدايا للصوابِ وسبيلِهِ حبيبٌ إلى الرحمانِ خاتمُ رسله
وما أبدعَ الأكوانَ إلا لأجلِهِ (طربتُ لِمَا ألهمتُ من نكر فضليه)

وقد زالَ عنا البؤسُ وارتفعَ السخطُ)

سَبوقٌ وإن كان النبيونَ قبلَهُ تراهمُ غداً في الحشرِ يرجونَ فضلهُ
له خلقٌ لم يخلقِ اللهُ مثلهُ (طوائفُ أهلِ الشركِ قد أذعنّتُ لهُ)

وأعناقُهُمُ ذُلّتُ فأنجزها المطُ)

ومن حرف القاف :

أحنُّ إلى الوادي وأهوى منازلِ ترحّلَ عنها من هويناه عاجلا
ولما سرى الحادي وحثُّ الرواحلا (قطعنا إلى وادي العقيقِ منازلِ)

وقد لاح نورُ الهاشميِّ وأشرقا)

إذا ما بدا البرقُ للموغِ من الحمى يُنكرُني ذاكَ المقامَ المُكرّما
ولما حدا الحادي سَحيراً وزمزما (قدّمنا إلى خيرِ النبيّينِ بعدما)

نشرنا له الأعلامَ غرباً ومشرقاً)

ومن شعره في الغزلِ قوله :

مرّت بحارسِ بستانٍ فقالَ لها سرقتِ رمانتي نهديكِ من شجري
فصاحَ من وجنتيّها الجلنارُ على قضيبِ قامتها : لا بلّ هما ثمري

وقوله

هل يحسنُ الروضُ ما لم يطلع الزَّهرُ ؟
أم هل ترحزح عن أجفانه الحورُ ؟

قالوا النَّحَى وسنسلو عنه قلتُ لهم
هل النَّحَى طرفُهُ الساجي فأجره

وقوله

نعم ، وأشفق من دمعي على بصري
أني أعنَّبه بالدمع والسَّهر

قالوا أترقدُ إن غبنا ؟ فقلتُ لهم
ما حقُّ طرفِ هداني نحوَ حسنكم

وإلى المترجم به نَسَبَ بعضهم (البهلوية) (148) ، ولكَّنها لا توجدُ في ديوانه المطبوع ، ونُسِبت أيضاً لبهاليل آخرين ، و (البهلوية) قصيدةٌ رَجَليَّةٌ خفيفةٌ تتخلَّها أبياتٌ موزونة من بحر المتقارب ، ونفسها صوفي ، فيها كثيرٌ من حقائق التوحيد ، وفيها كثيرٌ من أفكار التواكل والتسليم والاستسلام التي كانت شائعة في ذلك الوقت ولا تزال تُعششُ في أذهان بعض الناس إلى الآن ، ولأهل المغرب عنايةٌ كبيرة بهذه القصيدة يحفظونها لصغارهم وصغيراتهم، ويترنمون بها في مجامعهم ومحافلهم ، وسواءً صحت نسبتها للمترجم أو لم تصح فاني أثبتُّها فيما يلي على ما فيها من طول كمثال من أدبه الملحون بعدما أثبتُّت أمثلةً من أدبه المُعربِ الموزون :

أنا ما ني فياشُ
نقلقُ من رزقي لاشُ

أش عليَّ ميئي
والخالقُ يرزقني

أنا عبدُ ربِّ له قُدرةٌ
فان كنتُ عبداً ضعيفُ القوي

يهونُ بها كلُّ أمرٍ عسيرُ
فربي على كلِّ شيءٍ قديرُ

(148) البهلويةُ وتُسمى أيضاً (الغياشية) وقع اختلافٌ وغموضٌ في نسبتها إلى قائلها ، فقد كنتُ رأيتُ قديماً من نسبها إلى البهلول الطرابلسي المترجم ، وفي مطالعتي لأحد كتب التصوف المغربي رأيتُ أنها كانت تقرأ في المغرب في العصر العلوي الأول ، وسألتُ عن قائلها جماعةً من المتخصصين ، فلم ألقَ منهم جواباً أكيداً ، ولما اكتملتُ ترجمة أحمد البهلول الطرابلسي وأصبحت جاهزةً للطبع عثرتُ في القسم الثاني من معلمي الملحون للأستاذ المرحوم محمد الفاسي على اسم ناظمها وهو يحيى الشرقي من زاوية أبي الجعد المشهور بالبهلول فزال الغموضُ وارتفع الاشكال ، وسأعيد ان شاء الله نشرها منسوبةً إليه عند ترجمته في حرف الباء .

وانا عبدٌ مملوك
ما في التحقيق شكوك
وانا نظري متروك
من نطفة صوّرتني
ءاش عليا مني

مني ءاش عليا
والأشياء مقضيا
ربّي ناظر فيا
فلرحام والحشا
انا ما ني فياش

ويؤدىء سبحانه ويعيد
ويفعل في ملكه ما يريد

يقول لما شاء كن فيكون
ويحكم في خلقه ما يشا

صوّرتني من نطفة
نعمًا من كل صفا
ونعائم مختلفا
عطائي وسوّرتني
ءاش عليا مني

في ظلمة الأرحام
وبدا لي بالأنعام
وخلق لي ما وطعام
ونزلت بغير فمّاش
أنا ما ني فياش

فسبحانه من حكيم عليم
إلا بالإلاه العلي العظيم

وما زال يسترني دائما
ولا حول لي ولا قوة

ما نعرف ذا من ذا
وجعل للروح غذا
بشراب نثغنا
والسما سقفا مبني
ءاش عليا مني

ما ازدت إلا عريان
ستر الله المنان
ليان تجري قامان
واجعل لي الأرض فراش
أنا ما ني فياش

علينا له الحمد والشكر فرض
ويرزقنا من سماء وأرض

فسبحان من عمنا فضله
يجود علينا بإحسانه

وانا في ملك الله
وانا من خلق الله

الأرض بساط الله
والخلق عيال الله

ناكلُ من رزقِ الله
نصيبي بلحقتني
واش علي مني

والأرزاقُ على الله
ما تتخيرُ من عاش
أنا ما ني فياش

وقلتُ لقلبي كفاك الجليل
هو الله حسبي ونعم الوكيل

تجولتُ بالفكر في (هل أتى)
يذبرُ أمري ولا علم لي

فهو المعطي المانع
إنك إليه راجع
والخيرُ في الواقع
من تدبيرك دعني
واش علي مني

ياقلبي ثقُ بالله
وارض بقضاء الله
ما ذا في علم الله
تدبيرك ما يسواش
أنا ما ني فياش

ولا تنزعجُ أبداً من حرج
إذا ضاق أمرٌ أتى بالفرج

بتدبيرِ مولاي كن راضيا
جرث عادةُ الله في خلقه

واتركُ همَ الباطنِ
كيف تُرى وتعاين
أن المقضي كايُن
في الدنيا منهني
واش علي مني

ياقلبي لا تهتم
المقيدورُ محتم
سلمُ تسلّم واعلم
من حوى قلبو عاش
أنا ما ني فياش

يكاد الرضيعُ لها أن يشيب
من الله نصرٌ وفتحٌ قريب

وكم ليلةٌ بتُّ في كربة
فما أصبح الصبحُ حتى أتى

تقرا تشرخُ بالسي
وتحقّ البشري لي
همّ الدنيا سالي

آيات (المُ شرخ)
وبفضل الله نفرخ
ياقلبي مُسا وصبح

مَنْ يَقْنَعُ بِسْتَعْنِي
وَإِنْ عَلَيَّ مِنِّْي

وَاقْنَعُ بِالشَّيْءِ وَبِلاش
أَنَا مَا نِي فَيَاش

بِمَا قَدْ كَفَى لَمْ تَرَوْعَ بَدِينِ
إِلَى الْحُكْمِ بِالْعَقْدِ وَالشَّاهِدِينَ

إِذَا كُنْتَ فِي الْعَيْشِ مُسْتَقْنَعًا
وَلَمْ يَأْتِكَ الْمُقْتَضِي دَاعِيًا

وَأَنْرِكَ عَنْكَ التَّبْدِيرُ
وَأَسِيرُ زَمَانِكَ سِيرُ
يَأْتِيكَ اللَّهُ بِكَثِيرِ
يَنْهَلُ مِنَ الْمُرْنِ
وَإِنْ عَلَيَّ مِنِّْي

خُذِ الرَّفْقَ دَلِيلَكَ
وَتَزَوَّدْ لِرَحْمَتِكَ
وَاسْتَقْنَعْ بِقَلْبِكَ
كَمْ عَارِضٌ بَعْدَ رَشَاشٍ
أَنَا مَا نِي فَيَاش

قَوِي أَتَى بَعْدَ ضَعْفِ الرِّشَاشِ
وَإِلَّا يَحُولُ وَدُنْيَا وَلاش

بِمَيْسُورِكَ اقْنَعْ فَكَمْ عَارِضٌ
وَصَبْرًا لَهَا سَاعَةٌ تَنْقُضِي

وَأَنْتَ عَنْهَا مَكْبِي
عَقْلَكَ عَنْكَ مَسْبِي
مَنْ تَعْبِكَ يَا قَلْبِي
أَقْلُ الشَّيْءِ يُغْنِي
وَإِنْ عَلَيَّ مِنِّْي

مَا الدُّنْيَا غَيْرُ مَزَاحٍ
فَ اللَّهُ مَسَا وَصَبَاحٍ
رُوحٌ رُوحُكَ وَارْتِاحٍ
ذَا التَّعَبُ الكُلِّ عِلَاشٍ
أَنَا مَا نِي فَيَاش

وَمَنْ شُؤْمُهَا مِثْلُهَا لِلْفُضُولِ
لَا يَدَّ لَهُ مِنْ عِتَابِ يَطُولِ

غَنَى النَّفْسِ فِي تَرْكِ مَا تَشْتَهِي
وَمَا لَمْ يَخَالَفْ هَوَى نَفْسِهِ

كُلَّ عَلَاقٍ عَنْكَ
وَاسْفُطْهَا مِنْ دَهْنِكَ
ءَأْفَاكَ نَفْسِكَ مِنْكَ
حَالِكَ مَا يُعْجِبُنِي
وَإِنْ عَلَيَّ مِنِّْي

خَالَفَ نَفْسَكَ وَاقْطَعِ
وَالشُّهُوَا لَا تَبِعِ
وَعُدُوسَ أَمْوَالِكَ أَقْلَعِ
لِلشُّهُوَا يَا طَيَّاشٍ
أَنَا مَا نِي فَيَاش

وفي طاعة النفس تعصى العذول
ولا حيلة في ضلال العقول

تميل إلى شهوة لم تُفد
ضلال العقول اتباع الهوى

اتعقل يا بهلول
واعرف ما أنت تقول
إن زباطك محلول
أنصفتم لكنني
أش علي مني

قالوا لي بعض الناس
واترك هذا الوسواس
وإن الحيط على الناس
قلت لهم دون هراش
أنا ما ني فياش

على خاطري كل صعب يهون
ومن أنا في الناس أو من أكون

من الله ربي أرى كل خير
وما دامت الناس تحت الثرى

حتى همت بوجدي
أش قيمتها عندي
وأجاري في يدي
خليوني في حالي
أش علي مني

في الدنيا أش نكون
والدنيا دون ودون
لاش تقولوا مجنون
أش لكم عندي أش
أنا ما ني فياش

ولا كل قول له نلتفت
ويرحم من قاله أو صمت

وما ضرني القول من قائل
ومن قال خيراً يجازى به

لا تدخل الجامع
وعلى هيئة خاشع
حتى ما نتواضع
بتراب جانسي
أش علي مني

قالوا لي يامجنون
إلا بهذا وسكون
قلت لهم واش نكون
يحضني مني الدرباش
أنا ما ني فياش

فقد لاح شبيبي وحان اقتراب
أعود تراباً وجنسي تراب

كأنني بأني أنا لم أكن
وجنسي التراب ولاكنني

كَانَتْ أَوَّلَ الْخَلْقَا
أَعْضَايَ مُصْتَحَقَا
وَعِظَامِي مُمْتَحَقَا
تُرْبَا يَرْجِعُ بَدْنِي
وَإِنَّ عَلَيَّ مِنْ مَنِي

التُّرْبَا هِيَ جِنْسِي
وَلَهَا فِي رَمْسِي
فِيهَا نَمْسِي مَنْسِي
فَضَلْتُ دُودُو وَخَشَّاشُ
أَنَا مَا نِي فَيَاشُ

وَفِيهَا نَعُودُ وَمِنْهَا الْخُرُوجُ
وَلَا يَرْتَقِي لِلْمَعَالِي خُرُوجُ

مِنَ الْأَرْضِ كَانَ ابْتَدَا خَلَقْنَا
وَقَدْ قِيلَ مَنْ يَتَضَعُ يَرْتَفَعُ

مَا عُنْدِي فِي ذَا بَاسُ
كَثْرَابِ الْأَرْضِ قَوَاسُ
وَالشَّمْلَا وَالذَّنْفَاسُ
وَالدِّيْبَاجُ الْيَمْنِي
ءَاشُ عَلَيَّ مِنْ مَنِي

إِنْ يَقُولُوا نَجِسُ
بِاسْمِ غَيْرِ مُعْبَسُ
وَالدَّرِبَالَا نَلْبَسُ
نَهْوَى الْقَدْسِي وَالشَّاشُ
أَنَا مَا نِي فَيَاشُ

أَبَالِي بِحَالِي وَلَا كَيْفَ كَانَ
فَمَا إِنْ يَجُوزُ لَكَ الطَّيْلَسَانُ

إِذَا كَانَ قَلْبِي سَلِيمًا فَلَا
إِذَا كُنْتُ لَمْ تَسْتَقِمْ بَاطِنًا

فِي سِرِّكَ وَالْإِعْلَانُ
حَاضِرُ فِي كُلِّ مَكَانُ
لَيْسَ يَضْرُكَ إِنْسَانُ
إِنْ كُنْتُ تَطَاوَعْنِي
ءَاشُ عَلَيَّ مِنْ مَنِي

نُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ
لَا تَنْظُرْ غَيْرَ اللَّهِ
إِذَا تَفَعَّلَ اللَّهُ
صَفْهًا مِنَ الْإِعْسَاسُ
أَنَا مَا نِي فَيَاشُ

وَلَا تَطْلُبُنْ حَاجَةً غَيْرَهُ
يَكُونُ اتِّكَالُكَ إِلَّا عَلَيْهِ

وَفَوْضُ لَهُ كُلُّ أَمْرٍ وَلَا

وَأَنْفِقْ مَا تَكْسِبُ
مَنْ ذَا يَقْوَى بِحَسَبِ

قَالُوا لِي وَقَتِّكَ ضَاقُ
قَلْتُ الْخَلَاقُ الرِّزَاقُ

وَتَحَاوَلْتُ وَسَبَّبْتُ
رَازِقُهُمْ يَرْزُقُنِي
ءَاشُّ عَلَيَّ مِنْي

قَالُوا لِي أَمْشُ فِي الْأَسْوَاقِ
قُلْتُ أَفْرَاخُ الْأَعْيَاشِ
أَنَا مَا نِي فَيَاشُ

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ
وَلَيْسَ يَكُونُ سِوَى مَا يَرِيدُ

عَلَى رَازِقِ الطَّيْرِ فِي وَكْرِهِ
وَلَا يَدَّ مِنْ كَوْنٍ مَا قَدْ قَضَى

بِمَسَائِلِ تَتَوَالِي
سُبْحَانُو وَنَعَالِي
قُلْتُ لَهُمْ لَا لَا لَا
رَبِّي مَا يُضِيعُنِي
ءَاشُّ عَلَيَّ مِنْي

قَالُوا فَكْرِكُ عَمْرٍ
قُلْتُ الْخَلْقُ نَاطِرُ
قَالُوا رِيدُ وَدَبْرُ
بِاللَّهِ حَبِي هَشْهَاشُ
أَنَا مَا نِي فَيَاشُ

وَفَوَّضْتُ أَمْرِي جَمِيعًا إِلَيْهِ
عَلَيْهِ اتَّكَلِي وَرَزَقِي عَلَيْهِ

رَضِيتُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لِي
لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَهُوَ الَّذِي

قَلْبِي الْخَدِيمُ شَرَفِي
وَعَلِيلِي مَا نَشْفِي
وَتَشْمَرُ عَنْ كَثْفِي
إِنْ كَانَ يَخْدَمُنِي
ءَاشُّ عَلَيَّ مِنْي

قَالُوا لِي قُمْ أَخْدِمْ
إِنْ لَمْ نَخْدَمْ نَخْدِمْ
بِحَزَامِي تَحْزَمْ
نَخْدَمْ حَتَّى الْحُمَاشُ
أَنَا مَا نِي فَيَاشُ

وَأَخْدَمْتُ حَتَّى أَدُوقَ الْحَمَامِ
إِلَى غَيْرِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبَاءِ

أَشَدُّ حَزَامًا عَلَيَّ مَجْزَمِي
وَلَا حَاجَةَ لِي لِابْنِ أُمَّ وَلَا

قُلْتُ لِلنَّاسِ الْقَاصِحُ
قُلْتُ الْحَجَّ تَقْبَحُ
قُلْتُ لَهُمْ مَا نَصْلِحُ

قَالُوا لِي الْوَقْتُ اسْمِجْ
قَالُوا لِي اطْلُبْ تَحَجَّ
قَالُوا قُمْ تُزَوِّجْ

قَلْتُ لِلَّهِ رَتْخُنِي
ءَأَشْ عَلَيَّ مِنِّْي

قَالُوا مَا فِ يَدِكَ بِأَشْ
أَنَا مَا نِي فَيَاشْ

وتقهرني باللسان الطليق
لبعض الخصال التي لا تليقُ

بفقري تُعِزُّنِي زوجتي
وتدعو الضرورة من أجلها

خُلُونِي فِي حَالِي
بجديدٍ ولا بالي
التسليمُ أَوْلَى لِي
اترك ما لا يعني
ءَأَشْ عَلَيَّ مِنِّْي

بالله يا عذالي
ما يتعلَّقُ بالي
عَنِّي ءَأَشْ سِوَالِي
عن حالي يا فتَّاشْ
أَنَا مَا نِي فَيَاشْ

بنفسك لنفسك وقل ياسلام
بما ليس يعني كثير الكلام

دع الناس في حالهم واشتغل
وإياك والخوض مع خائض

ف معتبرك دؤاس
ليس يحملوه الانفاس
وأكل لحوم الناس
بالخزرا يتبعني
ءَأَشْ عَلَيَّ مِنِّْي

الخائض مع من خاض
والنمائم القراض
متعرض للأعراض
مثل الكلب النهاش
أَنَا مَا نِي فَيَاشْ

ففيها وعيدٌ شديدٌ أتى
كأكلك من لحمه ميتاً

لا تغتَبْ ولا تَسْتَمِعْ غِيْبَةً
فغِيْبَةً مَنْ أَنْتَ تَغْتَابُهُ

كيسٌ عاقلٌ نُوصِيكَ
ترك ما لا يعنيك
حتى يتقوى فيك
قل لهم عن إذني
ءَأَشْ عَلَيَّ مِنِّْي

يأمن يزعم أنه
إسلامك من حسنة
والدين أسأل عنه
وإن ظلموك الوباش
أَنَا مَا نِي فَيَاشْ

تكن مثله واصطبر للكرْب
لرامي الحجارَة ترمي الرُطبُ

وكافي المُسيء بخيرٍ ولا
وعماتك النخلُ كن مثلها

بعضُ مكارمِ أخلاقِ
نورُ بهاءِ اشراقِ
مما يرضي الخلاقِ
نحي زولِ عنى
أش عليّ مني

عفوكِ عمن ظلمك
ووصالك من قطعك
وعطاك لمن حرّمك
الدنيا كلها لاش
أنا ما ني فياش

وكم أدبرت بعدما أقبلت
غدير جوائنها والتوث

فكم أقبلت بعدما أدبرت
وبعد المربع ضاقت علي

موصوفٌ بالإيمانِ
معروفٌ بالإحسانِ
ف الدارُ وف الدكانِ
نوصلُ من قاطعني
أش عليّ مني

ربي اجعلني مومن
وليمن يسي مُحسن
مني الجارُ مأمن
لإخواني هُشهاش
أنا ما ني فياش

أقلّ عثرتي يأمقيل العثار
ولا تحرق الجسم مني بنار

إلهي سألتك بالمصطفى
ويوم القيامة لا تُخرني

خيرُ الخلقِ نصلي
نرضى، ويسمخ لي
غرّيني عن أهلي
والقذرا توخرني
أش عليّ مني

نحمدُ ربي وعلي
وعلى صحابو الفضلا
وحديث حماليبا
لمكا قلبي طاش
أنا ما ني فياش

تذكرت أيام تلك الليال
من العُمري كانت كطيف الخيال

إذا لاح برقٌ وهبت صبا
ليالي السرور وأيامها

قلبي كُلو ف الشرق
من نجد يلوح البرق
حتى تعجّب لي الخلق
طير مَقْصَصُ لرياش
أنا ما ني فياش
وأنا ف الغرب غريب
نبقى في حال عجيب
لما نحضر ونغيب
في سجن يشبهني
أش علي مني

فيارب سامح لنا كلنا
ولوالدين كن راحماً
أنلنا المنى والرضا بالقدر
ومن غاب منا ومن قد حضر

وسلامي علي الجمع
وعلي السادات جميع
والفضل لمن يسمع
سمت الحسن القباش
أنا ما ني فياش
يحكي المسك الفاخر
أولهم والآخر
ومن را عيب ستر
أنباع وربخني
أش علي مني

تأمل نظامي بتطريزه
فخذ بين دوحته مشية
يحاكي الرياض النصير النزية
وقل لو ترى العيب لا عيب فيه

توفي بطرابلس ليلة السبت 2 رجب عام 1113 (149)

1631) أحمد بن محمد الدراق ، طبيب السلطان مولاي إسماعيل العلوي ، أصل سلفه من ناحية سوس ، واستقرّوا من قديم بفاس وكانت لهم بها رئاسة الطب ، وكان المترجم وجيهاً في قومه ، مبرزاً بين أقرانه ، محظياً عند السلطان مستخدمه ، خبيراً بالأدواء عارفاً بالأدوية التي تعالج بها .

(149) الاعلام للزركلي 1 : 118 واعلام من طرابلس ص 115 - 119 - 122 - 147 واعلام ليبيا ص 55 والتذكار ص 248 ودليل المؤلفين العرب الليبيين ص 37 وديوان أحمد البهلول ، والمنهل العذب ص 288 ومعجم المؤلفين 1 : 200 ونفحات النسرير والريحان ص 136 .

توفي عام 1116 (150) ، وستاتي ترجمة والده الطبيب محمد وترجمة ابنه الطبيب عبد الوهاب ، وترجمة قريبه أحمد طبيب السلطان محمد بن عبد الله بن اسماعيل .

1632) أحمد بن (محمد) المسناوي الدلائي أحد علماء الزاوية الدلائية بالمغرب ، وُلد بها ونشأ وأخذ العلم عن والده وأعمامه وزوَاد زاويتهم من علماء وفقهاء وأدباء ، وخطب بها وأمّ ودّرّس العلم وانتفع به خلق كثير ، ولما استولى السلطان المولى رشيد بن الشريف العلوي عليها عام 1079 وغرّب أهلها إلى فاس فتيلّمسان كان المترجم من جملتهم ، فلما عفا عنهم السلطان مولاي إسماعيل وعاد منهم من عاد استقرّ هو بفاس وأقبل على تدريس العلم بها .

وكان فقيهاً محدثاً مقرناً علامةً ذكياً كاتباً بليغاً دينياً مُتخلّفاً جواداً كريماً ، يأوي إلى داره الضعفاء والأرامل والأيتام طلباً للمعروف ، مُجتنباً للظهور موثراً للخمول بسبب النكبة التي حلّت به مع قومه وتركت آثاراً منبّهةً في نفسه .

من نثره ما خاطب به بعض الظلمة ولم يُسمّه ، وهو يدلّ في الإنشاء على علوّ كعبه :

«أما بعد ، فإنكم قدرتم فأسأتم ، وملكتم فقهرتم ، ووُسّع عليكم فضيقتم ، واغترزتم بصفو العيش ، وزهو الطيش ، ولم تتفكروا في العاقبة ، وتهاونتم بسهام الأسحار وهي صائبة ، لاسيما إذا خرجت من قلوب جرحتموها ، وأكباد جرحتموها ، وأجساد أعريتموها ، ولو تأملتم في هذا حقّ التأمل ، وأعملتم فيه العقول بعض العمل ، لأشفقتم على أنفسكم غاية الإشفاق ، من هول المطلاع ويوم التلاق ، أو ما علمتم أن الدنيا لو دامت للعاقل ، لم يصل إليها الجاهل ، ولو دامت لمن مضى وجاز ، لم يصل إليها من بقي بعده أو أتى وحاز ، وكفى بمحنة رجل يكون في هلاكه فرج العالم

كله ، ومن المحال هلاك المنتظرين فقدم ، وبقاء المنتظر وحده ، اعملوا ما شئتم فإننا صابرون ، وجوروا ما أردتم فإننا بالله مستجيرون . وتقوا بقدرتكم فإننا بقدره الله واثقون . (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) .

تُوفِّي نفاس عن سنِّ عالية يوم 4 ربيع الأول عام 1117 ودفن خارج باب فتوح قرب قبة سيدي أحمد اليماني (151)

1633) أحمد بن أحمد الطود العمراني ، فقيه من بني عمران الشرفاء الأدارسة سكان إقليم الهبط بالمغرب الأقصى ، عُرف بالطود اسم جبل عال كان سلفه يسكنون به . تولَّى القضاء بأبي ومراس وغيره من قبيلة بني عروس .

مات عن سنِّ عالية عام 1118 (152) .

1634) أحمد بن سعيد قُدُورَة ، فقيه من بيت علم وفقه بمدينة الجزائر ، أصل سلفه من تونس ، وجدُّه إبراهيم هو أول قادم منها إليها ، أخذ عن والده الفقيه الشهير سعيد بن إبراهيم قُدُورَة وغيره من مشيخة الجزائر ، وكان أديباً نجيباً وخطيباً فصيحاً تولَّى خطة الإفتاء بالمذهب المالكي بعد أخيه محمد بن سعيد المفتي المالكي قبله من عام 1107 إلى سنة وفاته ، وكانت تقعُ بينه وبين مفاتي الحنفية خلافات عزل بسببها مرة ثم أعيد إلى خطبته .

اغتيال لأسباب سياسية في شهر ذي الحجة عام 1118 (153) .

151) الإكليل والتاج (أطروحة مرقونة) ص 181 والتقاط الدرر 2 : 294 والبذور الضاوية (أطروحة مرقونة) ص 632 - 634 والحركة الأدبية بالمغرب على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 225 ومعلمة القرآن والحديث ص 95 ونشر المثنائي 3 : 158 والعلم والفكر في مطلع العصر العلوي (أطروحة مرقونة) ص 65 وسلوة الأتلاس 2 : 351 وشجرة النور الزكية 1 : 330 واليوافيق الثمينة 1 : 39

152) نشر المثنائي 3 : 171

153) ابن العنابي ص 18 وتحفة الزائر ص 106 والمجلة الإفريقية (سنة 1866) ص 293 ومعجم أعلام الجزائر ص 259 وصفحات من تاريخ مدينة الجزائر ص 281 - 282

(1635) أحمد مجاهد ، فقيه محدث من أهل تونس ، أخذ عن مشيختها ، ولما أكمل دراسته تصدّر لتدريس القراءات بجامع الزيتونة ، والحديث بزاوية أحمد بن عروس ، وكان محدثاً مُجوداً فقيهاً نحوياً ، أخذ عنه عديدٌ من الطلبة وتخرجوا به كالقاضي محمد بن الشريف الحسني قاضي ماطر ، وأحمد بن محمد الصيد المناري الفيرواني ، وعبد الكبير الصوفي قرأ عليه الصرف واللغتين الفارسية والتركية .

توفي بتونس عام 1118 وقد نيف على التسعين ، ودفن بمقابر الزلاج . (154) .

(1636) أحمد بن علي الرصاع ، من فقهاء تونس الخبيرين بالفقهين المالكي والحنفي ، عالم بالنحو والحساب والفرائض ، مطلعٌ على أمهات النوازل ، ناب عن القاضي بالمحكمة الشرعية مدةً تقرب من 15 عاماً لم يذكر فيها إلا بخير ، أجمع الناس على ديانته ومروءته ، قال عنه محمد بن محمد الوزير السراج الأندلسي في كتابه القيم (الحلل السندسية) ما نصه :

«كان عالماً فقيهاً له ملكةٌ وقوةٌ اطلاع على ما خفي من دقيق الأحكام ، في خلال أوراق الامهات العظام ، ما استحلب ذرّ نكاتها بأنامل فكره ، ولا استخرج من مراكز دوائرها ركائز خفياتها ببدايع سحره ، إلا رفع بذلك قناعاً ، ووجد أقرانه بذلك اقتناعاً ، ولا وردت مُعضلاتُ الشبه لعذب مورد فضائه عطاشاً ، إلا روثٌ بخالص بيان ، ولطيف تبيان ، رضى الخصمين وأزال عنهما إباحشا ، كان خبيراً بالمذهبيين ، نبيلاً في المفاصلة بين الخصمين ، عالماً بمراتب الناس ومنازلها ، لطيف الإحكام ، بوضع الأحكام ، على نوازلها ، حسن القامة والسيرة ، جميل الأخلاق والصورة ، محتشم المحادثة والثياب ، لطيف المفاصلة والجواب ، مهذب المقالة والملافة ، عذب المفاكهة والخلوات ، عفيفٌ عن الميل والرّشا ، جار على ما يامرُ الشارع ويشا ، واقفٌ على سُبُل الإنصاف وحدوده ، ماش على جادّة

ءابائه وجدوده ، بعيدٌ عن الفُحش والعينب ، ذو فِراسة يكادُ بها يطلُعُ على الغيب» .

مات بتونس عام 1119 (155) ودُفن بزاوية سيدي معاوية قبالة المارستان ، وهي مقبرة آل الرصاع الموجودة بزِنقة الدخلاوي قُرب سوق النحاس ، ونُقش على قبره من نظم محمد الوزير السراج الأبياتُ التالية :

إيِّك قد مدَّ قاضي المسلمين يدا	يجني لما قد جناه من رضاك ندا
يمرغُ الخدَّ بالأعتاب مُعترفاً	عساك تُلقي عليه من نذاك ردا
وجاء بالمصطفى والصَّحْبُ مُعتصماً	فإنَّهم أعظمُ المستشفعين غدا
وأنت أهلٌ لإتِّمام المرام له	لأنَّ فضلك بالإحسان فيه بدا
وقد بدا لامحُ الغفران بين ثنا	أقلام حَقِّك من وصِفِ به سجدا
ثناؤه أحمدٌ مثلُ اسمه ، وبدا	أتى لما أرخوه : غدله شهدا

(1637) أحمدُ بنُ محمد بن عبد الله مَعْن ، صوفي كبير من أهل مدينة فاس ، أصلُ سلفه من الأندلس ، ويقالُ إنه من سلالة الخليفة الموحد يعقوب المنصور ، وُلد بفاس أواخر عام 1042 وأخذ عن أعيان المتصوِّفة بها في ذلك الوقت كوالده محمد بن عبد الله مَعْن صاحب زاوية المخفية (156) ، والشيخ قاسم الخصاصي ، وصحب الشيخ أحمد بن محمد اليميني متقدم الترجمة .

رحل إلى المشرق عام 1100 لأداء فريضة الحجّ ، ولقي في ذهابه وإيابه عدداً من الرجال الذين ينحون نحوه ، ذكرهم مُريده ورفيقه في السفر أحمدُ بنُ عبد القادر القادري في كتابه المسمّى (نسمة الآس ، في حجة سيدنا أبي العباس) .

وهذا الرجلُ ليس عالماً ولا فقيهاً ولا أديباً ولا صاحبَ دعوى دينية ، ولكنه حظي - على ذلك - بالمحبة والقبول عند الناس وافتتنوا به ونسبوا له

155) إتحاف أهل الزمان 2 : 128 والحللُ السندسية 3 : 126 وذيلُ بشارتِ أهل الإيمان ص 204 وفهرسة الرصاع (المقدمة - س) .

156) المخفية حُرِّي من أحياء عدوة الأندلس بفاس .

كرامات وخوارق وتصرفات ينكرها الشرع وتابها الفطرة السليمة ، وكانت زاوية أبيه المنسوبة إليه بعد تجديدها مثل دار الندوة يقصدها الحكام والعلماء فمن دونهم للتبرك والتماس الدعاء وتلاوة الأوراد والأدكار ، ويقفون فيها بين يديه وقوف المملوك أمام مالكة ، وبلغ من تقديس الناس له في وقت الدوخة والجهالة ذاك أنهم كانوا لا يخاطبونه أو يتحدثون عنه إلا بكلمة (سيدنا) ، وهي كلمة لا يخاطب بها في المغرب عادة إلا الملوك، وأن بعض العلماء والأدباء مدحوه بما لم يمدح به أحد من أمثاله وألقوا فيه من الكتب ما لم يؤلف في ملك ولا وزير ولا عبقرى من عباقرة الفن والابداع، مثل عبد السلام القادري الذي خص مديحه بديوان ، وأحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني ءاتي الترجمة الذي مدحه بقصيدة مقصورة شرحها في سفرين سرد فيها وفيهما مناقبه وأكد خوارقه .

وتثبت فيما يلي مثلا من القصائد التي قيلت في مديحه ، وهي لمرافقه في الحج أحمد بن عبد القادر القادري ، وبعض أبياتها لا يخلو من اضطراب :

متلاطم بحواضر وبوادي
فجماله فوق البسيطة بادي
وجموعه موفورة الأعداد
وصواعق في غاية استعداد
ويسرن خلف الركب بالمرصاد
يسرعن من فرق مع الرواد
وجوارح تجري مع الصياد
وصغيرة تلقى بلا ميعاد
تخطو وترتع في فلا الأوهاد
بهوادج تهتز بالأغباد
وذوو السداد وكثرة الانجاد
بزبرجد وتعطرت بالجاد
وأزاهر كالدُر في الأجياد

لله ركب سائل كالسوادي
كسيت به تلك المراتع والرُبا
ورجاله محزومة منظومة
وكتائب بأسيئة وصوارم
يحمين حول القوم من كل جانب
والوحش في فلواتها مذعورة
من صولة الفرسان ينهضن أثرها
كم ظبية ما بينها معقورة
وبوازل تختال في عرصاتها
ورواحل منشورة فوق الثرى
والقوم بين مؤلة ومُنزّه
والأرض مثل عروسة قد حليت
وتقلدت وتبرقت بنواور

من كل لون صنعة الجواد
وجه الإمام المرتضي في النادي
محيي القلوب ومنهل الورد
كهف الأنام وكعبة القصاد
المقتفي سنن النبي الهادي
الزاخر الفياض بالأمداد
لطريقه المثلى على الإرشاد
وموافق ومصادق منقاد
ومحبة التحقيق بالإسناد
عند انقراض القرن أعنى الحادي
ولغيرنا من فعله المعتاد
عرفت لمجهدي من الأفراد
وشمائل الأبدال والأوتاد
ومياهم صبت بذاك الوادي
وتدفقت نعمة لطالب زاد
والزائرون له بكل بلاد
إلا ويتركها بكل أياد
وتأمنت من كل سوء عاد
حتى أتوا مصرأ بغير معاد
وتعلقوا بعراه في استبداد
أبدأ وكل ملازم ومحادي
فرحين إذ ابوا بنيل مراد
بوجوده في الحسن كالأعياد
وأقاربي والأهل والأولاد

مفروشة أرجاؤها بنمارق
والشمس ساطعة الضياء كأنها
ذاك ابن عبد الله غوث زماننا
السيد المهدي لنا في عصرنا
عرفات مجتمع الفضائل كلها
شمس المعارف والمعاني ، بحرها
الغاية القصوى لكل متابع
والنعمه العظمى لكل مرافق
المنه الكبرى العميمه في الوري
ومجدد للدين بعد ذهابه
كم آية وكرامة ظهرت لنا
ما سامها في عصرنا أحد ولا
سير الأكابر والأفاضل حازها
وعلمهم في سيره استقرارها
فنفجرت حكماً لراغب سمعها
سعد الحجيج بسيره ولقائه
ما حل أرضاً أو مشى بجنابها
أو خوفت من مفرع إلا انجلى
ضمن الحجيج بمكة فتنقوا
سيما الأولى حقوا به وتألّفوا
ومجاوريه ومقتدي بفعاله
في بسطة مع غبطة بحضوره
أيا منا في سيرنا ومقامنا
روحي فداه ووالداتي وإخوتي

تُوفي بفاس ضُحى يوم الاثنين 3 جمادى الثانية عام 1120 ودفن بقبّة والده بزواوية المخفية (157) .

1638) أحمد بن عبد الحيّ الحلبي ، أديبٌ ولد ونشأ بالمشرق ، واستقرّ ومات بالمغرب ، ينسب إلى مدينة حلب السورية ، مسقط رأسه ورعوس ءابائه وأجداده ، وأصلهم الأول من مدينة تدمر ، يقال إن نسبهم في قُرَيْش ، ذكر في كتابه (الدر النفيس) أنه سمع من يقول أنهم من ذرية الصحابي الجليل عبد الرحمان بن عوف الزُّهري رضي الله عنه ، أخذ بالمشرق عن كثير من شيوخ العلم في وقته بمنطقته ، كالشيخ محمد الرفاعي الحُسَيْنِي ، شيخ مشايخ البصرة ، انتفع به واستفاد منه وكان يقول فيه شيخي ووسيلتي إلي الله ، ثم انتقل إلى المغرب عام 1080 هـ لطلب العلم على ما أشاع وألقى عصا التسيار بفاس ، فلازم القراءة على شيوخ العلم بها ، لاسيما الشيخ عبد القادر الفاسي ، ولكنه لم يحظ باعتبار عند عامتها ، ولم يحطه بالعاية إلا غريبٌ مثله ، هو الأديب الحسن بن مسعود اليوسي الذي كان من المُعجِبين بشعره وعلمه ، فكان يقضي له كل ضرورياته من ماله .

على أن طلبة فاس وعلماها وإن نفروا منه في الأول - ربما لجهلهم الأسباب الحقيقية التي حملته على الهجرة من وطنه ولتمسُّكه بالمذهب الشافعي في مجتمعهم المستمسك إلى حدّ التعصب بالمذهب المالكي - لم يلبثوا

(157) الإكليل والتاج (أطروحة مرفونة) 1 : 182 والإمعان ، بمن لم يُذكر في ممتع الأسماع (مصور مخطوط) ، والتقاط الدرر 2 : 300 وأزهار البستان (لابن عجيبة) (مصور مخطوط) ص 182 والأعلام (للزركلي) 1 : 240 والبدور الضاوية صفحات عديدة ، وحركة الأدب في المغرب على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة مرفونة) ص 233 - 523 - 707 والدرر البهية 2 : 336 وديوان في مدحه لعبد السلام القادري ، والزهر الياسم ، في مناقب الشيخ قاسم ، ومآثر من له من الأشياخ والأتباع أهل المكارم تاليف محمد بن الطيب القادري ، وكناشة العربي القادري ، ومباحث الانوار (أطروحة مرفونة) 2 : 204 والمقاس ، في فضائل أبي العباس (مصور مخطوط) ، والمقصد ، في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد (مصور مخطوط) ، ومقصورة في مدح أبي العباس ، لأحمد الوزير الغساني وشرحها في سفرين ، ونسمة الأتس ، في حجة سيدنا أبي العباس (مصور مخطوط) ونشر العثماني 2 : 182 وصفوة من انتشر ص 221 والعلم والفكر في مطلع العصر العلوي (أطروحة مرفونة) ص 111 وسلوة الاتفاس 2 : 288 وشجرة النور الزكية 1 : 331 والشعر الدلامي ص 39 واليوافيت التمنية 1 : 39

أن ألفوه واستأنسوا به ، لطول مُقامه بينهم وقصره جُلُّ أنظامه على مدح الرسول الكريم والصالحين من أمته وعترته ، سيما الإمامين إدريس الأول وإدريس الثاني ، وإصهاره ببنتٍ له إلى أحد رجال الأسرة الكتانية الشريفة ، فاندمج بكل هذا في المجتمع الفاسي وصار معدوداً من أسره ، حتى ان المؤرخين والأدباء اذا ذكروه وصفوه بالحلي المنشأ والدار ، الفاسي الرحلة والقرار .

عكف أحمد الحلبي خلال مُقامه الطويل بفاس على تأليف كتب ونظم أشعار وأزجال أكثرها في مدح الحضرة النبوية العلية ، ولكثرتها وتفننها في حبكها لقبه الناس بـ (مدّاح النبي) ، وكان يقصد بقصائده وأزجاله باب السلطان مولاي إسماعيل بمكناس في المناسبات ، سيما مناسبة عيد المولد النبوي الشريف ، فينشدها بصوت حسن وطبوع وصنائع مؤثرة ، ويجاريه في إنشادها من بباب السلطان من الكتاب والأعيان والحشم والخدم ، وتخرج له الصلات والعطايا من عند السلطان وأهل بيته وكتاب ديوانه ومن دونهم إكراماً وجزاء ، فيعود إلى فاس وقد ثقل حملُه بالمال والمتاع ، على أنه لم ينج من هزات كادت تعصف به بسبب إيغاله في التصوف والغيبيات ونطقه بكلام على لسان الحق سبحانه وتعالى ، وادعائه أنه رأى الله في المنام وخاطبه بما يشبه الوحي ، فأنكر عليه العلماء ذلك ، وزجره الشيخ الحسن اليوسي بالخصوص لما سمعه وأمره بالكف عن التحدث به وتمزيق ما هو مكتوب منه ، وطلب منه أن يتوب فامتنع وأصرَّ على ادعاء ما يدعيه ، فهجره اليوسي وقطع عنه ما كان يصله به ، وحدّر الناس من الاجتماع به ، ثم كف عنه لما لم يقدر على أكثر من ذلك بسبب تردّد المترجم على أبواب السلطان ومخالطته لكثير من الشرفاء والأعيان والحكام ذوي الجاه ، ولكن السلطان مولاي إسماعيل نما إليه خبر ما يدعيه ، فلما تأمله وأمعن فيه النظر تنكّر له ، (وظهر له أنه خرج عن مذهب السنة وتخلّ إلى أهل البدع والزيغ ، فأبعده عن حضرته ، وكف الله عن المومنين شر بدعته) ، (158)

ورأيي في المترجم أنه لا يعدو بسبب هذه المزاعم والدعاوي أن يكون واحداً من اثنين : فإما أن يكون غيباً مُعْفَلاً تعتريه نوبات من الوهم والوسواس فيعبرُ ببلاهة عما يتخيَّله وتوسوسُ به نفسه دون أن يحذرَ عاقبة ما يتحدثُ به ، وإما أن يكون دجالاً محتالاً يستغلُّ جمهوراً كانت تَلْفُ في ذلك الزمَنِ عقولَ أكثر أفرادهِ غشاوة من الجهل والجمود لأغراض كان يقصدها أو مطامح كان يحدثُ بها نفسه .

أما شعره فَمُتَوَسِّطٌ بين الجيد الرفيع والرديء الوضيع ، ولكنه حتى في الحالة الأولى لا يرقى إلى شعر الشعراء النابھين لبساطة ألفاظه وابتدال معانيه ، وأكثره في مدح الرسول الكريم ، تارة يفتنحه بالمديح وأخرى يُمهِّدُ فيه للمديح بالتغزل مجارةً للأقدمين ، ولم يتعرضْ له أحدٌ بالدراسة والنقد ، بل كان مقبولاً ومطلوباً ومرغوباً فيه من طرف الخاصة والعامة لسهولة فهمه والتغني به وتخصُّصه بمدح الجناب النبوي الشريف الذي لا حدَّ لتعظيم اهل المغرب له وتعلقهم به عليه الصلاة والسلام ، ونثرُ الحلبي لا يخلو من طلاوة وإبداع ، وسأبُتُ أمثلة من عطائه الشعري والنثري في آخر هذه الترجمة .

وفيما يلي أسماء الكتب التي ألفها مع بيان مضامينها والإشارة إلى أماكن وجودها :

(1) الخُللُ السُّنْدُسية ، في المقامات الأحمديّة القدسيّة أو في مدح الشمائِلِ المحمديّة ، وهي خمسٌ وعشرون مقامةً في مدح الرسول عليه السلام ، نكرَ أن الإمامَ إدريسَ بنَ إدريسِ الحسني أمره مناماً بإنشائها فابتدأ كتابتها في جمادى الأولى عام 1094 وانتهى منها في أواخر شعبان من العام المذكور ، حاذياً حذو الحريري في مقاماته ، ذكراً أنه استيقظ بعد كتابتها سحرَ ليلة جمعة فتخيَّلَ أنه بين يدي النبي صلَّى الله عليه وسلم فسأله عن رأيه في المقامات هل قبلها ام لا ؟ ثم أغفى إغفاءة رءاه فيها عليه السلام وجرى بينه وبينه حوارٌ أكَّدَ له النبي في ختامه أنه قبلها ورضيها ودعا له .

وهذه المقاماتُ كتبتُ عليها أكثرُ أئمةِ العصرِ مشرقاً ومغرباً مقرّظين معجبين ، تُعرَفُ منها نسخٌ خطيةٌ عديدة ، منها واحدة بالخزانة العامة بالرباط محفوظةٌ تحت نمرة 17.291 C وأخرى بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا محفوظةٌ تحت نمرة 81 وطبعت طبعةً حجريةً بفاس عام 1322 .

(2) الدرُّ النفيس ، والنورُ الأنيس ، في مناقب الإمام إدريس بن إدريس ، كتابٌ ضخْمٌ يشتملُ على 46 فصلاً عدا الخاتمة ، انتهى من تأليفه يوم الأربعاء 20 ربيع الثاني عام 1098 وخصه بترجمة الامام ادريس بن عبد الله الكامل دفين جبل زرهون وابنه الامام إدريس بن ادريس مؤسس مدينة فاس ودفنهما ، ويتضمَّن الكتابُ فوائِدَ وأخباراً بعضها لم يثبت تاريخياً ، كما يتضمَّن أساطيرَ وخرافات لا تُقبَلُ عقلياً ، سيما ما يتعلقُ بالكرامات والخوارق المبالغِ في تصويرها والتي يستغني الإمامان الادريسان عنها بما لهما من نسب شريف وفضل كبير على المغرب الذي مكَّنا فيه للدعوة المحمدية وأسساً فيه من قواعد لدولته المستقلة .

طبع بفاس طبعة حجرية عام 1300 هجرية في 421 صفحة .

(3) الروضُ البسام ، في رؤيا غيره عليه السلام ، لعله في رؤيا غير الرسول عليه السلام من صالحى الأمة ، كالصحابية والتابعين والفقهاء الكبار، ذكره له محمد بن الطيب العلمي في كتابه (الأنيس المطرب) ، ولم أرَ له ذكراً فيما بين يدي من فهارس خزانات الكتب الخاصة والعامة .

(4) ربحانُ القلوب ، فيما للشيخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب ، ذكره له محمد بن الطيب العلمي في (الأنيس المطرب) ، يقع في مجلد ، لم أقعُ له على ذكر فيما بين يدي من فهارس الخزانات والمكتبات الخاصة والعامة .

(5) الكنوزُ المختومة ، في الشفاعة المقسومة ، لهذه الأمة المرحومة ، يقع في أربعة أجزاء ، منها جزءان بالخزانة العامة بالرباط، أحدهما محفوظٌ تحت نمرة 500-ك ، والثاني محفوظٌ تحت نمرة 2724 وكانَ أحدُ الأجزاء الأربعة موجوداً بإحدى خزائن مكناس ، ورابعُ الأجزاء موجوداً بإحدى خزائن المخزن بفاس .

أما موضوعه فهو البحث في فضائل أركان الإسلام الخمسة ، ومزايا الإيمان والطاعة وامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، وفيه فصولٌ عديدةٌ اشتمل كلُّ جزءٍ من أجزائه الأربعة على عددٍ منها .

(6) كشف اللثام ، عن عرائس نِعَمِ الله تعالى ونِعَمِ رسوله عليه السلام ، ذكرَ فيه مرئياته الإلهية والنبوية وجمعَ شهادات أهل عصره وتقاريفهم لديوان أو دواوين شعره .

ذكره له مترجموه ، ولم أر له ذكراً في فهارس الخزائن والمكتبات التي بين يدي .

(7) مراتع الأرواح ، في كمالات الفتاح ، قصيدةٌ عينيةٌ طويلةٌ في 187 بيتاً مطلعها :

أيا من له في العالمين ودائعٌ ودائعٌ سرٌّ بالجمال بدائعٌ شرحها بكتاب سماه (فتح الفتاح ، على مراتع الأرواح) وسياتي ، والقصيدةٌ موجودةٌ في دواوينه المتعددة ، وفي قسم الإلهيات من ديوان (عرائس الأفكار) الآتي ذكره .

(8) مناهل الصفا ، في جمال ذات المصطفى ، اسمه يدلُّ على مُسمّاه . توجدُ منه نسخةٌ مخطوطةٌ بدار الكتب الناصرية بمكرونة محفوظةٌ تحتُ نمرة 2172 .

(9) مناهل الشفا ، في رؤية المصطفى ، لم أجدُ له ذكراً في فهارس الخزانات والمكتبات .

(10) معراج الوصول ، في الصلاة على أكرم نبيِّ ورسول ، انتهى من تأليفه يوم الأربعاء 8 رجب عام 1095 يشتمل على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة ، موضوعه الصلاة على النبيِّ صلى الله عليه وسلم وشروطها وءادابها ، وكلُّ فصلٍ من فصوله السبعة يختصُّ بكيفية الصلاة في أحد أيام الأسبوع السبعة .

توجد من الكتاب نسخة مخطوطة بالخرزانة العامة بالرباط محفوظة تحت نمرة 51.332 ونسختان أخريان بالخرزانة العلمية الصبيحية بسلا محفوظة احدهما تحت نمرة 1/74 والثانية تحت نمرة 2/204 .

(11) عرائس الأفكار ، في مدائح المختار ، اسم ديوانه أو دواوينه الشعرية المتعددة المشتملة على ما نظمه من قصائد في الأغراض الإلهية والنبوية ، ومدح الملائكة والصالحين من المسلمين الخ .

وقد كانت أشعار الحلي مجموعة في دواوين متعددة يختلف بعضها عن بعض كماً وكيفاً ، منها أربعة دواوين مخطوطات بالخرزانة الحسنية الملكية بالرباط (نمرات 11.397 ز ، و 5.777 ، و 9456 ، و 118) وثلاث نسخ بالخرزانة العامة بالرباط (نمرات 161 ك ، و 1323 ، و 777 D) ، ونسخة بخرزانة صديقي العلامة المرحوم إبراهيم الكتاني الخ .

وقد اعتنى بأشعار هذه الدواوين الطالب عبد الله ابن عتو فجمع كل ما عثر عليه منها وجعلها موضوع أطروحة تقدم بها للحصول على دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط (السنة الجامعية 88 - 1989) وسماها (عرائس الأفكار ورياض الأزهار) ، والمقطع الأخير هو عنوان أحد دواوينه ، وقسمها إلى إلهيات ، ونبويات ، والفضلاء الأخير من ملائكة وخلفاء راشدين وأهل البيت وأهل بدر وأولياء صالحين ، ووتريات ، ولكن فاتته الشيء الكثير من شعر الحلي مما هو موجود في كتابه (الدر النفيس) المطبوع ، وفي ثنايا كتب ودواوين عديدة لما تسلك طريقها إلى المطبعة .

(12) فتح الفتح ، على مراتع الأرواح ، وهو شرحه لقصيدته العينية الطويلة المسماة (مراتع الأرواح) ، أتم تأليفه عشية الخميس أوائل جمادى الأولى عام 1092 يشتمل على مقدمة وثلاثة فصول ، موضوعه المخلوقات والتجلي بالأسماء الحسنى والوحدانية والعجز الخ وجمع فيه أيضاً تقارير علماء عصره واصدقائه كأحمد القسنطيني وعبد القادر الفاسي ومحمد البوعناني ومحمد الشاذلي الدلائي .

توجدُ منه نسخةٌ خطيةٌ بالخرزانة العامة بالرباط محفوظة تحت
نمرة 5.425 .

13) السيفُ المسلول ، في قطع أوداج الفلوس المخذول ، ذكر هو
نفسه في (الدرُّ النفيس) أنه أَلَفَ في الردِّ على رجل شَنَّعَ عليه بحضرة
السلطان مولاي إسماعيل نداءً النبي صلى الله عليه وسلم في مدائحه بيامحمد
من غير نعتِه بالسيادة ، وشدَّدَ المقالات عليه وزوَّقَ زوره وفجوره على حدِّ
تعبيره فنصره الله عليه ، وألَّفَ في الردِّ عليه هذا الكتاب (159) الذي لا
أعرفُ موضعاً يوجد به .

14) السيفُ الصقيل ، في الانتصار لمدح الربِّ الجليل ، من الكتب
التي ذكر المؤرخون أنه أَلَفَها ، وعنوانه يدلُّ على موضوعه ، ولا يعرف
مكان وجوده .

وللحَلْبِي عدى ذلك موشحاتٌ وأزجالٌ ومرائي ومخاطباتٌ لا تخرُجُ
عما وقف نفسه ولسانه عليه .

ونثبت فيما يلي نماذج من شعره ونثره .

فمن شعره أبياتٌ من القصيدة التي تكلمَ فيها على لسان الحقِّ سبحانه
وتعالى والتي أنكرها عليه العلماء وهجره العلامةُ الحسنُ اليوسي وأقصاه
السلطان مولاي إسماعيل بسببها :

أنا الأزلِّي ليس لي ابتداءً	أنا الباقي وليس لي انتهاءً
وحقِّي ليس لي في الملك ثانٍ	أنا الأعلا ودامَ لي العلاءُ
أنا القدُّوسُ قدَّسني (البرايا)	أنا الرحمانُ أرحمُ من أشاءُ
أنا القهارُ أقهرُ كلَّ باغٍ	يطولُ له على الخلقِ اعتلاءُ
أنا الغفارُ كلَّ نوبٍ قومٍ	لقومٍ بابي المفتوحِ جاءوا
أنا المعطي بلا عوضٍ كثيراً	ولم يخفُضْ جزائتنا العطاءُ

(159) انظرُ حكايةَ خصامه مع الفلوس في ص 417 من كتابه (الدرُّ النفيس) مع رؤيا منامية
تُشبِّهُ الخرافةَ تتصلُّ به .

أنا الكافي ومن فضلي الكفاء
على من أحسنوا أو من أساءوا
تفيض ندى إذا ورد الظمأ
فإنكاري لكم أبداً شفاء
بوفى إرادتي نفع الدواء
ولي وحدي العلا والكبرياء
لسطوة ذا الأنام الأقوياء
لأحباب وما دوني غطاء
فلبت ، إذ دعا أمري ، السماء
وليس لهم عن الحمدي انثناء
وفي تخوافه مني اختفاء
تصاغر لي ودام له انحناء
عراه الخوف مني والبكاء
أنا المغني وما عني اغتناء
لأنفسكم ولي عنكم غناء
جنى إحسانكم والاجتناء
ونفَعُكُمْ وضرُكُمْ سواء
إذا ما منكم حسن الدعاء
وحقى ، في ما خاب الرجاء
وناد الله يستمع النداء
كريم لي بأضيافي اعتناء

كفيت الخلق حتماً وابتلاءً
بحار مداد فضلي دافقات
مناهل موهبات ليس تُحصى
عبادي ، سبحوا لي واذكروني
أنا الشافي لكم عند التداوي
أنا الله المهيمن جل جدي
أنا والعرش والملكوت ، ذلت
أنا الكنز الجلي ظهرت حتماً
خلقت الأرض في يومين فضلاً
بحمدي سبح الأملك طراً
يذوب الروح بين يدي رعباً
وجبريل إذا نظر اقتداري
وميكأيل إن ينظر جلالتي
أنا القيوم لي التصريف وحدي
عبادي إن أسأتم قد أسأتم
وإن أحسنتم فلکم عبادي
فخيركم وشركم لدينا
وبين الكاف والنون الأمانتي
عبادي أملوني واسألوني
وياحلي قف في باب فضلي
أحب سؤال مفتقر لأنني

ومنه في مدح الرسول الأمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات
وأزكى التسليم :

شمائله العظيمة لا تعد
وكل متيم لهواك عبداً
تنزهه ، إنك البر الممدد
ولكن أنت والله الأود

عليك كرائم الصلوات يامن
جمالك ياملح الحي فرد
فليس القطع وصفك أنت عنه
نعم إنني ودينتك مستهاماً

وفيك نفوسنا تفنى غراماً
ولم يك في العوالم من تناجي
وصالك جنة والهجر نار
بوجهك مل لعبد ذاب قلباً
بعطفك جد لملهوف غريب
ومن أرق ومن دمع كجمر
له قلبي وأعضائي وسري
فكُلِّي كل عن إحصاء شكري
إمام المرسلين أجل هاد
أتى من حضرة الرحمان ليلاً
بريح كالعروس أتى إلينا
ملائكة السما ضجت بطنه
وقبلت الجميع بنان طه
وهم والأنبياء به استضاءوا
وحل بغار نور خير ثاو
به بدر النبوة حل ليلاً
فصادف سبق إسعاد وفضل
جفاه الأقربون لفرط جهل
حماه ، بالحمام ونبت سدر
فما تغني حصون أو دروع
يقي من شاء كيف يشاء مما
بذاك موفق يزداد كشافا
حبيب قد دعا شجراً فلبني
وقد سجدت لنور جمال طه
له شهدت بارسال وبعث
جماد للحبيب أقر جهراً
كذا العقلاء أحرى من سواهم
شهدت بأنه المبعوث رُحِمى
عليه وءاله أزكى سلام

فليس لها من الإتلاف بُد
بوجهتها سواك وأنت قُصْد
فما لي من جنان الوصل ضُد
براه فيك أشواق ووجد
على خديه مدمعه يخذ
له لم ينفصل طرف وخذ
إذا استنصرتها في الحب جُند
فما يخصى لخير الخلق حُمد
به قد لاح توحيد ورشد
وفي مرءاه نور إليه يبدو
من الملكوت لما جاء يعدو
لإكرام الحبيب قد استعدوا
وأيديهم له للفضل مدوا
ومنه النور والبشرى استمدوا
فجاء الغار إيناس وسعد
بهذا لم يكن للغار عهد
وأنفس شقوة من ذاك جرد
وءاوى المصطفى طير وصلد
ونسج عناكب ، صمد وفرذ
إذا لم يقصد الرحمان عبد
يخاف العبد والمولى مُمد
لسر الله كيف به يمد
لدعويه لها سغي وكد
سباها منه إشراق ووقد
كان كلامها في السمع شهيد
بفضل ما له حصر وخذ
ويصرف عنه من أشقاه طرد
إلينا إذ به رفع الأشد
وأصحاب بهم قد لاح رشد

ومنه قوله يُهنئُ المغرب بهجرة الإمام إدريس بن عبد الله الكامل دفين
زرهون (160) إليه واستيطانه فيه :

إلا أيها الغرب افتخر أنت سابق
تجلّى عليك الله باليسط والبها
أرادك سُكناه الإلاه كرامة
غدوت له روضاً أنيقاً على الورى
وأخصبت للقطان عيشاً ونصرة
تبختر بأبراد النبوءة رافلا
عليك لإدريس الإمام عناية
وكأس الصفا الأهنا شربت بقربه
فدم دار ملك المصطفى دار نُسكه
نقام حدودُ الله فيك مدا المدا
وكل من السكان فيك فؤاده
عليك وإدريس الإمام تحية

بإدريس في السباق ما لك لاحق
ليهواك إدريس الرضا ويصدق
وأذعنت والإذعان منك مطابق
أريج شذاه للقيامة عابق
كأنك بالخصب النفس حدائق
وأنت لآفاق البسيطة فائق
وأعلام سيماها عليك خواق
فقرُبك منه للحبيب موافق
بذا أخبر الهادي وأحمد صادق
وتتلو كتاب الله فيك الخلائق
لقاء رسول الله هاوٍ وشائق
يطيبُ بريأها الذي هو ناشق

ومنه يمدح كنزة النفزية زوج إدريس الأول وأم إدريس الثاني ويذكر
ما أنعم الله ببركتهم على وطن المغرب وشعبه :

كنزٌ بكنزة مخبوء ومُدخِر
ويوم مولده على ملاحظته
وإذ أضاء بغرب نور غرته
ومد ترعرع إدريس بدولته
ويوم الاثنين من إدريس لاح لنا
وحين شب شباباً طيباً حسنا

يرجو غني به الجدوى ومفتقر
تراحم الناظران : القلب والبصر
تقهقر النيران : الشمس والقمر
تباشر الثقلان : الجن والبشر
بالمغرب الساطعان : الجود والخفر
به ازدهى المنزلان : البدو والحضر

(160) زرهون اسم قبيلة متعربة تسكن الجبل الواقع شمالي مدينة مكناس والذي حلّت
فيه محل قبيلة أوربة القديمة ، وتتألف القبيلة من ستة بطون : أهل الريف (أو ريفات) ، وسي
عمار ، وتادلة ، وتالغزة ، وزاوية مولاي إدريس ، والمغاصيين .

وبجبل هذه القبيلة البلدة التي بها ضريح الإمام إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى
بن الحسن السبط بن الإمام علي وفاطمة الزهراء ، والمسماة باسمه .

ويوم مولده في الغرب غار أسى
ومن نضارته في الغرب حين بدا
للورى بالهنا في الغرب حين أتى
ومذ نشا نشأة في الغرب كاملة
وفي طريق الهدى للخلق متضح
وللسنا والنوى للخلق مبهج
ومن غضارة إدريس وبهجته
كأنه وأبوه مذ نشا وبدا
وشاع في كل عصر عن علائهما
ولاح وانهل من إدريس حين بدا
بسر إدريس قد ولّى كما انجبرث
وابتل وأزدان من أنوار مولىه
وانزال مذ حل إدريس ووالده
واختال تيهأ به في برد بهجته
وطاب من طيب إدريس الرضا أبداً
بسر مولده حاز الهنا أبداً

(161) السفر كئس البيت ، والسفر جماعة المسافرين .

(162) النجم كل ما لا ساق له من النبات وعكسه الشجر ، وفي القراءان الكريم : (والنجم والشجر يسجدان) .

(163) الحجر : بالكسر ما حواه الحظيم المدار بالكعبة المشرفة من الجهة الشمالية ، والحجر يريد به الحجر الأسود .

(164) الفجر : ضوء الصباح ، والفجر العطاء والكرم والمعروف .

(165) السحر الرنة ، قبيل الصبح .

(166) السكر معروف ، والسكر كل ما يسكر والغضب والغيظ .

(167) العصر (مثلث وبضمتين) الدهر ، والعصر الملجأ والمنجاة .

(168) العطر الطيب والعطر طيب الرائحة .

(169) العمر المسجد ، والعمر (بالسكون) الدين وحرك للضرورة .

بالمغرب الأخضران : الغَضْرُ والغَضِيرُ (170)	ومن معاشِرِ وجنَّاتِ أُديَمِ بِهِ
بالمغرب الشائقان : القَدْرُ والقَدْرُ (171)	وساعدَ الناسَ لما حلَّ بينَهُمُ
بالمغرب الواصفان : النَثْرُ والنَثْرُ (172)	وراقَ من وصفِ إدريسِ وجَوْهَرِهِ
بالمغرب المفردان : الوَثْرُ والوَثْرُ (173)	كأنَّ إدريسَ في الهيجا وفي يَدِهِ
بالمغرب الناقضان : الوَزْرُ والوَزْرُ (174)	على الوري حطَّ فضلا واستقام به
بالمغرب الباطلان : الهَذْرُ والهَذْرُ (175)	وقد أزيلَ بإدريسِ وهَمَّتِهِ
بالمغرب الأشرفان : اليَسْرُ واليَسْرُ (176)	وحلَّ بالناسِ من إدريسَ حينَ بدا
بالمغرب الأخوفان : الدُّعْرُ والدُّعْرُ (177)	بأمرِ إدريسَ زالَ عنهمُ في حُقبِ
بالمغرب الغالبان : الدُّنْرُ والدُّنْرُ (178)	وفاضَ فيهم كما قد زالَ تَكْرِمَةُ

وفيما يلي مثال من نثره ، وهو المقامة العاشرة من (الحل السُنديسية) ،
وتُعرفُ بالمقامة الميثاقية المحمدية ، وقد بالغَ فيها في الوصف وتحريك
الأشخاص حتى لكانه مُنظَّم حفَل أو مُرتَّب مسرح ، قال :

حدَّث مُدْرِكُ الغَوَاصِ قال : ركبَت نَعامَ الحثيث (179) ، في نَعام
مهامهِ الحثيث (180) ، وقدمتُ من النعائم (181) ، أسايرُ القمرِ في النعائم

(170) الغضْرُ الجُصْبُ ، وعيشُ غَضِيرِ ناعم .

(171) القَدْرُ الغنى واليسار والقوة ، والقَدْرُ القضاء والحكم ومبلغ الشيء .

(172) النَثْرُ من الكلام معروف ، والنَثْرُ ما انتثرَ من الشيء كالجَوْهَرِ من العقود .

(173) الوَثْرُ الفَرْدُ والتار ، والوَثْرُ للقوقس معروف .

(174) الوَزْرُ الإثْمُ ، والوَزْرُ : الجِصْنُ والملجأ .

(175) الهَذْرُ ما يبطلُ من ذمٍ وغيره ، والهَذْرُ يسكون وذال معجمة الرديء وسَقَطُ الكلام .

(176) اليَسْرُ : اللينُ والانتقاد ، واليَسْرُ الغنى وضد العُسْر ، والسَّهْلُ .

(177) الدُّعْرُ : الخوف ، والدُّعْرُ : التخويف والدُّمَشُ .

(178) النَثْرُ : المال الكثير ، والدُّنْرُ : الوسخ .

(179) نَعام الحثيث : هو النَعام المعروف .

(180) نَعام : المفازات .

(181) النعائم : موضعُ قرب المدينة المنورة .

(182) ، واكتسبت من الشمائل ، ما هو أرق من الشمائل(183) ، وحملت على عوائق الأفكار (184) ، عرائس عوائق الأسرار (185) ، ودعاني الراح العتيق ، هلم إلى البيت العتيق ، يأمرك الأسير العتيق (186) ، فلبينه تلبية العتيق (187) ، وأجبهه إجابة العتيق (188) ، وأجريت الدمع كالنعمان (189) ، لما تحريت وادي نعمان (190) ، فلم أيقن بالمنى ، حتى أتيت منى ، وأويت من الكشف إلى الغرفات ، فعرفتني بعرفات ، وأني سأعرف منه غرفات ، من بحار دقائق المعرفات ، فلما أردت الإفاضة ، نشر أبو الأنوار إيماضه ، وضرب فسطاطاً من النور ، على الوادي وطرزهُ بأنواع الحبور ، ونشر أعلام الجمال ، على الآكام والجبال ، وعلق مصابيح الجلال ، على منابر الكمال ، وفرش فرش الإكرام ، على أسيرة الإجلال والإعظام ، ثم أنشد وقال ، ما هو للقلوب كالعقال :

قف بنعمان موطن التأسيس لعماد التوحيد والتقديس
واجتن ثمرات وصل حبيب واجتلي نيرات لطف أنيس
وانظر الكرم كيف يسمو ويجلي في جميع الآفاق جلو عروس
يخرج الدر منه بيضاً وسوداً طبق أعداد كائنات النفوس
ويقرؤون بالشهادة طراً وبوحدة ربنا القدوس

(182) النعائم : منزلة من منازل القمر .

(183) الشمائل : جمع شمال وهي الريح .

(184) عوائق الأفكار : جمع عائق ، وهو المنكب .

(185) عوائق الأسرار : جمع عائق وهي البكر .

(186) الأسير العتيق : المعتوق .

(187) تلبية العتيق : العبد .

(188) إجابة العتيق : الصديق .

(189) النعمان : الدم .

(190) وادي نعمان : مكان خرب المدينة .

قال مدرك : فرجعتُ عن الارتحال ، وأجبتُ أبا الأنوار بالارتجال ،

فقلت :

هذه حضرة القضاء المطاع لمواصلة زهت أو قطاع
شرب الذر وهو ثملان سكرأ من رحيق خطاب كاس السماع
لم تزل في الأرواح نشوة سُكرٍ مودع للمعاد في الأسماع

قال مدرك : أفشعراً ممأ عاينته جلدٌ عزمي ، وهزيمٌ جندٌ إقدامي قسراً
وحزمي ، وإذا كراسي من ذهب ، اضمحلَّ العقل منها وذهب ، مرصعةٌ
باليواقيتِ والذُرر ، أبهجتُ تلك المواقيتِ العُزْر ، وإذا نورٌ تلك الكراسي ،
صاعدٌ كالجبالِ الرواسي ، وفي وسطها سريرٌ ينور ، يغلبُ ضوؤهُ الشموسَ
والبدور ، تتزاورُ في مواكبها وتزور ، وظهر أبو البشر ، ظهور الشمسِ
والقمر ، فجاءه ملكٌ كريم ، بأمر ذي العرش العظيم ، فمسحَ صفحةً ظهره ،
فأخرجَ نَسَمَ ذرّه ، فأهلَ اليمين لهم (أُررٌ من السعادة) بيض (191) ، بينَ
عيني كلِّ إنسانٍ منهم وميض ، وأهلَ الشَّمالِ أهلَ الحَضِيض ، لهم سوادُ
الشقاوة عريض ، فخرجوا قِرناً بعد قِرْنٍ ، من أصنافِ شئى بينَ قِرْنٍ وقِرْنٍ
(192) ، أخرجوا من آدم ، وقد حطّوا العالم ، فكانوا صوراً دقيقة ،
يتحرَّكون بها حقيقة ، ولهم ألسنٌ بها ينطقون ، وعقولٌ بها يعون ويحققون ،
وسمعٌ به يسمعون ، وإدراكٌ به يعقلون ، ثم جلسَ الكبراءُ على الأُسرة ،
تغشاهمُ بها ألوانُ المسرة ، هذا وسريرُ آدم الأَهر ، من قصبِ مُرصعٍ
بالجَوْهر ، ومحمولٌ على الأكتاف ، من الملائكة الأشراف ، وهو على بابِ
الجنة ، مرفوعٌ عن الإنسِ والجنّة ، في صخرةٍ عرضها ثلاثون ألفاً ، لم يجدُ
فيها غيرَ الملائكةِ ألفاً ، وبينما هو في تسبيحٍ وتحميدٍ ، إذ طلعَ عليهم سلطانُ
التوحيد ، وأحدقتُ بهم جنودُ التفريد ، وسلَّتْ سيوفُ القهرمان الأُحدية ،
واهترزتْ رماحُ الجبروتِ الصمّدية ، وأسفرَ لثامُ التخويف ، عن عرائس
التعريف ، وأشرفَ طالعُ الخطابِ القدسي ، وأشرقَ نورُ عرائس الكلام

(191) في الأصل المنقول منه (فأهل اليمين لهم وبيض ، ولم نفهم للوبيض معنى ، فقدرنا
ان في الجملة سقطاً وأصلحناها مجتهدين .

(192) القرن بالفتح : الجيل ومئة سنة ، وبالكسر النُدُّ والمماثل .

النفسى ، فأسكرتهم لذائذته ، وهيجتهم تلاوته ، فلم تزل أرواحهم به مولعة ، ولم تبرح لذة السماع فيهم مودعة ، ثم أنشأ وقال :

خطاب حبيب للقلوب مدامة مُعْتَقَةٌ من قبل شئت وسام
خطاب ووصل قد أدار عليهم كشمس شهود بالجلالة سام
وأسمعهم في خلوة وأنالهم بديع مقال وارتفاع مقام

فقال : قال لهم البديع ، وهو يخاطب الجميع : اعلموا أنه لا رب لكم غيري ، وأنتم مصرفون بين خيرى وضيرى ، لا تشركوا بي ، ولا تكفروا بي ، وخافوا سطوتي وعذابي ، سأنتقم ممن لم يؤمن بكتابي ، وإني مرسل إليكم رُسلي بأفاقي ، يُذكرونكم قديم عهدي وميثاقى ، فقالوا شهدنا أنك ربنا ، لا رب لنا غيرك وأنت حسبنا ، قال فلما أقرؤا بتوحيده ، وقرؤا عينا بتفريده ، وضجوا بتحميده ، ولبوا بتمجيده ، طهرهم بمياه تقديسه وغسل ، وأجرى لهم نهراً أحلا من العسل ، وأذ من الزبد الرائق ، المطيب نكهة الذائق ، ثم أمر القلم الرفيع ان يستمد ، من ذلك النهر ويكتب ما يستبد ، فكتب الموائيق والعهود ، والإقرار والاشهاد والوعود ، والأفراح والأوجال ، والأرزاق والآجال ، والبُغض والوداد ، وما هو كائن إلى المعاد ، ثم ألقم الكتاب الحجر الأسود ، فقرب من قرب وأبعد من أبعد ، وانما هذا الاستفهام ، بيعة على إقرار الأنام ، ثم ردهم إلى صلب آدم ، يخرجون على حسب ما تقدم .

قال مدرك الغواص ، فأنشدت أوقظ العوام والخواص :

أيها الكائنون من قبضتني لم تزالوا طول المدى فرقتني
قبضة النور للنعيم وأخرى للجحيم فلم تزل ذات بين
أبهم الأمر عنكم لتخافوا فاطلبوا منه أسعد الحالتين
قد جرى القلم البديع بما في أصل أم الكتاب من رُبَّتَيْنِ
رُبَّتَانِ : سعادة وشقاء فيهما الخلق قد غدوا مرتين
في ابتدائك وانتهائك فانظر يا أخي بتبصر نظرتين
حقي الطرفين بدءاً وختماً لتسود ياكامل الطرفين

قال مدرك : فقلتُ لأبي الأنوار : هل بقي وراءك من أخبار ؟ قال نعم ! بقي لباب اللباب ، دخلتُ باباً وبقي مئة ألف باب ، ليس لأسوارها عددٌ ولا حساب ، إن رُمّت حصرها وقعت في الارتباب ، أشرقَت لك شمسُ المرام ، وهي تمرُّ عليك مرَّ الغمام ، إنما هذا الموطن المجيد ، مظهرُ كنوز التوحيد ، للموحدين والأبرار ، والأصفياء والأخيار ، والنبئين والمرسلين الأطهار ، عليهم الصلاة والسلام أُندي من الأزهار ، والمولودين في جميع الأعصار ، عنهم بالدعوة والإشهاد ، وخصَّهم بالتوحيد والإرشاد ، وأوَّل من تلقى كريمَ الخطاب ، وتلقَّف في الحضرة الكلامَ المستطاب ، وأسرع بقول بلى في الجواب ، امتثالاً لأمر الكريم الوهاب ، نورُ الحبيب المشهور ، المشرق على آدم المشكور ، عليهما أزكا الصلاة والسلام ، من الله السلام ، ما غرَدَ الحَمَام ، فهو الواسطة لجلب النعمة ، والسبب الأقوى لنزول الرحمة ، والغيث لدفع النقمة ، والمسدُّ على الأنام أودية النعمة ، والكُل تحت فناء ظلِّه البسيط ، يربُّون بحرَ باطنه المحيط ، أجرى لهم من بحره الجداول ، وأجرى لهم قطرة من وابل ، يفنى الزمان ولم أصف لك ذرة ، ولم أرضعك من مئة ألف ذرة ، ولكن أبين لك الأسعار ، فأنشدك من رائق الأشعار ، فأقول :

منه تبدو عرائس التمجيد
يغش باب الحبيب غير رشيد
يغرفون من بحر طه المديد
جوده الأحمدي هل من مزيد
قالت الأنبياء هل من مزيد
من حبيب دعوته هل من جديد
غيب عين الهدى طراز الوجود
وبظاهره ظهور الودود
كل أمر موجّه للعبود
أو قريب أو غامض أو بعيد
من وصال ورؤية وشهود

عند طه خزائن التوحيد
هو باب للواصلين فمن لم
وقف الكل عند باب حماه
كلما غرف العفاه ينادي
كلما منح النبيين طراً
كلما قد أدير كأس شهود
هو كنز الوجود مطلع سر الد
وبباطنه اختفى المتعالي
أظهر الحق بالحبيب وأخفى
فيه يظهر كل أمر خفي
فالحبيب الوسيط في كل شيء

هو فردٌ أفرادُهُ ليس تُحصَى
ألقى بالكَ واعتقد أن طه
هو عينٌ عيون جودٍ ولولا
وسفيتننا النجاة بنا قد
كلما شمت من ضياءٍ ونورٍ
هو نورٌ مجردٌ مفردٌ الحسد
كل من في نعمان قد مد كفاً
ورد المومنون والأنبيا من
فالتقط مدرك جواهر نظمي
غصن ببحر الثنا على مثل هذا

كل من في الوجود من ذا الفريد
لم يشاركه في الوري من حميد
مدد منه غار بحر الجود
ثبتت بفناء طه الجودي
فهو من نور أحمد المحمود
ن على القوم فانتنوا للركود
لشعاع ضيائه الممدود
عذب حوض كماله المورود
كقلائد نظمت وعقود
واجعلنه هديت فوق الجيد

وقد حظيت هذه المقامات بإقبال كبير من علماء العصر وطلبته ،
وكتب كثير منهم إلى منشيها مادحين مقرظين ، وقارن بعضهم بينها وبين
مقامات الحريري ففضلوا تلك على هذه مع ما بينهما من فارق شكلا
وموضوعاً ، وما ذلك إلا لغلبة محبة الجناح النبوي عليهم ، ومن أحسن
التقاريف التي كتبت حولها تقریظٌ بليغٌ للفظ رائق المعنى أنشأه الأديب الأريب
علي بن ابراهيم بن محمد فتاة التونسي وأثبت نصه الكامل محمد الوزير
السراج الأندلسي في كتابه (الحلل السندسية) نقبس منه ما يلي :

« وبعد فقد وقفت على هذه المقامات الرفيعة ، والأمداح الأنيقة
البديعة ، إنشاء الشيخ الإمام ، العَلَمِ الصدرِ الهمام ، لسانِ العرب ، وترجمانِ
الأدب ، عالمِ الأدباء ، وأديب العلماء ، الامام الأوحَد ، سيدي أبي العباس
أحمد ، بن عبد الحي الحلبي منشأ وداراً ، الفاسي رحلة وقراراً ، أمتع الله
بحياته النفوس ، وحلى بحل بلاغته الدفاتر والطروس ، ولما وقفت على
أبوابها العالية ، ولمحت أنوار قصورها السامية ، حملني التطفل على الدخول
إلى جناتها ، لأجتنبي من يانع ثمراتها ، فلما هممت بالعبور ، دفع في صدري
الاعتراف بالقصور ، قائلاً : إرجع لست من أهل القصور ، فلم يزل التطفل
يغريني ، والطمع نحو الاجتناء من ثمراتها ينشُرني ويطويني ، إلى أن دخلت
رياضها الناضرة ، وأجلت طرف طرفي في ميدان محاسنها الباهرة ، فألفيتها

روضهً قد أينعت ثمرات فصاحتها ، فأصبحت دانية القطوف ، وتجلت عرائس بلاغتها ، فظهر بدرها بلاكسوف ، قد احتوت على مخدرات بنات الأفكار (حور مقصورات في الخيام) ، ونظمت من غرر درر المعاني ما انقطعت دونه المطامع وعجزت عن إدراكه الأفهام ، منتورها الفائق ، مشتمل على سحر البيان ، ومنظومها الرائق ، يحاكي عقود الجمان ، لطائفها تميل إليها أعناق الهمم ، من كل جانب ، ومطارفها ترنو إليها أحداق الأمم ، من المشارق إلى المغرب ، أقسم من بياض طرسها بالصبح إذا انفلق ، ومن سواد نفسها بالليل وما وسق ، ومن نيرات معانيها بالفجر إذا اتسق ، ما هي في الحقيقة إلا سماء البلاغة المحروسة بشهابها ، ومعنى الفصاحة التي لا يحسن التشبيب من قصب الأقلام إلا بها ، تليت على أرباب الفصاحة فظلوا لها خاضعين ، وجليت على أهل البراعة فقالوا أتينا طائعين ، ولو نظر معارضها في نجوم سماء بلاغتها لأحجم وقال : إني سقيم ، أو سابقها مناضلها في مضمار البلاغة لكأنت المجلي وكان هو اللطيم ...

إلى أن يقول :

ولا أقول كما قال بعضهم

إن الحريري حريي بأن

بل أقول :

تكتب بالتبر مقاماته

تترك إهمالا مقاماته
من أشرق كالشمس آياته
تقبل في العاصي شفاعته
لم تحصر عدا كمالته
في موقف الحشر عنايته
بانث بلا شك سعادته
فذاك قد خابت تجارته
أن لم تكن فيه بلاغته
سبق الذي لبثك غايته
والله لا تحصي متبائته

إن الحريري حريي بأن
لأنه لم ينشها من حلي
ومن له الزلفى ويوم الجزا
محمد ذو المعجزات الذي
ومن ترجى يوم جمع الوري
فهو الذي من أم أعتابه
فمن يمل عن بابہ للسوى
سيفرع السن الحريري على
فاهنا أبا العباس قد فزت بال
فذاك فضل الله أتاكه

وقلتُ :

أبا العباس حُقَّ لك الهناء
مدحتُ محمداً خيرَ البرايا
وذلك في مقاماتٍ تسامتُ
بمنظومٍ ومنتشورٍ يُحاكي
جلوتَ عرائس الأمداح فيها
فبُشراكَ الجوائزُ من نبيِّ
تفوزُ بذاك في جناتِ عَدْنٍ
فَطِبَ نفساً وقرَّ بذاك عَيْناً
وكانتُه يُقبَلُ تَرَبُّ أرضِ
يُقارنُه سلامٌ فاحٍ مسكاً
ويسألُ من كمالِكُم دعاءً

ففضلُك شاعَ ما فيه أمتراءُ
بأمداحٍ يطيبُ بها التشاءُ
على الجوزاءِ كان لها ارتقاءُ
نجوماً في السماءِ لها ضياءُ
فكانَ لها على البدرِ البهاءُ
كريمٍ ليس يوهنه العطاءُ
وتظفرُ بالنعيم كما تشاءُ
ففضلُ الله ليس له انتهاءُ
علتُ من فوقها تلك الحذاءُ
أريجاً ما لغايته انقضاءُ
فمن أمثالكم يُرجى الدعاءُ (193)

تُوفِّي بفاس في جمادى الثانية عام 1120 هـ ودفن قرب ضريح سيدي
الضراس بن اسماعيل داخل باب فتوح (194)

193) ينظر النص الكامل لهذا التقرّيز البليغ في الخلل السندسية 2 : 688 - 693

194) الإكليل والتاج (أطروحة مرقونة) 1 : 183 والتقاط الدرر 2 : 302 والأزهار العاطرة
الأنفاس ص 7 وأمداح نبوية (مخطوط مصور) صفحات كثيرة ، والأنس والاستئناس ص 166 و 178
والأنيس المطرب ص 6 - 19 والأعلام للزركلي 1 : 144 والإعلام بمن حلّ مراكش وأغماث من
الأعلام 2 : 332 ع 250 وإيضاح المكنون صفحات عديدة ، وتاريخ تطوان 3 : 118 والحركة الأدبية
على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 69 و 1246 والخلل السندسية 2 : 688 - 693
ودليل مخطوطات دار الكتاب الناصرية ص 142 و 144 و 214 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى
1 : 149 وطلعة المشتري 1 : 265 ومعجم المخطوطات ص 373 و 1428 ومعجم المطبوعات
1 : 373 ومعجم المؤلفين 1 : 263 والمنزح اللطيف ص 297 ونشر المئاني 3 : 197 ومعجم
المطبوعات المغربية ص 88 وصلوة من انتشر ص 215 وفهارس مخطوطات الخزائن العامة بالرباط
2 : 213 وفهرسة الخزائن العلمية الصبحية ص 246 - 307 - 308 وفهرس مخطوطات خزائن
القرويين 1 : 29 ع 297 وسلوة الأنفاس 2 : 164 والشعر الدلامي ص 62 - 67 - 77 وهديّة العارفين
ص 168

1639) أحمدُ بنُ يحيى وَالزَّهْرَاءُ ، فقيهَ نبيّةٍ من مدينة الرباط ، نكروا أن أصلَ أسرته من الأندلس ، وأن بيّتهم كانَ من البيوت الأندلسية الوجيّهة أواخرَ حُكم الأسرة السعدية ، ولكنَّ تركيبَ الاسم العائلي (والزَّهْرَاءُ) يُرَجِّحُ أن تكون أصولُهم بربرية ، فإنَّ (الواو) من وَالزَّهْرَاءُ معناه (الابن) في اللهجات البربرية ، وفي المغرب أسرٌ كثيرة لأسمائها نفسُ التركيبة ، مثل والعلو ، وعزيز ، وقفير ، وقسو ، فإن كانت أندلسيَّة صحبحة فلا شكَّ أنَّ الاسمَ تبرير شطرٌ منه بعد الانتقال إلى المغرب ، ويكون أصلُ الاسم في الأندلس (ابن الزَّهْرَاءُ) ، وهذا التحليلُ اللفظي لا يمسُّ في شيءٍ آلَ وَالزَّهْرَاءُ المشهور بيّتهم في الرباط قديماً وحديثاً بالفضل والمروءة .

أخذ المترجمُ به عن شيوخ عديدين كأحمد بن يعقوب الولاوي آتي الترجمة وعبد الملك بن محمد التاجموني السجلماسي ولازم الشيخ علي العكاري وسمع منه معظم الأمهات من المتون في كثير من الفنون .
وكان عالماً جليلاً مشاركاً في جُلِّ العلوم المتداولة ببلده في وقته كالفقه والأصول والبلاغة ويُتقنها إتقان بحث وتحقيق وتحرير .

أجازهُ شيخه علي العكاري في 11 رمضان عام 1108 إجازةً مذكوراً نصّها في فهرسة العكاري ونقلها الشاعرُ الأديبُ محمد بن مصطفى بوجندار في كتابه (الاغتباط بتراجم أعلام الرباط) .

سافر المترجمُ به إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، فتوفّي في سفره بعد ما حج ، والظنُّ أن ذلك كان بعد عام 1120 (195)

195) الاحاف الوجيز ص 87 والاغتباط 1 : 12 والبدور الضاوية للعكاري (مخطوط خ. ع بالرباط نمرة ك 1421) والحركة الأنبيية في المغرب على عهد مولاي اسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 256 ومجالس الاتيساط ص 90

(1640) أحمد بن محمد ابن ناجي السجلماسي ، قاضٍ مغربي أصله من سجلماسة ، كان فقيهاً علامة محققاً مشاوراً ذا حظوة عند السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف العلوي ، وعلو مكانة ونفوذ كلمة عند جميع الناس ، ولي قضاء فاس وعُزل عنه ، وكان يتعاقبه مع القاضي العربي بردلة ، كما تولى الخطابة والفتيا بجامع القرويين ونظارة أوقافه أيام حكم علي الروسي بفاس ، وفي أواخر القرن الحادي عشر أُسند إليه قضاء سلا والرباط فبقى فيه نحوَ عشرين سنة ، ثم نُقل إلى قضاء فاس فمكناس ، وعليه بالمدينة الأخيرة أدركه أجله .

أخذ عنه أحمد بن عاشر الحافي السلوي التفسير والحديث والفقهاء والشمال أيام قضاائه بسلا ، وقال عنه في فهرسته كان وقوراً ذا تودة وهمة عالية وكلمة نافذة عند السلطان وغيره ، معظماً لجميع من ينتسب للطلب .

ومن أخباره أيام قضاائه بفاس ما ذكره أبو القاسم بن سعيد العميري في فهرسته أن اليهود جاءوا إليه بنسخة رسم وأدلوها بها لديه ينتهزون الفرصة فيه بخطابه عليه ، ويتعززون بما وصلوا منه إليه ، وحين صدروا عنه ثار في أثرهم بالطلب ، فأخذوا واستخرج منهم الرسم ، وانتهى الخبر إلى السلطان مولاي إسماعيل ، فنالت عقوبته جميع من بمملكته من اليهود ، واغرمهم عليه أموالاً بوظيف غير معهود ، ونص ما في تلك النسخة بعد البسملة والصلاة :

«هذا ما عهد به مولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لموسى بن حبي بن أخطب وأهل بيت صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم لهم أمن الله عز وجل وأمن رسوله لشاهدتهم وغائبهم لا يحصرون ولا يغزون ولا يبطأ أرضهم جيش ، ليس عليهم نزل ولا ربط ولا كسح ، وعلى من أحب رسول الله أن يؤمنهم لئمة الله ونمة رسوله ، ولهم ربط العمائم وأمر على اليهود ، ثم لهم بعد هذا ما افترض رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة دراهم في الشهر إن كان عليهم مقدرة ، فمن خالف كتابنا هذا الذي كتبناه لهم ، وعهنا الذي عاهدناهم فنمتي منه برية ، وأنا بريء منهم ، وأنا خصيهم يوم القيامة ، فمن خاصمني خصمته ، ومن خصمته كان في النار .

وكتب علي بن أبي طالب ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم .
وعلى الوثيقة إشهادُ عدد من الصحابة وكتبَ شهادتهم معاوية بن أبي
سفيان في ذي قعدة سنة تسع من الهجرة .

وقد أنكر علماء المغرب هذا الرسم لما فيه من التزوير البين وأبطلوا
ما فيه ، لمخالفته أسلوبَ السلف ونهَجَ نوي التوثيق من المتأخرين
ومصادمته للإجماع وما عليه العملُ في سائر الأزمنة والبقاع .
له فتوى في موضوع جيش عبيد البخاري .

توفي بمكناس يوم الجمعة 24 رجب عام 1122 ودفن بضريح عائشة
العدوية (196)

(1641) أحمد بن محمد بن حمَد العجمي المكني ، فقيه تونسي ينسب
على غير قياس إلى بلدة المكنين بلدة بالساحل التونسي من عمل المنستير ،
أخذ عن علي بن محمد النوري الصفاقسي ولازمه وانتفع به وهو عمدته ،
ورحل إلى مصر فاجتمع بعدد من علمائها وسمعَ منهم وأخذَ عنهم كإبراهيم
الشبرخيتي ومحمد الخرشي ، وبعد ما حجَّ عاد إلى بلده مع ركب كان فيه
علامةُ المغرب الحسن اليوسي فصحبه واستفاد منه كثيراً خلال الطريق .
وكان من العلماء العاملين ، مشهوراً بالصلاح والتمسك بعُرى الدين .
ومن مآثره تأسيسه مدرسةً علميةً ببلدته تصدَّى للتدريس بها وانتفعَ
به جماعة منهم ابناه أحمد وحسين .

(196) إتحاف أعلام الناس 1 : 337 والإتحاف الوجيز ص 111 والنقاط الدرر 2 : 306
والاغتباط ص 11 وجامع القرويين 3 : 798 ونشرُ المثاني 3 : 210 وتطهير البساط ص 7 - 8
والمنزح اللطيف ص 219 والمصادر العربية لتاريخ المغرب 1 : 212 وفهرسة الحافي
(أطروحة مرقونة) ص 216 وفهرسة أبي القاسم العميري (مخطوطة مصورة) ص 68 وقضاة فاس
(نسخة مرقونة) 2 : 224 .

له منظومة سماها (عقيدة التوحيد) مطلعها :

يقول راجي الله جلّت قدرته أحمد المكني تلك شهرته
الحمد لله العظيم الباري الواحد المهيمن الغفار

وضع عليها الشيخ عبد العزيز الفراتي الصفاقسي شرحاً سماه
(الفتوحات الإلهية ، على الأرجوزة المكنية) ، توجد الأرجوزة وشرحها
بدار الكتب المصرية (41/9 مجاميع) .

ذكره النوري في فهرسته وأثنى عليه كثيرا .

تُوفّي بالمكئين يوم 15 رمضان عام 1122 ودُفِن بمدرسته (197) .

1642) أحمد بن مصطفى الطرودي ، أخذ علماء الفقه الحنفي
بتونس ، أخذ الفقه والفرائض عن الشيخ محمد الكفيف ، والعربية والتوحيد
عن الشيخ محمد الغماري ، ولازم العلامة الشهير محمد زيتونة ، واستكمل
عليه العربية وعدة فنون ، وقرأ الحديث ومصطلحه على الشيخين محمد
الصفار وسعيد المحجوز .

تصدّر للتدريس بجامع الزيتونة ، ثم ولي التدريس والإمامة بجامع
القائد مراد ، ثم انتخبه الأمير حسين بن علي خطيباً لنفسه بمسجد باربدو
وأعطاه المدرسة اليوسفية لما توفّي شيخها هبة الله أفندي فأفاد واجاد ،
وتخرج به عديد من الطلبة .

وكان مليح الصورة حسن الزي نقي الثياب ، ديناً عفيفاً حسن اللقاء .

لم اقف على تاريخ وفاته ، وكان حياً عام 1123 ولعل الشيخ علي
النيفر حقق ذلك التاريخ في كتابه (ذيل عنوان الأريب) الذي لما يطبع (198)

(197) الأعلام للزركلي 1 : 240 وتراجم المؤلفين التونسيين 4 : 367 وكتاب العمر ص 422
وفهرس الكتب خاتمة الخديوية 7 : 79 وفهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية 1 : 200 وشجرة
النور الزكية 1 : 322 ع 1256 .

(198) الحلل السنسية 3 : 117 وذيل بشارت أهل الإيمان ص 252 ومفاتيح النصر ص 179 .

1643) أحمدُ بن عبد القادر بن يحيى السوسي ، فقيه مدرسّ علامة أريب أصله من إقليم سوس وتعلم بفاس ، ومن شيوخه بها عبد السلام بن الطيب القادري .

وكان يُحسن التوثيق ويحلّ مشكلاته ، ويقصده الناس لكُتُب الأسئلة التي يراذ أن يُجيب عنها علماء الوقت ، حسنَ الخط سريعاً في كتابته ، وهو الذي أخرج جُلّ مؤلفات عبد السلام القادري من مُببصتها لاتقانه .
وقع الثناء على مروءته وحسن سمته وتحصيله للعلم .
تُوفي بفاس عام 1124 (199) .

1644) أحمدُ بن علي الجرندي ، فقيه من أهل فاس وأصل سلفه من الأندلس ، أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي واحمد ابن الحاج وغيرهما ، وكان من الفقهاء المرموقين ، أم بمسجد الشرفاء قبل إنشاء الخطبة به ودرس فيه علوماً ، وعينه السلطان مولاي إسماعيل لقضاء فاس فتولاه على كُرُو منه ثم احتال لنفسه في التخلص منه فأخذ يتحامق ويتظاهر بالبله حتى أُقيل منه .

توفي بفاس بعد العشاء من يوم الجمعة 15 محرم عام 1125 ودفن بحومة صاريوة قرب ضريح الشيخ علي بوغالب داخل باب فتوح (200).

1645) أحمد بن يوسف الولتي ، فقيه مغربي ، أخذ عن الشيخ أحمد بن محمد الدرعي المَكْرُوتي ، كان يلازم زاويته بمَكْرُوتة (تامكروت) ويتردد عليه بها كثيراً ، وربما استخلفه الشيخ في بعض أسفاره .

199) التقاط الدرر 2 : 308 ونشر المثاني 3 : 213 وسلوة الأنفاس 3 : 252 واليوافيت الثمينة 1 : 40 .
200) الإكليل والتاج (أطروحة مرقونة) ص 184 والتقاط الدرر 2 : 308 ونشر المثاني 3 : 215 وفهرسة أحمد ابن الحاج (أطروحة مرقونة) ص 65 وقضاة فاس (نسخة مرقونة) 2 : 231 وسلوة الأنفاس 2 : 16 واليوافيت الثمينة 1 : 41

وكان المترجمُ به حافظاً للفقهِ المالكي دءوباً على إقراء مختصر الشيخ خليل مستغراً جميع أوقاته في الإقراء والتدريس وإرشاد الناس ، حلّو المنطق حسن التبليغ لدرأيته وبراعته وحسن تقريره ، دمث الخلق حسن السيرة .

توفي بمكرونة في ربيع الثاني عام 1125 (201) .

1646) أحمدُ بنُ علي بن الطالب الوفي الغلاوي ، من فقهاء الصحراء المغربية وعلماها ، ولد عام 1070 أخذ عنه الطالب الأمين بن الطالب الحبيب ، وكان معظماً عند الخاصة والعامة لعلمه وصلاحه .

توفي بالساحل بمكان يسمى أجفار عام 1125 وقبره يعرف عند أولاد دليم بقبر الغلاوي (202) .

1647) أحمدُ بنُ محمد بن جابر النايلي الطرابلسي ، فقيه متصوفاً من أهل طرابلس ، أخذ عن والده وعن الشيخ عبد الحفيظ الصيد والشيخ محمد المكني والشيخ أحمد بن ناصر الدرعي ، أثنى عليه الشيخ عبد الله الهاروشي في (كنوز الأسرار) وقال قرأته عليه كتباً غزاراً من كتب الطريقة والتصوف .

أخذُ عنه عبدُ الظاهر النايلي ومحمد ابن دومة .

لم أقف على تاريخ وفاته ، وكان حياً عام 1126 (203) .

(201) طبقات الحضيكي 1 : 110

(202) فتح الشكور ص 42 ع 21

(203) أعلام ليبيا ص 44 وشجرة النور الزكية 1 : 331 ع 1298 والبواقيت الثمينة 1 : 41

(1648) أحمدُ بنُ محمدِ البرنسي ، عالمٌ أديبٌ من مدينة شفشاون المغربية (204) وأحدُ الرجال الذين جنّى عليهم قومهم بالإغفال والإهمال ، فإني لم أرَ له نكراً فيما بين يديّ من كتب التاريخ ودواوين الأدب وهي كثيرة ، إلا في (الرحلة الناصرية) و(الدُرر المرصّعة) ، وهو نكراً مقتضبٌ لا يشفي غليلاً ولا يُبريء عليلاً .

أما (الرحلة الناصرية) فقد وصفه فيها مؤلفها أحمدُ بن محمد بن ناصر الدرعي بالأديب البليغ الأريب ، وذكرَ أنه صهره الأحب ، وأنه برنسي النجار ، شفشاوني المنشأ والدار ، وأثبت له قطعيتين من شعره قال إحداهما في مدينة قابس ووليها الصحابي أبي لبابة الأنصاري ، وقال الثانية يمدح أهل طرابلس ويثني على كرمهم وأريحيّتهم ، وكان ذلك أثناء تراقفهما في السفر إلى الحجّ عام 1121 هـ .

وأما (الدُررُ المرصّعة) فقد ذكرَ فيها مؤلفها محمد بن موسى ابن ناصر وفاته استطراداً لما ذكر وفاة العالم الأديب أحمد بن محمد أحوزي الشهير بالهشتوكي ءاتي الترجمة ، ووصفه بالعلامة الأديب .

وفيما يلي قطعاهُ الشعريّتانِ الواردتان في (الرحلة الناصرية) ، الأولى :

نزلنا بقباسٍ وشفينا فيه	غليل القلب من شوقٍ أصابه
وزرنا به ضريحَ إمامٍ برّ	وبحرٍ في السخاءِ أبي لبابه
هو البحرُ المعينُ لوأرديه	فردّ ما شئت من بحرِ الصابيه
فأيقنا بنيلِ القصدِ حقاً	وصدّقنا بإسراعِ الإجابيه
أنلنا بإلهي كلّ خيرٍ	وإحسانٍ وزودنا الإنابيه

(204) شفشاون ، مدينة جميلة تقع في الشمال الغربي للمغرب على بعد 60 كلم جنوبي تطوان و 60 كلم شمالي وزان ، أسست عام 866 هـ في عهد السلطان أبي حسون الوطاسي ثم جند بناءها الشريف علي بن راشد العلمي ، وأخذت قاعدة للاغارة على البرتغاليين الذين كانوا يحتلون سبتة والقصر الصغير ولصد غاراتهم ، وأكثر سكانها ينتمون إلى أصول أندلسية وغمارية ، وهي اليوم قاعدة إقليم يُسمى باسمها تبلغ مساحته 4.350 كلم وعدد سكانه 439.218 حسب إحصاء سنة 1994 ، وعدد سكان المدينة وحدها 31.410 .

بفضلٍ لا تُغلقُ عنا بابَه
أدرَ علينا من درِّ السحابه
وصداقاً ولتزلَّ عنا حجابَه

وعاملنا فإننا قد أسأنا
وأمددنا بوافرٍ مِ العطايا
ونورَ قلبنا واملأه حباً

والثانية :

للمجد بالإدلاج والإسعاد
وفد الحجاج من النعيم البادي
مستوجبين فخارَ صدرِ النادي
شكراً لفعل رواجهم والغادي
تجروا لربح محامد الأيادي
عذب المناهل غنية للصادي
برزت بوجه نيرٍ وقاد
بقلائد العقيان في الأجياد
ضراً يمسُّ بغصنه المياد
جوزاء أو برد السجيم الغادي
تسلو القلوب به من الأنكاد
سكراً ويطربه نشيدُ الشادي
منه غدت تُسدي بكلِّ مراد
نوع المتاجر دائم الإمداد
وحماهم من بطشة الأوغاد
سبل الرشاد لمقتفي القصاد
فقفوا سبيل أئمة أمجاد
وطريقهم في الدين والإرشاد
والشائلي والجيلي في بغداد
نصر الإلاه به طريق الهادي
أو نرِّ برق أو ترئم حادي

إخوان صدق في طرابلس سعوا
أرزوا إلى فعل الكرام وأوسعوا
برزوا بأوجه حسان في العلا
فاقت صنائعهم صنيع نوي النداء
سبقت إلى الإحسان أنفسهم وقد
فهم البحور الزاخرات لوارد
فتزيت بهم طرابلس وقد
تجلو عروساً زائها كف الحيا
فترى الرياض أمامها ما بين مخ
ومفضض الأزهار حاكي كواكب الـ
ومورِّد ومعصفر في روضة
فتخاله شرب العقار فينتني
والبحر حف بهم تخال أكفهم
لله من سفن به يحملن من
فرعى الإلاه على ذوبها أنعماً
نشروا الأيادي على العباد وأضحوا
حرصوا على نيل الهدى وسبيله
أعلام هدي يهتدي بمنارهم
بالسالك الأرضي جنيذ زمانه
والعالم الأحظي ابن ناصر الذي
صلى عليه الله ما لاحث نكا

توفي عام 1127 ذكر ذلك محمد بن موسى الناصري في (الدرر
المُرصعة) استطراداً لما ذكر وفاة العلامة أحمد بن محمد أخوزي الشهير

بالمهشوكي في تلك السنة فقال : وفي هذه السنة تُوفي العلامةُ الأديبُ أحمد بن عبد القادر التستاوتي والعلامةُ الأديبُ أحمد بن محمد البرنُسي (205).

(1649) أحمدُ بنُ محمد بن داوود أَحْوَزِي الهَشْتوكِي ، فقيه متصوف من المغرب الأقصى ، يُلقب بأحْوَزِي (206) ، وهو تحريف بالبربرية لكلمة الحوزي العربية التي تعني ساكن الحوز (207) أو المنسوب إليه ، واشتهر بالمهشوكي والجزولي والتلمي ، والشهرةُ بالمهشوكي أغلب .

ولد بإنتملت (208) يومَ الخميس 15 رجب عام 1057 وأقبل من صغره على طلب العلم ، وقد أَرَّخَ الحَضِيكِي فِي (الطبقات) خروجَه لطلب العلم بعام 1064 وهو أمرٌ مستبعدٌ ، فتنقل بين مدارس إقليمِ سوس ودرعة ، وأقام بالزاوية الناصرية بمكرونة (تامكروت) مدةً أخذ فيها عن الشيخ الشهير محمد بن ناصر وأخيه الحسين ، والأول منهما هو الذي نصحه بالانتقال الى فاس لاستكمال دراسته بجامع القرويين ، فعمل بنصحه وانتقل إليها وأخذ بها عن شيخها عبد القادر الفاسي وابنه عبد الرحمان وأحمد بن حمدان التلمساني ، كما أخذ في غيرها عن عبد الله (أبي سالم) العياشي والحسن بن علي الهلالي ، واتصل بالعلامة الأديب الحسن بن مسعود اليوسي في الزاوية الدلائية ولازمه مدة عشرين سنة وهو عمدته ، ومن شيوخه المرموقين محمد بن سعيد المرغيثي أظن أنه أخذ عنه بمراكش ، وكل أولئك أجازوه بخطوطهم ، وحجَّ ثلاث مرات ، أولاها عام 1096 وثانيها عام 1119 وثالثها عام 1121 صحب فيها صهره أحمدَ بنَ محمد بن ناصر

(205) التُّرُزُ المَرْصُعة (مخطوط مصور) ص 35 والرحلةُ الناصرية 1 : 55 و 58 .

(206) كذا ضبطه العلامة المرحوم محمد المختار السوسي ، وقال : وما في بعض الكُتُب (أحْوَزِي) غيرُ صواب ، وأهلها معنورون بالبعد عن هذه البلاد .

(207) الحَوْزُ فِي اللغة له معان كثيرة منها الناحية ، وفي العرف المغربي كل الجهات القريبة من مدن كبيرة كحوز فاس ومراكش وتطوان ، وجمعه احواز .

(208) فِي طبقات الحَضِيكِي (ج 1 ص 82) أنه منصورِي المولد ، وقال المرحوم المختار السوسي انه ولد بإنتملت من فرقة هناك تعرف بلحوزيين ، وهو أعرف .

صاحب (الرحلة الناصرية) الشهيرة التي جرى فيها ذكره مرات كثيرة ، ولقي في حجاته الثلاث عدداً كبيراً من الفقهاء والعلماء والأدباء اخذ عنهم واخذوا عنه ، واستفاد منهم واستفادوا منه ، وأجازهم واجازوه ، منهم محمد الخُرشي ، وعبد الباقي الزرقاني وأحمد العجمي وإبراهيم الكوراني .

وكان مشاركاً مطلعاً يتقن كثيراً من العلوم والفنون الدينية واللغوية التي كانت هي أكثر ما يروج في سوق المعرفة يومئذ كالتفسير والحديث والفقه والتوحيد والمنطق والنحو والبلاغة والعروض ، مولعاً بجمع أخبار الصالحين والزهاد المتقدمين وزيارة الأحياء منهم بقصد التبرك ، ناسكاً ورعاً ، ينظم الشعر نظم الفقهاء ، نظم الكثير منه في سن مبكرة وشيئاً آخر منه في كبره ، وشعره لا يصح أن يُستدل به على قريحة وقادة لخلوه من نصاعة اللفظ وبراعة المعنى .

ومن أخباره أنه دخل قرية تغازي التي كانت من أملاك المغرب وهي اليوم من أراضي جمهورية مالي (209) فاستقر بها مدة ، وأقام بها يعلم ويدرس ، فأخذ عنه جماعة كبيرة من طلبتها وطلبة تلك الجهة ، وتولى قضاءها ، أظن أن ذلك كان بأمر السلطان مولاي إسماعيل لأن منصب القضاء من المناصب الرفيعة التي لم يكن ليتولاها أحد الأباذن السلطان ، ثم رحل منها عائداً الى منطلقه بعدما جمع بها ثروة طائلة واستقر بقية حياته في الزاوية الناصرية في كنف شيوخها الذين أعجبوا به وصاهروه بالسيدة اسماء بنت الشيخ محمد بن ناصر وأخت خلفه الشيخ أحمد بن محمد ، وأقبل بها على التدريس والتأليف ، واشتهرت حلقتة العلمية ، وأخذ عنه من أدركه من أبناء الزاوية والوافدين عليهم .

وقد خلف المترجم به مصنفات كثيرة جلها انظامٌ وشروح ذات مواضيع مختلفة ، أكثرها تافهٌ وفيما لم يترك المتقدمون للمتأخرين ما يقولون فيه ، وعلى ذلك أذكرها فيما يلي :

(209) تغازي Teghazza قرية مشهورة تقع اليوم شمالي جمهورية مالي ، بها معدن ملح شهير ، وكانت من قبل من أملاك المغرب الأقصى ، يرد ذكرها كثيراً في الوثائق المغربية ، لاسيما في مراسلات السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف العلوي مع ولده الأمير مولاي المامون ، انظر كتاب (إلى ولدي المامون) جمع وتحقيق عبد الوهاب بن منصور .

- 1 - النقاطُ اللؤلؤُ والمرجان ، في تحريم الدخان ، نظمٌ في 1500 بيت ، سماه بعضُ المترجمين بـ (شمس البيان ، في تحريم الدخان) ، وأرجحُ انهما اسمان لمُسَمَّى واحد .
- 2 - إنارةُ البصائر ، في نكر مناقب القطب ابن ناصر ، وحزبه الأئمة الهداة الأكابر .
- 3 - تحفةُ الرب المعبود ، على تعاريف النحو والحدود (مطول ومختصر) .
- 4 - تسهيلُ السالك ، إلى أافية ابن مالك .
- 5 - جوهرُ المعاني ، فيما يتعلق بأحكام الروح النوراني .
- 6 - الدرُّ المنظم ، في بيان إضافة حروف المعجم .
- 7 - الدرَّةُ النفيسةُ السنية ، في بعض المسائل النحوية ، توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة .
- 8 - ديوان شعر خصَّه بمدح رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم .
- 9 - رجزٌ في الوزيعة .
- 10 - رحلةٌ حجازيةٌ أولى بدأها من تغازي يومَ الثلاثاءِ آخر ربيع الثاني عام 1096 سَمَّاهَا (هداية الملك العلام ، إلى بيتِ الله الحرام ، والوقوف بالمشاعر العظام ، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام) ، توجَدُ منها نسخةٌ مكتوبةٌ بخط بدوي في 330 صفحة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت نمرة 190 وأخرى محفوظة بخزانة الزاوية الناصرية تحت نمرة 276 وتتخلَّلُ نسخةُ الخزانة العامة صحفَ بيضاءَ لعل المترجمَ به كان ينوي ملأها ببعض الإفادات التي استفادها خلال رحلته أو بنصوص من كتب اطلع عليها مما هوَ معروف بالمشرق وليس له وجودٌ بالمغرب .
- 11 - رحلة حجازية ثانية بدأها من داره بعنق الصَّيصة بوادي بني منصور يوم 15 ربيع الثاني عام 1119 هـ توجد منها نسخةٌ بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع نمرة 147 ق مكتوبة في 297 صفحة بخط بدوي أوضح من خط الرحلة الاولى .

- 12 - رحلة حجازية ثالثة نكرها في كتبه ولم يتيسر الاطلاع عليها ولا معرفة مكان وجودها ، ولا شك في أنها الرحلة التي قام بها عام 1121 صعبة صهره الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر ءاتي الترجمة قرياً .
- 13 - كشف الرموز ، شرح منظوم للقصيد الخزرجية في العروض ، عدد أبياته 451 يوجد مخطوطاً بالخرانة العامة بالرباط في مجموع نمرة 1653 .
- 14 - لامية في العقائد .
- 15 - مؤلف في الأحباس .
- 16 - نظم في سدّ الذريعة .
- 17 - العلم المبسوط ، في حكم بيع المضغوط .
- 18 - فتح العلام ، شرح به كتاب (قواعد الاسلام) للعلامة الأديب الحسن اليوسي .
- 19 - الفتح القدوسي ، على مختصر السنوسي ، في المنطق ، توجد منه نسخة بدار الكتب المصرية بالقاهرة .
- 20 - فتح الوهاب ، على جمل الاعراب ، منظومة في النحو تبلغ أبياتها 519 عدداً نظمتها على عجل بقبيلة الأخصاص بسوس ، توجد منها نسخة مكتوبة بخط واضح جميل محفوظة ضمن مجموع بالخرانة العامة بالرباط نمرة 147 ف .
- 21 - قرى العجلان ، في إجازة الأحبة والاخوان ، وهي فهرسته التي أجاز بها جماعة من الراغبين في رواياته ، كتبها عام 1110 ذكر في بدايتها بعض الآخذين عنه ، ثم ذكر شيوخه وإجازاتهم له ، كانت محفوظة بالخرانة الحسنية بالرباط تحت نمرة 13003 ثم نقلت إلى الخزانة الملكية الموجودة بالجنان الكبير بمراكش .
- 22 - قطعُ الوريد من العنيد .
- 23 - شرحُ (مساعدة الإخوان) للشيخ محمد بن ناصر .
- 24 - شرح السلم في المنطق .

25 - هداية المغيـث الباقي ، إلى موارد أفية اصطلاح الحديث للعراقي
وله عدد كبير من التقايد والأنظام والأجوبة الفقهية وأشعار ورسائل
تبادلها مع صهره الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر ورفيقه أحمد بن عبد القادر
التستاوتي ءاتي الترجمة .

تُوْفِي فجرَ يوم الأحد 20 جمادى الثانية عام 1127 هـ ودفن بوسط
الزاوية الناصرية بمكرونة ، وقبره بها مشهور (210) .

1650) أحمدُ بنُ عبد القادر التستاوتي الحسني ، أديبٌ شهيرٌ
وَمُتصوِّفٌ كبير من المغرب الأقصى ، من ذرية الشيخ محمد بن مبارك
الزغري ءاتي الترجمة ، ولد في نحو عام 1046 (211) في تَسْتَاوْت ،
وهي قريةٌ جبلية كانت تقع جنوبي بلدة والماس (212) في طريق وادي زم
(213) خربت عام 1073 بسبب الفتن والمجاعات التي شهدها المغرب في

210) الأعلام (للزركلي) 1 : 240 والإعلام ، بمن حلّ مراكز وأغاث من الأعلام 2 : 352
وتاريخ تطوان 3 : 12 والحركة الأنبية في المغرب على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة)
ص 176 و 1320 والرة الجبلية ، في مناقب الخليفة (أطروحة مرقونة) صفحات كثيرة ، والنز
المرصعة (مخطوط مصور) ص 24 و 28 و 34 ولبيل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 181 ورجال
العلم العربي في سوس ص 73 والرحلة الناصرية في صفحات متعددة ، والروض الزاهر ص 69 أ
وطبقات الحضيكي 1 : 82 وطلعة المشتري 2 : 9 ونزهة الناظر 1 : 82 . 91 والفقيه البوسي ص
374 وفهارس مخطوطات الخزانة العامة بالرياض 1 : 373 ع 1763 وفهارس علماء المغرب
(أطروحة مرقونة) ص 157 و 180 و 454 و 743 وفهرس الفهارس 2 : 975 و 1102 وفهرسة
محمد العثماني ص 209 وقرى العجلان للمترجم مخطوط ، وسوس العالمة ص 190 وهداية الملك
العلام (رحلة المترجم) مخطوطة .

211) هذا التاريخ يُفهَم من قول التستاوتي إن عمره كان يبلغ 35 عاماً عندما لقي الشيخ محمد
بن ناصر الدرعي عام 1081 هـ .

212) والماس قريةٌ وحمةٌ معدنية بإقليم الخميسات ، تبعدُ 95 كلم عن بلدة تيفلت جنوباً وتعلو
1100 م على سطح البحر ، بلغ عدد سكانها 7408 وعند سُكان جماعتها القروية 10279 حسب إحصاء
سنة 1994 بها معملٌ لتعبئة مياهها المعدنية في قارورات ، وهي مقر دائرة وقيادة وجماعة قروية تُسمى
كلها باسمها .

213) وادي زم بلدةٌ حديثةٌ بإقليم خريقة تقع وسط سهول فيحاء كثيرة الخصب وفيرة الغلال ،
تبعدُ 33 كلم عن مدينة خريقة و85 كلم عن الدار البيضاء ، بلغ عدد سُكانها 73.953 حسب إحصاء
سنة 1994 وقمتُ بها انتفاضةٌ عنيفةٌ في شهر غشت سنة 1954 ضد الحكم الفرنسي قُتل فيها عددٌ من
المقاومين المغاربة والمستوطنين والجنود الفرنسيين ، وسقطت فوقها طائرة الجنرال دوفال قائد جيش
الاحتلال الفرنسي .

النُّصْف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري ، ونشأ في بيئةٍ بدويةٍ قاسيةٍ حيث لا ضرعٌ لحالب ، ولا علمٌ لطالب ، فارتحلَ عن مسقط رأسه صغيراً وأخذَ يتنقلُ بينَ جهاتٍ أخرى أكثرَ أمناً وأوفرَ نعماً ، فكان في مدينة القصر الكبير (214) وجبل صَرْصَرَ القريب منها ، ثم في قبيلة زعير (215) فالزاوية الدلائية (216) التي لقي العلماءُ من أهلها والمُتعلِّمين من روادها ، وهو في حلّه وترحاله يبحثُ عن لقمة عيش يسُدُّ بها الرمق ، ويسعى للقاء شيوخ. يأخذُ عنهم مبادئ العلم ، ومن المدن التي زارها في مُتقلبه مدينةُ فاس التي أخذَ بها عام 1068 عن الشيخ عبد القادر الفاسي ، والشيخ محمد ميارة ، كما زار زاويةَ خلفون القريبة من خنيفرة وتعرَّف فيها بالعلامة الكبير الحسن بن مسعود اليوسي الذي تأثَّر به تأثُّراً قوياً وارتبط به ارتباطاً كبيراً حتى أصهر إليه بإحدى بناته ، وصار يتبادلُ وإياه فيما بعد الرسائل النثرية والقصائد الشعرية ، ومن الأماكن التي زارها فيما بعد قصبَةُ شالة (217) ومدينةُ سلا ومدينة الرباط التي اجتمع فيها بعدد من الفقهاء والأدباء

214) القصر الكبير مدينة عتيقة بإقليم العرائش تقع وسط سهل خصيب قرب نهر لَكوس وفي ملتقى الطرق المؤدية إلى فاس وطنجة والرباط ، تبعدُ عن الأولى 174 كلم ، وعن الثانية 121 كلم ، وعن الثالثة 155 كلم ، عُرفت في التاريخ بأسماء : قصر كتامة ، وقصر صنهاجة ، وقصر عبد الكريم ، يُرجَّحُ بعضُ المؤرخين أن تكونَ أقدمَ مدينةٍ عرفت في المغرب الأقصى ، بها آثارٌ رومانية ، جرت بالسهول القريبة منها عام 986 هـ (1578 م) معركة وادي المخازن التي سحق فيها المغاربة الجيشَ البُرتغالي سحقاً ، أنجبت عدداً من العلماء والأدباء والصُّلح قديماً وحديثاً ، وهي مقرُّ دائرة قيادة ، وتعدُّ ساكنةً جماعتها البلدية 107.065 نسمةً حسبَ إحصاء سنة 1994 .

215) زعير قبيلة عربية بإقليم الخميسات ، تقع مساكنها الى الشرق من مدينة الرباط ، وتنقسمُ الى عمارتين كبيرتين : القفيان والمزارعة ، وتحت كل عمارة عدد من القبائل والبطون .

216) الزاوية الدلائية : انظر ص 5 من هذا الجزء .

217) شالة : قصبه عسكرية وزاوية دينية بمدينة الرباط مطلة على وادي أبي رقرق في مواجهة مدينة سلا ، بها آثارٌ فنيقيةٌ ورومانية ، فتحها عقبه بن نافع لما جاء المغرب على راس الجيش الاسلامي للمرة الثانية عام 62 هـ وتمكن منها الاسلام في عهد الامام إدريس الأول وعهد ابنه الامام إدريس الثاني رضي الله عنهما ، ولما توفي هذا الأخير ليلة 12 جمادى الأخرى عام 213 هـ (29 غشت سنة 828 م) وتولى الملك بعده ابنه محمد وثى أخاه عيسى بن إدريس على شالة وسلا وتامسنا وأزمور وما بها من القبائل ، واستمرت شالة تحت حكم الأدارسة إلى أن انتزع الملك منهم موسى بن أبي العافية المكناسي الزناتي عام 317 ثم صارت في أواخر القرن الرابع الهجري عاصمة ملك بني يفرن ، وتعرضت لتكساتٍ وخرابٍ بعدهم إلى أن جاء بنو مرين فاعتنوا بها وبنوا بها المسجد والزاوية والمدرسه واتخذوها مدفاً لملوكهم وأعيان دولتهم . وءاثارهم بها أبرزُ ما بها اليوم من آثار وأجملها .

كأحمد بن عاشر الحافي ، وموسى الدُغمي ، ومُحمد الصبيحي ، والتي صارَ له فيها في أواخر عمره مُريدون كثيرون كانت له معهم مكاتباتٍ ومساجلات ، ولا شكَّ في أن التساوتي استفادَ خلالَ تجواله الطويل استفادةً كبرى ممَّن لقي من شيوخ العلم وفحول الأدب ، سيما بفاس والزواوية الدلالية ، وأتقنَ علوماً ومعارفَ ممَّا كانَ الناسُ يَعْتَنُونَ بدراسته في ذلك الوقت ، مُستعيناً على الفهم والتَّحصيلِ بذاكرةٍ قوية ، وقريحةٍ مُتوقدة ، ورغبةٍ شديدةٍ في تحصيل العلم وإتقانِ الفنون الأدبية .

ولكن الذي حوَّلَ حياةَ التساوتي تحويلاً جذرياً وغيرَ اتجاهها ووسمها بميسمٍ خاصٍّ هو تَعَرُّفُهُ الروحي عام 1077 بالشيخ محمد بن ناصر الدرعي صاحب زاوية مَكْرُوتة (218) ومؤسس الطريقة الناصرية إحدى الطرق الصوفية الشهيرة بالمغرب ، وكان ذلك على يد صهره الفقيه الأديب الحسن اليوسي ، فهو الذي دلَّه عليه وأسلمه إليه كما صرَّح هو بذلك في قصيدته الياثية التي نيلَ بها كتابَ (ممتع الاسماع) وألمَّ فيها بذكر حياته :

وعاينْتُ فضلاً بينَ النورِ ساطعاً من الحسنِ اليوسي فوقَ الداريا
ومنه اهتدينا للامام محمد ونلنا شراباً واسعَ الكأسِ صافيا
فأسعفني القطبُ الامامُ ابنُ ناصر وأوسعني برأٍ وقد كنتُ جافيا

فصارَ التساوتي من مُريديه وأتباع طريقته ، وجرثَ بينهما قبلَ أن يلتقيا مراسلاتَ ذاتَ طابعٍ أدبي تتعلَّقُ جميعها بما ينبغي للمريد أن يتخلَّى به من فضائل ويتخلَّى عنه من رذائل ، وفي المقدمة (الاعتراف) الذي تتلوه (التوبة) ، التوبة التي هي الدرجة الأولى في سُلْم العروج إلى المقامات الصوفية ، وقد اعترف التساوتي لشيخه بأخطائه ، وكتب له الاعتراف بهذه العبارات : «إعلم متَّعك اللهُ في رياض معرفته ، وسقاك من شرابِ محبَّته ، أني من المُسرفين على أنفسهم ، المُعرضين عن بابِ ربِّهم ، فبالله الذي لا إلهَ إلا هو الرحمان الرحيم ما من مَعْصِيَةٍ صغيرةٍ أو كبيرةٍ نَهَى اللهُ عنها

(218) مَكْرُوتة (نامكُروت بالبربرية) قريةٌ بإقليم ورزازات ، تبعدُ 22 كلم عن بلدة زاكُورة ، بها الزاوية الناصرية الشهيرة ومكتبةٌ قيمةٌ تحفظ بها آلاف المخطوطات العربية ، وهي اليوم مقرُّ جماعة قروية بقيادة تنزولين (دائرة تازارين) ، بلغ عددُ ساكنتها 18.065 حسب إحصاء سنة 1994 م .

إلا وفعلتها ، إلا أنني لم أفعلها استخفافاً بحقه ، وعظّم لذلك دائي ، وقَلَّ دوائي» معلّلاً هذا الإفراز بأنه يَعتبرُه (الطبيب) الذي لا يعزُّ عليه دواءٌ لداء ، والذي لا يُمكنه أن يُصاحبه بغش ، أي أنه الباب الذي يُفضي بمنّ وجهه إلى (التوبة) .

وكان التّساؤني شديد الشوق إلى الاجتماع بشيخه والاستماع إلى وصاياه ونصائحه وهي تنطلق من فمه إلى أذنيه ، ولم يكن يحول دون وصوله إليه الا اصفرار الكف وانعدام المطية وما كان يُعانيه من عرج ، إلى أن تمّ اللقاء الأول بينهما في شهر مُحَرَّم عام 1081 عند رجوع الشيخ ابن ناصر من حجّته الأولى ، فأول ما خاطبه به التستاوتي هذه الأبيات :

أَتَيْتُكَ بِابْحَرَ الْمَكَارِمِ أَشْتَكِي	خطوباً أقامت ما لها من تنقل
وَجِئْتُكَ يَا غَوْثَ الزَّمَانِ مُجَرِّدَاً	من الأُنس مَكسُوراً رداءً التلبّل
وَمَا لِي سِوَى الظَّنِّ الْجَمِيلِ بِبَابِكُمْ	وإن تطردوني ليس لي من تحوّل
عَلَى كُلِّ حَالٍ أُرْتَجِي الْفَضْلَ مِنْكُمْ	وهل يُرتجا في الناس غير المُفضّل
فَمِثْلُكَ مَنْ لَوْ جَاءَهُ الْفَاجِرُ اهْتَدَى	ونال من الرحمان كُلُّ مُؤمّل
أَلَسْتَ إِمَامَ الْقَوْمِ وَالْمَهْتَدَى بِهِ	وقائد ركبٍ خاف يومَ التزلزل
أَلَسْتَ الَّذِي أَحْبَبْتَ سُنَّةَ أَحْمَدَ	وبينّت من أحكامها كُلُّ مُجمل
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا دَمَتْ مَا جَدَا	تُلاقِي بني سَعْدٍ بِوَجْهِ مُهْلَهْل

فدعا له الشيخُ بما أثلج صدره ، وأقرّ عينه ، وأشهده التستاوتي أنه لا يعتدُّ بشيءٍ من أعماله من حين بلوغه إلى وقت اجتماعه به ، وشبهه اليوم الذي اجتمع فيه معه بأول يوم دخوله في الاسلام !

ويُوغَلُ التستاوتي بعد اللقاء الثاني بالشيخ محمد بن ناصر عام 1084 في مغارات التصوف الطويلة ، ويُمعنُ في خوَضِ بحارِهِ العميقة ، حتّى صارَ يُصرخُ ببلوغه المقاماتِ العليّة ، كزعمه أنه شَفَعَ في مئة ألف رجل ، وأنه أعطي بعد ذلك شفاعَةَ أهل عصره كلهم ، وما زالت الروا تتراقصُ أمامَ عينيه حتّى خيّلَ إليه أنه (صاحب الوقت) بل (المهدي) الذي يملأ الأرض عدلاً بعدما مُلئت جوراً ، وكتبَ في ذلك (الرسالة المهديّة) التي هتَكَ بها حُجُبَ ما استترَ في نفسه ، وسَطَّرَ خطوطَ برنامجٍ سياسي لحكم

يجعل من الخلفاء الراشدين قدوة في المأكل والمشرب والملبس ، دون أن يغفل عن تحديد زمان ظهور المهدي المنتظر بأوائل القرن الثاني عشر ، ومكانه بشالة أو ماسة وأحوازا ، ويديهي أن تلفت هذه الرسالة والدعاوي التي سبقتها نظر الحكم الاسماعيلي وتحرك في نفوس رجاله مشاعر الحبيطة والحذر من هذا الرجل وأمثاله من أرباب الزوايا وشيوخ الطرق الصوفية الذين يلبسون في الأول لبوس الدعاة الدينيين الوديعين المستكينين ، حتى إذا كثر أتباعهم والتفت من حولهم الجموع تشوقوا للرياسة وتطلّعوا للحكم ، وتحولوا إلى زعماء سياسيين فُساؤا شرسين يُحرقون الأخضر واليابس ، ويسوون القائم بالدارس ، وكذلك استدعي التساوتي عام 1095 للإقامة بمكناس قاعدة الملك يومئذ ليكون تحت سمع الدولة وبصرها ، ولكنه استمر على دعاويه حتى خشي أحد أقاربه على مستقبل الأسرة بسبب ذلك ، فأني أمره إلى السلطان مولاي إسماعيل الذي أمر بسجنه بحبس فاس الجديد ، سجناً استمر من عام 1104 إلى عام 1106 ، ولما أطلق سراحه أذن له بالذهاب إلى قبيلة (زعير) ، ثم أعيد إلى مكناس وأجبر على الإقامة بها ، ولم يُسمح له - فيما يُظن - بالخروج منها إلا مرة واحدة عام 1115 لزيارة مسقط رأسه ، ليعود إليها ويبقى تحت مراقبة الحكم إلى عام 1124 الذي أنهكه فيه كبر السن ، ويظهر أن هذه المحنة قطعت من التساوتي كل أمل في تحقيق البرنامج السياسي الذي سطره في (الرسالة المهودية) ونقصت من غلوائه ، كما قللت من حذر الحاكمين منه بعدما صار في متناول أيديهم بعاصمة الملك ، على أنه لم يسلم على ذلك من وشايات الوشاة من ذوي قرياه وغيرهم كما حدث له ذلك عام 1120 ولكن السلطان ورجال دولته كانوا أرف به وهو في تلك السن المتقدمة ، بل إنهم كانوا يسترضونه في بعض الأوقات بتوجيه الرسل والرسائل والهدايا إليه لتطمينه وإزالة ما به من خوف .

ولا نعلم شيئاً كبيراً عن أعماله وتحركاته خلال إقامته الطويلة بمكناس إلا ما كان من المكاتبات التي لم تنقطع بينه وبين أصدقائه وبعض أفراد أسرته ، ومن الأكيد أنه بقي وفيّاً لطريقة شيخه محمد بن ناصر رغم الوحشة التي حدثت بعد وفاته بينه وبين ابنه أحمد الخليفة من بعده بسبب مكاييد

الحاسدين أو التنافس على شياخة الطريقة ، تلك الوحشة التي لم تلبث إلا قليلا وتفسح غيظها وعاد الصفاء بين الأحمدين إلى سابق عهده ، كما لا أدري أكان التساوتي يُلقي دروساً بالمساجد والزوايا أو كان يكتفي فقط بتلقي الأوزاد وتعليم الأتباع ، وقد ذُكر أن بعض العلماء أخذوا عنه كأحمد بن أبي عسرية الفاسي ، التي الترجمة قريباً والطبيب عبد القادر بن العربي ابن شقرون ، وأعتقد أن هذا الأخذ لم يخرج عن إطار التصوف ولم يتجاوزَه إلى إطار العلم والأدب .

* * *

التساوتي رجل غريب الأطوار متعدد الأدوار بين أمثاله من رجال التصوف في زمانه ، نشأ فقيراً معدماً ثم صار في وسط عمره وءاخره غنياً موسراً يُنفق إنفاقاً من لا يخشى فقراً (219) ، وارثك في صغره الكبيرة والصغيرة من المعاصي والذنوب ثم تاب على يد الشيخ محمد بن ناصر الدرعي وأوغل في طريقته حتى أصبح شيخاً كاملاً وعارفاً واصلاً ، ولكنه استطاع أن يوفق بين نسكته وصلاحه وبين جمعه لحريم واسع لم يتأت مثله لغيره ، مستعيناً عليه بباة غريبة ذكر هو نفسه انه لقوتها لم يكن يصلي في داره صلاة من الصلوات الا بغسل من جنابة (220) ، وقرأ قراءة متقطعة ولقي شيوخاً للتبرك أكثر مما لازمهم للتعلم ، ولكنه بدا من مقبل عمره فقيهاً مطلعاً مفتياً واديباً متمكناً قوياً العارضة حاضر البديهة واسع الخيال يتخير الألفاظ ويبتكر المعاني شعراً ونثراً مما يدل على مواظبة على مطالعة كتب الأدب العربي الرفيعة وتأثر بأساليب البلغاء من الكتاب والشعراء ، فحياته المادية ، وأفكاره الصوفية ، وءثاره الأدبية - خليقة بدراسة الدارسين ونقد الناقدين ، وقد أبدأ في ذلك وأعاد الأستاذ أحمد

(219) ذكر العميري في فهرسته أن التساوتي أقام مهرجاناً عاماً - يوم ورد عليه كتاب الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر منبأ بزوال الوحشة التي كانت بينهما - استدعى الناس لحضوره ، وبيع كل ما ملكت يمينه من الأنعام ، وأوفد لقراءة كتاب الشيخ الشموع بالنهار ، وكاد أن يجري كثرة ما يبيع من الدماء الأنهار ، وأخرج من الفرس المرفوعة ما قدر عليه .

(220) إتحاف أعلام الناس 1 : 330 (نقلا عن فهرسة العميري) .

الطريق الديرى فى أطروحة القيمة المسماة (أدب التستاوتى من خلال كتابه نزهة الناظر) (221) .

وقد ترك التستاوتى جملةً من التآليف والدواوين ، بعضها قليل الأهمية ، ككتابه المسمى (عقد جواهر المعانى ، فى مناقب الشيخ عبد القادر الجيلانى) ، (222) ، ونظم رجال (الحلية) لأبى نعيم الأصبهاني وشرحه (223) ، ونظم رجال (التشوف) لىوسف ابن الزيات التادلى وشرحه ، (224) ، ونظم رجال (ممتع الأسماح) للمهدى الفاسى وشرحه (225) ، ونظم رجال (الطبقات) للشعرانى وشرجه (226) ، وتقاييد وفناوى فقهية ، وبعضها كبير الأهمية كديوانه الواقع فى ثلاثة أجزاء ضخام ، وكتابه (نزهة الناظر ، وبهجة الغصن الناظر) الذى ضمّنه رسائله وأشعاره - فصيحة وملحونة - وجمعه تلميذه ومريده أحمد بن عاشر الحافى السّلوى ءاتى الترجمة فى هذا الجزء .

أما أدبه فغزيرٌ ووفير ، ويتمثل فى رسائل مُسجّعةٍ وأخرى مرسلّة كان يكتبها إلى أهله وأصدقائه وإخوانه فى الطريقة الناصرية ، ومعانيها ذاتية أو صوفية ، يُخلّلها أحياناً بأبياتٍ أو قطع من الشعر الفصيح أو الزجل الملحون ، كما يتمثل أدبه فى أشعار أكثرها جيّدٌ وأقلّها رديء ، فمن شعره قصائدٌ فصيحةٌ اللفظ محكمةٌ الرصف ذاتٌ معانٍ بديعةٍ وأخيلةٍ غريبة ، ومنه قصائد مهلهلةٌ النسج خاليةٌ من أيّ معنى بديع أو تصوّر مريع ، ومنه أزجالٌ

(221) أطروحة قيمة مفيدة فى 748 صفحة ، تقدم بها مؤلفها لنيل دبلوم الدراسات العليا فى اللغة العربية وآدابها من كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط - السنة الجامعية 85 - 1986 وهى مرقونة محفوظة بخرانة الكلية .

(222) نظمه وشرحه فى 12 صفر عام 1094 هـ وهو مُثبتٌ فى الروض الناظر ص 178 (مخطوط الخزانة الحسنية) .

(223) أورد نصّه فى الروض الناظر ص 201 (مخطوط الخزانة الحسنية)

(224) أورد النظم والشرح معاً فى الروض الناظر ص 267 (مخطوط الخزانة الحسنية) .

(225) النظم والشرح معاً فى الروض الناظر ص 296 (مخطوط الخزانة الحسنية) .

(226) مثبتان فى الروض الناظر ص 307 (مخطوط الخزانة الحسنية) .

ملحونة نحا فيها منحى الزجالين في بناء الزجل وتقفيته ، كما أن له موشحات قليلة ، ومن شعره قطع قصيرة وقصائد متوسطة ، ومنه قصائد طويلة جداً كالقصيدة الدالية التي نظمها عام 1125 في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي بلغ عدد أبياتها 495 والأخرى اللامية التي مدح بها عام 1116 شيخه محمد بن ناصر الدرعي ، عارض بالأولى قصيدة لصديقه وصهره الحسن بن مسعود اليوسي ، وغالباً ما يسلك مسلك الأقدمين في بدأ قصائده بالتعزُّل والنسيب أو البكاء على الأطلال والتفجُّع علي فقد الأحباب والتحذير من الاغترار بالزمان وأهله ، وهو ذكي حذر يحس بما يرتكب أحياناً من مخالفات لقواعد النحو واللغة والعروض - خاصة في قصائده الطويلة - ويدرك أن تلك التعسفات ستعرضه لنقد الناقدين ولوم اللائمين فيستسمح قارئ شعره ويعتذر لهم عما يجدونه منها فيه ، كقوله مُذَيلاً قصيدته اللامية الطويلة في مدح شيخه ابن ناصر : (... وأنا أرغب من طالعها المسامحة في ما عسى يمكن وقوعه من شواذ التركيب والاعراب ونوادير اللغة ، فإن النظم صعب ، وربما تلجئني الضرورة لذلك ، وقد تباعدت القراءات والمطالعات والمذاكرات ، ولم يبق إلا بعض الخيالات من الأدبيات الفائتات ، والمسائل الماضية ، ولولا الفضول ، ما أنا من أهل هذا الشأن ، ولا من فرسان هذا الميدان ، ولكن السوابق لا تُردُّ وأردئها ، ولا تُصدُّ عن الكوكب واكفائها ، وكان أمر الله قدرأ مقدوراً) .

وشعره في كل أحواله : الوسيم منه والدميم ، والطويل والقصير ، مرآة صادقة لأفكاره ، وصحيفة منشورة لأخباره ، وقد كان هذا الشعرُ موضوع جمع وتحقيق ودراسة كتب به السيد عبد اللطيف شهبون أطروحة سماها (شعر أحمد بن عبد القادر التستاوتي) تقدّم بها إلى كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط لنيل دبلوم الدراسات العليا في السنة الجامعية 90 - 1991 .

ونوردُ فيما يلي أمثلة من آثاره النثرية والشعرية ومن أجزاله أيضاً نختمُ بها هذه الترجمة .

فمن نثره رسالة أجاب بها أحمد بن عبد الله الدلائي متقدم الترجمة في هذا الجزء (ص 73 ع 1608) لما كتب اليه عام 1089 هـ يخبره بعزمه على الثورة على السلطان مولاي إسماعيل ويدعوه إلى الانضمام إليه والاتحاق بصفه :

بسم الله الرحمان الرحيم

من أحمد بن عبد القادر كان الله له

إلى السيد أحمد بن عبد الله

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أما بعد ، فإننا نضرعُ إلى الله سبحانه في هدايتنا وقبول ما أشرتم به إلينا من النصيحة ، كما نسأله أن يُجَنَّبَنَا وإياكم من السَّخَطِ والسَّعْيِ في الفضيحة ، أما والله لقد طوَّقْنَا بها جواهر المِنَنِ المُنِيفَةِ ، وأَلْبَسْنَا حُلَّ المِنَحِ الشريفة .

ولا عيبَ فيها ولكنَّها كبدٍ نَجَلَى فأجلى النحوس

ولقد أسمعنا إن شاء الله أننا واعية ، وأخللتها بفضل الله عُرفاً سامية ، وهي وإن كانت بارعة الجمال ، بيَّنة الكمال ، وردت من أصل طيب ، وانشرحت لها الصدورُ انشراح الأرض للصيب ، ترغبُ منك أن تلتمَ لثامها ، وتفَضَّ ختامها ، ولا تسمحُ فيها لغيرك ، حتى تحوزَ منها قضاء وطرك ، ولقد دَلَلْنَا على المنهج الأوفى ، وحرَضْنَا على المورد الأصفى ، فوَقَعْتَ منا موقعَ الدواءِ من السقيم ، والنسيم من الروضِ الوسيم ، نسأل الله أن يُنَوِّقَنَا وإياكم من الشراب الذي وصفته ، ويُوَجِّهَنَا وإياكم للباب الذي فتحته :

ما كلُّ ماءٍ مثلُ صدَا ، ولا كلُّ المراعي مشبهُ للسعدان

فالقشِرُ خِلافُ اللَّبابِ ، والماءُ يُبايِنُ السرابَ ، ورحمَ اللهُ مَنْ قالَ :

أرسلُ إلى ذاك الغزالِ بصيرةً بمحاسنِ الغزلانِ ، ذاتَ أمانِ
تنظرُ بتحقيقٍ وتُبصرُ ما جرى من غيرِ ما زيِدُ ولا نقصانِ
فهناك تنشرحُ الصدورُ إذا رأَتْ حُسنًا ، فما خَبَرَ يُرى كعيانِ

ولا أرضى لك ملك الدنيا بحذافرها ، بل كلمةً من كلماتك في هذه الوصية تُساوي جميعَ زخارفها ، ثم إن كنتَ صادقاً فغايته ان تستعمل في ما أحبُّ لك من التُّسك ، وتتجنَّب ما تراودُك به نفسك من الملك ، ولعلَّك حملتَ كلامي على ظاهره ، ولم يسعك التأويلُ المكنونُ باطناً فأجريتَ فرس قلمك ، في ميدانِ نباهتك وعلمك ، فتنسمت هذه الوصية من عرف أعراف فهمك ، وحينئذٍ فلا بأس أن نشير لبعض المراد من معاني كتابيه ، وأراجع أخي بما هو كالجواب عن بعض كلماته الآتية ، مع أنني لستُ بأهلٍ لأجاري العلماء في ميدان ما رسموه ، أو أردَّ عليهم ما استنبطوه ، غيرَ أن للخواطر صولةً لا تُردُّ ، وحملةً لا تُصدِّد ، فإن أصابت الصوابَ فالحمدُ لله ، وإلا فأنا أستغفرُ الله ، الخ وهي طويلة .

ومنه قوله في أواخر العشر الأوسط من صفر عام 1112 في السماع الذي يرقصُ الصوفية على سماعه وضمَّنه أبياناً زجليةً من نظمه :

من أحمد عبد القادر كان الله له .

إلى الأخ المُبجَّل ، الحاج المُفضَّل ، أصلحَ اللهُ له الحالَ والمالَ ، وكان لكم في المقام والترحال .

وبعد ، أيُّها الأخ المشفقُ على نفسه ، فلا أحسنَ مما يجدُ الانسانُ بركته في رسمه ، واعلم أن السماعَ أحبولةً تُقتنصُ فيها الأرواح ، وترقصُ في أفاصِها الأشباح ، والناسُ في ذلك مختلفون ، قد علمَ كلُّ أناسٍ مشربهم ، فمن خلصَ من الدهش ، ورقَّ له المحبوبُ وهش ، نطق بالثناء الجميل ، في حضرة التبجيل ، قاتلاً :

خَدَكَ ضَيَّ هـَلالِ واللِّي شافو ف الناس يخبِّلِ
وَأنتَ غيـرُ غـزالِ ما خُلِّيت لي كلَّ العقلِ

على أنه أعلا من المشبه به ، فاعرف ذلك واثبتبه ، ولهذا صاغ :
هي البدرُ أوصافاً وذاتي سماؤه سمث بي إليها همتي حين هممت
منازلها مني الذراعُ توسداً وقلبي وطرفي أوطنت وتجلت

ومن هذا الأسلوب ، العجيب الأنبوب :

حسبك حُسنٌ غريب يجمع لي بين الدا والدوا
وانت غصنٌ رطيب واللي شافك يبرا من الهوى
مرادي من الدنيا لقاءك مرة فان نلتها استكملت كل مراديا
وليس من المحبة إلا تحبه إلا إن وافقك ، بل إن صحت أحبته وإن
خالفك ، وإن تنسمت نسمات الأطفاف ، ولاخ من جانب الغور بارق
الانعطاف ، فقل إن شئت :

غرامك محمود يا لو كان يودني للتلف
وجمالك مقصود واللي ما ذاق هواك ما عرف
مالي سوى روعي ، وبأذل نفسه في حب من يهواه ليس بمسرف
وإن غلب عليك ما منه إليك حتى تخيلت أنك تُحب الجمال ، وتشتاق
إلى الكمال ، وأنت في اصطلامك ، غائب عن إجرامك ، فأنشذ ، والجانب
الأيمن أقصد :

هذا الحب شديذ واللي ذاقو ف الناس يهتبل
عندي يوم العيد يوم يقولو محبوبك قبل
العيد ما دام الحبيب معي والهّم والأحزان حين يغيب
وإن رأيته في المرثيات ، وسمعته في المسموعات ، وعابته في
المطالعات ، فلا بأس أن ترقص مع الراقصات ، وتحدو مع الحاديات ،
وتقول مع القائلات ، وأنت شاطخ مع الشاطحات ، معذور في خلع العذار ،
ولا عليك في الاعتذار ، وأنت تقول ، واحذر أن تصول :

قلبي سار وطـاز
لاخ البـرق ودار
خلاني ف الـدار
وكواني بالنـاز
عارو ما هو عار
إذا صد وجـاز
وإذا عطـف وزار
ريت ف الاوتـار
وظهر لي ف الاسـحار
وارتفعت الاستـار
وانفتحت الابصار
وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

وإن غبت عن إحساسك ، وثملت من كاسك ، أو أذن للتنفس
لأنفاسك ، داعياً به إليه ، دالاً له عليه ، فناد في كل ناد من غير عجب ولا
عجب ، واسلك في ندادك الأدب ، فعند بسط الموالي يحفظ الادب ، ثم قل ،
ولا عليك من كثر وقل :

هذا الكاس يدور
خمل كان تزور
زائرنا مسرور
وكلامي مبرور
متخمز بخمور
واللي بغا يشرب نجينا
وتعال ما تلقى غبينا
يبلغ منا حاجا ثمينا
واللي ذاقو نفسو فطينا
مجلوب من عند المدينة

وكنت ذات ليلة أتعتني ، وأتمنى أن أتهدنا ، وبإزائي رجل صالح ،
فسمع قوماً يردون علي من مكان بعيد :

خمرك خمز شريف واللي ذاقو يصبح موات

وعلى هذه الأوضاع ، ينبغي أن يكون السماع ، فان للأرواح مراتب
في عالم الملكوت ، ومشارب في عالم الرحموت ، ومطالب في عالم

الجبروت ، ولكلِّ مقام مقال ، ولا يدَّعي أحدٌ مِن غير ما له من المقامات
والأحوال ، فالمهجورُ ينبغي أن يسمع ما يُطمعُه في اللقا ، والواصل ينبغي
أن يسمع ما يقتضي دوام البقا ، ولولا أن الأرواحَ مكلَّبةً في أكبال الشهوات ،
ومُقَصَّنةً في أقفاص المخالفات ، لانخرقَ الحجاب ، ولرأيتَ العجبَ
العُجاب ، وقد بسطناكم بما السكوتُ عنه أولى ، وأعذبُ وأحلى :

ستكفيك من ذاك الجمال إشارةً ودعهُ مصوناً بالجمال محجباً

ولقد سمعَ النوري قائلًا يقول :

ما زلتُ أنزلُ من وِدادك منزلاً تتحيرُ الأبوابُ عند نزوله
فكان يرقصُ في أجمةٍ من قصبٍ ، حتى ماتَ رضيَ اللهُ عنه .

منازلُ أهلِ الودِّ صعبٌ نزولُها ومن أجلِ ذلكِ اليومِ لازمها العفا

ولعلَّكَ تسألُ عن الحال ، وما أنا عليه من الأحوال ، فإن واجهني
بأنوارِ جماله غبتُ عن الحسِّ وقلت :

بانَ الحالُ زياناً وانفتحَ روضُ الحسنِ بالزهراً
واعطانتنا الأمان وقتَ كنا منو على حذر
واللي سابق كان ما يتحوَّلُ من لوحِ القدر
غمنَّ واشربَ زان واعرفَ كيف توازنُ الوتر

وإن لفحني لهبُ الحال ، أنشدتُ في الحال :

ما للوقتِ ظلام اشنِ يسلمُ معروفٌ بالغدر
ما يحنُّو للمقام ما ينكرُ ننبو ما يعتبر
مشغولٌ بلوهمام والزمانُ فاتٌ والكلُّ اندثر
ما تاب ولا صام ما يعرفُ أشنِ يجيه من خبز

ومنه قوله :

أما بعد ، فإن العقلُ نور ، وما يُنافيه ثبور ، والمعترفُ بالحقِّ ممن
لم يتدرَّغْ بإزاره ، دليلٌ على نباهة المرء ونجاره ، ومن الضروري

المحسوس ، أن القلب جاسوس ، ومن ادعى ما لم يبلغه فعله ، فضحه قوله ، وأنت منا كولدك منك ، لا دفع ولا نفع ، ولست ممن يقتص بأحبولة التشبه بالناس هذا الغرض الفاني ، ولا ممن يروم التلبس ليبلغ الأمانى ، فيكثر ضرره ، وينعدم بانعدام هذه الدار خبره ، وإنما أقت للارشاد ، على رءوس الأشهاد ، وليس الخبر كالعيان ، ولا اللؤلؤ كالعقيان ، ولكن أظلم الوقت ، وكثر المقت ، والتبس الصالح بالطالح ، فملمخ العذب الفرات ، وعذب الأجاج من المصوغات ، وعاد السكر سماً ، والفرح همأ ، وانقلبت الحقائق ، وأفلت شمس الرقائق :

لا يعلم الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيتها

ثم لا بد في كل وقت من رجال يلجأ إليهم في الأمور ، ويقدمون في الورود والصدور ، ولا يستغني أحد عن خيرهم ، بمعرفة من لم يؤهل لذلك من غيرهم ، وقد صحبتنا أقوام من قومك في الله ، ودلناهم على الله ، فأونوا في الله ، وأرادوا أن يذودهم عن الله ، فاحفظ الحق يحفظك الله ، والزم الشريعة المحمدية تقرب من الله ، والسلام .

ومن شعره قوله من قصيدة طويلة مدح بها رسول الله صلى عليه وسلم وضممتها كثيراً من الحكم والأمثال وإخبار الأمم وسير العظام وتقلبات الدهر ، عارض بها قصيدة لصديقه وصهره الحسن اليوسي (227) :

عرج بأطلال الأحيبة واقصد	ءاثارهم يوماً لعلك تهتدي
واجتز إذا جننت الديار بمنزل	قد ضم أجدات العشير الهمد
ولهيب قلبك إن اردت شفاءه	فأت الربوع تريخ قلب الأكد
بالله فف برسوم إخواننا	كانوا الإعانة في الخطوب الورد
وإذا مررت فحي حي ربوعهم	وكذا الخذور ومن بها من خرد
ياحبذا قوم اليهم تنتمي	يسلى بهم عن والد أو مولد

(227) قصيدة اليوسي تقع في 540 بيتاً ، مطلقها

عرج بمنعرج الهضاب الورد بين اللعاب وبين ذات الأرمد

من كلِّ شيخ في المعارف عُدتي
وسميدع كهيل يبيئُ كأنه
ما شئت من جلم وعلم باهرٍ
وفتَى له عقلٌ رشيدٌ فائق

ذي نجدة في سيره المتسدد
متوسدٌ جمر الغضا لتعبُد
ونباهة ونزاهة وتفرد
متحفظ في سيره من مُعتدى

ومنه قوله من قصيدة طويلة مدح بها شيخه محمد بن ناصر الدرعي
وضمنها ما ضمن سابقتها ، ويُلاحظ ما بين مطلعَي القصيدة السابقة وهذه
اللاحقة من تشابه :

قف ساعة بين العُوَيْرِ فإربل
واجترز من الطلِّ الذي بجوارِه
إن الوقوف بها تعلقُ مكمِد
كانت منازل جيرة أعددتهم
وإذا مررت بحبيهم فهم هم
قومٌ يعزُّ بهم ويسلو مَحْتَمِ
من كلِّ شيخ كامل في جلمه
وموفِّق كهيل لكل فضيلة
كالبحر جوداً ، صابرٌ متعفف
وفتَى فتى ما إن له من صبوة

واعطف بمنعطف الرسوم الهمل
ءاثار قوم في البرية كمل
وهي الربيع لقلب كلِّ مُبلبل
للنائبات وحل باب مُقفَل
أننوا وإلا الحال أفصح مقول
بحماهم من كل شيء مجفل
يلقى الجفأة بوجهه المتهلل
يُذنيك منظره لأسما منزل
في الحكم مُتَّبِع ، نزيه أعدل
في جد كهيل شاخ عقلا ، أكمل

ومن شعره قوله .

ألا هل لأيام الصباية والصبا
ليالي لا أخشى من الدهر نكبة
نجر ذبول اللهب في أرض أنسا
وشملي مجموع ولم ندر ما الهوى
وقد أثمرت ءامالنا ، وتكاملت
فلما عقلنا ، واستوى الأمر بان ما

رجوع ؟ ومن لي أن أبشر بالرد ؟
فما سرني وصل ولا رعت من حد
ونحن نشاوى والزمان أخو ود
ولا ما النوى ، واليمن في طالع السعد
مقاصدنا والسؤل يعقب من ورد
عهدناه من لين وبذل بالشد

ومنه قوله مخاطباً صديقه الشيخ أحمد ابن الشيخ محمد بن ناصر
الشهير بالخليفة :

كأن لم ترَ فيها البدورَ الأوانسا
تذكُرُ ظنبي كان قبلَ مؤانسا
جوى للحشا في كلِّ وقتٍ مُلابسا
وأصبحتُ في شوقٍ من الصبرِ آيسا
ولا كنتُ من قبلَ التفريقِ عابسا
بسليحِ أراني بعدَ ذلكِ ناكسا
ولم أرَ شيخاً شامخَ المجدِ رائسا
وأصبحَ نو التخمينِ في الجهلِ شاطسا
وكننتُ لمكتوبِ المرائيقِ طالسا
ومن نورهِ في الناسِ أصبحتُ قابسا
ونذكُرُ علماً عادَ في الوقتِ دارسا
من الدرِّ في الأصدافِ من كان غاطسا
ويقبلُ قولاً واهيَ الأصلِ يابسا ؟
يكونُ بنورِ اللهِ يدفعُ هاجسا
يروعكُ إن شمتَ الطولَ الدوارسا

أراعك أن شمتَ الطلولَ الدوارسا
وهل هاجَ منكِ الدمعُ لما رأيتها
نعم رحلَ الأحبابُ منها وأودعوا
بكيتُ فلم تُطفِ المدامعُ لوعتي
وما كنتُ أدري البينَ حتى تحملوا
ولما استقلوا ظاعنينِ وخيموا
كأنِّي في شجورِ فقدتُ (ابن ناصرِ)
تخالفتَ الآراءَ منّا مغيبه
لقد زعموا أنني حللتُ عقوده
وأني لنا أن ننقضَ العهدَ بعده
تعالوا نبئتُ السرَّ فالحقُّ واضحُ
ونذكُرُ أحوالَ السقاةِ وما يرى
أمن غيرِ كشفِ المرءِ في الصفا
ومثلُ أبي العباسِ إن عنَّ حادثُ
سلامٌ عليه ما تألَّقَ بارقُ

ومنه قوله عام 1127 وهو من آخر ما نظم من الشعر :

على كلِّ حالِ نو انتحابِ وزفرة
ولا منه دمعي دارفٌ فوقِ وجنتي
ولا أتشكى من لواعجِ فرقتي
وغينا بها عن نفعنا والمضرة
وسميَ فيها النورُ جهراً بسدفة
وما يقتضي ذمّاً يرى عينَ مدحة
ومن يدعي طباً جهولٌ بعلي
على عارفِ يدري السبيلَ لرفقتي
يضاهي سعيداً منيئاً لي ببغيتي
كأن لم تكن معمورةً بالأهله
أنيسٌ ، وشمسُ القانتينِ اضمجلتُ

دعِ الومضَ أو لُح يا بريقُ فإنني
فما زادني ومضٌ لك اليومِ لوعة
ألفتُ البكا لا أستطيعُ فراقه
دهنتنا أمورٌ حيرتتنا خطوبها
قد انعكستُ جلُ القضايا بوقتنا
وموجبُ مدحِ يوجبُ الذمَّ عندنا
وقد عضلُ الذأ ، والطبيبُ مُفنعُ
لمن أشتكى ، من مسعدي ، من يلني ؟
وهل من سعيدٍ بالمرامِ مساعِدُ
وهادي ديارِ العارفينِ بلاعُ
وليسَ بها داعِ كأن لم يكن بها

تُدَارُ ، وساقِي القَوْمِ بَدْرُ دُجْنَةِ
بَغِيثٍ بِهِ أَرْضُ النَفُوسِ اسْتَنْمَتَ
بِهَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ ضُرُوبِ الْمَسْرَةِ
عَوَالِمِهِ ، وَاسْتَسَهَلَتْ كُلُّ شِدَّةٍ
وَأَصْبَحَ فِي عَرٍّ مَنِيعٍ وَرَفْعَةٍ
جَمِيعاً بِمَا نَزَجُوهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ
وَأَصْحَابِهِ وَالْآلِ طَرّاً وَعُتْرَةٍ

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ كَأَسُ الصِّفَا بَيْنَ أَهْلِهَا
وَقَدْ مَطَرَتْ مِنْ فَوْقِهِمْ مِرْنَةَ الْوَفَا
وَجَاءَتْ بِأَنْوَارٍ وَأَزْهَارٍ رَوْضَةٍ
فَمَنْ شَمَّ شَيْئاً مِنْ شَذَاهَا تَعَطَّرَتْ
فَهَذَا هُوَ الْمَامُولُ ، مَنْ حَازَهُ اعْتَلَا
وَأَسْأَلُ مِنْ مَوْلَايَ نَيْلَ مُرَادِنَا
وَمَنِّي عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ تَحِيَّةٍ

ومن شعره قوله :

رَجُوعٌ ؟ وَمَنْ لِي أَنْ أَبْشَرَ بِالرَّدِّ ؟
فَمَا سَرَّنِي وَصَلَ وَلَا رَعَتْ مِنْ حَدِّ
وَنَحْنُ نَشَاوِي وَالزَّمَانُ أَخُو وَدِّ
وَلَا مَا النَّوَى ، وَالْيَمْنُ فِي طَالِعِ السَّعْدِ
مَقَاصِدُنَا وَالسُّوْلُ يَعْبَقُ مِنْ وَرْدِ
عَهْدِنَاهُ مِنْ لَيْبٍ وَبُدْلٍ بِالشَّدِّ
عَلَى جَمْعِنَا وَاسْتَضْرَمَ الْقَلْبَ بِالْفَقْدِ
وَلَا تَسْأَلِ الْأَحْشَاءَ عَنْ لَوْعَةٍ تُرْدِي
تُبَيِّنُ مَا قَدْ حَلَّ بِالصَّبِّ مِنْ سُهْدِ
وَيُطْرِبُنِي التَّغْرِيدُ وَالنَّدْبُ مِنْ عَفْدِ (228)
غَصَصْتُ بِرَيْقِي وَامْتَنَعْتُ مِنَ الزَّرْدِ
عَهْدِنَا بِهَا حَيِّ الْحَبَائِبِ مِنْ نَجْدِ
وَأَقْلَبْتُ الْأَحْزَانَ فِي خَيْلِهَا تَجْرِي
بِوَادِي الْحَمَى أَمْ يَمْمُوا جَانِبَ الطُّودِ
أَخْلَاءَ صَدُقِ ، وَالغَرَامُ بِهِمْ وَرَدِي
أَلَا رَبِّ رُبَّ رَيْبٍ يُرْشِدُ النَّاسَ لِلْقَصْدِ
وَمَنْ عَجَبَ مَيِّتٌ تَرَاءَى بِلا لِحْدِ

أَلَا هَلْ لِأَيَّامِ الصَّبَابَةِ وَالصَّبَا
لِيَالِي لَا أَخْشَى مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةً
نَجْرُ نِيُولِ اللُّهُوِّ فِي أَرْضِ أَنْسِنَا
وَشَمَلِي مَجْمُوعٌ وَلَمْ نَدْرَ مَا الْهُوَى
وَقَدْ أَثْمَرْتُ ءَامَالُنَا ، وَتَكَامَلْتُ
فَلَمَّا عَقَلْنَا ، وَاسْتَوَى الْأَمْرُ بَانَ مَا
وَأَنْشَبَ فِينَا ظَفْرَهُ الْبَيْنِ وَاعْتَدَى
فَلَا تَسْأَلِ الْآمَاقَ عَمَّا جَرَى بِهَا
وَسَلْ إِنْ تَشَا زَهَرَ النُّجُومُ فَإِنَّهَا
وَأَحْنُو إِذَا لَاحَتْ بِرُوقٍ مِنَ الْحَمَى
وَإِنْ هَبَّ مِنْ نَحْوِ الْمَعَاهِدِ شَمَالٌ
وَمَهْمَا ذَكَرْنَا مَنْزِلًا وَمَعَاهِدًا
تَسَارَعْتَ الْأَشْوَاقُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
أَلَا أَيْنَ سَارُوا حِينَ سَارُوا ؟ أَخِيْمُوا
وَمَا لِي لَا أَبْكِي عَلَيْهِمْ ؟ وَإِنَّهُمْ
فَقَفَّ سَاعَةً نَسْتَخْبِرُ الرَّبِيعَ عَنْهُمْ
لَقَدْ ذَهَبُوا بِالرُّوحِ لَمَّا تَحَمَّلُوا

وهل غالهم ما عالهم من صوارف الـ
هم الناس كل الناس يحمل ذكرهم
بهم يستغيث المرء عند خطوبه
دهور ، وصرف الدهر من شأنه مُردِي
وتحیی بهم أرض النفوس بلا همد
بهم تقبل السرا ، بهم ربنا يسدي
الخ وهي طويلة .

ونختم هذه الترجمة بأبيات من قصيدة طويلة أجاب بها الشاعر الأديب
الحسن اليوسي عن أبيات بعث بها المترجم إليه يشككي من الزمان ، وإذابة
الأقارب والإخوان ، وهي شهادة تنويه وتقدير في حق التساوتي وأدبه :

يابديع الزمان في ذا الأوان
ومجلى السباق نحو المدا ، في
قد أتتني أبياتك الغرُ تسري
وتحاكي أزهار روض أريض
أو بروداً منمنمات من الخا
أو نسيم الأشجار أو نغمات الـ
أو مغيب الرقيب أو طلعة الجد
أو منال المرغوب بعد انتظار
فتعاطيتها كأنني تعاطيـ
من سلاف مشمولة تتراء
وإذا شبنها تناثر منها
ظلت من نشوتي بها وسروري
وتصفحتها كأنني تصفحـ
ووردت منها زلالا نـميراً
وتفهمت ما تبث من الوجـ
فورت عند ذا زناد الأسي واند

والموسى به برود البيان
حلبات القريض يوم الرهان
سريان الزلال في القضبان
جاده كل مسبل هتان
ل ودرأ مفصلاً بالجمان
ورق في الأيك أو هدير المثاني
ب وروض الصبا ورجع القيان
أو زوال المرهوب بعد اكتبان
ت كؤوس الصهباء عند الحان
في النواجد كالنجيع القاني
درز في صحائف المرجان
مستطير الفؤاد ذا ميلان
ت لعمرى سبيكة العقيان
وخليجاً من بحرك الطفحان
وتشكو من الزمان المعان
هلت العين بالصبيب العان

وجماع القول فيه إنه فحل من فحول الأدب وقطب من أقطاب
التصوف في المغرب ، أما أدبه - شعراً ونثراً - فأكثره جيد مستحسن وأقله
لا يخلو من مؤاخذات اعترف هو بها واعتذر عنها ، وأما تصوفه ففيه
شطحاً وجذبات مثيرة ومقلقة ، ويجب أن يوزن من طرف المتخصصين

بميزان الشرع والعقل لمعرفة صحيحه من سقيمه ، ومُعْجَهِ من قويمه ، من غير تحامل عليه ولا إصدار أحكام مسبقة ضده .

تُوْفِّي بمكناس ليلة الأربعاء 1 رجب عام 1127 ودُفِن خارج باب البراذعيين قرب روضة الشيخ عبد الله بن احمد ، وعلى قبره بناء (229) .

(1651) احمد بن محمد ... ابن يعقوب الولاوي ، فقيهٌ مُتصوِّفٌ من المغرب الأقصى ، يُعرف بابن يعقوب وبالنسبة إلى قبيلته بني ولال إحدى بطون قبيلة بني عطا التي كانت في القرن الحادي عشر الهجري تسكن في أعالي نهر ملوية (230) بها وُلد في نحو عام 1051 ونشأ وتلقَى مبادئ العلم عن والده محمد بن محمد الذي كان له إمامٌ ببعض فنونه ، وبعدما حفظ القرآن وبعض متون النحو والفقه انتقل إلى الزاوية اللاتينية وفاس فأخذ عن شيوخ الأولى كالفقيه الأديب الحسن بن مسعود اليوسي وعن شيوخ الثانية كالفقيه العالم عبد القادر بن علي الفاسي ، والأول كان عمدته ، وكانت العلوم التي اتجهت عنايته إلى تحصيلها هي العلوم الدينية أو ما له بها ارتباط كالفقه

(229) إتخاف أعلام الناس 1 : 329 وأدب التستاوتي من خلال كتابه نزهة الناظر (أطروحة مرقونة) ، والتقاط الدرر 2 : 310 والإعلام 2 : 353 ع 253 والبحث العلمي (مجلة) ع 42 ص 191 ودعوة الحق (مجلة) س 7 ع 2 ص 37 و س 17 ع 7 ص 125 وحركة الأدب في المغرب في عهد السلطان مولاي اسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 200 و 335 والذُرر المرصعة (مخطوطٌ مصورٌ) ص 35 ورسائل وقصائد موسى التستاوتي (مخطوط مصور) ، والروض الزاهر ، في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه السادات الأكابر (مصور مخطوط - صفحات كثيرة) والروضة المقصودة ص 400 وطلعة المشتري ، في النسب الجعفري (صفحات عديدة) ، ومعجم المؤلفين 1 : 299 والموسوعة 3 : 109 ونزهة الناظر ، وبهجة الفصن الناضر (مخطوط مصور) ، ونشر المثنائي 3 : 227 والعلم والفكر في مطلع العصر العلوي (أطروحة مرقونة) ، وفهرسة الخزانة العلمية الصبيحية بسلا ص 241 - 318 - 326 وفهرسة الغميري (مخطوط مصور) ص 88 وشجرة النور الزكية 1 : 331 ع 1299 والشعر الدلاوي صفحات عديدة .

(230) بني ولال بطنٌ كبيرٌ من قبيلة آية عطا الصحراوية التي كانت تسكن بأعالي نهر ملوية ، وقد عرّف المترجم به بهذه القبيلة في كتابه مباحث الأتوار قائلا : «قبيلة بني ولال هم قومنا الذين نشأ أجداننا منهم ، وأصلهم من بني عطا قبيلة كبيرة معروفة بأفصا جبال ملوية ، وفيهم إخوة قبيلتنا ينتمون لذيهم ببني ولال أيضاً ، وبنو عطاء - مشدداً بوزن فعال - أصلهم من العرب كما تقرّر ذلك في كتب أنساب القبائل الموجودة بأيدي الفقراء أهل الصومعة ، بل أخبرني بعضهم أن بني عطاء أصلهم من أخص العرب وهم قريش ، وكل ذلك لا بُدّ فيه لتبدّل أحوال القبائل العربية وتنتقلها من أرض إلى أرض ، ومن رفع إلى خفض ، فنتبدّل الأسن بتبدّل البلد ، انتهى بنصه .

والأصليين والمنطق والتوقيت دون غيرها من الفنون الأدبية التي يظهر من عطاءاته أنه لم يكن له بها كبيرُ اعتناء .

وخلال وجوده بالزاوية الدلائية مرَّ بها الشيخ محمد بن عبد الله السوسي الذي اشتهر في مراكز بالولاية والصلاح ، فأخذ عنه الولالي طريقته وصار من كبار مريديه والمتحمسين لدعوته ، وكان للولالي استعدادٌ نفسي لتلقّي أفكاره بحكم نشأته في بيئة غارقة في الجهل تومن بالسحر وتتخدع للشعوذة وتنادد للدجاجلة وتخشى تصرفات الجان ، وهكذا صار له وجهٌ علمي يتمثل في المعارف التي حصل عليها ووجهٌ صوفي يتمثل في اتباعه لأفكار الشيخ محمد بن عبد الله السوسي والتزام السلوك المقرر في طريقته .

ولما خرَّب السلطان مولاي رشيد زاوية الدلاء عاد الولالي إلى البادية ، ولكنه دُعي إلى الاستقرار بمدينة مكناس التي اتخذها السلطان المولى إسماعيل مقراً لحكمه وعاصمة لملكه ، وأسندت إليه مهمة التدريس بقصبتها ، وربما كان استقراره بها بأمر من السلطة الحاكمة التي لم تكن ترتاح لإقامة أمثاله من الفقهاء وشيوخ الطرق الصوفية بين بداءة مغفلين يلقون السمع لكل نداء ويستجيبون لأي صرخ ، وكانت الفنون التي تولّى تدريسها بمكناس هي نفس الفنون التي اعتنى بتحصيلها أيام قراءته بفاس والزاوية الدلائية ، وقد أتى من تعرضوا له بالذكر على طريقته في التدريس فنذكروا أنه كان فصيح اللسان حسن التبليغ ، ومن الأشخاص الذين أخذوا عنه الأمير محمد (العالم) بن السلطان مولاي إسماعيل ، وعبد القادر بن العربي ابن شقرون ، والعربي بن محمد بصري ، وسعيد بن أبي القاسم العميري .

وقد خلّف الولالي المترجم مجموعة من التآليف جلّها شروح لمتون ومنظومات متداولة معروفة لم يزد فيها على تكرار ما شرّحه بها المتقدمون ، نثبّت أسماءها فيما يلي :

1 - أشرف المقاصد ، في شرح المقاصد ، موضوعه علم الكلام ،
توجد منه نسخة خطية بالخزانة الحسنية بالرباط محفوظة تحت نمرة 2594

وطبع منه جزء أول بمصر طبعة حجرية ، والكتابُ شرح لمقاصد الصائبين ، في أصول الدين للتفتزاني .

2 - مواهبُ الفتاح ، في شرح تلخيص المفتاح ، موضوعه علمُ البيان ، شرح به (تلخيص المفتاح) للقزويني ، يوجد الجزء الأول منه بالخزانة الحسينية محفوظاً تحت نمرة 3650 .

3 - نصيحةُ الصفا ، في قواعدِ الخلفاء ، رسالةٌ صغيرةٌ مبوبة كتبها في نصيح السلطان مولاي إسماعيل اقتداءً بعلماء السلف ، قسمها إلى خطبة وأربعة أبواب وخاتمة ، ذكّر فيها بما يجب استحضاره على كل من وكل إليه أمرُ العباد ، ومفاتيح الخلافة وخصال الخليفة ليخلص إلى أن الخلافة الدنيوية ليست إلا وسيلةً للفوز بالخلافة الأخروية ، وقد كرر في هذه الرسالة الحديث عن احترام أهل البيت وتوقير الصالحين ومشاورة أهل العلم وقبول الحق منهم ، كما حضّ على إقامة الجهاد وتحصين الثغور ودعا إلى انتخاب الوزراء والعَمال تبعاً لشروط يجب أن تُراعى فيهم .

توجد منها نسخةٌ خطية بالخزانة الحسينية نمرتها 3914 وأخرى بالخزانة العامة بالرباط نمرتها 383 ك .

4 - نزهةُ الأنظار ، في روضة الأزهار ، كتاب في التوقيت شرح به (روضة الأزهار) للجادري ، منه نسخةٌ خطيةٌ بالخزانة الحسينية نمرتها 6006 .

5 - شرح الجواهر المكنون ، في صدق الثلاثة فنون ، كتاب في علم البيان ألفه عام 1108 توجد منه نسخة خطيةٌ بالخزانة الحسينية نمرتها 2174 .

6 - شرح التلخيص ، كتاب في البلاغة ألفه عام 1108 شرح به كتاباً للخطيب القزويني ، توجد منه نسخةٌ مخطوطة بالخزانة الحسينية نمرتها 759 .

- 7 - شرح خطبة سعد الدين التفتزاني على التلخيص ، كتاب مستقل شرح به خطبة سعد الدين التفتزاني التي صدر بها كتاب (تلخيص المفتاح) يوجد مخطوطاً بالخرزانة الحسنية محفوظاً تحت نمرة 6210 .
- 8 - شرح مختصر سعد الدين التفتزاني على التلخيص ، في البلاغة توجد منه نسخة مخطوطة بالخرزانة الحسنية نمرتها 2401 .
- 9 - شرح لامية الأفعال لابن مالك ، في التصريف .
- 10 - شرح مختصر السنوسي ، في المنطق ، توجد منه نسخة في الخزانة الحمزاوية محفوظة تحت نمرة 254 ضمن مجموع .
- 11 - حاشية على كبري السنوسي في التوحيد .
- 12 - حاشية على شرح المحلي على جمع الجوامع في الأصول .
- 13 - شرح رسالة الجرجاني في البلاغة .
- 14 - شرحُ الجَمَلِ لِلخَوَنجي في اللغة .
- 15 - شرح قصيدة لامية في المنطق ، منه نسخة محفوظة في الخزانة الحمزاوية .
- 16 - شرح على (السُّلم المرونق) للأخضري في المنطق .
- 17 - شرحُ على منظومة الاخضري في البيان .
- 18 - حاشية على التتائي الكبير في ثلاثة اسفار .
- 19 - قصيدة في التوحيد ، ذكرها له محمد بن الطيب القادري في كتابه (الاكليل والتاج) وشرحها .
- 20 - مباحث الأنوار ، في أخبار بعض الأخبار ، كتاب ألفه عام 1109 في مناقب الرجال ، وهو أهم آثاره المكتوبة ، عرف في مبحثه الأول بشيخه محمد بن عبد الله السنوسي ، وفي المبحث الثاني بسلفه وشيوخهم الدلانيين ، أما المبحث الثالث فعرف فيه بجماعة من كبار

المتصوفة الذين التقى بهم أو كاتبهم ، معتمداً فيما يكتب على نصوص ومشاهدات وروايات شفهوية ، والكتاب مليء بالمناقب والكرامات والأساطير والخرافات التي لا تُقبل شرعاً ولا عقلاً ، على أنه لا يخلو من فوائد تاريخية وأخرى فكرية واجتماعية واقتصادية بعضها لا يوجد في غيره ، وقد حققه وكتب حوله الأستاذ عبد العزيز بوعصاب رسالةً تقدم بها لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط - السنة الجامعية 1407 - 1987

تُوفِّي بمكناس في 2 رجب عام 1128 (231)

1652) أحمد الحارثي بن محمد ابن عطية الزناتي السلوي ، فقيه صوفي من أهل فاس ، وأصل سلفه من الأندلس انتقلوا منها إلى سلا ثم إلى فاس ، أخذ عن جدّه محمد بن محمد ابن عطية دفين حومة الرميلة بفاس ، وعن علي بن عبد الرحمان الدرعي التادلي وانتفع به ، وانصرفت عنايته إلى التصوف والاهتمام برجاله ، وله فيه كتابان ، أحدهما اسمه (التفكير والاعتبار ، في تاريخ المصطفى وبعض أصحابه الأخيار ، ومن أتبعهم من العلماء السادات الصوفية الأبرار) ، انتهى من تأليفه عشية يوم الجمعة 18 ربيع الثاني عام 1111 توجد منه نسخة في الخزانة الأحمديّة السوديّة بفاس ، واسم الآخر (سلسلة الأنوار ، في ذكر طريقة السادات الصوفية الأخيار) أنهى تأليفه عام 1099 وهو فهرس يعرف بسند الطريقة الصوفية ،

231) إتحاف أعلام الناس 1 : 340 والأعلام للزركلي 1 : 241 وأزهار البستان لابن عجيبة (مخطوط مصور) ص 183 والإكليل والتاج (أطروحة مرقونة) ص 185 والتقاط الدرر 2 : 311 وإيضاح المكنون صفحات كثيرة ، والبدور الضاوية (أطروحة مرقونة) صفحات كثيرة ، وتطوان (مجلة) 8 : 150 ودوحة البستان لأحمد المنالي الزبادي (مخطوط الخزانة العامة بالرباط 393 د) ودليل مخطوطات الزاوية الناصرية ص 94 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 218 والروضة المقصودة ص 251 و303 ومباحث الأنوار (الدراسة والنص) ، ومنحة الجهار للعربي بصري المكناسي (مخطوط الخزانة الحسينية 941 ز) ، والفقيه اليوسي ص 382 وفهارس مخطوطات الخزانة العامة بالرباط 3 : 112 وفهرسة أحمد بن الحاج (أطروحة مرقونة) ص 85 وفهرسة العميري (مخطوط مصور) ص 351 والشعر الدلالي ص 50 - 69 وشجرة النور الزكية 1 : 331 ع 1300 وهدية العارفين ص 170

توجد منه نسخة مخطوطة بالخرزانة العلمية الصبغية بسلا محفوظة تحت
نمرة 561 .

وصفه الكتاني في (سلوة الأنفاس) بالفقيه النبيه ، لكنه استقل إنشاءه ،
فقال إن كلامه كلام من ليس له باع في العربية .

توفي بفاس صباح يوم الجمعة 18 ربيع الثاني عام 1129 ودفن
بزاوية جده بالحبيل من حومة الرملة (232) ، وتقدمت ترجمة سميّه أخي
جدّه أحمد بن محمد ابن عطية (5 : 273 ع 1524) ، ويخلط بينهما بعض
المترجمين ، كما يخلطون بينه وبين أحمد بن عمر الحارثي السفيناني المتوفى
عام 914 المترجم في (دوحة الناشر) .

1653) أحمد (الخليفة) بن محمد بن محمد ابن ناصر الدرعي ،
أحد أعلام التصوف بالمغرب الأقصى في القرن الثاني عشر الهجري ، ولد
بمكرونة (تامكروت) ليلة الخميس 18 رمضان عام 1057 ونشأ في حضن
والده الشيخ الشهير محمد بن محمد ابن ناصر الدرعي مؤسس الطريقة
الناصرية إحدى كبريات الطرق الصوفية بالمغرب ، وبعد ما حفظ القرآن
أقبل على طلب العلم ، فأخذ عن والده التفسير والحديث والعربية وأصول
الدين ، كما أخذ عن غيره من شيوخ العلم بالمغرب كعبد الله العياشي ومحمد
بن فتوح التلمساني وأحمد الحوزي الهشتوكي ، وحج مع والده عام 1076
ثم حج بعده ثلاث مرات أولاها عام 1096 وثانيها عام 1109 وثالثها عام
1121 وخلال حجاته الأربع اجتمع مع عدد كبير من علماء الأقطار التي
مر بها ، لا سيما علماء مصر والحرمين الشريفين فسمع منهم وسمعوا منه ،
وأجازهم وأجازوه ، وأخذوا هم بالخصوص عنه الطريقة الناصرية وسمعوا
منه أورادها وأذكارها .

(232) الأعلام للزركلي 1 : 241 وحركة الأدب في المغرب على عهد مولاي اسماعيل (أطروحة
مرفونة) ص 1488 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 256 ومؤرخو الشرفاء (النص الفرنسي) ص
292 - 293 وفهارس علماء المغرب (أطروحة مرفونة) ص 144 وفهرس الخزانة العلمية الصبغية
ص 268 و سلوة الأنفاس 1 : 371 وشجرة النور الزكية 1 : 332 ع 1304 واليواقيت الثمينة 1 :

ولما تُوفِّي والدُه عام 1085 خلفه في مشيخة الطريقة بإشارة منه ، فصار يُلقَّب بالخليفة بسبب ذلك ، وانصرف إلى نشر الطريقة وتسيير الزاوية والاستكثار من الأتباع والمريدين في كل جهات المغرب حتى لم يبق بلدٌ من بلدانه الا وله فيه زاويةٌ ومريدون .

وكان صلباً في الحق شديداً على أهل البدع ، لا يأكل مآكل الأمراء والولاة ولا يقبل هداياهم ، ويتعامل مع السلطان مولاي إسماعيل معاملة خالية من اللياقة وجارية على غير المألوف ، حتى أنه لم يذكره قط في خطب الجمعة أو يخصه بالدعاء فوق منابر زواياه ، وعلى ذلك قابله السلطان بالصفح والحلم وأكرمه لما وفد عليه بمكناس عام 1107 واجتمع به رغم خوف الناس عليه من بطشه لما أعلن عزمه على الوفاة عليه .

وهو فقيهُ مطلعٌ نحوِّي لغوي ، وعالمٌ أديبٌ متذوقٌ ، رقيقُ الحاشية ، لكن غلب عليه التصوف والتربية الروحية أكثر من أي شيء آخر ، وكان كثير من الناس اعتقاداً كبير فيه ، ومنهم علماء كبارٌ وأدباء مبرزون كالعلامة الحسن اليوسي ، والأديب أحمد التستاوتي ، والفقير أحمد الحوزي الهشتوكي ، والشاعر محمد الحوات الشفشاوني ، مدحه كل الذين تعرفوا به شعراً ونثراً وأثنوا على حسن سَمته وحميد خلقه وشدة اعتنائه بنشر العلم واقتناء الكتب ، حتى ذكروا أنه اجتمع في مدرسة زاويته أكثر من 300 رجل ما بين أستاذ وعالم ومُتعلّم ، وخصّه بالتأليف علي بن أبي القاسم بن أحمد البوسعيدي السوسي ، والحسين بن محمد بن علي ابن شرحبيل السوسي ، والفقير محمد بن عبد الله الخليفة الذي أُلّف فيه وفي صلحاء وفته كتاباً سماه (الدرّة الجليّة ، في مناقب الخليفة)(233) ، لكنهم خلطوا عند تعداد مناقبه وكراماته بين المقبول شرعاً وعقلاً وبين المُنكر المردود شرعاً وعقلاً الذي يتغلّب فيه جانب الأساطير والأحلام والأوهام ، وهو جانبٌ كان يجدُ من يعتقده ويُصدِّقه في عصر التخلف ذاك .

(233) حقق هذا الكتاب ودرسه الأستاذ أحمد عمالك وتقدم به لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط (السنة الجامعية 1406 هـ - 1986 م) .

وكان يواظب على سرد الحديث وتدرّيس العلوم ، ويحضرُ مجلسه العددُ الوفيرُ من أساتيد مدرسة زاويته وطلبتها ، وأخذ عنه كثيرٌ من أهل العلم والتصوف في المشرق والمغرب ، منهم من المغاربة إدريس بن محمد المنجرة وذكره في فهرسته ، وأحمد الشراذي صاحبُ الزاوية الشهيرة القريبة من مراكش ، والصالح بن المعطي الشرقي وابنه المعطي بن الصالح صاحباً زاوية أبي الجعد ، والحسين بن محمد بن علي ابن شرحبيل البوسعيدي ، وألّف ثلاث رحلات حجازيات عن حجّاته الثلاث سنوات 1096 و1109 و1121 أشهرها الموسومة بـ (الرحلة الناصرية) المطبوعة طبعة حجرية بفاس عام 1320 هـ وكتاباً جمع فيه أجوبةً فقهيةً سمّاه (تنبيه السائل ، ببعض ما هو عنه سائل) ، وأجوبةً عن رسائل أبيه سماها (الأجوبة) ، وفهرسة ، وتالياً في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلّم ، وكلاماً في الطريقة الناصرية ، ووصيةً بالتقوى كتبها إلى إخوانه فقراء الجزائر توجد منها نسخة ضمن مجموع نمرته 2167 د بالخرانة العامة بالرباط ، وجواباً في تلقين الأوراد الصوفية ، توجد نسخة منه ضمن مجموع نمرته 2160 بالخرانة الناصرية بمكرونة (تامكروت) ورسائل كان يبعث بها إلى أصدقائه ومريدي طريقته أو يجيبُ بها عن رسائلهم(234) ، فمنها الرسالة التالية التي هي بمثابة منشور كبير جعل منها نسخاً متعددة وبعث بها إلى سائر القرى والأمصار نثبُت نصّها لبيان أسلوبه في الكتابة وتوضيح الأفكار التي كان يستدرج بها الناس لاتباع طريقته :

بسم الله الرحمان الرحيم

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

إلى عامّة إخواننا الفقراء وخاصّتهم

رزقنا الله وإياكم التوفيق ، وسلك بنا وبكم أنهج طريق .

(234) تختلطُ بعضُ عناوين كتبه أو تتشابه مع عناوين كتب ورسائل والده الشيخ محمد ابن ناصر ، فينبغي التأكد والتحقيق لمعرفة ما هو له وما هو لأبيه .

السلامُ التَّامُّ عليكم والرحمةُ والبركةُ ، فإنِّي أحمدُ اليك الله الذي لا إلهَ إلا هو .

أما بعد ، فأوصيكم وإياي بتقوى الله العظيم في السرِّ والعلانية ، والرجوع إلى الله تعالى في كل قاصية ودانية ، واتباع السنة في الأقوال والأفعال ، والاعراض عن الخلق في الإِدبار والإِقبال ، فإن الإِقبال على الخلقِ إِدبارٌ عن الخالق ، والرِّضا عن الله في القليل والكثير ، وحكِّموا السنَّة على أقوالكم وأفعالكم ، وحرِّموا أنفسكم ، ولا تتحرَّكوا حركةً إلا والله تعالى فيها نصيب ، وأنهاركم عن القيل والقال ، ومواصلة من لا خلاق له من الرجال ، وعَمِّروا أوقاتكم بما ينفعكم في عقابكم ، وتحمدون مغبته في أحراركم ، وأوصيكم بمُراعاة أوقاتكم ، والمداومة على أوراكم ، والمراقبة لباريكم ، واستشعروا علمه فيكم ، واقتدازه عليكم في جميع أحوالكم ، وأوصيكم بالتوُّدِّ والتحبُّب والتزاور فيما بينكم ، والسعي في إصلاح ذات بينكم ، واجعلوا الألفة أربح تجارتكم ، فإنه صلى الله عليه وسلَّم يقول ، وهو الصادقُ المصدوق : لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا ، أو كما قال صلى الله عليه وسلَّم ، واتخذوا لكم وقتاً في كل يومٍ أو في كل أسبوعٍ فلا أقل منه تجتمعون فيه وتتساءلون عن أحوالكم وعمَّن غاب منكم ، وتعاونوا في ذلك على البرِّ والتقوى ، وتناصحوا وتناصروا ، وتشاوروا وتزاوروا في الله وباللَّه والله ، وارعوا الحرمة فيما بينكم قياماً بحق الأخوة لا لقضاء غرض ، وليكنَّ أهمُّ ما عندكم الأخذ بالسنَّة وتعظيم أهلها ، وترك البدعة ومجانبة أهلها ، وأعلموا أنَّ قليل عملٍ في سنَّةٍ أعظم عند الله من العمل عمراً الدنيا في بدعة ، وتنبهوا ولا تغتروا وتبصَّروا في أمركم ، فمن لم يكن عنده علمٌ فليسال العلماء ، والعلماء والحمد لله بين أظهركم ، وأوصى سادتنا العلماء أن يواصلوا اخوانهم وقتاً بعد وقت تنبئها لهم على ديانتهم وما يصلحهم في أمر دينهم ودنياهم ليكون بعضكم لبعض شريكاً في تجارته الدينية ، كلُّ عمل ليس على المنهج المحمدي فهو مردودٌ على صاحبه ظاهراً وباطناً ، وكلُّ من رأيتموه على خلاف السنَّة أو يتعاطى ما تاباه الشريعة حالاً أو مآلاً فلا تعبأوا به ولو كان أعبد البرية ، وكلُّ من يدَّعي حالاً مع الله وظهرت عليه المصادمة للسنَّة فهو كذابٌ أو مسلوبُ العقل فلا تغتروا به ،

وأشفقوا عليه وعلى أنفسكم خائفين أن يُصيبكم مثل ما أصابه ، وأستودِعكم الله ، وليشهد بعضكم جنازة بعض ، وليعُده ، وليحفظه في غيبته ، وليؤايسه بالقلب واللسان والمال كلِّ بحسبه ، قياماً بحق الصداقة والأخوة ، ولا تنسونا من دعائكم ، والسلام .

وكتب أخوكم

أحمد بن محمد ابن ناصر
كان الله له ءامين

وللشعراء والزجالين قصائد وأزجال وموشحات في مدح المترجم لو جمعت لخرج منها ديوان ، فمن ذلك قول الشاعر المفلح أحمد بن عبد الكريم المجيلدي من قصيدة طويلة بدأها بالبكاء على الأطلال والتشبيب المشوب برموز صوفية ومدح الشيخ محمد ابن ناصر ليتخلص بعد ذلك إلى مدح ابنه أحمد صاحب الترجمة :

من فرط ما يلقاه من أشجان
أحداً ، فويجي من خلاء مغاني
ممن تملك مهجة الهيمان
أو مقلّة تهمي بدمع قاني
عمن عهدت بها من السكان
رحلوا فسأل القلب عن جيران
قلب الشجي خلا من السلوان
لمنازل الأحباب والخلان
ما لي أراك تنيه كالحيران
بيداً من الأنجاد والغيطان
مهلاً بقلبي سائق الأظعان
فدموعه مثل النجيع القاني
إن الصباة فيكم ديداني

من للكثير المستهام العاني
متردداً بين المعالم كي يرى
خلت الديار فمن إليه المشتكى
لا من يجيب سوى الصدى بخلالها
ولقد وقفت على الطلول مسائلاً
فأجابني ورق الحمام هناك : قد
خلت الربوع من الأوانس مثلما
هل من دليل بالرشاد يدلني
فتكلم الربيع القواء (235) وقال لي
ذهب الذين عهدتهم وتعسفوا
ساروا ، وسار القلب في أظعانهم
رفقاً بمن لا يأتلي ذا لوعة
يا أهل ودّي أنتم أصل الجوى

أهواكم في السرِّ والإعلان
مُتجافياً وودادكم أغراني
هل كان يطرق ساحة الأجان
ذلي فطول صدوكم أضناني
فغدا كئيباً بالصباة فاني
أحباب قلبي حبذا هجراني
ممن نحب لقلت فرط تداني
في دنها من قبل كل أوان
يخلق ولا كانت بنو ساسان
أهل الولاية من رجال الشان
يعبأ بأزواج ولا ولدان
جرار نيل التيه ذا هيمان
قدنه فهو يهيج كالسكران
كلاً ولا يخشون ذا شأن
ريان منها يعط خير جنان
يسقي الصداة بكأسه الريان
شمس الطريقة منبع العرفان
شيخ الشيوخ الأوحذ الصمداني
سباق أهل السر في الميدان
في لحظة من كان ذا طغيان
أهل العناية في أقل زمان
وغدا ولياً ذا شهود عيان
ذ (238) به احتظي في غابر الأزمان
غر الأنام بزخرف فنان

إني وإن عذبتومني بالنوى
حذرتومني بالتجني كي أرى
فلتسألوا الليل البهيم عن الكرى
ها مهجتي برحالكم فلترحموا
فصلوا غريباً قد توله بالهوى
إن كان في هجري رضاكم فاهجروا
لو قيل لي يابن الهوى ما تشتهي
والساقى يسقيني مداماً عفت
كانت نسان لأهلها والكرم لم
خمر تخيرها السري (236) وحزبه
وبها ابن أدهم طلق الدنيا فلم
وبها ابن دينار (237) توله فاغتنى
وبها غدا النوري في أجم وقد
لا يخنشي شربها من لائم
من ذاق منها ينتشي ، ومن اغتنى
خمر بها كان ابن ناصر الرضا
بحر الحقيقة موجه متلاطم
كنز المرید وتاج أرباب التقى
مرقاة أرباب السلوك ممدهم
نو هممة ثرقي إلى أوج العلا
كم من بعيد قربته فصار من
كم من جهول صار عالم وقته
هذا هو السر الذي كان الجنيد
هذا هو المجد الإلهي لا كمن

(236) سري بن مغلس السقطي ، شيخ بغداد وإمامها من كبار الصوفية ، مات عام 253 ببغداد .

(237) محمد بن إبراهيم ابن دينار الجهيني ، صاحب الامام مالك وأحد فقهاء المدينة ، توفي بها عام 182 هـ .

(238) الجنيد بن محمد الفواريري صوفي ومتكلم شهير ، توفي عام 297 .

شيخ إلى شيخ إلى شيخ إلى العدناني
ولغربنا بحلاه بردُ أمان
هُ الأقدمون غدوا ذوي إذعان
بضريحه من شاحط أو داني
ببيت الذي يسمو جميع مباني
قُ فضلُه يعنو له الثقلان
مولي أبا العباس قطب أوان
من ما له في عصرنا من ثاني
ومغاص دُر السر والمرجان
من بدره الأسماء الرفيع الشأن
قد أقطعت بتناول العُدوان
يسمو بهمته على كيوان (239)
فخر على النظراء والأقران
زهراً تداني لاقتطاف الجاني
كالشمس في حمل وفي سرطان
ل العالمين بدت بكل مكان
أهل النهى بتشؤف الأذان
للحاضرين بها على استيذان
ولنا دليل ساطع البرهان
بشري لها ولسائر الأكوان

هذا الذي إسنادُه قد صحَّ من
هذا الذي بلغ المشارق صيته
هذا الذي زان الطريقة لو رءا
بشري لدرعة فاخرت كل الدنيا
حاشا مدينةً طيبةً ومدينةً الـ
والقدس لا تنس له ما يستح
فاصد فدتك النفس وارث سره الـ
مولاي قطب ذوي المعارف أحدا
بحر خضم موجة مُتلاطم
ذاك الذي نور الهداية ساطع
ذاك الذي يُرجا لدفع مُلمة
من حاز إرتاً منه بالتعصيب ، من
غوث المشارق والمغارب من له
شيخ الشيوخ ومن له خلق حكي
نو السر ، من آياته كاليدر او
كم من كرامات له بهرت عفو
كم من معارف يزدهي بسماعها
كم حضرة فيها الكؤوس مدارة
هذا لعمرى قطب أهل زماننا
لبست به هذي البلاد مُلاءة

الخ وهي طويلة .

تُوفِّي بمكرونة (تامكروت) بين العشاءين من ليلة الجمعة 19 ربيع
الثاني عام 1129 هـ ودُفن عقب صلاة الجمعة بروضة الأشياخ ، ورتاه عدد
كبير من الشعراء والزجالين بقصائد مُعربة وأخرى ملحونة ، فمن ذلك قول
الشاعر محمد بن عبد الله الحوات قاضي شفشاون :

صلاة الله ما هبَّت رياحٌ على خير الخلائق أجمعينا

* * * *

فإننا من بعادهم صلينا
وعن أحوال صبهم سلينا
عموماً ثم خصي السائلينا
علينا من حديث البائتينا
يطيب سماعه للسامعينا
وبالخبير اليقين قانبتينا
معداً للعباد المتقيننا
ونالوا من مقام الصالحينا
رأث من فضل رب العالمينا
وكانوا فيه حقاً مخلصينا
تزيدين الحديث فحدثنينا
أزيدك سائلي الخير اليقيننا
وكم من سالك في السالكينا
وكم من فائز في الفائزينا
وكائن من قضاة عادلينا
هداة بالمصالح امرينا
وصار من الخيار التائبينا
أبي العباس شمس العارفيننا
مع القوم الكرام المنعمينا
لحين الناصحين الصادقينا
ملين الصابرين المخلصينا
سنيين المتقين الموقنيننا
ئحين القائميين القانتيننا
ئبين العابدين الحامديننا
نتين الراكعين الساجديننا

أريح أحيّة بانوا صلينا
وهبي نسمة عطرت علينا
وحيينا تحية أهل ود
وبني ما رأيت غداة خبر
ونمي منه أحسنه بلفظ
وعدي من مآثرهم عيوناً
بما ألقوا هناك وأبصروه
وما أعطوه من كرم وطول
نعم أعطوا به ما ليس عين
جزاء منه عما قدموه
أهذا ما لديك وإن ترومي
فقلت لي أصبت وهك مني
فكم من واصل لله داني
وكم من جهبذ يهدي بوعظ
وكم من نائل عزاً وجاهاً
وكائن من ولاية الأمر أضحوا
وكم عاص أتى ذنباً عظيماً
على يد شيخكم بحر المزايا
فقلت وأين حضرته فقلت
مع الأبرار والأخيار والصا
مع الفقهاء والعلماء والعا
مع العباد والزهاد والمخ
مع الأوتاد والأبدال والسا
مع الشهداء والسعداء والتا
مع النقباء وأنجباء والقا

لهين الغائبين الحاضرينا
قلين السابقين التابعينا
رئين المقرئين الخاشعينا
ربين الطيبين الطاهرينا
جوار الأنبياء والمرسلينا
بأعلا مستقر الأسعدينا
لغير الأصفياء المهتدينا
إذا متنا اجمعينا واجمعينا
وإحساناً إلينا ما حيننا
- كما لقي - المنية والمنونا
تمنئنا نكون الميتينا
ولا يحصيه وصف الواصفينا
وأذهلت الرواسي الراسخينا
من القطان بل والظاعنيننا
فذا نحو الشمال وذا يميننا

مع الأقطاب والأغواث والوا
مع الحفاظ والنقاد والنا
مع الضباط والأثبات والقا
مع الأصحاب والأنصار والأق
مع الأملاك في درجات صدق
فيالله كل من رفيق
ويالله زلفى لا تُرجى
فيازلفى ابن ناصر المفدى
ويابركاته عطفاً علينا
فإنا بعد مفقده لقينا
لقينا بعده همأ وغمأ
وكرباً لا تقاس به كرب
وأحزاناً أماتت كل صبر
من الأمجاد والأنجاد طراً
ففرؤا في بلاد الله شئى
إلى آخرها وهي طويلة .

ومن ذلك قصيدة قاضي الجماعة بدرعة عبد الكريم بن أحمد

التفنوي :

فاربذ وجه الأفق واستعبرا
غير التي يعرفها من يرى
وصار صفو دهرنا أكدرنا
كاد بقلب الصب أن يحفرا
ليس لها عذر ولن تُعذرا
رضوى على أيدي الموالى ثرى
شجوا ولوعة ودمعاً جرى
وسابقاً شأو الذي أدبرا
ليس بمتكر ولا مفترى

مات أبو العباس شيخ الورى
ومادت الأرض فيحسبها
وصار ما نحذره واقعاً
وافينهم قد حفروا قبره
فكل عين لم يفضن ماؤها
ما خلث قبل أن أرى نعشه
ياسيداً أورثنا بعده
يامتعباً من ياتي من بعده
فمجده صحت أسانيده

كان الشفاء في أحاديثه
تكاملت فيه خصال العُلا
جمع كل المجد في ذاته
قد أخذ البدعة في عصره
إلى آخرها وهي طويلة،

ولغيرهما في رثائه قصائد معربة وأخرى ملحونة ، ومقالات مرسلّة
تركت إرادها كلاً وبعضاً اجتناباً للطول (240) .

1654) أحمد بن علي المراكشي ، فقيه من أهل مدينة مراكش ،
واستوطن مدينة الرباط ، وقيل إنه تولّى القضاء بها في عهد السلطان مولاي
إسماعيل ، وفتت على رسالة بعث بها إليه أحمد بن عبد القادر التّستّاوتي
عام 1123 نصّها :

بسم الله الرحمان الرحيم صلّى الله على سيّدنا محمد وآله

الصفّي الوقيّ ، أبو العباس السيد أحمد بن علي المراكشي .

سلام عليكم وعلى الزكيّ النقيّ ، الطيب الأخلاق ، السيد محمد
الذفاق ، تتوالى عليكم نفعاته ، ورحمة الله وبركاته .

(240) الاكليل والتاج (نسخة مرقونة) ص 186 ع 130 والنقاط الذرر 2 : 312 والأعلام
للزركلي 1 : 241 والإعلام ، للمراكشي 2 : 357 ع 354 وأعيان المغرب الأقصى (بالفرنسية) ص
482 والاستقصا 7 : 111 وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان 3 : 324 والحركة الأنبيية في المغرب
على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص : 135 - 173 والدرة الجليلة ، في مناقب الخليفة
(نسخة مرقونة) ص 8 والدرر المرصعة (مصور مخطوط) ص 53 و دليل مخطوطات دار الكتب
الناصرية ص 25 و 69 و 141 والرحلة الناصرية (الكتاب كله) ، والروض الزاهر ، في التعريف
بالشيخ ابن حسين وأتباعه السادات الأكاير (مصور مخطوط - صفحات عديدة) ، والروض اليانع الفانج
(مصور مخطوط - صفحات عديدة) 1 : 114 والروضة المقصودة (صفحات عديدة) ، وطبقات الحضيمي
1 : 78 وطلعة المشتري 2 : 17 والمحاضرات لليوسي ص 672 ونزهة الناظر ، وبهجة الفصن
الناضر (مصور مخطوط - صفحات عديدة) ، ومعجم المطبوعات المغربية ص 344 ومعجم المؤلفين
2 : 164 ونشر المثاني 3 : 234 وصفوة من انتشر ص 221 وفهرسة المنجرة (مصور مخطوط)
ص 25 وفهرس الفهارس والأثبات 2 : 17 - 88 - 677 وسلوة الأتفاس 1 : 264 وشجرة النور
الزكية 1 : 332 ع 1301 وهدية العارفين 1 : 169 والبيواقيت الثمينة 1 : 42 .

وبعدُ فقد بلغنا ما بلغنا عن رجلٍ هنالكُم أقبلَ علينا بكليته ، وتلقيناهُ
بمثل ما أقبل به علينا ، وأمرناهُ بأشياءَ في سلوكه فتلقاها منا بالقبول ،
وظهرتُ عليه آثارُ ذلك ، لكنه لما أشرفَ على الوصول ظنَّ أن منتهى
الأمرِ ما هوَ عليه ، فتنسَّم من نسماتِ الإعجاب ، ما صيرَه خلفَ الحجاب ،
فلطَّ في وجهه الباب ، واستردَّ منا ما سمحتُ منه نفسه قبل العتاب ، فأجبناهُ
لما سأل من غير مشاغبة ولا عقاب ، وما اقتصرَ على ذلك حتَّى أطلق لسانهُ
بما لا يحلُّ له النطقُ به ولا من أحدٍ يردهُ عن ذلك ، ونحنُ متحمِّلون أذاهُ ،
راجينَ من الله هُداةً .

ثم بعد ذلك جاءنا وادَّعى أنه تاب فصدَّقناه ، وما عن بابِ الله
صددناه ، إلى أن قال ، وأنا والله لا أحبُّ له إلا الخيرَ على كلِّ حال ، وما
ادَّعاهُ من أنا سلطت على كذا وكذا أمرٌ عندي محال ، فإنَّ الانتصارَ للنفس
يحجبُ عن الله ، اللهمَّ إلا أن يكونَ ذلك من الله من غير شعور به ، فقدرهُ
الله صالحهً لذلك ، ولا أعلمُ من النفس ولايةً ، وإن ادَّعيتُ لي فإنِّي لا أنفيها
ولا أثبتُّها ، فمِن حيثُ نظري إلى نفسي يترجَّحُ نفيها ، ومن حيثُ نظري
إلى علم الله يكونُ أمرها مُحتملاً ، والشيخ رضي الله عنه (241) على
رءوس الأشهاد قال لي : أنت بضعةٌ منِّي ولو رأيتك تشربُ خمراً ، ولو
درى هذا المسكينُ إدايتنا تتناولُ إدايةَ الشيخ ، ومن أذاه فقد بارز الله
بالمحاربة ، وهأهنا مزاليقٌ ومراحيضُ قلَّ من ينجو منها إلا من حفظه الله ،
وهو الموجبُ لتعطلِ الأمراد ، والمفسدُ للاعتقاد ، إدروا الحدودَ
بالشبهات ، ومن نظرَ في شخصٍ بعين الكمال ، تعيَّنَ عليه أن يحافظه في
معامَلته بمقتضى اعتقاده ، وإن لم يفعلْ فقد أخلَّ برُتبِ الأدب ، وعرضَ
نفسه للعطب ، وقد عتبت على السيد محمد مرينو وهو يسمعُ من الشهود
أني مظلوم وتعامى ولم يوافقْ غضبه غضبَ سيِّده ، فإن نصرة المومنِ
واجبةٌ ، والناسُ أحوالٌ ومقاماتٌ ومراتبٌ ومشاربٌ (تسقى من ماءٍ واحد ،
ونفضلُ بعضها على بعضٍ في الأكل) ، (ومن آياته خلقُ السمواتِ
واختلافُ ألْسِنَتِكُم وألوانِكُم) .

(241) يريد الشيخ محمد بن ناصر الدرعي مؤسس الطريقة الناصرية دفين قرية تامكروت .

وقد ذكروا أن درجات الولاية مئة ألف وخمسة وأربعون ألفاً ، وكلها مختلفة الكشوف والأذواق والمشارب ، وربما يقع الردُّ من بعضهم بعضاً للجهل بمراتبهم فيقع الإنسان في محذور وهو لا يشعر ، وقصة موسى مع الخضر عليهما السلام ترشدُ لذلك ، فمن أين يقع القطع بولاية أحدٍ ونفيها ؟ والسلامة لا يعدلها شيء .

نسأل الله لنا ولكم العافية ، والسلام من أخيك أحمد بن عبد القادر
كان الله له .

توفي برباط الفتح عام 1129 ودفن بمقبرة العلو (242) .

(1655) أحمد بن محمد بن علي عمور ، أديب من أهل فاس ، كان شاعراً مكثرأ ينظم الشعر معرباً وملحوناً ، وعلى ذلك أهمله مؤرخو عصره ومترجموه فلم يخصوه بترجمة ، وإنما ذكروا اسمه وأوردوا خبره في تراجم غيره وأخبارهم ، وأول ما رايت من نبأه في ترجمة الأديب محمد الشرقي من كتاب (الأنيس المطرب ، فمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب) ، كان ذلك وأنا يافع في سن البلوغ ، ثم بعد أن امتدَّ العُمُرُ وصحَّ العزمُ على كتابة (أعلام المغرب العربي) وكثرتُ لذلك مطالعة مصادره المخطوطة والمطبوعة وانتقاء أسماء الأعلام منها ووضع جذاذات لكل واحد منهم تُثبتُ فيها مراجع ترجمته - وجدتُ له قصيدة في رثاء الشيخ علي بن محمد العكاري ، وقصائد أخرى معربة وملحونة في رثاء الشيخ علي بن عبد الرحمان دفين قرية تمجوت ومدحه ، وخلصاً ما عندهم أن الرجل كان قوي العارضة طويل النفس ، ينظم الشعر الفصيح مُتقيداً بأوزانه وقوافيه ، والشعر الملحون أو الزجل مُتقيداً كذلك بالطرق التي التزمها الزجالون قبله في نظمه ورسفه ، إلا أنه يفهم من تقديرهم لشعره أنه متوسط الجودة ينبغي النظرُ إليه بعين (المسامحة) ، لأن فيه الغثَّ والسمين ، والرخيص والثمين ، حتى قال محمد

(242) الاعلام للمراكشي 2 : 352 ع 251 والاعتباط 1 : 16 والاستقصا 7 : 113 والحركة الادبية في عهد مولاي اسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 258 ومجالس الاتيساط 1 : 91 ونزهة الناظر (مخطوط الخزنة الحسينية) ص 351 .

بن الطيب العلمي في (الأنيس المطرب) عن ديوانه ما نصّه : (وللشيخ أحمد عمّور ديوانٌ خاصٌّ به في لُجّة الإكثار و عام ، وجمع بكثرة الشعر فيه بين الأروى والنعام) (243) .

ومما يُذكرُ من أخباره أنه كان أعرج ، وصديقاً للشاعر الأديب محمد بن الطيب العلمي ، وصديقاً حميماً للشاعر الأديب الحاج محمد الشرقي ملازماً له (حتى لا يكاد يوجَدُ أحدهما إلا مع الآخر) ، ظريفاً حلواً الفكاهة خفيف الروح ، كدأب آل عمّور الفاسيين إلى اليوم ، وقد وردت عبارة توحى بشيء من هذا في رسالة عتاب بعث بها الأديب محمد بن الطيب العلمي إلى (الصاحب) محمد الشرقي لما سافر مرة إلى تلمسان ولم يُجدد في غيبته عهداً ، وهي : (إلا أنك عودك رأسُ أشياخك ، الذي مكّنك من فخاّك ، وواخاك وليّته لم يُواخك ، أن تُقيم في مناخك ، ويقيم في خدمتك وخدمة فراخك ، صاحب الديوان المعمور ، والأشياء والأُمور ، أحمد عمّور ، فإنه أذهب عن أهلك جيوش العيلة ، واستغرق في خدمتهم يومه وليله ، وأتعب خيله ورجله ، ويذهُ ورجله ، ولما أن قربت منكم المفازة ، وسمع وصولكم إلى تازة ، رقص برجله الصحيحة والعرجا ، والمستقيمة والعوجا ، وقلنا لولا قصرُ الخطوة ، وضعفُ القوة ، وبُعدُ الشقة ، واتقاء المشقة ، لبدلنا في حقّ ملاقاتكم النفوس ، وأتيناكم سعيّاً على الرءوس ، لاكنّ دون ذلك أمور ، لا أطيقها أنا ولا عمّور :

ويادارها بالخيف إن مزارها قريب ، ولاكنّ دون ذلك أهوال
أما أنا فلا يخفّك حالي ، في مُقامي وارتحالي ، وأما عمّور وإن كان
في عدم ملاقاتكم عن الصواب قد خرج ، فلا على الأعرج من حرج !
والسلام .) (244).

243 (الأنيس المطرب ص 129 وقوله جمع بين الأروى والنعام منلّ يُضربُ في الجمع بين الشياطين المختلفين جدّاً ، والأروى أنثى الوعول ، ومسكنها رءوس الجبال فلا تكاد تُرى سانحةً ولا بارحةً إلا مرة في الدهر .

فمن كلامه قصيدة ضَمَّن أوَّل كل بيت منها حرفاً من قوله تعالى (أَمَّن) يُجِيبُ المضطَّرَّ إذا دعاه) الآية ، وهي هذه :

أرْحَ نَفْسَكَ التَّدْبِيرَ فِي فَسْحَةِ العَمْرِ
مَنْ اللّهِ فَارْجُ العَفْوَ فِي كُلِّ أَرْمَةٍ
نَعْمَ جِودُهُ عَمِ الوجودِ بِأَسْرِهِ
يَرَى العَبْدَ مطوياً عَلَى كُلِّ زَلَّةٍ
جِوَادَ كَرِيمٍ لَا يُخَيِّبُ ءاملاً
يَجُودُ عَلَى المضطَّرِّ مِنْهُ بِمَنْهُ

ومنها

شَهِدْتُ بِأَنَّ اللّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ
فَهَا أَنَا ذَا عِبْدٍ بِبَابِكَ وَأَقْفُ

وله في التوسل :

يَأْمَنُ لَهُ كُلُّ الأُمُورِ بِأَسْرِهَا
إِنِّي دَعَوْتُكَ فَاسْتَجِبْ يَارَبَّنَا
فَبخَيْرٍ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى وَأَجَلَ مَنْ
قَطَبَ الوجودِ مُحَمَّدَ المَبْعُوثِ بِالِ
يَسْرٍ خَلَاصِي وَاكْفَنِي شَرَّ العَدَا

وله من قصيدة مدح بها الشريف إدريس العراقي لما عاد من الحج :

جَلَّ مَجْدًا عَلاكَ عَمَا أَقُولُ
سَاعِدَتِكَ الأَيَّامُ بِالْيَمَنِ وَالْإِقْدِ
مَطْلَعَتْ فِي سَعَادَةٍ وَهَنَاءِ
فَتَنَّاكَ الَّذِي بِهِ هَامَ فِكْرِي
أَوْ مَا جَدُّكَ النَّبِيُّ الرَّسُولُ
جَالٍ يَأْمَنُ بِهِ تَهِيمُ العَقُولِ
شَمْسُنُ مَعْنَاكَ ، لِأَعْرَاهَا أَقُولُ
كُلُّ عَنهُ الإِجْمَالُ وَالتَّفْصِيلُ
وَحِبَاكَ المَرَامُ رَبُّ جَلِيلُ
مَنْحَتِكَ الأَيَّامُ مَا تَرْتَجِيهِ

(245) تقع هذه القصيدة في 32 بيتاً ، وقد وردت غير منسوبة في ص 417 من مجموع نمرته
102 محفوظ في الخزانة العامة بتطوان.

بلاق من قد سرى به جبريل
به يامن له الثناء الجميل

طببت في طيبة لدى طبيب الأخ
ثم ناديت عنده يارسول الله

ومنها :

عن العراقي للنوال تثنيل
وجناب له الكرام تؤول

دم رفيع العماد مولاي إدري
لك في المجد منصب لا يضافي

علي بن محمد العكاري المتوفى عام

وله يرثي الشيخ الشهير

1118 هـ آتي الترجمة :

شبّ الأسي في القلب والجسم
عيني بتبريحي على رغمي
لفراق بحر الفضل والعلم
أسفاً وبان لبينه نومي
ذابت حشائي واعتدى سقمي
فقد الحبيب وغاب عن رسمي
أفضال والإكرام نو الحزم
العكاري من يقوى به عزمي
أوطاننا من غير ما وهم
سمح السجية وافر العزم
لما انطوت جاءت بما يصمي
وبذكره أرتاح من همي
هر لفظه من خالص الفهم
وينوذ عني ساعة الضيم
يلجا له في الحرب والسلم
علل القلوب يداوي بأقومي
يقرى ، ومن للنثر والنظم
ركن السيادة منبع العلم
سجع الحمام بكل ما يوم
(صوب المدامع صيب يهمي)

صوب المدامع صيب يهمي
رمت اكتتام توأهي فوشت
بالرجال تصدعت كيدي
وهنت ضلوعي إذ وهى جلدي
فالصبر عز وراح واخربي
يا عين جودي بالبكاء فقد
نخري أبو الحسن الشريف أخو ال
سندي العلي علت مآثره
سبب الأكار من به شرفت
أخلاقه ترضيك زاكية
لهفي على أيامه ذهب
قد كنت أطرذ باسمه كربى
من كان يكشف غمتي بجوا
من ينزح الظلماء عن فكري
من للكراسي والمجالس من
من للحديث وللشفاء ، ومن
من للشمائل في محاسنها
أكرم به من فاضل علم
فعليه من ربي التحية ما
وشدا لفرط نواه نو كلف

وله في الشيخ علي بن عبد الرحمان الدرعي دفين قرية نمجّت القرية
من مدينة بني ملال المتوفى عام 1091 أمداحٌ معربة ، ملحونة ، منها هذه
المدحة من الشعر الملحون :

ونموعي على خدي مجريا
نزهة خاطري فرة عينا
ياشيخ الكمال تهلاً فيا (246)

والحب زاذني ناز
وفنيث بالخضار
وغلبت كل صبار

مجنون الهوى ما يشبه ليا
أو خابور ف شجرا محصيا
ياشيخ الكمال تهلاً فيا

كف الملام عني
واعرف طريق فني
حتى نصير مفني

من حضرا بهيجا ربانيا
من خمرا عتيقا معاويا
ياشيخ الكمال تهلاً فيا

ما محبة تجارا
ونهاية العمارا

يلغ ما يشتهي بشرى وهنيا
بركنو ظاهرا بين الصوفيا
ياشيخ الكمال تهلاً فيا

نيران الهوى شعلت ف الأكان
من حب الحبيب إمام العرفان
أسيدي علي بن عبد الرحمان

الشوق حل ف كناني
وهوى الحبيب نضاني
وعلى جفاه ما أقواني

صبري ما أقواه مؤنة حيران
را لوني زجع يشبه لليرقان
أسيدي علي بن عبد الرحمان

يايلومني هتني
هات المدام واسقتني
وتمن هويث عني

راني يا صديق مخمر نشوان
ساقها يديز عينا كيسان
أسيدي علي بن عبد الرحمان

سيدي علي نوا دايّا
كنزي غاية منايّا

من جالو بخير لا يغدا فرحان
را خبرو سري ف سايز الوطنان
ياسيدي علي بن عبد الرحمان

يَأمِنُ يَريذُ مَحبوبو
يَجعلُ هَواهَ مَربوبو
يَلتذُّ بِهَ مَشرُوبو
لُونوا كُلكُمُ بِهَذا السُلطان
قُوموا مَجَدُوا سَيدي بِالخِوانِ
أسيدي عَلي بن عبد الرَحمان
وَسلامَ رَبنا دايِمُ
ما هَبَ رِيحَ بُنُسايمُ
وَشانَ زَهَرَ بِكُمايمُ
ها نَظمي ف حُلاً تَسحَرُ الأَذهان
ناظِمها اَحمَدُ عَمورُ الوَلهان
أسيدي عَلي بن عبد الرَحمان
ما تَشبُهَ لَها حُلاً ذَهبيًا
ساقُها لِلحَبيبِ أَجَلُ هُديًا
ياشِخُ الكُمالِ تَهلاً فَيًا

و ديوانه الذي اطلع عليه محمد بن الطيب العلمي وأشار إليه في كتابه (الأنيس المطرب) يُعدُّ اليومَ في حكم المفقود ، ولعلَّ البحوث التي تُجرى للكشف عن التراث العلمي والأدبي المغربي كفيلاً بإخراجه إلى حيز الوجود .

لم أقف من أخباره ولم أعتره من آثاره على أكثر مما ذكر ، ووجدت في جُذائِه من مجدِّتي أنه كان حياً عام 1130 هـ ولست أدري من أين لي ذلك (247) .

1656) أحمد ابن داؤوش ، أديب كاتب من أهل مكناس ، أهمله مؤرخو الأدب و مترجمو الأدباء في المغرب مثلما أهملوا أحمد عمور المترجم قبله ، وتخصيصُ اسمه بعنوان في كتاب (الأنيس المطرب) لا ينفعُ

(247) الأنيس المطرب ، فيمن نقيه مؤلفه من أدباء المغرب ص 129 والاعتباط ص 438 والحركة الأدبية في المغرب على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 1128 و 1321 ولليل مؤرخ المغرب 2 : 389 و دوحة البستان لمحمد الزبادي المنالي (مصور مخطوط - صفحات عديدة) ، و مناقب العكاري (مصور مخطوط) ص 78 .

غُلَّةً ، ولا يشفي من عِلَّةٍ ، مع أن العبارات التي وَصَفَ بها مؤلِّفه أدبه فيه تدلُّ على عُلُوِّ كَعْبِهِ ورفعة شأنه ، فلا أحد نكَّرَ قعدوده ونسبه ، أو تعرَّضَ لطلبه العلمَ والشيوخ الذين أخذ عنهم ، أو أشار إلى عمله وتاريخ ولادته ووفاته ، وهي أشياء ضرورية لمن أراد أن يُعرفَ بشخص أو يُقيِّمَ أدبه إن كان أديباً.

قال في حقِّه محمد الطيب العلمي في كتابه (الأنيس المطرب) ما نصُّه : صاحب التعاريف ، في الضروب والأعاريض ، ومودع الإعجاز ، في الصدور والأعجاز ، سلك من الإجداد منهجاً ، وأربى على من مدحَ ومن هجا ، ورثى وغزل ، وجدَّ ما شاء وهزل ، فلم يُخطئ الإصابة ، ولا هلكت له في البيان ولا المعاني عصابة !

ووصفَ العلمي إياه بالكاتب في (الأنيس المطرب) يوحي بأن الرجل ربَّما كان من كتاب السلطان مولاي إسماعيل ، يؤكد أنه من مكناس عاصمة ملكه ، وعشاق مولاي ابن ناصر (بناصر) أحد أبنائه.

وقد نكَّرَ له مؤلِّف (الأنيس المطرب) قصيدةً لاميةً في التوسُّل إلى الله ذيلٌ بها خمسة أبياتٍ لغيره في التوسُّل أيضاً ، ولكنني رأيتُ أن لا أثبتها في هذه الترجمة لِهَلْهَلَةِ نَسْجِهَا وضحالة معانيها ، وفضلتُ أن أثبت بدلها قطعةً من شعره قالها متغزلاً في الأمير مولاي بناصر (ابن ناصر) بن السلطان مولاي إسماعيل الذي كان مشغولاً به مالتاً قلبه بحبه ، وكان الأمير المذكورُ وسيمَ الوجهِ فائق الجمال ، وهي هذه :

يافاترَ الأجفانِ يامن طرفه	رشق القلوب بأسهم وخناجر
يامن يغارُ الغصنُ منه إذا بدا	ولحسنيه خضع الهلال الزاهر
يامن يتيهُ علي الملاح بحسنه	الله في صبِّ كتيب حائر
من لي برشِفٍ لَمَاكٍ يا أحلا المني	فمتى أقبلَ وردٌ خدَّ عاطر
هاروتُ لحظك قد فقهننا سحره	كيف النجاة من الفقيه الساحر

واصل عشيقاً مُستهماً مُدنفأ قد طالما نشد اللقا يازنري
فامُنُّنْ على المشتاق منك بنظرة تحيي قنيل الشوق بأبن الناصر (248)
لم أقب على تاريخ وفاته ، ووجدت في جذاذته من مجدتي أنه كان
حيّاً عام 1130 هـ ولا أعرف على ما اعتمدت عليه في ذلك (249).

1657) أحمد بن محمد التونسي ، أستاذ قارئ مجود من أهل
تونس ، صفاقسي الأصل ، حفظ القرآن وجوَّده بالسبع والعشر على والده ،
وأخذ العلم عن محمد ابن الشيخ ومحمد زيتونة ومحمد الخضراوي وغيرهم
من شيوخ حاضرة تونس ، كما استفاد من علماء مصر لما دخلها وهو في
طريقه إلى الحج .

وكان واسع المعرفة خاصة في علوم القرآن ، بارعاً في الشعر ،
حسن الخط ، مُكبّاً على الإفادة والاستفادة ليلاً ونهاراً ، جميل الصورة نقي
التياب حسن العبارة فصيح اللسان ، خيراً ديناً متنزهاً عن الشبهات.

تولى وظائف والده لما توفي عام 1121 وعمر مكانه في علم التجويد
بجامع محمد باي ، ودرس بمسجد سوق الفلقة ، وكانت له دروس بجامع
الزيتونة في النحو والبيان والفقه والأصول.

أخذ عنه أحمد بن علي بورقة الماجري ، ومحمد قارة باطاق ، وأحمد
بن محمد ابن منصور ، وعددٌ آخرٌ كبيرٌ من مشاهير العلماء.

رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، ولما كان راجعاً إلى وطنه
أدركه الموت بالقاهرة عام 1130 هـ (250)

(248) القطعة منكرة في الرياحين الوردية ، في الرحلة المراكشية لمحمد بن موسى الناصري .
وفيها أن أم الأمير المتكرر رأته في منامها لما حملت به الشيخ محمد بن محمد ابن ناصر فسمته باسمه.

(249) الأتيس المطرب ، فيمن لقيه مؤلفه من أنباء المغرب ص 166 والحركة الأدبية في
المغرب على عهد مولاي اسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 1388 و 1634 والرياحين الوردية (مصور
مخطوط) ص 79 والمنزع اللطيف ص 298 .

(250) نيل بشار أهل الايمان ص 217

1658) أحمد عزوز ، أستاذ مُجوّد و فقيهٌ مبرز من أهل تونس ومواليدها ، حفظَ القرآن بالسبع والعشر وبرغ في تجويده ، وأخذ العلم عن شيوخ بلده ، وأجازته الشيخ عبد الرحمان العصايبي بسنده العالي ، وكان مشاركاً في العلوم راوياً للحديث ، قويّ البدن رابط الجأش.

أمّ وخطب بجامع الحلق الكائن خارج الباب الجديد بتونس ، وأمّ أيضاً بمسجد القبة ، وهو صاحبُ سجادة بجامع الزيتونة.

أخذَ عنه ابنه محمد ، وأحمد الطرودي مُتقدم الترجمة ، وأحمد مصطفى برناز ، وغيرهم .

توفي بتونس عام 1131 (251) وخلفه ابنه محمد في جميع وظائفه ، ووُجد مكتوباً على قبره الأبيات التالية:

حَلْ فِيهِ الْمَلَأُ قَطْبُ الزَّمَانِ	أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ هَذَا ضَرِيحٌ
عَرَّ كَلَامَ الْمُهِمِّنِ الدِّيَانِ	شَيْخُنَا الْفَاضِلُ الْمَجُودُ لِلْعَشْرِ
مُسْتَجِيرِ الْمَفِيدِ لِلْإِخْوَانِ	أَحْمَدَ النَّاسِكِ الْأَبْرَ وَكَهْفَ الـ
وَسَعَى لِلْكَرِيمِ دُونَ تَوَانِي	مَذْ دَعَاهُ الْإِلَاهُ قَامَ وَلَبَّى
صَارَ عَزُورٌ دَاخِلَ الْإِكْفَانِ	قَالَتْ الصَّحْبُ وَالْأَخْلَاءُ لِمَا
عَرَّ وَأَهْدَى ثَوَابَ أُمِّ الْقُرْآنِ	قَفَّ أَمَامَ الْإِمَامِ يَزَانِرُ الْقَبْرِ
هُ يَقُولُ اقْرَأْ وَارْقُ فِي رِضْوَانِ	وَتَوَسَّلْ بِسَاكِنِ الرُّمْسِ فَالـ

* أحمد بن الحسن اليخمي ، توفي عام 1132 هـ ، اسمه الحقيقي محمد ، وكان مستوزرهُ السلطان مولاي إسماعيل يسميه أحمد ، وتبعه الناس في ذلك ، حتى حصل بسبب ذلك خلط والتباس ، تنظر ترجمة محمد بن الحسن بن أحمد اليخمي في مكانها من حرف الميم.

(1659) أحمد بن محمد ابن الحاج السُّلَمي (الحفيد) ، فقيه وأديب من أهل فاس ، ولد بها عام 1094 ونشأ في وسط علمي محافظ ، أخذ عن أبيه وجده أحمد متقدم الترجمة ، وعن محمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد ابن الكماد القسنطيني ومحمد المسناوي الدلائي ومحمد ابن زكري وأحمد الجرندي (6 : 153 ع 1644) والعربي بردلة وغيرهم من شيوخ العلم بفاس في ذلك العهد ، وكان أديباً نحويماً ماهراً في العربية والحساب والفرائض يُحسنُ التدريس ويجيدُ التبليغ ، وكان والده محمد يحضرُ دروسه .

ابتدأ تأليف حاشية على مختصر ابن عرفة في الفرائض ولم يكملها ، وله أشعارٌ متوسطة أكثرها في مدح الرسول الكريم ، وشعره مجموعٌ في ديوان يُعدُّ اليوم في حكم المفقود .

ولما تُوفِّي والده القاضي محمد بن أحمد ابن الحاج ءاتي الترجمة أسند إليه السلطان مولاي إسماعيل قضاء فاس الجديد والوظائف الأخرى التي كانت له ولجده ، فقام بها أحسنَ قيام ، غير أن الموتَ عجلَ عليه فمناه قبل الأوان .

من شعره قوله ينكر سبب تأخر بعثة النبي المصطفى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام :

ومن قبلهم في الفضل والخلق يُحسب
ولكنها الأبطال تندو فتعقب
أواخرُ فيها الغيثُ يخشى ويرهب
وأمته تحت الثرى حين غيبوا
وملته ما دام طفل وأشيب
وعشى سناهم ضوءه المتلهب
لشمس الضحى أبصرتها تتغيب
لباس الطوى والخوف حتى يتوبوا

رسول أتى في ساقه الرسل بعته
ولم يتأخر بعته لغضاضة
تأخر كي يحمي النمار فإنها الـ
تأخر كي لا يستطيل مقامه
تأخر كي لا يعتري النسخ شرعه
تفترت الأرسال إذ جاء بعته
لذلك نجوم الليل إن حان مطلع
رسول إذا قوم عصوه أذاقهم

توفي بفاس صباح يوم السبت 18 ربيع الثاني عام 1133 هـ وصلّي عليه بعد العصر بجامع القرويين ، ورثاه الأديب محمد بن الطيب العلمي صاحبُ كتاب (الأنيس المطرب) بالقصيدة التالية :

وسحابٌ محاجري في انهمال
كيف من بردها تزيد اشتعالي
ورياضي نوى وغيرِ حالي
لم أن الأحوال ذات انتقال
كنت فيه من الزمان الخالي
شك أنها من قضايا المحال
مع كثر المحال أو إقلال
وافتقار ترى مدى الأحوال
وصروف جلت عن الأقوال
كل منا بأسهم ونبال
ويزيل الآباء للأطفال
غاب عنه أهل النقي والجلال
مات شهيم له حسان الخصال
من تحلى بالفضل والإفضال
لاجتهاد في علمه واشتغال
فقه والحلم مع كريم الخلال
وسخاء ورحمة وجمال
واحتزام لدينه وكمال
وعن الغير من سوى الله سال
هم من المعضلات والأحوال
بسنأه من ظلمة الجهال
راث والحساب والأرسال
من يُنيل الطلاب كل منال
ر بفيض علومه السلسال
حاج نجل الأكابر الأفضال

نار قلبي من الأسى في اشتعال
فتعجب من دمعتي وهي ماء
وقواي وهت وصبري تلاشى
أعيب على الدنيا وأنا أغ
بل أسايرها وأرفض ما قد
فبقاء الأحوال صافية لا
فاجتماع وفرقة وسرور
وسقام وصحة وثرأ
بعض حكم الزمان في الخلق هذا
وأجل خطوبه أن يصيب الـ
فيزيل الأطفال من أبويهم
أي عيش يطيب لي مع دهر
إن من أعظم المصائب أن قد
الفقيه الغني عن كل مدح
كان في دينه نقياً طهوراً
كان فيه الوقار والنسك والعب
كان صاحب حرمة وجلال
وسمو وهيبة واحترام
واعتناء بره واعتناء
كان ملجأ طالبيه ومنجا
كان مخرجهم إلى نور علم
من لعلم الحديث والفقه والميد
من لدرس العلوم في كل وقت
بعد هذا الخبر الذي طاول البعد
أحمد المرتضى الهمام سليل الـ

كنا نامل أن سيكمل بدرأ
مات صبري لموته فتمنيـ
لو تُفدَى من الردى يا أبا العـ
او تُفدَى بعسجدٍ ويا
كيف تبقى وأنت تعلم أن الـ
يابني الحاج عنه صبراً جميلاً
كل من في السماء والأرض يفنى
أحمد كان صفوة فاصطفاه
إن يكن مات نكره فهو يحيى
فأخو العلم خالد بعدما يفـ
فعلية من المهيمن تترى
وله يفسح الإلاه تعالى
وثره حياً الإلاه وأحياً

وتقدّمت في هذا الجزء (ص 102 ع 1627) ترجمة جدّه وسميّه
أحمد ابن الحاج صاحب الفهرسة المشهورة (252) .

1660) أحمد بن عبد القادر القادري ، فقيه صوفي وأديب نسابة
من الأسرة القادرية الشريفة الواردة من العراق على فاس في القرن التاسع
الهجري (253) ، وُلد بفاس عام 1050 وأخذ بها عن الشيخ عبد القادر

252) التكايف الدرر 2 : 321 وحركة الأنب في المغرب على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة
مرفونة) ص 237 و1322 ورياض الورد (مصور مخطوط) ص 144 والمنزع اللطيف ص 219
والموسوعة 1 : 65 ونشر المئاني 3 : 251 وفهرسة ابن الحاج (أطروحة مرفونة) ص 64 وقضاة
فاس لعبد السلام ابن سودة (نسخة مرفونة) 3 : 3 وسلوة الألفاس 1 : 156 وشجرة النور الزكية 1 :
332 ع 1303 واليوافيت الثمينة 1 : 44 .

253) فيما يلي قعدود نسبه : هو أحمد بن عبد القادر بن علي (علال) بن محمد بن محمد بن محمد
بن محمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد
القادر الجيلاني بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن داوود بن موسى بن عبد الله بن موسى
الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء
بنت رسول الله (ص) .

ينظر عن الشرفاء القادريين وفروعهم بفاس والمغرب كتاب الدرر البهية 2 : 186 .

الفاسي وغيره ، واستهوته الزاويةً الدلائية التي قويت شهرتها بالعلم والأدب في ذلك الوقت ، فانتقل إليها وأخذ عن كان بها من العلماء والادباء كمحمد المرابط الدلائي والحسن اليوسي ، وحظي لدى أعيانها لشرف نسبه وحسن سيرته واجتهاده في طلب العلم حتى أصهر إليه الشاذلي أخو الرئيس محمد الحاج الدلائي بإحدى بناته ، وكان للزاوية ورجالها فضل كبير عليه سواء في تكوينه العلمي أو تكوينه البدني ، إذ على أيديهم أتقن العلم وأولع بالأدب ، وتدرّب على ركوب الخيل واستعمال الأسلحة .

ولما استولى السلطان مولاي رشيد العلوي على الزاوية عام 1089 خرج في جملة من خرج من قُطانها ، وكان من بينهم علماء وقضاة وأدباء كالعلامة الحسن اليوسي ، وتوجّهوا إلى فاس مارين بقرية الصومعة (254) وقرية أزرو (255) ، وحين حلّوا بالقرية الأخيرة استضاف الشيخ الحسن اليوسي أعياناً من تجارها كانوا يقدون على الزاوية بقصد التجارة ، فحضروا ولم ياتوا معهم بطعام إما بخلا وإما خوفاً من سطوة السلطان ، فأخرج الشيخ اليوسي ماكان معه من عوين (256) وأحضره للناس فأكلوا وأكل معهم التجار المستضافون ، وأنشد في ذلك اليوسي الأبيات التالية ، وهي من نظم الشاعر الأديب عبد الكريم الدغوشي :

وقرية لا يرى لابن السبيل بها تبأ لها ولأرجاس بها اجتمعوا
لولا أفرادها يقرون واردها من سور باردها (257) في ضمنه وجع
لقلت من زار أزرو زار مقبرة ورُبَّ مقبرة زوارها انتفعوا

(254) الصومعة قرية كانت تقع قرب عين البغل (أسردون) القريبة من مدينة بني ملال ، من أشهر علمائها أحمد بن أبي القاسم الصومعي التادلي (5 : 266 ع 1520) وعبد الرحمان بن إسماعيل الصومعي التادلي ومحمد بن عبد الرحمان الصومعي الزمراني .

(255) أزرو بلدة جبلية ومركز اصطياف بإقليم يفرن ، تبعد 70 كلم عن مدينة مكناس جنوباً ، وغاية أزرها من أشهر غابات الأرز في العالم ، بلغ عدد سكانها 40.808 حسب إحصاء سنة 1994 .

(256) العوين الزاد في العامية المغربية

(257) مياة أزرو باردة جداً ، ومن أشهر عيونها العين المسماة عين حسن أو (طيط حسن) باللهجة البربرية المحلية .

ولما سمع الأبيات أحمد القادري المترجم نيلها فوراً وقام مُنشداً
بمحضر رفاقه :

وإن حلت بها فانزل بروضتها ولا تقم ساعة فالخير مُمتنع
لقد رأيتهم يوم الخميس ضحى (258) فلم ينل منهم قوت ولا شبع
قالوا القضاة أتوا قلت لإكرامنا لكنهم في سوق الشيخ قد طمعوا !

ولما وصلوا إلى فاس لم يكن لهم أن يشتغلوا إلا بالعلم أخذاً أو عطاء ،
لكن المترجم كان يشعر بالحاجة إلى المزيد من طلبه واستيعاب فنونه ،
فسافر إلى المشرق عام 1083 لأداء فريضة الحج ، ولما كان راجعاً أقام
بمصر سبعة أعوام أخذ خلالها عن الكثير من فقائها وعلمائها كعلي
الأجهوري ومحمد الخرشى وعبد الباقي الزرقاني ، ثم عاد بعدها إلى فاس
وفي نفسه أثر الصدمة التي أصابته من جراء خراب الزاوية الدلائية ونسف
عمرانها وتشتت رؤسائها وأعيانها ، فبدأ له أن يتخلى عن الدنيا وما فيها ،
فانقطع للعبادة بزاوية الشيخ محمد بن عبد الله الكائنة بحومة المخفية ، وأكثر
من مطالعة كتب التصوف ، ولقي عدداً من مشايخه كقاسم الخصاصي ،
وأحمد بن محمد بن عبد الله معن متقدم الترجمة ولازمه وتربى به وتهذب
وصحبه في حجه عام 1100 وكان لا يُناديه أو يذكر اسمه إلا مقروناً ب
(سينا) وهي كلمة لا يخاطب بها في المغرب إلا السلاطين ، أو السادة من
طرف عبيدهم .

وكان المترجم عيناً وجيهاً وفقياً نبيهاً ، مطلعاً على التاريخ حافظاً
للأنساب ، فارساً غيوراً ذا رغبة في الرباط والجهاد ، نُكر عنه أنه كان أيام
إقامته بزاوية الدلاء يركب فرسه وياخذ سلاحه ويذهب إلى الثغور التي كان
العدو يحتلها بشواطئ المغرب الشمالية والغربية فيربط فيها مع
المرابطين ، ويقاثل محتليها مع المقاتلين ، رغبة في الأجر وطلباً للشهادة ،
ولكن النكبة التي حلت بالزاوية قلبت حياته رأساً على عقب ، وأحاله من

(258) كان يوم الخميس اليوم الذي تنعقد فيه السوق الأسبوعية في ذلك العهد ، أما اليوم فصار
يوم الثلاثاء .

شاب يتقدُّ حماساً وغيرةً وعالمٍ أديبٍ يتفجرُ النظمُ والنثرُ من ينابيع قرائحه ومواهبه ، إلى (فقير) حامل بطلال يقبعُ في ركن زاوية مُظلمة وخمة يتلو الأذكارَ ويُعلّلُ النفسَ بالنعيمِ المقيمِ في دار القرار .

ألّف المترجمُ كتاباً وصف فيه رحلته إلى الحجّ عام 1100 مع شيخه أحمد بن محمد بن عبد الله معن سَمّاها (نسمة الآس ، في حجة سيدنا أبي العباس) توجد منها نسخ مخطوطة عديدة ، منها نسخة مُصححة بالخزانة الحسينية بالرباط نمرتها 8787 وأخرى بالخزانة العامة بالرباط محفوظة ضمن مجموع نمرته ك 1418 وثالثة بنفس الخزانة محفوظة على حدة تحت نمرة ك 3216 .

وله نظم في نسب الشرفاء العُلميين محفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت نمرة 771 د ورجزٌ فيمن هاجر إلى الحبشة من الصحابة ، ونظمٌ في المساجد التي صلى فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ورأيٌ في (فهرسة الخزانة العلمية الصبغية بسلا) نسبة كتاب في (النسب الحسيني) لمحمد بن أحمد القادري المتوفى عام 1337 هـ ويُخيلُ لي أن الكتاب المذكور هو للمترجم ، وأن تاريخ الوفاة مجردُ خطأ .

وشعره متوسطٌ أكثره في المديح ، يبتدئه غالباً بالغزل ليتخلص بعده إلى مدح ممدوحيه، وقد تقدمت قصيدة منه في ترجمة شيخه أحمد بن محمد بن عبد الله معن في هذا الجزء (ص 127 ع 1637)، وفيما يلي نماذج أخرى منه:

فمن شعره قوله في مدح المصطفى عليه الصلاة والسلام :

سلامٌ على السامي على كلِّ من سما	سلامٌ على من أمَّ بالرسُل في السما
سلامٌ كعرف المسك بل منه أنسما	على المصطفى ما فتح الزهر مبسما

وقوله :

نسيمُ الصبا إن هبَّ هيَّج لي وجدى	وإن تُكرث نجد صبوتُ إلى نجد
وإن أقبل الركبُ المبرخُ بالجمي	فلا الصبرُ يبقي لي ولا عبرة تُجدي

وقوله في مدح شيخه أحمد بن محمد بن عبد الله مَعْنٍ :

واملاً جفونك باكتحال تراها
بمربع تزهو بنور رباها
فعساك أن تسلو بليل سراها
لم تدر ما يُمناك من يسراها
وتبيحُ للأرواح سفك يماها
صرعى بخمرة حبها وهواها
فتهيّموا لما بدا مغناها
وغدّوا لعزّ جنابها أسراها
لا أرسلت ما عاسرت يُمناهها
مُترصداً ما يقتضيه مُناهها
فلعل أن تحظى بنيل رضاها
فبها ابن عبد الله ليس يُضاهي
فيه المحاسن قط لا تتناهي
أي الخلائق لا يكاد يراها؟
ياقوتة الأسرار عم سناها
طلعت ونار على البطاح ضياها
حتى انجلي فوق الغصون وتاها
ما دامت الدنيا إلى أخراها
كل الخصال ببحره مرساهها
من بعدما سترت وطال خفاها
مُتحلياً منها بخير حلاها
مُسْتَوْثِقاً منها بكل عراها
وأقام بالتأييد سنة طاها
والصدق شيمته ولا يتباها
مُتَوْحِشاً من نفسه وسواها
ولسانه سبحان من أولاهها
إلا وفرّ لغيره ولواها

عج بالجمي حول الديار تراها
وسل الركائب هل لسلمي مرتع
واسلك سبيل مسيرها مُتسارعا
حضرية لو فاجأتك بحسناها
تسي العقول بنظرة من لحظها
وترى جيع العاشقين بذيرها
قد أذهلت كل الملاح وأدهشت
بجمالها ملكت سلاطين الورى
حلفت بعزتها وشامخ قدرها
فاخضع لها متذلاً مُتمقفاً
وأقم ولازم بابها مُتأدباً
وإذا أردت مُضاهياً لبهائها
أعظم به من عارف قد كُملت
ظهرت براهنه ولاخ ضياؤها
ضوء بدا بلغ السماء كأنما
نجم اهتدا ، بدر بدا ، شمس الهدا
أصل حلا ، فرغ علا ، رأس العلا
كهف السيادة والعناية دائماً
جمع الفضائل والمحاسن جُملة
كم آية منها بظاهره انجلت
لبس الشريعة وارتدى بجديدها
مُتحققاً بحقيقة مُمكنأ
قطع العلائق والعوائق كلها
لا يختشي في الله لومة لائم
مُتأسساً بالله وبذكره
ومهاية الذكر القوي بقلبه
ما فاجأ الشيطان فجّ طريقه

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ ذَكَرْتَ اللَّهَ
هَمَّ لَهُمْ، لِلَّهِ مَا أَسَمَاهَا
وَرِثُوا مِنَ الرَّتْبِ الْعُلَا أَعْلَاهَا
وَهُمْ حَمَاءُ الدِّينِ فِي دُنْيَاهَا
قَسَمًا بِجَاهِهِ إِنَّهُ أَوْفَاهَا
فَالْكَلُّ قَدْ نَشَرْتُ عَلَيْهِ لَوَاهَا
لَجَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَكَفَاهَا
وَتَفَقَّطْتُ طَيِّبًا وَنَمَّ شَذَاهَا
شَيْخٌ لَهُ جَلُّ الَّذِي أَبْدَاهَا
قَدْ حَازَ مِنْ رَتَبِ الْمَعَالِي دُرَاهَا
فِي تَرْكِهِ عَزَّ الْعِبَادَ لَجَاهَا
لِجَنَاحِهِ بِتَوَاضُعِ وَأَتَاهَا
وَكَذَا الْمَخَافُوفَ دَائِمًا يَلْقَاهَا
هَطَلَتْ سَحَابَتُهُ وَعَمَّ رَوَاهَا
نَاهِيكَ مِنْ قَوْلٍ بِهِ قَدْ فَاها
لِصَفَائِهِ مِنْ سُورِنَا يَقَوَاهَا
فَتَبَارَكَ الرَّحْمَانُ مَا أَقْوَاهَا
لَا يَشْهَدُ الْفِعَالُ إِلَّا اللَّهَ
مَدَّتْ لَهُ لِسُنُ الْوَرَى بَثْنَاهَا
وَشَمَائِلَ فِي النَّظْمِ مَا أَحْلَاهَا
رَقْمُ الْفَضَائِلِ وَالْبِهَاءِ كَسَاهَا
وَتَطَاوَلَتْ وَتَرَافَعَتْ بَعْلَاهَا
قَدْ طَابَ مِنْ نَفْحَاتِهِ مَثْوَاهَا
نَرْجُو لَدَى يَوْمِ اللَّقَا بُشْرَاهَا
وَرِضَاوَهُ مُتَتَابِعًا يَغْشَاهَا
(عَجَّ بِالْحَمَى حَوْلَ الدِّيَارِ تَرَاهَا)

هُوَ مِنْ أَنْاسٍ لَا يَخِيبُ جَلِيسَهُمْ
قَوْمٌ كَرَامٌ عَارِفُونَ بَرِيهِمْ
أَخَذُوا الطَّرِيقَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ
فَهُمُ الْمَلُوكُ عَلَى الْحَقِيقَةِ فِي الثَّرَى
هُوَ قَطْبُ دَائِرَةِ الْفُحُولِ وَفَرْدُهُمْ
سُلْطَانُ أَهْلِ الْوَقْتِ حَامِلٌ تَاجِهِمْ
وَبِهِ غَدَتْ مَنَقَادَةٌ وَتَوَاضَعَتْ
طَابَتْ بِهِ وَبِعَرْفِهِ أَرْضُ الْهُدَى
حَبْرٌ مُهَابٌ حَازِمٌ مُتَوَرِّعٌ
سَهْلٌ سَمِيحٌ بِاسْمٍ غَضٌّ حَيِي
وَسِيَادَةُ الْحَسَنِ اقْتَفَى آثَارَهَا
وَلِذَلِكَ أَصْلَحَ ذَاتَ بَيْنٍ خَافِضًا
يَلْقَى الْعِظَائِمَ لَوْ تَفَاقَمَ أَمْرَهَا
هُوَ الْإِمَامُ الْكَامِلُ الْبَحْرُ الَّذِي
قَدْ قَالَ يَوْمًا فِي عِنَايَةِ فَيْضِهِ
إِنِّي شَرِبْتُ الْبَحْرَ هَلْ مِنْ شَارِبٍ
فَانظُرْ لِذَاتِ حَلِّ ذَا بَضْمِيرِهَا
لَا يَدَّعِي قَوْلًا وَلَا فِعْلًا لَهُ
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ سَيِّدٍ فِي عَصْرِنَا
وَكَذَا قَوَافِي قَرِيضِهَا مَنَقَادَةٌ
طَرَزَتْ بِهِ حَلْلُ الدَّفَاتِرِ زَائِنَا
شَرَفَتْ بِهِ وَتَفَاخَرَتْ لَمَدِيحِهِ
فَاللَّهُ يَجْمَعُنَا بِهِ بِمَحَافِلِ
وَيُنِيحُنَا مِنْهُ رِضَى وَكَرَامَةٌ
وَعَلَيْهِ خَيْرٌ تَحِيَّةٍ مِنْ رَيْنَا
مَا حَنَّ لِلْأَطْوَانِ صَبٌّ قَانِلَا

وقوله يخاطبُ مولاي أبو عزة لما زار ضريحه صحبة الفقيه العلامة

الحسن اليوسي :

أبا يعزى ويفحل الرجال
أتيتك ياولي الله قصدا
فبابك قد تفتح بالعطايا
وأنت المنهل العذب الذي من
فهم يغدون من فقر خماسا
فضائلك الجيلة ليس تخفي
توسلنا بخير الخلق طرا
أزل وفدا أتاكم كل خير
أتيتك حاجة بالفور تُقضى
فما بعد الثلاثا من رجوع
وقوله يخاطب الحسن اليوسي مستعيراً منه كتاب (قوت القلوب) :

أخبر العالمين أتيت قصدا
وهاقلي بجوع الجهل يفنى
لبابك كي أمكن من نصيبي
وعندك سيدي قوت القلوب !

وأشعارها كثيرة متفرقة في كتب الوقت ، لا سيما في كتاب (الزهر
الباسم ، في مناقب الشيخ سيدي قاسم ، ومآثر من له من الأشياخ والأتباع
أهل المكارم) تأليف ابن عمه محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري .

توفي بفاس يوم الاثنين 19 جمادى الأولى عام 1133 ودُفن قرب
مُصلّى العيد خارج باب فتوح (259) .

259 الإكليل والتاج (أطروحة مرفونة) ص 187 والنقاط الدرر 2 : 319 والأعلام للزركلي
1 : 153 وحركة الأدب في المغرب على عهد مولاي اسماعيل (أطروحة مرفونة) ص 238 و 1484
و 1566 والزواوية الدالية ص 124 و 210 هامش 71 والزهر الباسم ، في مناقب الشيخ سيدي قاسم
(مصور مخطوط) ص 111 وصفحات أخرى عديدة ، وأزهار البستان ، في طبقات الأعيان لأحمد ابن
عجبية (مصور مخطوط) والمصادر العربية لتاريخ المغرب 1 : 189 والمقصد الأحمد ، في التعريف
بسيدنا ابن عبد الله أحمد ، والموسوعة 3 : 131 وتسمية الآس ، في حجة سيدنا أبي العباس (مصور
مخطوط) ، ونشر المثاني 3 : 247 ومعجم المؤلفين 1 : 280 وصفوة من انتشر ص 219 وفهارس
المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط 2 : 56 - 157 وسلوة الأنفاس 2 : 353 وشجرة النور
الزكية 1 : 333 ع 1306 واليوافيت الثمينة 1 : 43 .

1661) أحمد بن سليمان الرسموكي ، فقيهٌ مُشاركٌ من أهل غاتينة (تاغانتين) قرية شهيرة بإقليم سوس (260) ولد بها ونشأ نشأةً علميةً صالحةً ووسط أسرته المعروفة بالعلم والفضل والصلاح ، وأخذ عن جماعة من الفقهاء والعلماء كمحمد بن يوسف التملي ، والحسن بن علي بن داوود الأنامري السملالي ، ومحمد بن يعقوب ، ولما وقعتْ بقريته عام 1072 الواقعة التي قُتل فيها أبوه سليمان وأخوه محمد بن سليمان ظلماً خرج منها خائفاً يترقب ، وذهب أولاً إلى رُدانة ثم فاس فأخذ بها عن العلامة الأديب الحسن بن مسعود اليوسي ، ثم انتقل منها لسكنى مراكش القريبة من وطنه وأبائه وأجداده ، فسكن بيتاً علوياً بسطح مدرسة المواسين حيث قضى بقية حياته خصوصاً يشتغل بالعلم ويؤلف الكتب ويستقبل الزوار عارفي فضله من دارسين ومستفتين ومتطبيين .

ومن أخباره ذهابه إلى ناحية درعة للقاء الشيخ أحمد (الخليفة) بن الشيخ محمد ابن ناصر الدرعي المترجم في هذا الجزء (ص 184 ع 1653) وتلمذه له وانخرطه في طريقته الناصرية وسلوكه مسلك مريديها في نشر العلم وبيت التصوف ، وأن قائد رُدانة طلب منه الإقامة فيها فامتنع ، وأن قائد المنارة (تامنارت) عرض عليه الذهاب إلى قرية تغازة للتعليم والتدريس مقابل أجره مغرية تبلغ مئة متقال ذهباً مع عبدٍ وأمةٍ وكسوةٍ رفيعة كل عام ، وكانت القرية المذكورة من أملاك المغرب يومئذ وهي اليوم من أملاك جمهورية مالي (261) ولكن المترجم رفض العرض فذهب بدله إليها أحمد الحوزي الهشتوكي وأدرك بها جاهاً وجمع مالا وذاع صيته في تلك الآفاق كما تقدّم في ترجمته .

ومن مواقف المترجم السياسية فراره من مراكش واختفاؤه مدة ستة أشهر في جهة مجهولة من باديتها رفضاً لسياسة استرقاق السود وتجنيدهم التي كان السلطان مولاي إسماعيل يأخذ العلماء بالموافقة عليها ، ولم يعد إلى مراكش إلا بعد هدوء العاصفة التي أودت أثناء هياجها بعدد من العلماء .

(260) غاتينة أو تاغانتين بالشلحة سبق التعريف بها في هذا الجزء (ص 63 ع 1597) .

(261) تغازة أو تغازى سبق التعريف بها في هذا الجزء (ص 158 ع 1649) .

وكان المترجم فقيهاً حافظاً يشارك في كثير من العلوم والفنون الدينية واللغوية معقولها والمنقول ، محترماً مهاباً من طرف الولاية وقادة الأجناد يلتمسون مئة البركة ويجتهدون في تنفيذ ما يشيرُ به كبناء المساجد والمدارس واستنباط المياه وغيرها من المصالح العامة والخاصة ، شهيرَ الذكر ذائع الصيت في مراكز والجهات الجنوبية مقصوداً للتدريس مُحبباً إلى طلبته .

له نقايد عديدة وفتاوي فقهية لو جُمعت لخرج منها سفرٌ كبير ، أورد بعضها صديقي المرحوم المختار السوسي في كتابه (مجموعةُ إنغ الفقهية) ، وله عدى ذلك مجموعة من التآليف والتصانيف والأنظمة والشروح في الفقه والفرائض والحساب والتوقيت والعروض ، أوردُ فيما يلي أسماء بعضها ، مشيراً إلى ما يوجد منها محفوظاً في الخزانات العلمية التي اطلعتُ على فهرسها ، فمنها :

1 - أجنحةُ الرغاب ، في معرفة الفرائض والحساب ، هي في الأصل أرجوزةٌ من 36 بيتاً لإبراهيم بن أبي القاسم السملالي المتوفى عام 927 ذيلها المترجمُ بأربعة وثمانين بيتاً فصار عددُ أبياتها 120 توجد منها نسخة مخطوطة محفوظة ضمنَ مجموع نمرته د 157 بالخزانة العامة بالرباط ، وأخرى محفوظة بخزانة مؤسسة علال الفاسي بالرباط نمرتها 504 ع 191 وسبع نسخ بالخزانة الملكية بالرباط .

2 - إيضاحُ الأسرار المصونة ، في الجواهر المكنونة ، في صدف الفرائض المسنونة ، أحدُ شرحيه لكتاب (الجواهر المكنونة) من تأليفه ، انتهى من تأليفه أواسط ذي القعدة عام 1116 توجد منه نسختان محفوظتين بالخزانة العامة بالرباط الأولى ضمنَ مجموع نمرته د 1675 والثانية نمرتها د 2137 وتوجدُ منه نسخة بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا نمرتها 208 .

3 - الجواهر المكنونة ، في صدف الفرائض المسنونة توجدُ منه نسخة بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا نمرتها 259 .

4 - حليةُ الجواهر المكنونة ، في صدف الفرائض المسنونة ، شرحه الثاني للكتاب المتقدم ، فرغ من تقييده يوم 5 ربيع الأول عام 1117 توجدُ منه

ثلاث نسخ بالخرزانة العامة بالرباط نمرأها د 845 ود 1087 ود 1673
وُنسخة بالخرزانة العلمية الصبيحية بسلا نمرأها 278 .

5 . كفاية ذوي الألباب ، في فهم معونة الطلاب ، شرح لأرجوزة (معونة الطلاب) المعروفة بالدادسية نسبة لناظمها علي بن محمد بن أبي القاسم الدادسي ، فرغ من كتابته عام 1109 توجد منه نسخة بالخرزانة العلمية الصبيحية بسلا نمرتها 1152 .

6 . كشف الحجاب ، لأصفياء الاحباب ، على أجنحة الرغاب ، في معرفة الفرائض والحساب ، واحد من شروحه الثلاثة لارجوزة (أجنحة الرغاب) ، فرغ من تأليفه في آخر رجب عام 1112 توجد منه نسختان بالخرزانة الملكية الحسنية بالرباط واحدة ضمن مجموع نمرته 11081 والثانية نمرتها 12424 ز ونسخة بالخرزانة العامة بالرباط ضمن مجموع نمرته د 1675 وأخرى بالخرزانة العلمية الصبيحية بسلا نمرتها 1511 .

7 . معونة الأحباب ، على فتح أجنحة الرغاب ، أحد شروحه الثلاثة لـ (أجنحة الرغاب) ، توجد منه نسخة بالخرزانة الملكية الحسنية بالرباط محفوظة ضمن مجموع نمرته 1557 وأخرى بالخرزانة العامة بالرباط ضمن مجموع نمرته د 1087 وثانية في نفس الخزانة ضمن مجموع آخر نمرته د 1673 .

8 . معونة الإخوان ، في مسألة أولاد الاعيان ، فرغ منه عام 1115 توجد منه نسخة بالخرزانة العامة بالرباط محفوظة ضمن مجموع نمرته د 1087 وأخرى بالخرزانة العلمية الصبيحية بسلا محفوظة تحت نمره 406 .

9 . مفتاح أجنحة الرغاب ، في معرفة الفرائض والحساب ، شرحه الثالث لأرجوزة (أجنحة الرغاب) ، فرغ منه أواخر رمضان عام 1114 توجد منه ست نسخ بالخرزانة الملكية الحسنية بالرباط وثلاث نسخ بالخرزانة العامة بالرباط مرتبة تحت نمرات د 153 ود 488 ود 1675 وأخرى بالخرزانة العلمية الصبيحية بسلا وتكرر طبع الكتاب بفاس منذ عام 1322 .

10 - عمدة الرغاب ، في حل ألفاظ معونة الطلاب منها نسختان بالخرانة الملكية الحسينية بالرباط نمرة الأولى 3979 ونمرة الثانية 5987 .

11 - قصيدة في علم الغروض وشرحها .

12 - شرح نظم في كيفية استخراج يوم دخول يناير ، فرغ منه عام 1106 توجد منه نسخة بخرانة جامع القرويين ضمن مجموع نمرة 2/1362 .

13 - شرح لكتاب (روضة الأزهار) في علم الميقات .

14 - شرح الأبيات الثمانية لأبي العباس السبتي في العمل بالزاييرجة .

وفي الخزانة العامة بالرباط شرح لمحمد بن أحمد بن محمد السملالي المتوفى عام 1002 على نظم لأحمد بن سليمان الرسموكي ، ولا شك في أن الناظم غير مترجمنا ، لأن الناظم والشارح متقدمان عليه بأكثر من قرن .

وفيما يلي نماذج من إنشاء المترجم .

فمن ذلك رسالة كتبها عام 1104 إلى شيخه محمد بن محمد بن عبد الله ابن يعقوب تثبتتها على طولها لما فيها من أخبار وأفكار ، نصها :

من عبید الله ، الراجي رحماه ، أحمد بن سليمان بن يعزى الرسموكي كان الله له ، وأصلح عمله ، إلى شيخه الأفضل ، الصافي الأكمل ، اللوذعي الأنبل ، الألمعي الأجل ، النزیه الأكرم ، سيدي محمد بن سيدي محمد بن العلامة الهمام ، رئيس الأیمة الأعلام ، الذي شيد به منار الإسلام ، وأميط بأنواره الجهل عن الأنام ، الولي الصالح ، الأبر الأكمل الناصح ، السملالي سيدي عبد الله بن يعقوب ، بلغ الله له كل مطلوب ، بجاه النبي وءاله ، وكل من استقام أمره في جميع أحواله ، من إخوانه أجمعين ، وعميه وأولاده أعمامه وكافة المحبين ، كلاًهم الله ، ورزقهم تقواه ، وأسبل عليهم النعم ، وصرف عنهم النقم ، وجعلهم وذريتهم منبع العلوم والحكم ، والاسرار من العجائب والكرم ، إلى يوم التناد ، بجاه المختار من أفضل العباد .

سلامٌ يعُمُّ عرفه سائر تلك الأوطان ، والرحمة والبركة ما تعاقب
الملوان ، عن صحة وعافية ، ونعم صافية ، لله الحمد التام ، والشكر العام .

وبعدُ فقد قطعت سيدي عنا الإعلام بكنه أحوالكم ، مع أن ذلك ليس
من شيم أمثالكم ، ولا أدري هل المحبة التي بيننا وبينكم وبين الأسلاف
واهية ؟ أم غرقتم في بحور هذه الدنيا الغادرة الفانية ، حتى عميت عن ذلك
الأبصار ، كما هو دأب كل متزوج في تلك الأقطار ، إذ لم يكن فيها الآن
من الطلبة إلا الأفاعي الكبار ، الفاتحة أفواها لأموال الأرامل والصغار ،
فمن لازم المقام في تلك البلاد ، ولم يخرج منها ليلتقي مع رجال الله من
العباد ، ربما صار تابعا لثعالب الناس ، ظناً منه أنهم سباعهم الواجب اتباعهم
بلا التباس ، ولو خرجت سيدي من تلك الأقطار ، وزرت شيخك ومثله من
الأبرار ، لزال عنك بدعائه الطمع الكثير ، وقنعت من الدنيا باليسير ،
واستقامت لك الدنيا ، ونلت معها الدرجة العليا ، لكن استصعبت سيدي جميع
ذلك ، فحرمت والعباد بالله مما هنالك ، وأهملت أمر الورد الذي أمرك
بإعطائه ، وملت لطريق من لا يهتم لله بلاقائه ، واشتغلت بين الناس بضرب
الأحكام ، وتنقضها لك الطلبة العوام من الأنام ، ولعل ذلك جزاء من ترك
التعليم والافتاء اللذين هما دأب السلف ، وتعرض لسلوك مفاوز العطب
والتلف ، وارتحلتم ساداتي عن محل الدين من العلم الذي هو موضع (262)
الأجداد ، واتبعتم حطام الدنيا لفحوص تلك البلاد ، مع عملكم أن دأب الله
في الدنيا أن يعطيها لمن هجرها بقلبه ، ويحرمها عن تبعها به ، وتركتم
مدرستكم حتى انهدمت وصارت نسياً منسياً ، وطمعتم أن تنالوا من الدنيا
في حرصكم قدراً فرياً ، فهيهات ثم هيهات ما طمعتم ، إن كنتم على تلك
الحالة بقيتم ، فارجعوا سادتي لبلادكم واصلحوا مدرستكم واعمروها بالتعليم
والإفتاء ، مبتعدين عن أمر القضاء ، لأنه يولد البغض بين الحاكم وبين
القبائل ، حتى يظن الجوز به بعض الأراذل ، تنالوا بذلك أعلى الرتب ،

وتاتي إليكم الدنيا بلا تعب ، ولا تؤخروا ذلك ولو ساعة ، إن بقي فيكم لله طرف من الطاعة ، فإنني كتبتُ للشيخ (263) بن محمد بن عبد الواسع ، وفقه الله للرأي النافع ، أن يطلب من القبيلة الاجتماع لإصلاح بنائها ، ويفرضوا شرطاً من يقوم بتعميرها وإحيائها ، فإن لم يفرضوا شيئاً فاعمروها لله القادر الحكيم ، فإذا عرض لكم في الفحص مثل الحرث والحصاد ، فلا حرج عليكم في النزول أو البعث إليه كالأجداد ، مع أننا طمعنا من الله تبارك وتعالى ، أن يسبّل عليكم ان قمتم بذلك نعماً تتوالى ، حتى يسعَى الناسُ في إخدامكم ، طلباً للوصول الي علي مقامكم ، ولو كان لي سادتي مثل مقامكم الذي نلتُم بالجدّ ، لقمّتُ في تدعيمه خوف الاندراس على ساق الجدّ ، وهذا كله عظة مني اليكم ، ونصيحة عظيمة ، أديتُ بها عن نفسي حق الاخوة والمودة القديمة ، فإن امتثلتم لها فلکم الثواب الجسيم ، وإن أعرضتم عنها فلا لومَ على هذا الواعظ اللئيم ، واعدروني سادتي فيما قلته ورسمت ، فإن المحبة الصافية التي تقادم عهداً هي الحاملة لي على ما رقمت ، (وربّك يعلم ما تكُن صدورهم وما يعلنون) ، (وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون) ، فالله يبلغ لنا ولكم سادتي المرغوب ، ويوفّقنا وإياكم للصواب في كل مطلوب ، ويرزقنا وإياكم مع كافة الأقارب ، والأشياخ والمحبين لنا من الأجانب ، التمتع في أعلى الجنان ، بجاه سيدنا محمد المصطفى من بني عدنان .

وبعد أن فرغتُ من هذا الذي سطرته ، أخبرتُ بموت بعض من كان منكم في تادارت ، فإن صحَّ فالله يعظّم لنا ولكم الأجر في مصيبتِهِ ، ويجعل البركة في ورثته .

وكتبها أواسط المحرم الحرام من مُكمل 1104 من الأعوام ، أحمدُ المذكور ، في أول هذه السطور .

واعلم سيدي أنه قد بقي لي نحو الربع في سلّة القراءان (264) ، وأن صاحب رداة قد بعث إلي مريداً تعمير مدينتِهِ فاعتذرتُ له بأنني لستُ

(263) رئيس من رؤساء سملالة في أوائل القرن الثاني عشر (المعسول) .

(264) يظهر أن الرسموكي يقرأ التفسير في رداة على أستاذ أو هو المدرس له ، أو يأخذ بعض الحروف في القراءان تعلماً (المعسول) .

من أهل ذلك الشأن ، بعد أن بعث إليّ قائد تامانارت بعض الأصحاب لنذهب إلى تغازة بمئة مثقال من ذهب وأمة وعبد وكسوة رفيعة في كل عام ، فاعتذرت له بأني لا أقدّر على الاغتراب ، فإلهه يفتح لي بمكان يليق بأمرى ، لأقيم فيه بقية عمري (265) .

ومنه الرسالة التالية كتبها عام 1119 إلى شيخه محمد بن محمد ابن يعقوب المذكور :

«من عبید الله أحمد بن سليمان ، سلّمه الله من أهوال الزمان ، وأماته على الايمان ، إلى شيخه العلامة ، الدراك الفهامة ، اللوذعيّ الأريب ، اللغوي الأديب ، سيدي محمد بن عبد الله ابن يعقوب ، بلغ الله له في الدارين كل مرغوب .

سلام تتوالى نسماؤه ، ورحمة الله وبركائه .

وبعد فاعلم سيدي أنني لم أقطع عنكم الإعلام ، بما كان عندنا في ماضي الأيام ، لاندراس المحبة الصافية ، التي تقادم عهدا بين الأسلاف الماضية ، ولكن أقول كما قبل :

لَمْ أُوحِزْ عَمَّنْ أَحَبُّ كِتَابِي لَقَلِي فِيهِ أَوْ لِيَتْرَكَ هَوَاهُ
غَيْرَ أَنِّي إِذَا كَتَبْتُ كِتَابًا غَلَبَ الدَّمْعُ مُقَلَّتِي فَمَحَاهُ
وَمَا قِيلَ أَيْضًا :

إِذَا صَحَّتْ مَوَدَّتِي وَاسْتَقَامَتْ فَلَا تَجْزَعُ وَإِنْ بَعْدَ اللَّقَاءِ
وَإِنْ يَكُنْ الزَّمَانُ أَغَابَ وَجْهِي فَلَمْ تَغِبِ الْمَوَدَّةُ وَالصَّفَاءُ
وَلَمْ يَزَلِ الثَّنَاءُ عَلَيْكَ مِنِّي مَعَ السَّاعِينَ يَتْبَعُهُ الدَّعَاءُ

مَعَ أَنَّ اسْتِيفَاءَ الْأَخْبَارِ مِنْ ثَقَاتِ النَّاسِ ، أَوْلَى فِي هَذَا الزَّمَانِ الْفَاسِدِ مِنْ تَسْوِيدِ الْقِرطَاسِ ، وَأَمَّا مَا قِيدْتُ مِنَ التَّقْيِيدَاتِ ، فَإِنَّمَا لَمْ أَعْلَمْكُ بِهَا

(265) يظهر أن الرسومي الآن ليس بعد مستقرا بمراكش ، وأن ذهاب أحمد الحوزي الى (تغازة) كان بعدما لم يجب إلى ذلك احمد الرسومي ، فمن (تغازة) جمع أحمد الحوزي فهرسة (فري العجلان) قرب هذا الوقت (المسول) .

لظهور قصر الهمم في هذه الجهات ، فظننتُ أن الأمر أشد في تلك البلاد ، التي قل فيها من يطلب العلم من العباد ، وحيث ظهر منكم البحث عنها ، نعلمكم بها لتعلمونا بما تعلق به الغرض منها ، وقد شرحتُ الأرجوزة الدادسية على التوقيت شرحين ، أصغرهما بالسبك ، في الكبير عشرُ كراسات ، وفي الصغير خمسُ كراسات ، ودللتُ الأرجوزة السملالية على الحساب بما يكمل مئةً وعشرين بيتاً ، وشرحتُ الجميع ثلاثة شروح ، وسطها بالسبك ، وفي الكبير اثنتا عشرة كراسة ، وفي الوسط ستُ كراسات ، وفي الصغير أربعمئة كراسات ، ونظمتُ أرجوزةً سهلةً عجيبةً في علم المواريث فيها أربعمئة واثنتان وثلاثون بيتاً ، وشرحتها شرحين أصغرهما بالسبك ، في الكبير إحدى وعشرون كراسة ، وفي الصغير ثلاث عشرة كراسة ، ونظمتُ قصيدةً لاميةً 67 في بحر الطويل على علم العروض وشرحتها شرحاً فيه خمسُ كراسات ، وبيئتُ فيه جميع ما يحتاج إليه في ذلك الفن مع تقطيع جميع شواهد العجل والزحافات بياناً شافياً لا يحتاج من كان معه إلى ما يقرأ عنده ذلك الفن ، وقيدتُ على مسألة أولاد الأعيان تقييداً فيه كراسةً بيئتُ فيها أحكاماً غريبة ، وتفصيل عجيبة ، قد نسقتها هناك سيدي أحمد حفيدُ سيدي عبد الرحمان الوجداني أيام قدم لهذه المدينة مع جواب مسألة الوصيَّة التي سألتني عنها على أن يوصل ذلك إليكم لتستخوه .

وسلم سيدي على جميع الأحاب ، أقاربك والسانلين عنا ، وأما القدومُ إلى تلك البلاد فقد شاورتُ عليه شيخنا ابن ناصر في هذه الأيام التي زرتُ فيها من عنده ، مع ذكر أحوال تلك الجهات له ، وإن أخي هداه الله ، ووفقه لما فيه رضاه ، كان عمارةً في البلد وقائماً بأمر الوالدة فلم يوافقني على ذلك ، وأردتُ منك سيدي أن تبعث للوالدة مع من يعظها ويؤكدُها على الصبر والسماحة التامة ، ويقول لها إن الأعمار قد قربت ، والآخرة التي هي المقصودة قد أقبلت ، ولا عيرة بالملافة الدنيوية التي تنقطع بالموت ، وامنحوا له رضاكم ، لتحصل لكم إن شاء الله ملافةً دائمةً في دار النعيم ، ولم يمنعني من زيارتهم إلا خوف قبضهم لنا من الرجوع إلى موضع يليقُ بي ، لأن تلك البلاد لا يقدرُ على أمورها وتعبها وفتنها من هو ضعيفٌ مثلي ، فإن وافقهم على الإقامة فيها فنتونا بما لا قدرة لي على مقاساته مع

استقامة الدين ، وإن رجعت عنهم بغير رضاهم حصل لي الغضب التأم الذي لا جبر له ، وأنا قد وصلني عنها أنها قالت : إن جاءني لنراه قبل الممات فذلك هو مرغوبي ، وإن لم يجئ فقد أعطيته له رضاي ، لأن هذه البلاد لا تليقُ بضعيفٍ مثله .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَقِّفَنِي وَإِيَّاكُمْ لِلصَّوَابِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

وكتبه في ءاخر جُمادى الأولى من عام 1119 عبدُ ربّه أحمد لطف الله به .

والكتبُ المبعوثَةُ لنا قد وصلتنا سالمة ، والحمدُ لله على ذلك ، واعلمُ سيدي أنني قد اخترتُ العزلةَ والعزبةَ في هذا الزمان ، الذي لا يسلمُ من تزوّج فيه من المحنِ العظيمةِ والعصيان ، نسألُ الله العفو والعافية والمعافة لنا ولكم ، والختمُ بالسعادةِ لنا ولكم ، وأعلمُني سيدي بما ظهر لك من حالها لا بما يُخبرُك به الأخُ مما يتقولُهُ من عنده ، وادعوا لنا سيدي بصالح دعائكم ، ونحنُ كذلك» .

توفّي بمراكش يوم الاثنين 1 رجب عام 1133 ودفن خارج باب الدباغ بجانب أبي إبراهيم السفاج (266) وتقدمت في الجزء الخامس (ص 189 ع 1492) ترجمة احمد بن سليمان بن يحيى الرسموكي المتوفّى عام 984 . .

(1662) أحمد بن عبد الله ... ابن يبورك الهشتوكي
الأسفاركيسي ، فقيهٌ شهيرٌ من إقليم سوس بالمغرب الأقصى ، يُعرفُ بالنسبة الى جده الأعلّا يبورك بن الحسن المتوفّى عام 983 وإلى قبيلته

(266) أزهارُ البستان لابن عجيبة (مصورٌ مخطوط) ص 147 والأعلام للزركلي 1 : 133 والإعلام . بمن حلّ مراكش وأغامت من الأعلام 2 : 366 ع 256 وإيضاح المكنون 2 : 371 وطبقات الحضيكي 1 : 107 ومعجم المطبوعات المغربية ص 128 ومعجم المؤلفين 2 : 237 والمعسول 5 : 60.51 و18 : 330 والموسوعة 3 : 100 والسعادة الأبدية 1 : 126 وسوس العالمية ص 192 وشعر داوود الرسموكي ص 94 وفهارس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط 1 : 255 و 279 و 295 و 306 و 317 و 318 و 319 و 2 : 266 و 3 : 212 وفهرس الخزانة العلمية الصبحية بسلا ص 115 و 136 و 146 و 202 و 204 و 529 وهدية العارفين 1 : 66 .

هشتوكة ، وبلده أسغاركيس ، فيقال فيه البيوركي والهشتوكي والاسغاركيسي ، ومن المترجمين من رفع نسبه إلى البيت النبوي ، وقال ان لدى أسرته من المستندات ما يثبت ذلك .

وكان فقيهاً صالحاً معروف الفضل والمروءة ، انتفعت به طوائف وهدى الله به قبائل ، حجّ مرات عديدة ، وألّف عن إحدى حجّاته (رحلة) اطلع الوزير المرحوم المختار بن علي السوسي على طرف منها ، ونُسب له كتاب في مناقب الشيخ أحمد (الخليفة) بن محمد ابن ناصر ، وأظن أن الكتاب لسميه وشبيهه في النسبة أحمد بن محمد الحوزي الهشتوكي متقدم الترجمة في هذا الجزء (ص 157) مؤلف كتاب (إنارة البصائر) ، إلا أن يكون المترجم ألف في مناقب أحمد الخليفة و(الإنارة) ألفت في مناقب والده الشيخ محمد ابن ناصر .

توفي بالقاهرة عام 1136 وهو راجع من حجته الأخيرة (267) .

1663) أحمد بن محمد (بوعسرية) بن أحمد الفاسي الفهري ، فقيه من أهل مدينة القصر الكبير بالمغرب الأقصى ، ولد بها وأخذ مبادئ العلم على أبيه وغيره ، ورحل الى فاس لتتيم تعلمه فأخذ عن جماعة من علمائها كمحمد بردلة ومحمد المسناوي الدلائي ، ولقي الأديب المتصوف أحمد بن عبد القادر التستاوتي متقدم الترجمة في هذا الجزء (ص 161) فانتفع به وأسلس له قياده ، وحصل منه على إجازة يوجد نصّها بخط التستاوتي في مجموع محفوظ بالخرانة العامة بالرباط نمرته ك 597 ورحل الى المشرق فأدى فريضة الحج ولقي في طريقه جماعة من العلماء والصوفيين فأخذ عنهم ، وألّف رحلة ذكر فيها جماعة ممن لقيهم بالمغرب والمشرق ، وذكر مترجموه أنه كان حسن الخلق بارعاً في الادب يأتي بالملح في نظمه ونثره .

(267) الإعلام للزركلي 1 : 162 وحركة الأدب في المغرب على عهد السلطان مولاي (إسماعيل أنطروحة مرفونة) ص 1543 وخلال جزولة 1 : 23 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى 2 : 345 ودعوة الحق (مجلة) س 16 عدد جنبر 1973 ص 157 وطبقات الحضيكي 1 : 105 والمسول 14 : 281 .

مدنه وقلده وظهر الله على سير كنهه واليه وحده

ولما ان الله علمي كائنه واخيه بلقاء شيخنا العاروا الريلة
الطاح الصرنا ان لغزوة سيرنا اجري عبر القادر المحن بسزله
تستأوت وذلك صيغة بوج الاربعاء او اربعون من شهر ربيع
الثاني عام عشرين ومائة واليه سألته كائنه بان قال له اريد منك
الاسم ان تصعد اليه يد يد الله سبحانه يوم القيامة بانتر ايتي
من نبي وقال في اسمه عنه لا ولاي اقول لك بوجه اخي وهو
اربعين عبد الرحمن اتعاك فالس رامي والله في سبعة ضمت
له الحجة ورحم الله جسر على النار وشيخنا سير محمدي ناصر
خامس وانا سادس واث سابع اشهد ان لا اله الا انت ورايت
اخاك هذا في يوم اخيه البركة العالم سير العبد قد سر الله
سره في وقت اجري في العسيرة انك له ليد له وخاربه له
الحمر لله على الله وسيل علم صوره له حمود الله له
سليم الله اعلمه كاوله لنا الجبر على الله في ذلك
مجلسه واجزله في عينه وفي المشاهدة
الحمد لله اني رايت الله والله سبحانه ارجوه
في علم من غننا في النظر في السنة
في اوله او اخره مطا لبعض سنة احد وعشرين
رايت الله واليه كعب احمد بن عبد القادر

توفي بالقصر الكبير عام 1137 (268) ، وتقدمت من أمحمد الأسرة الفاسية الفهرية في هذا الكتاب تراجم أحمد بن يوسف الفاسي الفهري المتوفى عام 1021 (5 : 281 ع 1529) وأحمد الخضر بن محمد بوعسرية الفاسي الفهري المتوفى عام 1054 (6 : 31 ع 1565) وأحمد بن علي الفاسي الفهري المتوفى عام 1062 (6 : 37 ع 1570) وأحمد بن أحمد الفاسي الفهري المتوفى عام 1094 (6 : 91 ع 1615) .

1664) أحمد بن أبي القاسم العثماني الجرسيفي ، فقيه علامة من أهل سوس بالمغرب الأقصى ، تولى القضاء والفتوى بناحيته ، وكان يعلم في مدرسة سيدي ميمون بقبيلة كَنْظيفة ، وتخرج على يده طلبة كثيرون . له محررات في الحكم بين الناس وأخرى مع معاصريه ذكر بعضها في (الفتاوي العباسية) .

توفي عام 1137 (269)

1665) أحمد بن مصطفى بن محمد برناز ، فقيه تونسي كبير ، تركي الأصل ، حنفي المذهب ، جاء جدُّ والده مصطفى بن محمد مع الجيش التركي في زي درويش وحضر فتح خلق الوادي عام 981 وتزوج وأنجب أولاداً تولى بعضهم مناصب دينية وعلمية ، عرفوا في تونس بأولاد قره خوجة ، وعرف المترجم وحده من بينهم ببرناز ، ومعناه طويل الأنف باللغة التركية (270) .

وُلد في 11 جمادى الآخرة عام 1074 بتونس ، ونشأ بها ءاخذاً بعض مبادئ العلم عن جده محمد بن مصطفى قره خوجة ، ونكح في

268) حركة الأئمة في المغرب على عهد السلطان مولاي (إسماعيل) (أطروحة مرقونة) ص 1544 والموسوعة 1 : 32 وعناية أولي المجد ص 51 .

269) المعسول 17 : 156

270) بسبب هاتين التسميتين ترجمه خير الدين الزركلي مرتين في الأعلام ، مرة تحت اسم أحمد برناز الحنفي (1 : 103) وأخرى تحت اسم أحمد بن مصطفى قره خوجة (1 : 257) .

صغره عام 1088 بقتل والده وجدّه من طرف الباي مُراد الثاني ، ولكنه
واصل على ذلك طلب العلم ، ءاخذاً عن علماء بلده من حنفيين ومالكيين ،
كأحمد عزوز متقدم الترجمة في هذا الجزء (ع 1658 ص 203) ومحمد
بن شعبان ومصطفى بن عبد الكريم وسعيد المحجوز وسعيد الشريف ، ثم
تأقنت نفسه لاستكمال تعليمه بالمشرق ، فذهب إلى مصر وأقام بها مدة أخذ
أثناءها عن أكابر علماء الأزهر كمحمد الخراشي وعبد الباقي الزرقاني ،
ثم تابع سفره فدخل الحجاز وجاور بمكة ءاخذاً بها وبالمدينة المنورة عن
بهما من العلماء الأهليين والمجاورين والزائرين ، وعاد إلى تونس بعد ذلك ،
لكنه لم يطل المقام بها بل خرج منها مغاضباً بسبب اضطهاد الباي طاطار
للعلماء ، وذهب مغرباً فدخل عنابة والجزائر وبلاد زواوة ءاخذاً بها عن عدد
كبير من العلماء والفقهاء ، وحسّن حاله عند حاكم قسنطينة علي خوجة داي
الذي كان يستشيريه في كثير من القضايا التي تُعرض عليه ، وكان ذلك عام
1107 ولما زالت أسباب الوحشة التي ابتعد بسببها عن تونس عاد إليها
فاستكمل دراسته ، ثم انتصب للتدريس بأشهر معاهده كالمدرسة الشماعية ،
كما تولّى نيابة التدريس بالمدرستين اليوسفية والعنقية قبل أن يُعيّن أستاذاً
بجامع الزيتونة .

وكان من فقهاء تونس الكبار ، وعلمائها الأخيار ، قائماً على الفقهيين
الحنفي والمالكي ، مشاركاً في الحديث واللغة والأدب والتاريخ ، مجيداً
للغتين التركية والفارسية ، ذا ذاكرة قوية تستوعب كثيراً من الأخبار والآثار
مما شاهده بنفسه أو سمعه من مشايخه ومن الناس خلال اسفاره او علق
بذهنه من مطالعته ، وعليه اعتمد بعض مؤرخي عصره في تأليف ما ألفوا
من كتب أدبية وتاريخية كحسين خوجة في (ذيل بشائر أهل الايمان) ومحمد
الوزير السراج في (الحلل السندسية) ، إلا أنه كان نقاداً عصبياً المزاج حاد
اللسان ، قاسياً في شتم خصومه وفضح عورات مناوئيه ، ولعل هذه الحدة
كانت سبباً - مع أسباب سياسية أخرى - في اضطهاده من طرف مراد بوبالة
الثالث ءآخر الولاة المراديين الذي أمر يوم 6 محرم عام 1114 بضربه مع
كثير من فقهاء الحنفية إهانةً له ولهم بعد أن قطع عنهم مرتباتهم بدعوى أنهم
معدودون من الجيش .

وله مؤلفات كثيرة في مواضيع متنوعة أقلها معروف وأكثرها مجهول
نكرها حسين خوجة في (ذيل بشائر أهل الإيمان) ، منها :

1 - (علام الأعيان ، بتخفيفات الشرع على العبيد والصبيان ، كتاب
مطول أتم تبويضه عام 1113 موضوعه مبالغة بعض الموالى والمعلمين في
تأديب عبيدهم وتلاميذهم الصغار بالضرب المُبرح ، وبيان الحدّ الشرعي في
التأديب الذي يراد منه أن يكون وسيلة تربية وتهذيب ، لاوسيلة بطش
وتعذيب ، توجد منه ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب الوطنية بتونس
محفوطة تحت نمرات 385 و 4569 و 6242

2 - تزيين الغرة ، بمحاسن الدرة ، كتاب في القراءات الثلاث الزائدة
على السبع (جعفر - يعقوب - خلف) شرح به كتاب (الدرة المضيئة ، في
قراءات الأئمة الثلاثة المرضية) لمحمد بن محمد الجزري ، حانياً حنو
محمد بن أحمد ابن غازي العثماني المكناسي في شرحه للشاطبية المُسمّى
(إنشاد الشريد ، من ضوأل القصيد)

3 - حاشية على (منار الأنوار) وهو حواشي على شرح المنار في
أصول الفقه الحنفي لعبد اللطيف ابن فرشتا وعبد الله النَّسفي ، توجد منه
نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بتونس محفوظة تحت نمرة 4411

4 - حواشي على شرح ألفية ابن مالك في النحو للحسن بن القاسم
المرادي النحوي المتوفي عام 749 .

5 - كتابات متفرقة على صحيح البخاري

6 - نبذة على مقامات الحريري

7 - نكت على الخزرجية في العروض (لم يكمله)

8 - قطعة من حاشية الجاربردي لشافية ابن الحاجب في الصرف

9 - قصيدة بانئة طويلة في أصحاب أبي الشاذلي نكر فيها أسماءهم
ومناقبهم وقبورهم ، عدد أبياتها 236

10 - شرح على الطريقة المحمدية

11 - الشهب المخرقة ، فيمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه عن المخرقة ، وهو أهم كتبه ، شنع فيه على بعض من كان يناونه من معاصريه ، يحتوي على 160 شهاباً ، يثبت في كل شهاب دعوى من دعاوي الرجل المؤلف فيه الكتاب ، ثم يردُّ عليه بأدلة مستمدة من أقوال العلماء ذوي الاختصاصات ، والكتاب فوق ذلك شديد الصلة بالتراجم والخبار ، ترجم فيه لكثير من علماء عصره تونسيين وغيرهم ممن تعرف بهم أثناء أسفاره ، وقد طبعته دارُ الغرب الإسلامي عام 1990 في 616 صفحة طبعة كثيرة الأخطاء والأغلاط تدلُّ على أن محققه أو مُصححي المطبعة لم يبذلوا جهداً في تحقيقه .

وله أنظام مهلهلة النسخ مبتذلة المعاني لا تدلُّ على قريحة ولا موهبة ولا يصحُّ الاستدلال بها .

أخذ عنه عدد كبير من طلبة الوقت وعلمائه كالشيخ درغوث الحفيد والشيخ أحمد شلبي الحنفي .

انتهت حياة المترجم نهاية مؤلمة ، فقد أمر الباي علي باشا بسجنه لأسباب سياسية ، وبعد مدة طويلة خُنق في السجن يوم 18 ذي القعدة عام 1138 هـ (271) .

1666) أحمد بن محمد الكراري الرفاعي ، فقيه من أهل الرباط ، أصل أسرته من غرناطة وينسبون للبيت الإدريسي الشريف ، أخذ عن علي العكاري وأجازه ، وعن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي وغيرهما ، ورحل الى المشرق للحج فأخذ عن مشايخ الحرميين الشريفين ، وصفه شيخه العكاري في اجازته بالفاضل المحرز قصب السبق في العلوم ، والغواص على غوامض الفهوم ، وكان يتقن فنوناً كثيرة كالفقه والأصول والبلاغة .

(271) أبحاث وءراء في تاريخ الجزائر 2 : 321 والأعلام للزركلي 1 : 103 و257 وتراجم المؤلفين التونسيين 1 : 122 ع 38 والحلل السننسية صفحات عديدة وذبل بشارت أهل الإيمان ص 230 وصفحات أخرى عديدة ، والزيتونة (مجلة) 4 : 53 والشهب المخرقة الكتاب كله .

تُوْفِّي بالبادية يومَ الاثنين 30 ذي الحجة عام 1138 وحُمِل للرباط
فُذِن به قرب داره وبُنِيَتْ عليه قبةٌ عجيبة (272) .

(1667) أحمد بن قاسم ابن ساسي البوني ، عالم كبير ومحدث
شهير من أهل مدينة بونة الجزائرية المعروفة اليوم بعنابة ، ولد بها عام
1063 وأخذ بها عن والده قاسم بن محمد ساسي التميمي وعن جماعة كبيرة
من علماء المشرق والمغرب نكروهم في الباب الرابع من منظومته الألفية
المسماة (الدرة المصونة ، في علماء وصلحاء بونة) ، وكان فقيهاً مُطْلِعاً
علامة محدثاً مسنداً مرجوعاً إليه في الفتوى مقصوداً لحلّ المشاكل
العويصة ، مشهور الخير معروف الفضل يقصده الناس لصلاحه ، زاره
الكاتب الأديب عبد الرحمان الجامعي الفاسي لما حلّ ببونة عام 1124
وترجمه في رحلته المسماة (نظم الدرر المديحية ، في محاسن الدولة
الحسينية) (273) وقال عنه : فدخلتها (يعني بونة) ءاماً دارَ الشيخ الرباني ،
العالم العرفاني ، الذي بنيت في هذه الرحلة المباركة على قواعد بركته
أساسي ، أحمد بن الولي الصالح ، البرّ الناجح ، قاسم بن الولي الصالح محمد
المعروف بساسي ، رحمَ الله عددهم ، وقوى مَنَدَهُم ، فتيسرَ في الحال
لقاؤه ، ودلّ على فرحه بملاقاتي مبالأته واعتناؤه ، فحبيّ طلق المحيياً ،
وأنزَلَنِي بمنزل لإكرام أضيافه مهياً ، فأقمتُ عنده ينزهنِي كلَّ يوم في رياض
تأليفه الحديثية وغيرها ، وينثرُ عليّ كلَّ ساعة من فرائد فوائده ما تبخل به
على الغائسين فُعورُ بحرِها ، وكنْتُ أحضِرُ أثناء تلك المُدَّة مجلس رواية
الصحيحين بين يديه ، مع مشايخ بلّده وولديّه ، ومما رويْتُ عنه فسح الله
في أجله وأسهب ، أن تأليفه بلغت ما ينيف على المئة ما بين مختصرٍ
ومُسهب ، ولما وقفتُ منه في علم الحديث على البحر العُباب ، والعجب
العُجاب ، سألتُه الإجازة فيما وقفتُ عليه وغيره من تأليفه بقصيدة مُستشيراً

(272) الانهساط ص 18 ومجالس الانهساط ص 92 ومناقب العقاري (مصور مخطوط) ص 25

(273) توجدُ منها أوراقٌ في مجموع مخطوط محفوظ بالخرانة العامة بالرباط تحت نمرة ك

له فيها مع ذلك في شأن هذه الرحلة المباركة لهذا الأمير المبارك (274) ،
وجب عليّ نكرها هنا لذلك ، فقلت :

عن حديث العَدُول سَمِعِي عَدُول
مرسلُ الدمعِ واصطبارُ ضعيف
لم أزلُ لك ياعزيزُ ذليلاً
صلُّ ولا تهجرِ المحبَّ ولما
وإذا ما عضلتِ إنِّي لدى ط
شيخِ بونَّةِ أحمدُ الحَبْرُ نو الفه
وأخو الفضلِ والتفضُّلِ والجو
إن تشا الصدقَ فيه قلُّ بونَّةِ مصد
نو تآليفِ ذاتِ نظمٍ ونثر
برعتِ إذ سعتِ لآحياءِ دين
سيرةَ المصطفى وأصحابه الغُ
وعلومِ بها إلى الله يدري
ببراهينِ كالسيوفِ على الاع
ياإماماً به أعادَ لنا الل
لك خضتُ العُبابَ مُقتبساً من
فاسمحنَ بإجازةٍ بعد سزِد
واعملِ الفكرَ بعد ذا في شوونِي
ولتُشيرُ بالذي بدا لك فيها
وعليكَ السلامُ ما قالَ صبُّ

وشهوذُ الغرامِ فيك عَدُول
وفوآذُ مُقسَمٍ وعليس
وقبيحُ جفاك عندي جميل
طابَ لي لسواك عنك الرحيل
بُ لذاء العُضالِ منك نزيل
م الذي يرتقي إليه النبيل
د على مَنْ به يضيقُ السبيل
رُ وبحرُ نداءه والعلمِ نيل
وسنادُ علا ونقلِ وصول
بأحاديثِ صحَّحتها الفحول
رُ عليه الصلاةُ ما قيلَ قيل
طرقَ الرشدِ من هنا الوصول
داءٍ وهي لطالبيها الأصول
هُ علوماً بها يُطاعُ الرسول
نورِ علمكِ والزمانُ بخيل
للنهايةِ إذ سواها يطول
فهني شيءٌ له تطيشُ العقول
فعلِّي لما تُشيرُ القبولُ
عن حديثِ العَدُول سَمِعِي عَدُول

وقد تركَ المترجمُ مجموعةً من التأليفِ والمصنّفاتِ والأنظامِ
والمختصراتِ جلها في مسائلِ دينيةٍ نكرَ عبدُ الرحمانِ الجامعي الفاسي أنها
تجاوزتِ المئة ، ونكرها هوَ بأسمائها في فهرسٍ له سماه (التعريف ، بما
للفقير من التأليف) ، أوردَ ما وقفتُ عليه من أسمائها فيما يلي :

(274) هوَ الباي حسين بن علي مؤسس حُكم الأسرة الخمينية بتونس ، تولى الحكم من عام
1117 هـ إلى عام 1148 هـ .

- 1 - إتحاف أرباب القريحة ، بالأدلة الصحيحة في الطب
- 2 - إتحاف الألباء ، بأدوية الأطباء في الطب
- 3 - إتحاف الأقران ، ببعض مسائل القرءان
- 4 - إتحاف النجباء ، بمواعظ الخطباء
- 5 - اختصار (العلوم الفاخرة) لعبد الرحمان الثعالبي
- 6 - اختصار شرح الشهاب الخفاجي على (الشفاء) للقاضي عياض (لم يكمل)
- 7 - اختصار اليواقيت والجواهر للشعراني
- 8 - إرشاد الزمر ، لمعنى قوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر)
- 9 - إرشاد المغربي ، لاختصار الصغرى
- 10 - إظهار بعض نفائس ادخاري ، المَهَيَّات لخنم البخاري
- 11 - إظهارُ القوة ، بأحكام الباب والكوة
- 12 - إكرام من حيائي أو قلاني
- 13 - الإلهام والانتباه ، في رفع الإيهام والاشتباه
- 14 - إلهام السعدا ، لما يبلغ لمراتب الشهدا
- 15 - إنارة النُّجا ، بحسن الظنِّ وأسباب الرجا
- 16 - أنسُ النفوس ، بفوائد القاموس
- 17 - إعانة المعاني ، بما للفظ العجز من المعاني
- 18 - الإعانة ، على بعض مسائل الحضانة

- 19 - إعلامُ الأعلام ، بشفاء الآلام ، في مدح المصطفى عليه السلام
- 20 - إعلامُ الأقران ، بفضائل رمضان
- 21 - إعلامُ الأخبار ، بغرائب الأخبار
- 22 - إعلامُ الرُّهدا ، بفضائل الشهداء
- 23 - إعلام القوم ، بفضائل الصوم
- 24 - بدرُ الدُّجا ، في أحاديث الحرجا
- 25 - تاييدُ أهل الاستقامة ، بمعنى غريب الأذان والإقامة
- 26 - تبشيرُ القلوب ، بتكفير بعض الأعمال الصالحة كبار الذنوب
- 27 - تبيينُ المسارب ، فيما يتعلق بالأكلِ والطبِّ والمشارب ، نظم في أكثر من 2000 بيت
- 28 - التحرير ، لمعاني الأحاديث الماخوذة من الجامع الصغير ، وهو حاشية على كتابه المسمى (روضة الأزهار)
- 29 - تحفة الأديب ، بأشرف غريب ، اختصر فيه غريب العريزي للقرءان الكريم
- 30 - التحقيق ، في أصل التعليق ، أي الكائن في صحيح البخاري
- 31 - تخميسُ أبيات الفرّج ، وهي (يامن يرى ما في الضمير ويسمغ)
- 32 - تخميسُ القصيدة المسماة (قرة العينين ، في مدح الصحيحين)
- 33 - الترياقُ الفاروق ، لقراء وظيفة الشيخ زروق (لم يكمل)
- 34 - تلقيحُ الأفكار ، بتلقيح الأنكار
- 35 - تليينُ القاسي ، من نظم الإمام الفاسي

- 36 - تنويرُ الحجَا ، بأسرارِ الحجَا ، جمع فيه أكثر من 200 لغز جارى به شيخه بركات ابن باديس القُسْنطيني شارح الألفية وغيرها
- 37 - تنويرُ قلوب أهل الصفا ، بذكر بعض شمائل الحبيب المصطفى
- 38 - تنويرُ السريرة ، بذكر أعظم سيرة
- 39 - 40 - تعجيزُ التصدير ، وتصديرُ التعجيز لبردة الشاعر البوصيري
وآخرُ قريبٍ منه لم يكمل
- 41 - التعريف ، ببلد سيدي أبي مروان الشريف
- 42 - التعريف ، بما للفقير من التأليف
- 43 - التسيير ، في نيل الأجر الكثير بالعمل اليسير كتاب في فضل الرباط
والجهاد
- 44 - تشنيفُ الأذان ، بفضائل الأذان
- 45 - التيجانُ المُكللة ، بدرر فصول التعوذِ والبسْملة
- 46 - الثمارُ المهتصرة ، في مناقب العشرة
- 47 - الجواهرُ المنظمة ، في عقد المقدمة
- 48 - الجود ، بجواب أهل الجود
- 49 - الجوهرة المُضية ، في نظم الرسالة القدسية عددُ أبياتها 775
- 50 - حُكُ الوَرَاد ، على حبِّ الأوراد ، كتابٌ مشتمل على ثمانية كتب ،
اسمُ الأول تلقيح الفكر ، بفضائل الذكر ، واسم الثاني ابتهاجُ الأفكار ، بمسائل
الأنكار ، واسم الثالث اليواقيتُ المنثورة ، في أسانيد الكتب الماثورة ، واسمُ
الرابع رفعُ الاشتباه ، عن حديث الانتباه ، واسمُ الخامس ملءُ المعاد ، بأحكام
الدعا ، واسم السادس أنفعُ العطر ، بذكر الخضر ، واسمُ السابع موردُ الصفا ،
في فضائل الصلاة على المصطفى ، واسمُ الثامن الكنزُ المختبى ، في الصلاة
على النبيِّ المُجتبى

51 - خلاصة العقائد للقاني والتواتي

52 - خيزُ القري ، بالياقوتة الكبرى

53 - الدرُ الأسماء ، في التضرُّع لخالق الأرض والسما

54 - الدرَّة المصونة ، في علماء وصلحاء بونة ، وتُعرف أيضاً بالألفية ، وهي قصيدة رجزية كانت تشتملُ في الأصل على ثلاثة آلاف بيت ، ثم اختصرها في ألف ، نكر فيها علماء بونة الذين نكروهم عليّ ابنُ فضلون البوني في الكتاب الذي ألقاه عن علماء بونة وصلحائها من القرن الخامس إلى القرن التاسع ، وزاد المترجمُ أحمد ابن ساسي البوني عليهم علماءها من القرن التاسع إلى الثلث الأوّل من القرن الثاني عشر الهجري ، يقول في أولها :

يقولُ راجي عَفُو رَبِّ راحم
ابن محمد ابن المَسِينِي
من كل ننب أحمدُ بن قاسم
ثم التميمي بلا تنكيت
ثم يقول :

لذاك رامٌ مني بعضُ الأنكيا
فجنته بدرّة مَصونَة
توسلا بنكر بعض الأركيا
نكرتُ فيها أولياء بونة
لضيق نظم بهم صريخي
ولكن بلا طول ولا تاريخ
إلى أن يقول :

وأستعيثه على أفيته
وربما سمحت القريحة
طلبها مُسافرٌ ونو عَجَل
ومَن يردُ زيادةً كثيره
بنكر بعض مجدهم وفيته
في بعضهم بنبذة صريحة
زودتُه بها. وإني في حَجَل
فلينظر المنظومة الكبيره
ثم يقول :

وقد أردتُ نكرهم تفصيلا
حوامهم جمعُ (عليّ فضلوني)
لكي أنال بهمُ تحصيلا
لآخر التاسع من قرون

ثم أتيتُ بالذين بعده
من عاشر القرون والحادي عشر
قد عُرِفوا بعلمٍ أو صلاح
وبعدهم أنكرُ أهل الزمن
أو دخل البلد أو شيخاً لنا
يُشرط إن كانوا لعلمٍ درسوا
أرجو بهم تفريجَ كلِّ شدة
مَن في البلادِ نكرُهُم قد انتشرُ
وربُّنا المسؤولُ في الفلاح
مَن كانَ في البلدِ أو في الوطن
علَّ يُفرِّجَ الكريمُ هؤلننا
أو لصلاحِ نُسبوا ما اندرسوا

55 - ديوان شعر

56 - ديوان الموارد والمشاهد ، التي منَّ الله تعالى بها على الوالد ،
(لم يكمل)

57 - رفع الجلباب ، عن آيتي الإرجاف والاعتياب

58 - رفعُ الذيل ، عن بعض فضائل قيام الليل

59 - رفع الغنا ، عن طالب الغنا (لم يكمل)

60 - رفع الشان ، لأهل الاذان

61 - رفع الهوان ، عن بعض الاخوان ، المتوسِّلين بالقطب سيدي أبي
مروان ، دفين بونة

62 - روضة الأزهار ، ونفحة الأسرار ، في الصلاة على النبي
المختار ، فيه مقدمة وخاتمة ، وقد وضع عليه شرحاً سماه (التحرير) تقدم

63 - الروضة الشهية ، في الرحلة الحجازية

64 - زاد المسير ، إلى دار المصير

65 - الزهرات المرضية ، المنتشقة من القصيدة المولدية

66 - طرر الخمانل ، في الشمانل

67 - ظلُّ السحابة ، في الصحابة

68 - الظلُّ الوريث ، في الحثِّ على العلم الشريف

- 69 - كنز النفوس الشائقات ، لنظم الورقات
- 70 - كشف الران ، عن قلب قارىء قصيدة سور القرءان
- 71 - الكواكب النيرات ، المعلقة على (دلائل الخيرات)
- 72 - لباب اللباب ، في ذكر رب الأرباب
- 73 - اللحة البارقة السنية ، بذكر السيرة المحمدية
- 74 - مجموع في السماع
- 75 - مختصر تذكرة داوود الأنطاكي في الطب
- 76 - المنهج المبسوط نظم عقيدة السيوطي فرغ منه ءآخر شوال عام 1128
- 77 - المنهج المصنوع ، المبلغ للموضوع
- 78 - المعارف الأنسية ، بنظم العقيدة القدسية للخمى
- 79 - المواهب القدسية ، بنظم الوغليسية
- 80 - نظم الجمان ، في مدح الشيخ سيدي عبد الرحمان
- 81 - نظم مشتمل على سنده في الفقه
- 82 - نظم ذكر فيه ما وقع من الحروب بين الباني مراد باشا التونسي وعسكر الجزائر
- 83 - نعم الحركة ، في اختصار كتاب البركة
- 84 - النعم الكبرى ، بشرح الصغرى ، العقيدة الصغرى للسوسى
- 85 - النفة المسكية ، في نظم العقيدة السبكية
- 86 - النفحات العنبرية ، في نظم السيرة الطبرية
- 87 - نهاية الآمال ، في فضائل الاعمال

- 88 - النورُ الضاوي ، في نظم عقيدة الطحاوي
- 89 - نورُ الشمعة ، المذهب نظام أهل الرياء والسُّمعة ، في بعض مسائل الحَجْر والشفعة
- 90 - غُبارُ نِعَالِ أَهْلِ اللَّهِ
- 91 - العُرْر ، في شرح النُّرِّ
- 92 - الفوثية ، بأحكام بعض المسائل اللوثية
- 93 - 94 - فتْحُ الأغلاق ، على وُجوه مسائل مختصر خليل بن إسحاق ، في الفقه المالكي ، جمع فيه بين شروح الأجهوري وبهرام والتتائي والحطاب والخرشي والزرقاني والمواق ، انتهى فيه إلى الأذان ، وله شرحٌ آخرٌ أصغر منه يُصاحبُ الفقيه سَفْراً وحضراً
- 95 - فتح الباري ، بشرح غريب الإمام البخاري
- 96 - فتْحُ رَبِّ السَّما ، بذكر فضائل العلماء
- 97 - فتْحُ الرقيب ، بمدح أئثار الصالحين وبعض آداب النقيب
- 98 - فتْحُ الكريم الأكرم ، بذكر الأقوال في اسمِ الله الأعظم
- 99 - فتْحُ المَنان ، بذكر الخصال الموصلة إلى الجنان
- 100 - الفتْحُ المتوالي ، بنظم عقيدة الغزالي
- 101 - فتْحُ المُعيد ، بنظم عقيدة ابن دقيق العيد
- 102 - فتْحُ المُعين ، بذكر مشاهير النُحاة واللغويين
- 103 - الفتْحُ المُولوي ، بشرح ألفاظِ النُوي ، نظمته في حياة والده ، ومدحهُ بسببه شيخُه العلامة يوسف بن محمد فكيهات صاحبُ (نظم الشنور)
- 104 - فتْحُ القدير ، في بيان الطريق للمريد

- 105 - فتحُ القريب ، بأشرف غريب
- 106 - فتحُ القويّ المعين ، بإشادِ المطالعين لشرح الأربعين
- 107 - الفتحُ القدسي ، بشرح آية الكرسي
- 108 - الفتوحاتُ الكونية ، بشرح الأربعين البونية ، وهو شرحها الكبير ، والصغيرُ هو الذي سَمَاهُ (فتحُ القويّ المُعين) وقد تقدّم
- 109 - قطعُ النُخاع ، من أهل الابتداع
- 110 - قمعُ المراني ، بفتح المراني
- 111 - السحرُ الحلال ، بما استدرك من خصوصيات الجمعة ونبيلتها عن ابن القيم والجلال
- 112 - السراج ، بذكر بعض النبض من فضائل صاحب المعراج
- 113 - شذا الروانيد ، بذكر بعض من لهم الأسانيد
- 114 - الياقوتة الكبرى
- 115 - الياقوتة الصغرى ، كلتاهما في التوحيد ، ضاهى بهما (الجوهرة) للقاني ، و(إضاءة الدُّجئة) لأحمد المقرئ التلمساني
- 116 - الياقوتة المكنونة ، في صلحاء بونة ، منظومة في 3000 بيت وله أنظامٌ كثيرة بعضها مُعَنُونٌ وبعضٌ لا عنوان له ، وهي مثل ما سبقها أكثرها في العقائد والفقهِ والسيرة النبوية .
- أخذ عنه علماء وطلبةٌ كثيرون بالمشرق والمغرب ، منهم ابنه محمد ، وأحمد الزروق ، وعبد الرحمان الجامعي الفاسي ، وأحمد برناز التونسي متقدم الترجمة .
- تُوفي عام 1139 (275)

(275) آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر 1 : 182 والأصالة (نجلة) 34 : 215 والأعلام للزركلي 1 : 199 وتعريف الخلف ، برجال السلف (في ترجمة ابنه محمد) 2 : 522 وحركة الأنبياء

وتقدمت ترجمة أحمد بن علي البوني صاحب كتاب شمس المعارف الكبرى (4 : 57 ع 1105) .

1668) أحمد بن محمد بن أحمد الشريف ، فقيه أديب من أسرة شريفة النسب نبيهة بتونس ، تولى أهلها بها نقابة الأشراف وإمامة جامع الزيتونة وجامع دار الباشا .

ولد عام 1091 ونشأ في طلب العلم وتحصيله ، فبعدما حفظ القرآن شرع في القراءة والتعليم على شيوخ العلم ببلده كأحمد بن محمد الخضراوي ومحمد بن عمر الصقار الرعيني القيرواني وعبد القادر الجبالي الميطاطي ، وكان قائماً على التوحيد والفقہ والنحو والبيان مشاركاً في علوم شتى ، حسن العبارة فصيح اللسان جميل الوجه نقي الثياب ، وصفه محمد المختار العياضي في كتابه (مفتاح النصر ، في التعريف بعلماء العصر) بقوله : السيد الفاضل الجليل ، والعالم الكامل الشهير،... ممن له قوة معرفة بالنحو والبيان ، والاطلاع على كتب الأدب في هذا الزمان .

تصدّر للتدريس في أماكن شتى ، ثم بجامع الزيتونة ، وولاه الباي حسين بن علي خطة القضاء ثم عزله بعد أيام فعاد إلى الإقراء والأشهاد ، واستمر على ذلك إلى أن مات .

أخذ عنه كثير من الطلبة واستفادوا منه ، منهم ابنه عبد الكريم الشريف .

ألّف رسالة جمع فيها أبحاثاً تتعلق بالبسملة ، يوجد نصّها المخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس ، وخمسة بردة الشاعر البوصيري في مدح الرسول عليه السلام ، ومن شعره قوله مضمناً لبيت مشهور :

في المغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 985 و1600 والتحفة المرضية ص 116 و127 و174 ودليل مخطوطات دار الكتب الناصرية ص 141 و201 وذيل بشأن أهل الايمان ص 231 والمجلة التاريخية المغربية 7 - 8 : 88 والمصنفات المغربية للسيرة النبوية 1 : 296 ومعجم أعلام الجزائر ص 49 ومعجم المحدثين والمفسرين ص 48 ومعجم المؤلفين 2 : 49 و75 والموسوعة 3 : 124 وفهرس الفهارس والأشبات 1 : 236 و294 وشجرة النور الزكية ص 329 ع 1288 .

مُعَنَّاكُمْ ، نَفْسُهُ سَادَتَنِي
يُهْزَهُهَا الشُّوقُ وَجَدًّا لَكُمْ
وَنَفْسُ صَدِيقِكُمْ لَمْ تَنْزَلْ
إِذَا مَا قَبِلْتُمْ قَرِيضَ الَّذِي
(فَقَدْ ضَاءَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ
بِبَخْرِ مَدِيحِكُمْ غَائِصَةً
فَنُضِحِي لِتَذَكَرْكُمْ رَاقِصَةً
عَلَى مَدْحِ أَمْجَادِكُمْ حَارِصَةً
أَتَاكُمْ عَلَى نِيَّةٍ خَالِصَةٍ
كَمَا ضَاءَ عَقْدٌ عَلَى خَالِصَةٍ)

وقوله من تخميسه للبردة :

أَمِيرٌ عَمْرِيٌّ قَدْ وَلَتْ عَسَاكِرُهُ
لَكِنِّ أَنَا لَسْتُ أَرْعَاهُ وَأَحْزَرُهُ
وَجَيْشُ شَيْبِي غَارَ الْيَوْمِ أَكْثَرُهُ
(لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنِّي مَا أَوْفَرُهُ
كَمْتُ سِرًّا بَدَا لِي مِنْهُ بِالْكِتْمِ)

لم أقف على تاريخ وفاته ، وكان حيًّا عام 1139 (276)

وتقدمت ترجمة جدّه أحمد بن حسن الشريف في هذا الجزء
(ص87) .

(1669) أحمد بن أبي عزة الوديعي ، فقيه جليل يُعرف بنسبه في قبيلة
الوداية (277) تولى قضاء مكناس .

لم أقف على تاريخ وفاته ، وكان حيًّا يوم 8 شعبان عام 1139
(278)

(1670) أحمد بن أند عبد الله الولاتي المحجوبي ، عالم من ولاته ،
بلدة بصحراء المغرب التي كانت تدعى في الماضي شنچيط وتسمى اليوم
موريتانيا ، كان من العلماء العاملين تامّ الإدراك عامّ النفع ، مهتمًّا بجمع

(276) تراجم المؤلفين التونسيين 3 : 179 ع 286 وثيل بشارت أهل الإيمان ص 262 ومفاتيح
النصر ، في التعريف بعلماء العصر منشور بال نشرة العلمية للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ،
س 4 ع 4 (76 - 1977) ص 180 وشجرة النور الزكية ص 347

(277) الوداية قبيلة عربية من نسل وُدِّي بن حسان ، طلعت في عهد السلطان مولاي إسماعيل
من صحراء المغرب إلى شماله فجعلها هو وأولاده السلاطين من بعده من عناصر الجيش ، وهي موجودة
اليوم في حوز فاس وحوز الرباط وجهات أخرى من المغرب ، ويكتبها بعضهم خطأ الودايا والأداية

(278) إتحاف أعلام الناس 1 : 341

الكتب واقتنائها حتى حصل منها على ما لم يحصل عليه غيره ، صلباً في الحق لا يخشى في قوله والتمسك به عدل عادل ، ينظم الشعر بأسلوب الفقهاء ، حجج ولفي في طريقه علماء أفادهم وأفادوه .

وكان حسن التصنيف ، له نظم في علم الكلام ، وءاخر في المناسك ، وثالث في فرائض خليل ، ورابع في أسماء النبي التي في دلائل الخيرات ، وألف كتاباً في الصلاة عليه ضمنه نبذاً مفيدة في خصائصه عليه السلام . وفيه يقول القائل من رجز في مدحه والثناء عليه :

كم بدعٍ أضحّت به سقيمه وسُننٍ صارتُ به قويمه
راعي الدّمامِ ليّنُ الكلامِ صعبُ المّرامِ في حمى الإسلامِ
المُحتَمي للجارِ والغريبِ والحاسدِ الكاشِحِ والحبيبِ
المنفقُ العمرَ لنفعِ المسلمين مُحْتسباً لقاءَ ربِّ العالمين

مات في 9 ربيع الأول عام 1140 (279)

(1671) أحمدُ الشوّافِ بنُ حبيبِ الله الوتيدي الوّداني ، فقيهٌ من بلدة وّدان الموريتانية ، ولد بعد عشاء ليلة الأحد 26 حجة عام 1053 أخذ عن أحمد بن محمد خالد الجرسيفي السّوسي وغيره ، وكان يتقن الحديث والفقّه ذا نجابة وصلاح ، أخذ عنه أحمد بن محمد ... ابن إيجل الزيّدي .

توفي عام 1140 (280)

(1672) أحمد بن عبد الدايم الأنصاري الطرابلسي ، فقيهٌ أديبٌ من أهل طرابلس الغرب ، اشتهر بقصيدة أنشأها في مدح بلده رداً على الرحالة المغربي محمد العبدي الحبحي الذي نمّها نمّاً شنيعاً في رحلته الشهيرة (281) ، ولا يُعرف تاريخ مولد المترجم ولا تاريخ وفاته ، ولا شيء كثيرٌ

(279) فتح الشكور ص 43 ع 23

(280) فتح الشكور ص 45 ع 24

(281) ينظر ما تم به العبدي طرابلس في رحلته المسماة (الرحلة المغربية) ص 70 طبع جامعة محمد الخامس بالرباط وتحقيق الأستاذ المرحوم محمد الفاسي .

أو قليل عن دراسته وأطوار حياته وأوصافه ، سوى ما نُكِر من أنه كان شاعراً بليغاً نكياً حافظاً عارفاً بالتواريخ الإسلامية والأخبار الملوكية ، جيداً الخطُ مُحسناً إلى الفقراء يُضربُ به المثلُ في الظرف والفصاحة ، ذا معرفةٍ بأنواع الحكمة والتعاليم ، حتى رُوِيَ أنه كان يقول : لي معرفة بسبعين حكمة ، وعُمري الآن يُنيف على الخمسين سنة ، ولم يسألني أحدٌ من أهل طرابلس عن واحدة منها ، ومن جملتها استخراجُ الماءِ من الأرض حتى يصعدُ إلى قَمَتِها بغير مشقة .

من شعره قصيدةٌ يستنجدُ فيها بالسلطان العثماني على الفرنسيين الذين هاجموا طرابلس من البحر :

يا واجداً ما في البسيطة مثله	ملك الملوك بتاجه المتكلم
فاسمع لقصة من أذاك بحرقه	خذ ثاره من كل خصم مبطل
أوما يغيظك حال قلعك التي	فازت بفتحك في الزمان الأول
ياسيدي فانظر لحالة ضعفنا	من شيمة الأخيار ان لا تبثلي
إنا لنرجو منك أخذ الثار من	شعب الفرنسيس اللثيم الأردل

أما قصيدته التي اشتهرَ بها ومدح بها طرابلس فقد كان الإجماعُ على أنه نظمها في الردِّ على ما نمَّ به العبدري طرابلسَ في رحلته لما دخلها في طريقه إلى الحجِّ عام 688 هـ حتى وُجد مكتوباً مع القصيدة قولَ ناظمها : الحمد لله ، لما بلغ العبدُ ما صنع الشرقي برحلته من ذكر مساوىء طرابلس اختلقَها عينُ السخط منه بعد توجُّهه لبلده فوقفتُ على بعض ألفاظه ... إلى أن قال : فلما تحقق الفقير ذلك انتدب لذكر محاسنها ... فقال ، وذكر القصيدة .

والشرقي هذا هو الأديب الكبير الاسحاقي الشرقي كاتب السلطان مولاي إسماعيل ، وصاحب الرحلة التي ألَّفها لما رافق إلى الحج عام 1143 هـ السيدة خنائة بنت بكار زوج السلطان مولاي إسماعيل وحفيدها الأمير (السلطان فيما بعد) سيدي محمد بن عبد الله ، وبمراجعة رحلته القيمة المحفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط نجده يذمُّ طرابلس أيضاً وينقل ما نكره العبدري في نمها ويزيدُ عليه قائلًا : ولو رءاها (أي العبدري) لهذا العهد

لزاد لومهُ لأهلها وإيلامه ، ولأكبرَ أن تمرَّ له على فكر ، او يخطر بباله لها
ذكر الخ (282) وهذا يرجح أن ردَّ المترجم كان على الإسحاق العياشي
وليس على محمد العبدري الحيحي .

والقصيدة المشارُ نفسها هي من بحر الطويل ، ولا تخلو من تكلفٍ
وركاكة ، وقد شرحها محمد بن خليل ابن غلبون الطرابلسي ءاتي الترجمة
في حرف الميم شرحاً سماه (التذكار ، فيمن ملك طرابلسَ ومَن كان بها من
الأخيار) ، مطلعها .

أرى زَمناً قد جاءَ يقتنصُ المها	بلا جارح والأسد في فلواتها
رأى القيضَ مُبيضاً بمزبلة الحمى	فقال كفاني أنه من صفاتها
أتى أهله يهوى وبشَّرَ أنه	بربقةٍ من ظبيانها ومهاتها
ألا أيها النحرير مه عن مَذمةٍ	فما في الأواني بانَ من قَطراتها
طرابلسٌ لا تقبل الذمَّ إنها	لها حسناتٌ جاوزت سيئاتها

كان حياً عام 1140 هـ ولا يصحُّ ان يكون عام وفاته (283) .

(1673) أحمد ابن فتوح التازي ، فقيهٌ أديب من المغرب الأقصى ،
ويرجَّح النسبُ الذي اشتهر به أنه من أهل مدينة تازة (284) كان من مريدي
زاوية أبي الجعد (285) ، وفي شيوخها الشرقاويين ألف كتابه المُسمَّى
(التعريف المفيد ، في مناقب الشيخ الصالح بن المعطي وجده القطب أبي
عبيد) نقل عنه المؤرخُ محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي في كتابه

282) ينظر ما ذمَّ به الإسحاق طرابلسي في رحلته المخطوطة المحفوظة في الخزانة الحسنية
بالرباط ص 94 - 95 - 96 .

283) أعلام من طرابلس ص 155 وأعلام ليبيا ص 36 والتذكار ، فيمن ملك طرابلس ومَن
كان فيها من الأخيار المقامة وصفحات أخرى .

284) تازة مدينة مغربية شهيرة تقعُ على بعد 120 كلم من فاس بينها وبين وجدة ، وهي قاعدةُ
إقليم جبلي تبلغُ مساحتهُ 15020 كلم مربع وعددُ سكانه 501.844 حسب إحصاء سنة 1994 .

285) أبو الجعد وينطقُ بها العوام بَجَعْد وكانت يُقال لها قديماً جعيدان ، بلدةٌ تقعُ بإقليم خريقة ،
توجدُ بها الزاويةُ الشرقاويةُ الشهيرة ، تقعُ على بعد 175 كلم من الدار البيضاء ، و56 كلم من بني ملال ،
ترتفع 674 متراً فوق سطح البحر ، ويبلغُ عددُ سكان جماعتها البلدية 33.321 .

(تاريخ الدولة السعيدة) ، وله في مدحهم أشعار كأشعار الفقهاء وردت
نصوصها في كثير من الكتب والكتانيش التي تحدثت عن رجال الزاوية
المذكورة ، منها مقصورة طويلة مدح بها الشيخ أبا عبيد الشرقي .

وصفه عبد الخالق بن محمد العروسي في كتابه (المركبي ، في مناقب
سيدي محمد الشرقي) بالأخ الفاضل ، وبالعالم العلامة ، النحرير الأديب
الفهامة ، ونقل عنه في الكتاب المذكور بعض أخبار الزاوية الشرفاوية
وشيوخها ومن لهم من المريدين.

فمن شعره قوله :

لآلٍ عديٍّ في العلا متناول
لبطن فُرَيْشِ شمس كل المنازل
إمام التقي والعلم بالحق عادل
سما فضله فضل الرُّسُلِ الأوائل
كرام ليوث فخرهم غير زائل
ويفضل عن ذي حاجة وأرامل
إمامٍ محاً بالحق كل الأباطل
ولاح سناها في الفضا والمنازل
إلى ضوئه تعشو بدور المحافل
يوم سناه كل حافٍ وناعل
بكهف بني الآمال كنز الفواضل
أبو عبيد المبرور كحل النواجل
جزيل النداء والحلم حلو الشمائل
إلى قبره شدت صدور الرواحل
وفي طي سره زمام الوسائل
وكم صادرٍ قد نال من خير نائل
وكم من مزايا قد أبان لخامل
وكم راكبٍ يهوي إليه وراجل
وكم غنيٍّ أولاه فضلا وعامل

نزلنا بحمد الله خير المنازل
ببيتٍ له في المندياتٍ مآثر
سليل أبي حفص صفّي نبينا
ومن آل من قد صاحب المصطفى الذي
نزلنا بقوم أبد الله مجدهم
وما منهم إلا له الجود شيمة
أفاض أبو حفص عليهم شعاعه
فأشرق ذلك النور شمس سما العلا
فخيم نورها البهي بمغرب
وصار مناراً للهداة ولم يزل
فحق لمن ينمي له الفخر والعلا
تجلّى به قطب المكارم والتقى
همام العلا الشرقي السني محمد
كثير العطايا دأبه الجود والوفا
إمام له التصريف حياً وميتاً
فكم قاصدٍ يرجو النوال ببابه
وكم رتبة أولى وجاهاً ورفعة
وكم وافدٍ ياتي إلى بحر جوده
وكم ظمىء أرواه عذب فراته

تفورُ بخيرٍ عاجلٍ غيرِ عاجلٍ
إلى كَفِّهِ تَرْتَاخُ كُلُّ الْفَضَائِلِ
فَمَا يُخْتَشَى مِنْهُ جَفَاءً لِسَائِلِ
مِنَاقِبِهِ جَلَّتْ عَلَى كُلِّ قَائِلِ
فَطَابَ وَفَاحَ عِطْرُهُ فِي الْمَحَافِلِ
وَهَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ شَأْنُ الْمَوَاصِلِ
وَفَضْلُهُمَا قَدْ بَانَ فِي لَبِّ عَاقِلِ
لَهُ يَنْتَمِي التَّقْدِيمُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ
وَلِذُ بَابِنِ سَاسِ نَقُضَ كُلُّ الْمَسَائِلِ
وَعَنْ شَيْخِهِ التَّبَاعِ شَمْسِ الْمَحَافِلِ
وَنَخْبَةِ ءَالِ الْبَيْتِ نَجْلِ الْأَفْضَالِ
جَعَلْتُهُمْ مَنِّي وَسِيلَةَ سَائِلِ
إِمَامٍ هُمَامٌ مَلْجَأٌ لِلْوَسَائِلِ
بِمَدْحِ نَفِيسِ طَيْبِ النَّشْرِ حَافِلِ
مِنْ ءَالِ بَنِي الْخَطَابِ فِي الْمَجْدِ وَاصِلِ
تَمَسَّكَ مِنْ أَنْيَالِكُمْ بِالْوَصَائِلِ
بِيحْرِكُمْ الْفِيَاضِ عِنَبِ الْمَتَاهِلِ
وَمَا رَنَّ فِي الْأَغْصَانِ صَوْتُ الْبِلَابِلِ
تَوْمٌ عَلَائِكُمْ بِالضَّحَى وَالْأَصَائِلِ
تَفَوْقَ الْحِصَا عَدَاً وَقَطَرَ الْهَوَاطِلِ
وَجَمَلَةَ صَحْبِهِ الْبَدُورِ الْكَوَامِلِ

عليك إذا رمت العلا بضريحه
فهذا أبو عبد الإلاه محمد
وهذا مقام الفضل ان كنت طالبا
وهذا جنيد العارفين بغربنا
سقاء الإلاه العرش كأس محبة
وصارت له الأكران في طي قبضة
له الأيون الطاهران سجية
أبو القاسم الزعري قطب مفضل
وشيخه عبد الله فاعرف حقوقه
فعن شيخه الغزاواني نال مهابة
عن الجزولي القطب من ءال هاشم
إلى فضلهم تشاق نفسي وإنني
إلى دوحه المجد الذي فاح عرفه
أنخت مطية الرجاء ببابه
وإنه من قوم يطيبون بالثنا
فهل عطفة على الغريب فإنه
فجودوا عليه منة وتفضلا
عليكم سلام الله ما دام فضلكم
وأهدي رياح المسك يعبق نشرها
وأزكى صلاح الله ثم سلامه
على المصطفى روح الوجود وءاله

وهذا الفقيه الأديب هو واحد من الرجال الذين جاز عليهم قومهم ،
لأنني لم أر من عرف به أو ذكره وءثاره الأدبية في كتاب غير ما يرد له
من أمداح في الكتب التي أرخت للزاوية الشرفاوية .

لم أقف على تاريخ وفاته ، ورأيت في جذاذته من مجذتي أنه كان حيا
عام 1140 (286) .

1674) أحمد بن علال (287) الوجاري القضاعي ، عالم غرناطي
الأصل من أهل فاس ، وُلدَ بها ونشأ ، وتلقَى معارفه من شيوخ العلم بها
وقت طلبه له ، وعمدته فيه الأخوان عبد السلام بن الطيب القادري والعربي
بن الطيب القادري ومحمد المسناوي بن أحمد بن محمد المسناوي الدلائي ،
وكان نحوياً أديباً لغوياً مشاركاً في علوم شتى من تفسير وحديث وبيان
وتاريخ وحساب ، حافظاً للأنساب والأشعار والأمثال ، غاية في الإدراك
والدهاء حتى أن شيخه محمد المسناوي كان يستشيرُه كثيراً ولا يصدرُ إلا
عن رأيه ، وكان يجزىء أوقات يومه بين النسخ والمطالعة والتدريس
والنوم ، كل وقت يخصه بواحد منها لا يتبدل ، أعزب لم يتزوج إلا قرب
وفاته ، يقاتت من النساخة التي يثابُر عليها ، وعرض عليه السلطان أحمد
بن السلطان مولاي إسماعيل العلوي قضاءً فاس لما أحرَّ أهلها عنه القاضي
علي بوغان فامتنع واختفى ولم يظهر حتى قُدم له غيره .

تصدَّر للتدريس بمدرسة راس الشراطين التي بناها السلطان مولاي
رشيد العلوي ، ولما ألحَّ عليه طلبته وعدد من أعيان فاس في الانتقال منها
إلى جامع القرويين للتدريس به رفض لتواضعه وعزوفه عن الظهور ، لأن
العادة جرت من قديم أن لا ينتصب للتدريس بالقرويين إلا من انتهت إليه
المهارة في العلم والدين في وقته (288) ، ولكنه أمام إصرارهم وإلحاحهم
قبل الانتقال إلى جامع الأندلس للتدريس به ، وكان مجلسه في إقراء العربية

286) تاريخ الضعيف 1 : 143 وحركة الأدب في المغرب على عهد السلطان مولاي اسماعيل
(ط . م) ص 195 و 975 و دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 199 والزواوية الشراوية ص 199
ومختصر بيتمة العهود الوسطى (مصور مخطوط) ص 62 والمرقي ، في مناقب سيدي محمد الشرقي
(مصور مخطوط) صفحات عديدة ، والموسوعة 2 : 79 والفتح الوهبي ، في مناقب الشيخ العربي
(مصور مخطوط) ص 82 . 86 - 88 .

287) تصفير اسم علي للتظريف في نطق عوام الحضرم بالمغرب ، ويصغره عوام بنوه بغليلو ،
ويصغرونه في إقليم الحميمة وإقليم الناظور بصيغة إسبانية فيقولون عليتو .

288) نشر المئاني 3 : 305 .

به وبالمدرسة الرشيدية قبّله غاصاً يقصدُه طلبه فاس وسواهم الآتون من جميع أنحاء المغرب ويزاحمون عليه ويستحسنون طريقته في التدريس لحسن عرضه واقتضاره على مهمات المسائل وحلّ المشكلات واستحضاره لكثير من النكت اللطيفة والأخبار الغريبة التي يُخلّل بها دروسه ، كما كانت له حلقة لتدريس مقامات الحريري يختار لها شهرئ أبريل وماي من كل فصل ربيع .

وقد انتفع به عددٌ كبيرٌ من الطلبة وتخرج به جُلّ علماء فاس ، وله تقايدٌ ومذكرات كثيرة في فنون متعددة من العلوم ، سيما علم النحو ، وجمع بعض المعتنين من حُذاق طلبته ما كتبه على هوامش (المحاذي) لابن هشام فجاءت في مجلد ضخم .

تُوقِّي بفاس ليلة الأربعاء 11 جمادى الثانية عام 1141 ودُفن قرب ضريح الشيخ محمد ابن عباد الرندي بباب الحمراء داخل باب فتوح (289) ورثاه عددٌ من طلبته بقصائد ، منها قصيدة عبد المجيد بن علي الزبيدي التالية :

والقلب ذاب أسى لخطب جار	العين قد جادت بدمع جار
وأنا المصابٌ بحري الابحار	أسفاً وحقاً لي التأسف كيف لا
كُنَّا بهم من أرباح التُّجار	ما شدَّ ما ألفتُ من فقد الألي
وتشاغلي باللهو والميسار	لَهفي على ما فاتني من قُربهم
وإذا انفصلتُ لَزِمْتُ قبرَ وجار	لو كان لي بعضُ الججا للزمتهم
لِمهالك ومراتع الفُجَّار	إذ كل حال غَيْرَ ثَنِّينِ مناهج
بطلت لشادِ حيلة الأوجار	لو حلَّ وحش القبر قفرَ وجاره
ولمقتلي من ساكن أو جار	فالآن لم يُبقِ البعادُ لمهجتي

(289) أزهارُ البستان لابن عجيبة (مصور مخطوط) ص 192 والإكليل والتاج (أطروحة مرقونة) ص 187 والتقاط الدرر 2 : 344 وتكررة المحسنين (مصور مخطوط) ص 328 والحركة الأنبيية في المغرب على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 109 ودعوة الحق (مجلة) ص 11 ع 4 ص 52 والروضة المقصودة ص 268 ونشر المثاني 3 : 304 والعلم والفكر في مطلع العصر العلوي (أطروحة مرقونة) ص 133 وفهرسة أحمد ابن الحاج (أطروحة مرقونة) ص 65 وقضاة فاس (نسخة مرقونة) ص 245 وسلوة الأنفاس 2 : 148 والبيواقيث الثمينة 1 : 45 .

لَهُ صَبَّ غِصَّةُ الْأَشْيَاحِ. قَدْ
لَهُ قَلْبٌ فَرَقَهُ الْأَشْيَاحُ قَدْ
هَذَا وَإِنْ خَتَامَهُمْ مَسْكُ الْهَدَى
الْمَاجِذُ الْأَرْضِي الْمَجِيدُ الْمَرْضِي
(كَذَا) أُرِيحِي لَمْ يَزَلْ
مَا إِنْ رَأَيْتُ مَثِيلَهُ فِي فَضْلِهِ
بَكَتِ السَّمَاءُ وَطَالَ فِيهِ بَكَؤُهَا
وَبَكَتُهُ أَرْضٌ وَهِيَ اجْدُرُ بِالْبِكَاءِ
قَدْ طَالَ مَا زَانَ الْمَدَارِسَ دَرَسُهُ
وَلَطَّلَمَا أَدْنَى الْعُوبِصَ إِلَى الْحَجَا
مَا أَنْسَ لَا أَنْسَى مَجَالِسَهُ وَمَا
مَا ذَرَّتِ الشَّمْسُ الْمَنِيرَةَ دَائِمًا
بِالْبِشْرِ بِلِ الْبِشْرِ بِلِ الْخُلُقِ بِلِ
فِي مَجْلِسِ التَّدْرِيسِ كُنَّا أَنْجَمًا
لَا غَرَوُ إِنْ هَبَّتْ رِيَّاحُ أَرْعَجَتْ
يَا هَلْ تَرَى الْغَيْمَ الْمَغْطِي بَدْرَهَا
أَمْ هَلْ تَرَانِي صَابِرًا بَعْدَ النَّوَى
مَا لِي عَلَى حَمْلِ النَّوَى مِنْ طَاقَةٍ
مَنْ ذَا الَّذِي بِخُلَاصَةٍ يَشْفِي الظُّمَأَ
مَنْ ذَا الْأَفْعَالِ وَأَسْمَاءِ وَمَنْ
مَنْ ذَا لِقَامُوسٍ يَخُوصُ لِيَقْنَنِي
مَنْ ذَا لِأَدَابِ وَكُتُبِ نَوَادِرِ
مَنْ ذَا لِتَدْرِيسِ الْمَقَامَاتِ الَّتِي
سَيِّمًا وَكَانَ يَخْصُهَا بِقِرَاءَةٍ
حَازَ الْحَلَاوَةَ وَالطَّلَاوَةَ كُلَّهَا
مَنْ كَانَ ذَا عَوْنٍ عَلَى أَمَالِهِ
لَا تَعْتَقِدُ أَنَّ الْجَزِيرَةَ وَحْدَهَا
هَذَا النَّوَى قَدْ هَاجَ قَلْبِي فَاكَوِي

أَسْقَنَهُ كَاسًا سَالَ مِنْ زَنْجَارِ
صَارَتْ لَهُ فِي الْفَعْلِ كَالْمِنْجَارِ
بَحْرُ النَّدَا غَوْتُ النَّدَا الْوَجَّارِ
الْمَنْتَقَى مِنْ لَبِّ خَيْرِ نِجَارِ
يُوصِي كَمَا يُوفِي بِحَقِّ الْجَارِ
غَرْبًا وَشَرْقًا أَوْ لَدَى زَنْجَارِ
حَتَّى رَمَتْ بِالْوَدْقِ وَالْأَحْجَارِ
وَبَكَتُهُ أَطْيَارٌ عَلَى الْأَشْجَارِ
مِنْ قُبَّةِ سُفْلِي وَمِنْ أَجَارِ
فِيصِيرُ سَهْلًا وَهُوَ مِ الْأَوْعَارِ
يَجْرِي بِهَا مِنْ غَامِضٍ أَوْ عَارِ
إِلَّا لَهُ نَفْعٌ بِإِلَّا إِضْرَارِ
بِالْصَّفْحِ عَمَّا كَانَ مِنْ أَوْزَارِ
هُوَ بَدْرُهَا الْمَتَلَلِيُّ الْأَنْوَارِ
غَيْمًا أَكَنَّ الْبَدْرَ فِي الْأَسْتَارِ
يُبْقِي بِأَفَقِ الْجَوِّ مِنْ دِينَارِ
كَلَّا جَزَعْتُ وَلَيْسَ زَنْدِي وَارِي
عَظُمَ الْمَصَابُ وَمَا قَدَرْتُ أَوَارِي
وَبِأَوْضَحٍ يُطْفِي لَهَيْبِ أَوَارِ
لِلنَّحْوِ حَقَّقَهُ بِذِي الْأَعْصَارِ
مِنْهُ الصَّحَّاحُ وَيَاتِي بِالْإِنْخَارِ
وَيَمَا بِكُتُبِ الشَّعْرِ مِنْ أَسْرَارِ
أُرَبِّتُ عَلَى النَّوَارِ وَالْأَرْهَارِ
فِي فَصْلِ نَسِيَانٍ وَفِي إِيَّارِ
وَمِنْ الظَّرَافَةِ فَازَ بِالْإِكْتَارِ
فَأَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ أَنْصَارِ
مِنْهُ خَلَّتْ بِلِ سَائِرِ الْأَمْصَارِ
هَلْ مِنْ دَوَا لِلْقَلْبِ وَالْأَبْصَارِ

فيما تَرَى مِنْ ذَمِّي المَذْرَارِ
وَعَدَا فَرِيداً كَاسِفِ الأَقْمَارِ
أَجْنِي الأَجْنَآ مِنْ مَطْعَمِ أَوْ قَارِ
مَا هَالِ خَطْبٌ مُتَقَلِّ الأَوْقَارِ
وَأَجَلْتُ فِي جَنَاتِهِمِ أَبْصَارِي
آدَابِهِمْ مَا لَاقَ بِالحَدْفَارِ
آثَارِهِمْ مَتَنَافِيأً حُدِّ بَارِ
سَلْسَالِهِمْ وَشَفِيئِ بِالمِصْطَارِ
وَرَوَيْتُ عَنْهُمْ مُسْنَدَ الأَخْيَارِ
ذَا حَسْرَةٍ وَالدَمْعُ كَالخِزَارِ
يَشْتَاقُ خَيْراً صَاحِبِ الأَخْيَارِ
لَقَدَّيْتُهُمْ بِالرُّوحِ وَالأَعْمَارِ
أَفْنَاهُمْ حَدَثَانُ دَهْرٍ سَارِ
مَا ءَابَ مِنْهُمْ ءَائِبٌ لِلدَّارِ
صَبْرٌ تَجَرَّعَهُ مِنَ الأَقْدَارِ
قَدْ شَيَّبَ بِالأَقْدَاءِ وَالأَقْدَارِ
وَبِهَا اللَّيْبُ مَلَازِمُ الأَكْدَارِ
يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا أَفْهَمَنْ يَذْكَارِي
لِدَاعَةِ لِدَاعَةٍ كَالنَّارِ
إِلَّا تَقَلَّبَهَا عَلَى أَطْوَارِ
لَا تَسْتَقِيمُ لِتَالِدٍ أَوْ طَارِ (291)
بَلَّغَ المَنَا مِنْ سَائِرِ الأَوْطَارِ
لَمَّا اعْتَرَّتْنِي فُرْقَةُ الأَخْيَارِ
بِفَعَالِهِمْ وَالقَادَةِ الأَخْيَارِ
مَا مِثْلُهُمْ فِي سَائِرِ الأَقْطَارِ

يَا عَادِلِي كُنْ عَائِدِي لَأَتَلَحَّنِي
مَاذَا تَرَى فِيمَنْ مَضَتْ أَشْيَاخُهُ
بِوَجُودِهِمْ قَدْ كُنْتُ فِي رَعْدِ المُنَى
فَلِمَنْ أَبُوحُ اليَوْمِ بِالشُّكُوى إِذَا
إِنْ الذِّينِ كَرَعْتُ مِنْ أَحْوَاضِهِمْ
وَفَهِمْتُ مِنْ أَوْصَافِهِمْ وَلَزِمْتُ مِنْ
وَطَرِبْتُ فِي أَنْوَارِهِمْ وَرَكِبْتُ فِي
وَعَرَقْتُ فِي إِجْلَالِهِمْ وَشَرِبْتُ مِنْ
وَوَعَيْتُ عَنْهُمْ مَا تَحْمَلُ خَاطِرِي
ذَهَبُوا وَخَلُونِي لِوَجْهِ هَائِمًا
شَوْقِي إِلَيْهِمْ ذُو زِيَادٍ مِثْلَمَا
لَوْ كَانَ شَيْخٌ يُفْتَدَى مِنْ مَوْتِهِ
لَا يُبْعَدُ الرَّحْمَانُ أَشْيَاخًا لَنَا
كَمْ قَدْ مَدَدْنَاكُمْ عَلَى لَحْدِ الثَّرَى
فِي قَلْبِي صَبْرٌ لِذِي تَلْقَاهُ مِنْ
مَا هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ غَيْرُ مَا
تَأْوِي بِهَا نُورُ الجَهْلِ فِي رَعْدِ المُنَى
كَمْ أَكْرَهْتَنِي حَالَهَا (طُبِعَتْ عَلَى) (290)
غَرَارَةٌ غَدَارَةٌ خَدَاعَةٌ
مَا إِنْ تَدْوَمُ لِحَالَةٍ بَلْ لَا يَرَى
آلَتْ يَمِينًا أَنَّهَا طُولُ المَدَا
فَإِذَا يَمُوتُ المَرءُ يَوْمًا زَهُونًا
عَلَّتْ قَلْبِي يَابِنِ عِلَالٍ بِكُمْ
المُنْقِيينَ الصَّادِقِينَ المُتَّقِيينَ
الحَازِيزِينَ الفَضْلَ أَجْمَعُ وَالتَّقَى

(290) يتنكر بيتاً من قصيدة أبي الحسن التهامي في رثاء ابنه وهو :

طُبِعَتْ عَلَى كَحْرٍ وَأَنْتَ تَرِيدُهُمَا صَفْوَاً مِنَ الأَقْدَارِ وَالأَكْدَارِ

(291) ترخيم كلمة طارف من طرف الشاعر .

فَلِحَقَّتْهُمْ وَتَرَكَتْنِي جِلْفَ الْأَسَى
فَسَقَى الْإِلَاهُ ضَرِيحَهُمْ بِسَحَائِبِ
وَسَقَى ضَرِيحَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ مُرْنَةً
وَعَلَى الْجَمِيعِ تَحِيَّةً مَا غَرَّدَتْ
وَأَتَمَّ رِيحَانٍ وَرَوْحٍ دَائِمٍ
وَأَعْمُ رِضْوَانٍ وَأَهْنَأُ رَاحَةٍ
وَالدَّمْعُ فِي الْوَجَنَاتِ كَالْأَسْطَارِ
مَنْ رَحْمَةً تَنْهَلُ بِالْأَمْطَارِ
فُدْسِيَّةً مَخْتَوْمَةَ الْأَعْطَارِ
فُغْرِيَّةً الْبِيدَاءِ فِي الْأَبْكَارِ
مَا احْتَأَجَّتِ الْأَنْظَامُ لِلْأَفْكَارِ
مَا حَنَّ وَحَشُّ الْقَفْرِ لِلْأَوْكَارِ

(1675) أحمد بن العربي ابن سليمان الأندلسي ، فقيه محدث من أهل فاس ، من بيت بني سليمان الأندلسيين أحد بيوتاتها النبيهة المعروفة بالدين والعلم والمروءة ، ولد بدارهم الكائنة بالدرب المقابل لمسجد زنقة جزاء ابن عامر من عدوة القرويين ، ونشأ بها مقبلاً على طلب العلم آخذاً عن شيوخ كثيرين كالشيخ عبد القادر الفاسي وولده محمد وحفيده الطيب وأجازه الأولان ، وعن عبد السلام القادري ومحمد بن أحمد ابن الكماد القسنطيني ، وكان مفسراً للقرآن حافظاً للحديث عارفاً بالمغازي والسير ، مبرزاً في كثير من العلوم أحد كبار علماء فاس وفقهائها ، مشهوراً بجودة الخط مولعاً بنسخ الكتب ، يقال إنه نسخ كتاب (فتح الباري) لابن حجر في سفر واحد ، انتفع عدد كبير من الطلبة والعوام بدروس التفسير والحديث التي كان يلقيها بجامع الزليج الواقع بين رحبة التبن ومدخل زنقة الرصيف . أخذ عنه ابنه محمد وعمر لوقش الأندلسي التطواني وإدريس بن محمد العراقي ونكره في فهرسته .

له مجموعة من التصانيف والتقايد المفيدة ، وإجازات أجاز بها من طلبها من طلبته وأصدقائه ، منها الإجازة التالية التي كتبها لعمر الوقاش التطواني :

«الحمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَصَلَ مَنْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ بِحَبْلِهِ الْمَتِينِ ، وَرَفَعَ مَنْ أَسْنَدَ أَمْرَهُ إِلَيْهِ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى الْمَكِينِ ، وَمَيَّزَ عَصَابَةَ السَّنَةِ بِأَنْوَارِ الْيَقِينِ ، وَءَاثَرَ رَهْطِ الْحَقِّ بِالْهَدَايَةِ إِلَى دَعَائِمِ الدِّينِ ، وَجَنَّبَهُمْ زَيْغَ الزَّائِغِينَ وَضَلَالَ الْمَلْحِدِينَ ، وَوَفَّقَهُمْ بِالْاِقْتِدَاءِ بِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، ... لِلنَّاسِ بِصَحَابَتِهِ

الأكرمين ، ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين ، حتى اعتصموا بالسبب الموصول إلى أعلا عليين ، أحمدَه على آلائه ، وأشكرَه على نعمائه ، وأشهدُ أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، الأحدُ الفردُ الصمدُ القويُّ المتين ، وأشهدُ أن سيدنا ونبينا وحبينا محمداً عبده ورسوله ، وصفيَه وحببيَه وخليله ، الممنوحُ ببدايع الآيات والتبيين ، وعلى إخوانه من النبيئين والمرسلين ، وعلى آله والتابعين ، وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعدُ فيقولُ العبدُ الفقيرُ إلى رحمة ربه ، المشفقُ من سوء كسبه ، أحمدُ بنُ العربي بن سليمان الأندلسي كانَ اللهُ له ، قد أسعفتُ الفقيهَ النبيه ، العلامةَ الفهامة ، أبا الصلاح ، عمرَ بنَ عبد السلام لو كس التطاوني حفظه الله ووفقه لصلاح الأعمال ، فيما رامه مني من الإجازة له ولأخيه أبي العباس أحمد ، فأجزته فيما قرأه عليّ من الكتب المعتمدة في الحديث ، كالكتب العشرة ، والمسلسل بالأولية ، ولقنته وصافحته وشابكته ، وقراءة الفاتحة ، وءاخر الحشر ، ومسلسل قوله أشهدُ بالله وأشهدُ الله ، والسؤال عن الاسم وتوابعه ، ويقولُه إنني أحبك فقل ، وناولته السبحة ، فأجزته في ذلك كله ، وكذا أجزتُ أخاه المنكورَ معه في كلِّ ما ذكر وسطر ، وفي غيره مما اشتملتُ عليه إجازةُ أشياخنا المغاربة من مقروء ومسموع ومجاز ومناول ، وجميع ما تحملته من أنواع التحملات كلها ، وأذنتُ لهما أن يرويا عني جميعَ مروياتي عن المشايخ إن صحت الرواية عن مثلي ، فإنني لستُ من ذلك في وردٍ ولا صدر ، وربَّ خطٍ لحسن الظن يُغتفر ، وقد ساعفته على مطلوبه ، إثارةً لمرغوبه ، وإن كنا لسنا أهلاً لذلك ، ولا ممن يلجُ هذه المضايق ولا يسلك بتلك المسالك ، لكن لما أرجوه من إدخال السرور على المؤمن من جزيل الثواب ، تجشمتُ ذلك حسبَ ما طُلب ، ورأيتُ ذلك كأنه حقٌّ وجب ، وأوصيه وإيائي بتقوى الله تعالى ، وأن لا يجعلَ همَّ الرواية ، دون الدراية والرعاية ، وأن لا ينساني بالدعاء عند القراءة والإقراء .

واللهُ تعالى يتولانا بما تولَّى به الصالحين من عباده أمين ، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وسلّم .

قال ذلك وكتبه يومَ الخميس ثامن عشر من جمدى الثانية سنة 1127
العبدُ الفقيرُ إلى الله تعالى : أحمد بن العربي بن سليمان الأندلسي كان الله
له ولياً ونصيراً .

تُوفِّي بفاس يومَ 15 رَجَب عام 1141 ودُفن بالدار التي كان يسكنها
بدربهم من حومة جزاء ابن عامر ، وهي الثالثة عن يمين الداخل إلى الدرب
المنكور (292) .

1676) أحمد (الذهبي) بن إسماعيل بن الشريف العلوي ، أحد أبناء
السلطان مولاي إسماعيل والمتملك بعده ، يُلقَّب بالذهبي لسخاء يده وانبساطها
بالجود والعطاء .

كانَ هذا الأميرُ أثيراً عند والده ، ولاه عامَ 1111 حُكْمَ تادلة وأعمالها
لما ولَّى سائرَ إخوانه حكمَ نواحي المغرب الأخرى وأنزله قصبتهَا وأنزل
معه 3000 من العبيد ، وأمره بالزيادة في قصبتهَا ، فبنى قصبَةً بجانبها أكبرَ
منها ، وبنى دارَه فيها ومسجداً أكبرَ من مسجد والده واستقرَّ بها ، ولما
عزلهم عن الحكم عام 1130 أبقاه هوَ على حكم ناحيته إلى حين وفاته ،
لأنه كانَ أثيراً لديه محبوباً إلى قلبه ، ولم يُولِّه السلطانُ والده عهدَه على ذلك ،
ولكنه كانَ مُرشحاً للملك من طرف قادة جيش العبيد (عبيد البخارى) ، إذ
في كلِّ مرّةٍ مرضَ فيها والده أو أرجفَ المُرجفون بموته أو احتضاره كانوا
يَسْتَدْعُونَه للمجيء على عجل إلى مكناس حذراً من أن يسبقه أحدُ إخوانه
إلى الجلوس على العرش إذا تأكَّد موثُ السلطان ، كلُّ ذلك طمعاً في
الاستيلاء على بيوت الأموال - إذا ما تمَّ له الأمرُ - واقتسام ما فيها من ذخائر
وأعلاق . فلما توفِّي والده يومَ السبت 28 رجب عام 1139 بايعوه وأجبروا
الناسَ على بيعته ، وصارت لهم دالَّةٌ عليه يدعوئه فيستجيب ويأمرؤنه
فيمتثل ، زيّنوا له فتحَ بيوت المال ومخازن الكسى والسلاح وتوزيع ما فيها

(292) الإكليل والتاج (أطروحة مرقونة) ص 188 والتقاط الدرر 2 : 244 ع 498 وتاريخ
تطوان 3 : 19 - 20 - 21 - 203 ونشر المثاني 3 : 314 وفهارس علماء المغرب (أطروحة مرقونة)
ص 748 وفهرسة إدريس العراقي (مصور مخطوط) ص 3 وفهرس الفهارس ص 1007 وصفحات
أخرى كثيرة ، وسلوة الأنفاس 1 : 291 - 292 وشجرة النور الزكية 1 : 334 ع 1314 والبيواقيت
الشمينة 1 : 44 .

عليهم ففعل ، وأغرّوه بقتل الوزراء والأمناء والكتاب وكبار القادة الذين كان والده يعتمد عليهم في تدبير الأمور وحفظ الأمن وضبط المالية موهمين إياه أن ملكه لا يستقيم مع وجودهم فأذن بقتلهم الواحد تلو الآخر ، ودخل قصره وعكف على ملذاته وشهوآته كما كان أيام ولايته بنادلة ، تاركاً الحكم بين أيدي جماعة من العبيد الأميين الذين لا يفقهون قولاً ولا يحسنون صنعاً ، فزالَتْ هيبَةُ الملك ، وذرَّ في المغرب قرنُ الفوضى والفتن التي استمرت ثلاثين سنة بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل قاضيةً على كل ما بناه خلال سنوات حكمه الطويلة من أمجاد وأقر من أمن وثبتت من وحدة قومية ووطنية .

ولم يلبث السلطان المترجماً إلا قليلاً ثم اکتوى بنار الفوضى التي أوقدها تهاوته وعدم تقديره للمسؤولية ، فبعد ما فرغت خزائنه ونفدت أمواله أتتهجت أنظارُ العبيد إلى خلعه وتولية واحد من إخوته بدلاً ، ولم يكن أمامهم إلا الأمير عبد الملك بن إسماعيل الذي أعلن نفسه ملكاً بناحية سوس عندما بلغه نعي أبيه ، فكتبوا إليه يستقدمونه إلى مكناس ، ولما بلغ أهل فاس ما يفكر فيه العبيد ويُدبرونه صادف ذلك هوى في نفوسهم لأنهم كانوا يفكرون من جهتهم في خلعه وتولية سلطان حازم مستقيم يعيد للدولة هيبتها ، ويضمن للأمة أمنها وسكينتها ، فانفقوا معهم في جمع حافل عقوده في وادي بهت على خلعه ، وحينئذ بعث العبيد بخبر ذلك إلى إخوانهم بمكناس ، فدخلوا يوم 7 شعبان عام 1140 على السلطان أحمد المترجم قصره بمكناس وأخرجوه منه وسجنوه بالدار التي كانت مُعدة لسكناه في حياة والده ، ولما تمت مباحة أخيه عبد الملك السلطان الجديد (293) واستقر بفاس أمر بنفيه إلى سجلماسة ، وحاول رثق الفتق وكبح جماح العبيد الذين أدرك أنهم سبب المصائب التي عانى منها الشعب المغربي الأمرين سنة كاملة بعد موت أبيه ، ولكن أتى له ذلك وليس بجانبه جيش قوي ولا أعوان مقتدرون ولا لديه مال وفير ، وما كاذ العبيد يشعرون بما عزم عليه في شأنهم حتى استقدموا من سجلماسة السلطان السابق أحمد الذهبي الذي كان منفيًا فيها إلى مكناس

(293) كانت بيعة أهل فاس له يوم 8 شعبان وهي من انشاء الفقيه أبي مدين القاسمي ءاتي الترجمة ، ثم كانت بيعة العامة بضرخ الإمام إدريس الأول بجبل زرهون يوم 14 شعبان .

وباعوه بالملك مرة ثانية في 10 من ذي الحجة ، ثم ساروا به يوم السبت 1 محرم عام 1141 هـ (7 غشت سنة 1728 م) إلى فاس التي حافظت على ولائها للسلطان عبد الملك ، فحاصروها يوم 9 محرم ونصبوا عليها المدافع ينادونها بالقتال ويرأوحونها مدة خمسة أشهر نيف فيها وفيما حولها العمران واستحرق القتل في السكان وانعدمت الأقوات ، فلم يسع أهلها إلا ان يتفاوضوا مع السلطان أحمد وعبيده ويقبلوا الإذعان له وإسلام أخيه عبد الملك إليه بعدما أخذت عليه الموائيق بالمحافظة على حياته ، فأسلموه إليه يوم الخميس 21 جمادى الأولى وأرسله سجيناً إلى مكناس .

ولما كانت المفاوضات جارية بين الطرفین ظهرت أعراض مرض قوي على السلطان أحمد المترجم ، قيل إن سببه سلٌ حادٌ وقيل إن سببه سُمٌ نافع دسه له العبيد في طعامه ، فأمر برفع الحصار عن فاس يوم 22 جمادى الأولى بعدما أنهى مع أهلها قضية أخيه ، وعاد مع عبيده إلى مكناس محمولاً في محفة لاشتداد مرضه ، وما زال حاله يضعف حتى أيقن بدنو أجله ، وحينئذ أمر بخنق أخيه عبد الملك فخنق ليلة الثلاثاء 1 شعبان ، ثم توفي هو بعده يوم السبت 4 شعبان عام 1141 هـ (5 مارس سنة 1729 م) ودفن خلف ظهر والده بقبة الضريح .

وكان هذا السلطان ضعيف الرأي فاتر العزم ، شبهه أحمد الزياتي مؤرخ الدولة العلوية في كتابه (البستان الطريف) بالأمين بن هارون الرشيد العباسي في زيّه ولهوه وإكبابه على شهواته وتضييع الحزم الجد (294) ، وقال فيه أحد رجال المغرب المشهورين : إن مولاي أحمد ما أفاق من سكرته من يوم مات والده وقدمه العبيد حتى غشيتّه سكرات الموت (295) .

(294) الروضة السلمانية (مصور مخطوط) ص 113 .

(295) إتحاف أعلام الناس 1 : 265 والتقاط النور 2 : 334 إلى 350 والأعلام للزركلي 1 : 98 والإعلام ، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 2 : 367 ع 257 والاستقصا 7 : 114 وما بعدها ، والبستان الطريف (نسخة مرقونة) ص 184 وما بعدها ، والجيش العرمم الخماسي 1 : 93 والنرامنتخب المستحسن (مصور مخطوط) 6 : 405 و7 : 364 وديوان مصباح الزرويلي (نسخة مرقونة) 2 : 84 والروضة السلمانية (مصور مخطوط) ص 107 وكناشة الوزير اليعمدي (مصور مخطوط) 10 : 39 والمنزغ الطريف ص 227 ومعلمة المغرب 1 : 169 ونشر المثاني 3 : 291 إلى 321 .



السلطان أحمد الذهبي بن السلطان مولاي إسماعيل العكوي

وقد رأيتُ في ديوان علي مصباح الزرويلي ، آتِي التَّرْجَمَةَ قَصِيدَةً فِي
مَدْحِ هَذَا السُّلْطَانِ عَلَى لِسَانِ مَنْ طَلَبَهَا مِنْهُ لَمَّا كَانَ وَالِيًا عَلَى نَاحِيَةِ تَادَلَةَ
فِي حَيَاةِ أَبِيهِ السُّلْطَانِ مَوْلَايِ إِسْمَاعِيلِ ، وَأَحْسَبُ أَنَّ بَعْضَ أَلْفَظِهَا بَدَلَتْ بِمَا
يُنَاسِبُ مَقَامَ الْمَمْدُوحِ لَمَّا صَارَ مُلْكًا ، وَهِيَ :

مَنْ مَنصَفِي مِنْ شَادِنِ بَجْفُونِهِ صَعْبُ الْمَنَالِ مَتَى أَثِيمُ بَرَقَ الْمَنَا قَاسٍ فَوَادًا ، لَيْنٌ عَطْفًا ، وَإِنْ ظَبِّي يُخَالُ إِذَا رَنَتْ أَلْحَاطُهُ أَوْ أَحْمَدُ الذَّهَبِيُّ أَصْلَتَ فِي الْوَعَا مَلِكٌ لَوْ اسْتَرْقَى لِعِزَّةٍ فَيَنْصِرُ لِيَخَافَ مِنْ سُلْطَانِهِ كُلِّ امْرِيءٍ أَوْ لَيْسَ مَنْ حَلَفَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَكُنْ إِنَّ الْمُلُوكَ لِأَحْمَدٍ خَضَعَتْ وَقَدْ لَا غُرُوَ إِنْ خَضَعَتْ لَهُ فَلَقَدْ رَأَتْ فَسَتَمَلِكُنْ شَرْقَ الْبِلَادِ شِمَالِهِ وَالْمَلِكُ أَزْهَرُ مَا يَكُونُ بِأَحْمَدٍ فَلَنْنُ حَوَاهِ غَيْرُهُ دَامَتْ بِهِ وَالْيَكْهَا يُزْرِي إِذَا أَنْشِدْتَهَا	مَلِكَ الْحِشَا قَسْرًا وَسِحْرٍ عِيُونِهِ مِنْهُ رَمَى قَلْبِي الشَّجِي بِمَنُونِهِ سِي قَدْ فَتَنْتُ بِقَسْوِهِ وَبِلِينِهِ لَيْثًا حَمَى عَنْ أَشْبِلِ بَعْرِينِهِ بِيضًا تَفِيضُ بِهَا قَرُونُ قَرِينِهِ أَبْدَاهُ يَسْعَى فِي مَطَارِفِ هُونِهِ لَوْ كَانَ فِي سُودَانِهِ أَوْ صِينِهِ ! حَيْثَا لَيَنْزِلُ سَاحَةَ لَيْمِينِهِ عُقِدَتْ بِنُودِ النَّصْرِ فَوْقَ حِصُونِهِ نُورَ الْخِلَافَةِ لِأَخِ فَوْقَ جَبِينِهِ وَالْغَرْبُ سَوْفَ يَرَاهُ طَوْعَ يَمِينِهِ كَالرُّوضِ أَبْهَجَ حَسْنِهِ بِغِصُونِهِ حَرَكَاتِهِ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ سَكُونِهِ بِرَخِيصٍ دُرٌّ لَفْظُهَا وَثَمِينِهِ
---	--

(1677) أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الرَّسْمُوكِيُّ ، أَسْتَاذٌ فُقَيْهٌ مِنْ قَبِيلَةِ رَسْمُوكَةَ
السُّوسِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، كَانَ مُجُودًا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِالْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ ،
مُشَارِكًا فِي الْفِقْهِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا .

أَخَذَ عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَضِيكِيِّ وَنَكَرَهُ فِي طَبَقَاتِهِ .

مَاتَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ 24 رَجَبِ الثَّانِي عَامِ 1142 (296) .

1678) أحمد بن يوسف بن محمد بوعسرية الفاسي الفهري ، فقيه من الأسرة الفاسية الشهيرة ، ولد بمدينة القصر الكبير ، ونشأ به في رعاية والده ، وعنه أخذ مبادئ العلوم ، ثم انتقل إلى فاس لاستكمال دراسته بجامع القرويين فأخذ عن شيوخ العلم هناك ، ولقي من شيوخ التصوف بها أحمد اليماني وأحمد بن محمد ابن عبد الله معن متقدمي الترجمة .

وكان من الفقهاء المجيدين ، معروف الفضل محبباً إلى الناس يقصدونه في الأزمات .

توفي بتطوان عام 1145 هـ ودُفن بزاويتهم فيها (297).

وتقدمت ترجمة احمد بن يوسف الفاسي في الجزء الخامس (ص 281 ع 1529) وأحمدون آخرون من هذه الأسرة .

1679) احمد بن محمد الوثاكي ، فقيه من الأسرة الوثاكية السوسية بالمغرب الأقصى ، ونسبتهم إلى وكاك بن زلو شيخ عبد الله ياسين كان مقصوداً للافتاء قادراً على حل النوازل بقتضى الشرع .

توفي عام 1145 هـ (298).

1680) أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني ، فقيه متصوف وكاتب موقّ من أهل فاس ، من أسرة نبهة بها هاجرت إليها من الأندلس واتخذتها داراً وأنجبت بها الفقيه والكاتب والطبيب والسفير ، وكلمة الوزير ليست لقباً له ، وإنما هي اسم أسرته بالأندلس حملته معها إلى المغرب لما هاجرت إليه .

وُلد بفاس في 1 رمضان عام 1063 وأدرك الشيخ عبد القادر الفاسي فمن دونه من العلماء فأخذ عنهم ، وكان الشيخ أحمد بن محمد ابن عبد الله معن متقدم الترجمة في هذا الجزء عمدته في التصوف .

(297) نشر المثنائي 3 : 363 وعناية أولي المجد ص 53 .

(298) المعسول 11 : 50 .

كان مشاركاً في فنون شتى من فقه وحديث وأدب وسير وتاريخ وأنساب ، ينظم الشعر نظم الفقهاء ويجيد كتابة الرسائل والخطب ، جيد الخط فصيح اللسان ، أم بزواية شيخه أحمد ابن عبد الله معن ، وسرد بها سير الكلاعي وصحيح البخاري ، وانتصب للشهادة بسماط العدول المجاور لجامع القرويين الذي تحول في السنين الأخيرة إلى سوق لبيع الملابس والثياب ، فأقبل الناس عليه لئسكه وورعه وبراعته في قسمة الميراث وإحكام توثيق الرسوم العدلية .

ترك عدداً من المؤلفات والتقايد والقوائد والأراجيز ، أكثرها في مواضيع دينية صوفية وأقلها في التاريخ والأنساب ، منها :

1 - تحفة الطالب ، بشرح مقصورة المناقب ، تخلص فيها متنا وشرحا إلى ذكر السند الصوفي لشيخه أحمد ابن معن ، يقع الشرح في مجلدين كانا موجودين بخط المؤلف في خزانة الشيخ العربي بن أحمد الحريشي بفاس ، وعليه تقاريط بخطوط أربابها كالشيخ سعيد بن أبي القاسم العميري ، ويوجد الجزء الأول منه في الخزانة العامة بالرباط محفوظاً تحت نمرة ج 44 مع نسخة أخرى منه بنفس الخزانة نمرتها ك 563 والجزء الثاني محفوظ بها أيضاً تحت نمرة ق 81 وهو مبتور الطرفين .

2 - تقييد في التعريف بالشيخ محمد بن أحمد المسناوي ، أثبت نصه سليمان الحوات في (البدور الضاوية) أثناء ترجمة المسناوي ، وتوجد منه نسخة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط نمرتها د 2055 .

3 - تقييد في التعريف بالشيخ عبد السلام بن الطيب القادري ، استوفى فيه أشيأه ومقروءاته ، أثبت نصه محمد بن الطيب القادري في (نشر المثنائي) أثناء ترجمة جدّه ، ومنه نسخة كانت بالخزانة الأحمدية السوديّة بفاس ، وأخرى بالخزانة العامّة بالرباط محفوظة تحت نمرة ك 2253 وثلاثة بخزانة كلية الآداب بالرباط أول مجموع نمرته 252 .

4 - جلاء القلب القاسي ، بمحاسن أبي عيسى المهدي القاسي .

5 - الجواهرُ السنية ، في شرح الكواكب الدرية ، وما قاله الأعلام في الشعبية العراقية . كتابٌ شرح به قصيدتي البردة والهمزية لمحمد بن سعيد البوصيري ، نقل فيه كلام الأليوري والعقباني والشطبي بعد تقرير ما يظهر له في الشرح ، وذيلُه بخاتمة تكلم فيها على نسب البيت العراقي الحسيني الشهير بفاس ، فرغ من تأليفه عند طلوع فجر يوم الأربعاء 23 جمادى الثانية عام 1143 توجد منه نسخة مخطوطة بيد المؤلف بالخرزانة الحسينية نمرتها ز 866 وأخرى بنفس الخزانة نمرتها 11.758.

6 - حاشية على سير الكلاعي . بلغ فيه إلى خلافة ابي بكر الصديق وتوفي قبل إكماله .

7 - المقباس ، في محاسن سيدنا أبي العباس . كتاب ألفه في مناقب شيخه أحمد بن محمد بن عبد الله معن الأندلسي .

8 - منظومة في الشرفاء القادريين .

9 - عوارف المئة ، فيمن شهد له بالجنة . رجزٌ في التوسل بأسماء الصحابة المبشرين بالجنة .

10 - شرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي .

11 - شرح صلاة الشيخ عبد السلام بن مشيش . توجد منها نسخة بالخرزانة العلمية الصبيحية بسلا نمرتها 580 .

12 - شرح قصيدة لامية من بحر السريع ذكر فيها شيوخ شيخه ابن معن المذكور .

وله رسائل وأنظام كثيرة ، منها القصيدة التالية التي يذكر فيها شوقه إلى شيخه أحمد ابن معن الذي سافر مع جماعة من أصحابه إلى المشرق لأداء فريضة الحج عام 1101 وتركه وحيداً بفاس :

ركبُ الأحبة هاج لي أشجاني والدمعُ من عيني كالطوفان
رحلوا بقلبي والحشا إذ ودعوا فتزعزعت وتضععت أركانِي

وليلي وصل ما لها من ثاني
أنى يرأم وكيف بالسوان
ومضوا بقلب الهائم الهيمان
أن الفؤاد يسير في الأظعان
فاقرا السلام من الكئيب العاني
من بعدهم واذكر لهم أشجاني
قلب المعنى الواله الحيران
مُتَضَرِّرٌ مصلَى على النيران
مُتَوَاصِلٌ مُتَراسلُ الأحزان
فقضى عليه الدهر بالأ ن
لا غرو إن الدهر نو أ... ان
حلو ومر شأته الضدان
...ر الوصال وينقضي هجراني
بعد العباد وشملنا متداني
فرنم ورب البيت والأركان
كل المنى والفوز والرضوان
أسمى مفاخركم على الركبان
أربي زمانكم على الأزمان
وظفرتم بسعادة وامان
مُستصحبين عناية الرحمان
أكرم به من عارف رباني
ولكم ، وبحر الجود والإحسان
هو منهل للوارد للهفان
وجماله يعنو له القمران
ومتى مشى تسجد غصون البان
وملابس الايقان والعرفان
ما لم ينله مُبَعَّدٌ او داني
ووسيلتي للواحد المنان

لهفي على أنس تقضى سرعة
عز السلو فما يرأم سويله
من بعد ما ظعن الأحبة واغدوا
أضحى ركابهم تسير وما دروا
ياغادياً إما وصلت إليهم
خبزهم عني بما قاسيته
وأدر حديثي بينهم كي يرحموا
لعبت به أيدي النوى ، ففواده
متأوه متقلب فوق الغضا
قد كان ينعم بالوصال وبالرضا
من بعد أنس أعقبته وحشة
وصل وهجر واجتماع فرقة
أترى أرى وجه الحبيب وأحبتى
وتعود أيام المسرة والهنا
يا ركب أحمد قاصدين لأحمد
بشراكم بشرى هنيئاً حزتم
لله ما أبهى محاسنكم وما
من ذا يماثل أو يشابه فخركم
رافقتم أسمى رفيق في الورى
وسريتم مع أحمد عين الغنا
هو حرزكم وملاذكم وعمادكم
كنز المنى ، بيت الهنا ، عز لنا
العارف بن العارف البحر الذي
حار الشمائل والمحاسن والبها
أبهى من البدر المنير إذا بدا
خلعت عليه جلاله ومهابة
يارفقه خصت به قد نلتم
ياسيدي ياغمدتي ونخيرتي

اعطف عليّ وجذبوصل وارحمن
وجمیل ظني فيكم بل إنني
بالفضل منك عبّذك الغساني
مُتَيِّقُنْ واللّه لا تتساني

ومنها أيضاً القصيدة التالية في مدح شيخه المذكور :

بديار الحبّ عرج ثم سل
أبدور الحيّ غابوا وخفوا
أين إخوان ألفنا ودّهم
رحلوا والله عنا ومضوا
كيف بالصبر عن أحباب نأوا
غادروني حلف شجوا وأسى
في حشاي أوقدوا جمر الغضا
راحتي راحت ووجدني زائد
لم أزل مضني كئيباً مذ سروا
ليئهم جادوا بوصل ورتوا
ما لأمراض الهوى طب ولا
(ما لمن هام بهم حوّل) ولا
حكّمهم ماضٍ وأمر نافذ
قد بعثت الكتب مني نحوهم
إن يمئوا بقبول ورضى
أهل جودٍ وسماحٍ وندى
كل إحسانٍ وحسنٍ جمعوا
إن تقسّ بالبدر أو شمس الضحى
من رءاهم سرّه ما قد رأى
لا يطاق الصبرُ عن وصفه
فاض جوداً وعطاءً وجداً
قد سرت منه لكل رحمة
وحباه ، وقديماً سبقت
وعليه وعلى من معه

لربوع. ورسوم وطلّل
أم لهم ركب سريعاً قد رحل
أين أنوار تجلّي في المحل
والحشا قد ذاب والصبرُ اضمحل
وقديماً ودّهم في القلب حل
واكتتابٍ وامتحانٍ ووَجَل
وحجاي أوقعوا فيه خبل
قد مضى عمري بسوف ولعل
ما اقتراري ، ما احتيالي ما العمل
أوما يكفي الذي بي من علل
لسقام البين برءٍ يُحتمل
قوة إلا به عزّ وجل
وصواب كل ما منهم نزل
يا ترى هل من قبولٍ قد حصل
فهم أهل لإبلاغ الأمل
جودهم للناس كالغيث انهمل
كل إفضالٍ لنا منهم وصل
والثريا حسنهم فهو أجل
من بديع الوصف والفضل الجلل
رأفة والخير فيه مكتومل
عرفه في كل حين مُبتدل
إذ كساه ربه أسنى الحلل
له منه سابقات في الأزل
من صحابٍ ورفيقٍ وحوّل

ألف ألف سلامٍ تالياً
ما حدا الحادي بقول قائلنا
لألوف فوق أعداد الرمل
(بديار الحب عرج ثم سل)

ومنها في رثاء شيخه المذكور :

رُزءُ المنية فتً في أعضادي
يا عينُ بكِّيهِ وسحِّي بالدماء
واندبُ مغانِيَهُ التي عهدي بها
من أمها نال السعادة والغنا
أوهى النوى مني القوى لما ثوى
الصبرُ محمودُ العواقب كلها
كيف اصطباري عن حبيب طالما
يرثي لحالي مُشفقٌ متعطفٌ
ولقد أنستُ بقربه وجواره
قد كان لي كهفاً وجرزاً نافعاً
والشملُ مجموع ووقتي طيبٌ
والسعدُ يخدمُ والحبيبُ مواصلاً
وأنا أصول به على كل الوري
ما كنت أحسب أن دهري يرميني
لهفي على زمنٍ تقضى سرعة
ما راعني الا هجومُ منية
فبقيتُ ولهاناً كسيراً حائراً
بكتِ السماءُ لفقده ومصابه
..... دار مأتَم لفرأقه
ذهب السرورُ وحل في قلبي الأسي
وجب العزا فيه لكل مؤحدٍ
..... لا ينفكُ عن
نيران شوقي قد تزايد حرُّها
كان التمال وكنت كالطفل الذي

والدمع من عيني جرى كالوادي
بعد الدموع وما بلغت مرادي
معمورة بالسرى والأبداد
بيت القصود ومنهل الورد
نجد المعارف صار في الألحاد
إلا على أولى النهى الأمجاد
قد كان لي طوداً من الأطواد
يرعاني حالي تقربي وبعادي
وجنانه بتعطف ووداد
والغوث في الأوى وخير الزاد
لم أخش من صد ولا إبعاد
هو الحجاب وطارفي وتلاذي
من غير أحزان ولا أنكاد
بمصيبة قد مزقت أكبادي
مرت بنا الأيام كالأعياد
فعلت بنا فعل الهزبر العادي
متلهفاً باسم الحبيب أنادي
والأرض قد هزت مع الأطواد
فهم له بمثابة الأولاد
فنفي الكرى عني وفر سهادي
واخصص بذاك أخي أهيل ودادي
قلب المحب له مدى الأزمان
ولهيبها متصاعد بفؤادي
في حجر والده وفي الأمهاد

أجلل به من مستقيم هاد
بسياسة التحقيق والإرشاد
ومقامه في الجمع والافراد
متواصل الأنوار والأوداد
وبنظرة يشفي الخلي الصادي
يجلو صداها من عمى وفساد
فيزيحها من علة الأحقاد
واعتاص إدراكاً لها على النقاد
مكسوة الأنوار والأمداد
فيفيده علماً بلا إسناد
كم من أسير فك من أقياد
ونواله مُسترسل الامداد
إلا امتيار المالك المجاد
ما سامها أحد من الزهاد
أزكاه في الإصدار والإيراد
ومناقب جلت عن التعداد
بهر العقول من الجمال البادي
نو هيبة تُنبك بالإسعاد
حتى قضى متأهباً لمراد
حال الحياة كذاك في الميعاد
إلا ضريحاً بالبكاء ينادي
يرعاكم في الغيب والأشهاد
وتساوى فيها حاضر أو بادي
اذكر مصابك بالنبي الهادي
أن المصير إلى بلا ونقاد
أحكامه تجري على الأباد
مع زمرة الآباء والأجداد
بجوار أكرم مُرسِل لعباد

بوجوده رحم الإلاه عباده
يحنو عليهم دائماً ويسوسهم
(حَبْرٌ) يدل على الإلاه بحاله
(بِرٌّ) يذكر الله مع إحسانه
يُحيي القلوب إذا أميئت بالهدى
من للقلوب إذا صدت وإذا قست
من للنفوس إذا تكاتف طبعها
من للعلوم يحل منها ما التوى
من للفهوم يبينها بعبارة
من للجهول إذا تزايد غيه
كم من عليل جاءه مستشفياً
إفضاله قد عم أهل زمانه
قد عاش حراً ما تقلد منة
همم له تسمو على كل الورى
لله ما أحلى شمائله وما
الله أكبر كم مآثر حازها
ولقد حضرت وفاته ورأيت ما
وجه جميل مشرق مُتهلل
ولسانه لهج بذكر الإله
والمرء مقبوض على ما كان في
ضج العباد لموته ما إن ترى
يا أهل فاس ذاك عزكم الذي
عمت مصيئته البرايا كلها
يا أيها القلب المصاب بفقد
فيه تمر واصطبر وتعلمن
والحكم حكم الواحد الفرد الذي
فالله يجمعنا به في جنّة
وينيلنا منه القبول مع الرضا

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا رَكِبَ سَرَى
والآلِ والأصحاب طُرّاً والأولى
نحوَ الحجاز وما حداه الحادي
فسحوا الطريق إلى سبيلِ رشاد

تُوْفِّي بفاس يوم 2 ربيع الأول عام 1146. ودفن بالساحة المتصلة بقبة
الشيخ محمد بن عبد الله معن (299) .

وللمترجم أخ أسمه محمد ويدعى حمو في لسان العامة ، وجَّهه
السلطان مولاي إسماعيل إلى إسبانيا عام 1101 ستاتي ترجمته في حرف الميم .

1681) أحمدُ بنُ أحمد الشدادي الحسني ، فقيه من بيت علم نبيه
بفاس ينتسبُ أهله إلى الإمام إدريس بن إدريس (300) ، ومواطنهم الأولى
ببني بوشداد بطن من قبيلة بني زجل الغمارية بإقليم شفشاون ، انتقلوا منه
أولا إلى قبيلة أهل سريف الكتامية الكائنة مساكنها قرب مدينة القصر الكبير
بإقليم العرائش ، ثم إلى زاوية الإمام إدريس الأول بجبل زرهون إلى أن
ألقوا عصى التسيار بفاس واشتهروا بما أُسندَ إليهم من الخطط الدينية
والعلمية من عهد السلطان مولاي رشيد إلى عهد السلطان سيدي محمد بن
عبد الله بن إسماعيل .

(299) الإكليل والتاج (ط. م) ص 189 والأعلام للزركلي 1 : 165 والتقاط الدرر 2 : 360
ع 509 وحرمة الأئمة في المغرب على عهد مولاي إسماعيل (ط. م) ص 235 - 702 - 1568 والدرر
البهية 2 : 360 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى ص 91 - 189 - 201 - 203 - 226 - 408 - 412
- والروضة المقصودة ص 178 و 192 والزهر الباسم (مصور مخطوط) ص 71 و 73 ومعجم
المؤلفين 1 : 307 والمصادر العربية لتاريخ المغرب 1 : 413 و 414 و 447 و 555 ونسمة الآس ،
في حجة سيدنا أبي العباس (مصور مخطوط) ص 125 و 183 ونشر المثاني 3 : 364 والعلم والفكر
في مطلع العصر العلوي (أطروحة مرقونة) ص 112 وفهارس الخزائن العامة بالرباط 2 : 32 وفهرس
الخزائن العلمية التصحيحية ص 276 وسلوة الأتفاس 2 : 299 وشجرة النور الزكية
1 : 336 .

(300) فيما يلي تُعدودُ نسبه كما كتبه أخوه علي الشدادي قاضي تازة ، فهو أحمدُ بنُ أحمد بن محمد
بن أحمد بن سُلَيْمان بن عبد الرحمان بن مسعود بن حمزة بن أحمد بن علي بن عبد الرحمان بن يعلى
بن الفتوح بن جلون بن سهل بن سهلون بن سيال بن شداد بن خالد بن زروال بن صفوان بن زيد بن
عبد الله بن إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن
علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأغذ المؤرخون أن في هذا التعدود انقطاعاً واختلالاً .

أخذ المترجم بفاس - التي كان يسكن منها بحومة الدوح - عن شيوخ عديدين ، كأحمد بن العربي ابن الحاج متقدم الترجمة في هذا الجزء ، ومحمد بن عبد القادر الفاسي ، ومحمد بن أحمد المسناوي الدلائي ، ومحمد الكماد القسنطيني ، ومحمد العربي بردلة ، والحسن بن مسعود اليوسي الذي لقَّنه أيضاً أوراَد الطريقة الناصرية الصوفية .

وكان علامةً متبحراً مشاركاً في التفسير والحديث والفقه والنحو وغيرها ، مرجوعاً إليه في النوازل ، تصدر للتدريس بفاس ، وقصدَه الطلبة من الآفاق ، وكانوا يتزاحمون على مجالسه العلمية ويُفضّلونها على ما سواها لحسن تبليغه واستيعابه لما يدرسه .

أسند إليه السلطان مولاي إسماعيل القضاء والفتوى بمدينة مكناس فأقام بها مدةً أخذ عنه بها طلبة كثيرون ، ولما توفي السلطان المذكور وبويع ابنه السلطان مولاي عبد الملك ولاه يوم رابع شوال عام 1140 قضاء الجماعة بفاس الإبريسية خلفاً للقاضي محمد بن أحمد التماق ، فسار فيه سيرة حسنة وحمل الناس على جمع الكلمة ، فمالَت إليه القلوب واجتمعت محبَّتُها عليه ، حتى إنه لما تغلب السلطان أحمد الذهبي متقدم الترجمة على أخيه السلطان عبد الملك وعزل المترجم وولّى مكانه العلامة إدريس المشاط رفض أهل فاس ذلك ولم يقبلوا ولاية المشاط بل هجم عليه جماعة اللمطين لما دخل مقصورة القضاء بالقرويين ، فخرج هارباً ولم يسع السلطان أحمد الذهبي إلا أن يُعفيه بعد أربعة أيام ويعيد الشدادي المترجم إلى منصبه بظهير قرئ على منبر جامع القرويين فابتهج الناس بعونته وهدأت المدينة .

ولما تولى الملك السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل وأخذ العهد على نفسه للناس بتجديد عهد أبيه في الولايات أحرَّ المترجم لا عن رغبة عن قضاء الجماعة وردَّ الخطة لمن كان يتولاها في عهد أبيه وهو القاضي علي بن عبد الواحد بوغان ، وعيّن المترجم يوم 24 رمضان عام 1142 قضاءً فاس الجديد ، ثم بعد مدة تولى قضاء زاوية مولاي إدريس بزروهون مع الإمامة والخطابة بمسجده وعليه تُوفى .

وذكر محمد بن الطيب القادري في (نشر المثاني) أن المترجم ولي قضاء طنجة فكان يتردد إليها .

أخذ عنه طلبةٌ مُجِدُّونَ صاروا فيما بعدُ من صدور العلماء وجهابذة الفقهاء ، كالقاضي أبي القاسم بن سعيد العميري (2 : 154 ع 437) ومحمد التاودي ابن سودة المرّي .

له 1 - حاشية على شرح ميارة للامية الزقاق .

2 - وتقييد على تحفة ابن عاصم .

3 - وتقييد على العمل الفاسي .

4 - وفتاوي حسنة جداً أجاب بها عن أسئلةٍ متنوعةٍ لو جُمعت لجاءت في مجلدٍ ضخيم .

توفي يوم 15 جمادى الثانية عام 1146 واختلف في مكان وفاته ، فقيل بزاوية زرهون حيث كان يتولى القضاء ، وقيل بفاس ، ويظن أنه نُقل بعد وفاته من الأولى إلى الثانية حيث أُقبرَ خارج باب المحروق وبنى أهله عليه قبة (301) .

1682) أحمد بن صالح الكتاوي الدرعي ، فقيهٌ أديب ، وطبيبٌ شهيرٌ من بيت علم وصلاح بناحية وادي درعة من المغرب الأقصى ، وأصل سلفه من شاوية أوراس بالمغرب الأوسط ، ومنها ارتحلوا إلى بسكرة ثم إلى ناحية وادي درعة حيث طاب لهم المقام ، فلذا يقال فيهام الشاوي البسكري ثم الدرعي ، ورأيتُ مَنْ نَكَرَ أَنَّ صاحبَ (العقود اللؤلؤية ، في الأخبار الدرعية) رفعَ نسبهم إلى الإمام ادريس بن عبد الله الكامل ، ولم أره لغيره .

301) إتعا ف أعلام الناس 1 : 341 والأعلام للزركلي 1 : 93 وتكميلُ قضاء فاس للزياني (مصور مخطوط) ص 7 وحركة الأديب في المغرب على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 244 والدرر البهية 2 : 55 والروضة المقصودة ص 271 ومعجم المؤلفين 1 : 154 والموسوعة 3 : 148 ونشرُ المثاني 4 : 204 والفكر السامي 2 : 285 وفهرسة العميري (مصور مخطوط) ص 350 وفهارس علماء المغرب ص 318 و 418 وقضاء فاس (نسخة مرقونة) 2 : 246 و سلوة الأتفاس 3 : 196 وشجرةُ النور الزكية 1 : 336 ع 1322 واليوافيقُ الشمينة 1 : 46 .

ولد بالزاوية الصالحية القريبة من قرية تَاكْنُتِيت بإقليم ورزازات ، ونشأ بها ءاخذاً علومَ اللغة والدين عن والده صالح بن إبراهيم وهو عمده ، كما أخذ عن شيوخ ناحيته كالشيخ أحمد (ال خليفة) بن محمد ابن ناصر متقدم الترجمة في هذا الجزء ، وإبراهيم بن علي السباعي وأحمد الحبيب السجلماسي ، وأقبل من صغره على دراسة كتب الطب والعقاقير ، حتى صار يعالج المرضى على الطريقة العتيقة ، واشتهر بذلك اشتهاره بالتقوى والصلاح ، وصار الناس يقصدونه لأجل ذلك من جهات بعيدة ، الشيء الذي جعلَ السلطان مولاي إسماعيل ومَن جاء بعده من السلاطين يُصدرون ظهائرَ توجب توقيره وأسرته واحترامهم وإعفاءهم من أداء المغارم والقيام بالتكاليف التي يُطالبُ بها العوام .

وكانَ المترجمُ أديباً يتربص وينظم الشعر نظمَ الفقهاء ، ونثره أحسنُ من شعره لخلو شعره من جرس اللفظ وطلاوة المعنى وسقوط بعض أبياته ومخالفة شتى مقاطيعه وألفاظه لقواعد النحو والصرف ، وكان ناصرِي الطريقة ، أثيراً عند الشيخ أحمد بن محمد ابن ناصر الذي ربه ، محبوباً عنده بحيث لا يغيب عنه طرفة عين إلا سأل عنه وأرسل من يستدعيه لمجلسه ، وكانت له مجالسُ علمية حافلة بزوايتهم يُدرس فيها صحيح البخاري وغيره ، ومما يحكى عنه أن بعض حاسديه وشي به إلى الأمير محمد العالم بن السلطان مولاي إسماعيل مدعياً أنه يُصحف أحاديث الرسول وينطق بها ملحونة ، وكان هذا الأميرُ لما وصل بلاد درعة عام 1106 والياً عليها من قبل أبيه منعَ الناسَ من قراءة صحيح البخاري من أجل اللكنة والتصحيف والتحريف ، وكانَ يختبرُ الطلبة بالسرد في نسخة منه مكتوبة بخط مشرقى خالية من النقط والشكل ، فمن وجده يقرأ الأحاديث قراءةً جيدةً أقره وأجازه ، ومن رءاه يلحن أو يُصحف كلامَ الرسول منعه ، فلما اختبرَ المترجمَ وجده يقرأ الحديث النبوي بمنتهى الفصاحة ، فأقره على قراءته ، فقاد المترجمُ يطيرُ فرحاً ، وأنشأ قصيدةً يشمت فيها بالوشاة والحسدة ، مطلعها :

أيامعشرَ الحسادِ موتوا بغيظكم
فها رمضانُ قد تهلّل نورهُ
وقولوا وشقشقوا فما ضرنا القولُ
هلّموا لتسمعوا الحديثَ الذي أتلو!

وقد أَلَّفَ المترجمُ عدةَ تآليفٍ ، منها :

- 1 - اختصارُ الفوائد اللطيفة ، والمنافع الشريفة . توجدُ منه نسخةٌ مخطوطةٌ بالخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت نمرة 1370 د
- 2 - أنسُ الضيف ، في الشتاء والصيف . يتضمن مقالاتٍ نثرية ومقطعاتٍ شعرية لإيناس الضيوف المثقفين .
- 3 - تجديدُ المراسم البالية ، في السيرة الحسنة العالية . سيرة أبيه صالح بن ابراهيم.
- 4 - تنبيهُ السائل ، ببعض ما هو عنه سائل . فيه فوائد غريبة.
- 5 - تيجانُ الإخوان ، في بساط المحبة والإيوان . أَلَّفَهُ عام 1126 جمع فيه أسماءُ أصدقائه ومريديه ومكاتباتهم له . ذكر مَنْ رآه أنه في مجلد وسط .
- 6 - الرحلة الشافية ، في الزيارة الكافية . كتاب. أَلَّفَهُ عام 1093 عن حجة أخيه محمد بن صالح عام 1076 .
- 7 - جليةُ الكمال ، في أوصاف الحُسْنِ والجَمال . نظم شرحه في كراريس .
- 8 - لسانُ المواعظ الكافية ، في المقالاتِ القُدسيةِ الشافية . مجلد متوسط ، ذكر مَنْ اطلعَ عليه أنه جمع فيه جِكمًا وفوائدَ وقصائدَ في الثواب والرتاء .
- 9 - متعةُ العريس .
- 10 - النجومُ الشارقة ، في الأسرار الخرفية الفائقة . انتهى من تأليفه في منتصف شعبان عام 1100 توجدُ منه نسخةٌ مخطوطةٌ بإحدى الخزانات الخاصة بناحية وادي درعة .
- 11 - نورُ العيون ، في تلخيص سير الأمين المأمون صلى الله عليه وسلم .
- 12 - السُّنْدُ الشريف .

13 - الشجرة الشماء . مؤلف كتبه بخطه وحيسه علي أولاده في أوائل جمادى الأولى عام 1125 وُصِفَ بأنه كتابٌ ممتاز يعشقه كلُّ من رآه .

14 - شفاء الآكمه ، في عيون الفوائد والحكمة . كتاب اختصر به (الكنز المدفون ، والفلك المشحون) لتقي الدين الغزي ، منه نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط محفوظة تحت نمرة ك 395 .

15 - شفاء المريض ، في بساط القريض . ديوان شعري رتبته علي ثلاثة أقسام ، الأول في الأمداح النبوية ، والثاني في الحكم الشعرية ، والثالث في الغزل .

16 - الهدية المقبولة ، في حُلل الطبِّ المشمولة . قصيدة رجزية في الطبِّ من 1011 بيتاً أنتهى من نظمها عام 1103 ، يقول في تقديمها بعد المطلع :

سَمَّيْتُهَا الْهَدِيَّةَ الْمَقْبُولَةَ فِي حُلِّ الطَّبِّ بَدَتْ مَشْمُولَةَ
أَبْسَطُهَا فِي رَجَزٍ لِلطَّالِبِ لَكِي يَهْوَنَ حَفْظُهَا فِي الْغَالِبِ
مُجْتَنِباً مِنْهَا دَوَاءً يَصْعَبُ طَلَبُهُ عَلَى الْفَتَى إِذْ يَطْلُبُ

توجدُ منها ثمانِي نُسخَ مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط ، وواحدة بالخزانة العامة بالرباط نمرتها 955 ، ثم أشار عليه الشيخ أحمد بن محمد الغماري المعروف بالحبيب اللطمي السجلماسي بشرحها فشرحها عام 1111 هـ في نحو 20 كراساً وسمي الشرح :

17 - الدرر المحمولة ، في شرح الهدية المقبولة . توجدُ منه ثلاثُ نسخ مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط ، نمرتها 12030 و 9048 و 314.

وقصائده ومنظوماته كثيرة ، قد تطول حتى تتجاوزُ أبيات الواحدة منها المئين ، وقد تقصرُ حتى لا تتجاوز العشرة ، وهو يجعل لكل قصيدة او منظومة اسماً كأسماء الكتب ، فيختلط الأمر أحياناً على قارئ سيرته فلا يدري هل العناوين التي تعترضه أثناء القراءة أسماء لمؤلفات أو أسماء لأنظام ، خاصة وأن جل آثار المترجم مخطوطة ومغمورة .

تُوفِّي بزواوية كتاوة ليلة الخميس 22 محرم عام 1147 وقبره بها شهيد (302)

والمترجم هو جد الدكتور عبد الصمد الصالحي الطبيب الخاص لجلالة الملك الحسن الثاني الآتية ترجمته في حرف العين .

(1683) أحمد بن علي المنالي الزبادي ، فقيه من بيت علم وصلاح بفاس ، نسبهم في أهل البيت ، كان خبيراً بالفقه والأصول والعربية والبيان والمنطق .

توفي ليلة الخميس 8 شوال عام 1147 (303)

(1684) أحمد بن علي التاكوشي ، فقيه من أهل سوس بالمغرب الأقصى ، من قبيلة هناك تسمى تاكوشة (تاكوشة) ، قال في حقه الوزير المرحوم محمد المختار السوسي في كتابه (المعسول) : فقيه ذاعت له شهرة طنانة بعلمه وديانته وثروته ، ومحرراته يده موجودة بكثرة ، وقد حج ثلاث مرات ، واشتغل بالتجارة إلى تينبكتو .

كانت له مكاتبات مع بعض معاصريه من العلماء كالفقيه أحمد الصوابي نزيل ماسة آتي الترجمة بعده . وأخرى كان يكتبها إلى أهله من أسفاره .

تُوفِّي عام 1149 (304) .

302 الأعلام للزركلي 1 : 138 وأعلام درعة ص 27 وحركة الأديب في المغرب على عهد السلطان مولاي اسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 741 و 1332 وحضارة وادي درعة للمنونى ص 19 والدرة الجليلة (أطروحة مرقونة) ص 14 و 159 و 162 و 203 و 209 و 219 والدرر المحمولة (نكر مؤلفاته في مقدمته) ، والدرر المرصعة (أطروحة مرقونة) ص 3 و 61 و 111 و 189 و 194 و 250 و دليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 195 و 2 : 346 و دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية ص 114 والرؤى الزاهر (مصور مخطوط) ص 327 ومن خلال جزولة 3 : 66 و 108 ومعلمة المغرب 2 : 601 ومعلمة القرعان والحديث ص 147 والموسوعة 3 : 102 وفهارس مخطوطات الخزنة العلمية المسيحية بسلا ص 570 وفهارس الخزنة الحسنية 2 : 100 و 212 وفهارس مخطوطات الخزنة العامة بالرباط 1 : 177 و 2 : 324

(303) سلوة الأتفاس 2 : 188

(304) المعسول 8 : 79 ونقله في معلمة المغرب 7 : 2145

(1685) أحمد بن عبد الله الصوايي ، فقيهٌ ومحدثٌ مغربي من إقليم سوس ، من قبيلةٍ به تُسمَّى آاية الصواب (305) ، ولد عام 1095 وتفقّه بشيوخ زاوية تامكروت الناصرية كالشيخ أحمد (الخليفة) بن محمد ابن ناصر وأجازته ، والحسين الشرحبيلي وأجازته ، وعبد الله الواوكدمي وأجازته أيضاً .

ولما ملأ من فنون العلم وطابه صار يتنقل بين قرى قبائل سوس يبحث عن مكان يعظ فيه الناس ويعلم الصبيان والشبان فلم يحظ بالقبول الى أن ألقى عصا التسيار بأعلى وادي ماسة فوجد من السكان ترحيباً وتقديراً ووهبوه قطعة أرض بني فوقها مسكناً وأنشأ مدرسة للتعليم .

وكان مشاركاً في فنون شتى من العلم كالحديث والفقه والنحو وسائر علوم اللغة أقرأ كتبها وحديث بها وأخذها عنه طلبة كثيرون كمحمد بن أحمد الحضيكى الرسواطي الذي خصه بترجمة واسعة في رحلته وفي طبقاته . وكانت له مجالسُ علم حافلة يستمع اليه فيها الرجال والنساء في ءان واحد بينهما حاجز ، لاسيما المجالس التي كان يشرح فيها صحيح الامام البخاري ، مظهراً للسنة شديداً على أهل البدع صادقاً في أقواله ، جاداً في أفعاله ، نصوحاً في تربية طلبته وتعليمهم ، ذا آراءٍ في كيفية تلاوة القرآن ونقد شديد لوفيف محمد الهبطي الذي يتبعه أهل المغرب ، ووصف بأنه آخرٌ محدثي سوس لم يخلفه في علم الحديث أحدٌ فيه .

له رسائل كثيرة كتبها إلى شيوخه وطلبته وأصدقائه وأهله ، منها الرسالة التالية كتبها إلى شيخه أحمد (الخليفة) بن محمد ابن ناصر قبل ان يستقر به قرار :

«شيخنا أبا العباس

السلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته ، فإني أحمدُ الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد صدّنتنا عن حضرتكم العلية ، ومشاهدتكم الهنية ، أمواج الذنوب ، وتراكم العيوب ، والروحُ إلى تلك المقام في غاية الإشتياق ، ولم

(305) آاية الصواب : قبيلةٌ شهيرة بإقليم مشتركة آاية بهاء (ولاية أجدير) ، تتألف من بطون عديدة .

يُساعدُهُ الشَّبَحُ على ما يروقُ من الاتفاقِ ، وها أنا ذا متزوِّجٌ داخلٌ من باب الدنيا على أهلها ، خائفٌ فتنَّتْها ، مُستغنمٌ دعاءكم أن يُجبرني اللهُ من نوائب الدهر وشرٌّ من رامي بالخسْفِ من الناس ، فإنه كثيرٌ ، ويتوفيق اللهُ إِيَّايَ على ملازمةِ اتباعكم فإنني خفتُ الانسلاَلَ من تلك الرقعة الشريفة من حيث أشعرُ أو لا أشعر ، وقد كنتُ الآن ساكناً في بوكورة برسموكة (306) ومنهم تزوَّجتُ ، واستأذنتُ سيدي بالبناءِ ان رءاهُ لي أصلح ، وإن غيره فكذاك ، ويبعثُ لي نحواً من أربعة أبحارٍ أجعلها في الأركانِ تبرُّكاً ، وقد خرجتُ من زاوية سيدي مزال من مَضْرَةٍ لحققتني ممَّن تولَّى أمرها متواطئين على ان ينسبوا إليَّ ما أنا منه بريءٌ في علم الله ، ولما رأيتُ الرياسةَ المطلوبة ، وشغلوا فكري بمغالطةٍ يعلمُ اللهُ كذبها غنمتُ السلامةَ بالبعْدِ منهم ، ولم يزالوا يروموني بالخسْفِ والإذلالِ ، ولم تزلْ مُشتغلين بما تيسرَ من التعليمِ ، عالمين بما قاسيتُم مما يزيدُ اللهُ به رفعَ الدرجاتِ من الأمراضِ وبمعافاتكم منها فله الحمد ، وبالغ لنا في الدعاء ، وسامحننا سيدي فيما وجب لكم من الحقوق .

قال ذلك وكتبه الصوابي أحمد بن عبد الله لا حرمة الله ملاقاتكم ، وكتب لي بما رأيته (307)

وفيما يلي إجازة شيخه أحمد بن محمد ابن ناصر له :

«الحمدُ لله الذي من استندَ إليه وصل ، ومن انقطعَ إليه أتصل ، ومن تمسكَ بحبلِهِ المتينِ اعتصم ، ومن لاذَ بغيرِهِ انقصم ، أحمدُهُ حمداً يصحُّ به ضعيفُ إيماننا ، ويحسنُ به منكرُ أعمالنا ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد نعمةِ الله الكاملة ، ورحمتهِ العامَّةِ الشاملة .

أما بعد ، فإنَّ الأخ في الله ، والأحبُّ في جانبهِ ، سيدي أحمد بن عبد الله الصوابي ، التمسَ منِّي أن أجيزه ، وأن أتلفظ له في الإجازة ، جزياً على عادةِ أئمِّتنا في طلبِ الإجازة ، فأجبتُهُ إلى ذلك تحقيقاً لطلبته ، فأقول :

(306) رسموكة : تقدم التعريف بها في ص 63 من هذا الجزء .

(307) يُنظرُ جوابُ الشيخ أحمد عن هذه الرسالة في كتاب خلال جزولة 4 : 37

أجزت الأَخ المذكورَ بصحيح البخاري بسندنا عن الإمام الجامع بين الشريعة والحقيقة في مدارج الطريقة ، أبي عبد الله الوالد القُطب سيدي محمد بن ناصر ، عن البابلي ، عن السنهوري ، عن النجم الغيطي ، عن شيخ الإسلام زكرياء ، عن الحافظ ابن حجر ، عن ابن سليمان ، عن أبي بكر الطبري ، عن ابن أبي حزم المكي عبد الرحمان ، عن أبي عمار الكرابلي ، عن ابن أبي زر ، عن أبي زر ، عن السرخسي ، عن الفريزي ، عن الامام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم ءامين .

وأُذِنْتُ له في التحديث به عني بشرطه المُعْتَبَر عند أهل الأثر من التثبُثِ والتيقُظِ وتقوى الله في السرِّ والإعلان ، وزيادة الدعاء لي بحُسن الختام ، والله المسؤول أن ينفَع الجميع على الدوام .

وكتب عليه من ربيع النبوي عام 1125 عبيدُ الله : أحمدُ بنُ محمد بنِ ناصر كان الله له .

تُوفِيَ بِأسعَرَ كَيْسٍ يَوْمَ الثلاثاء 20 رمضان عام 1149 هـ ودُفِنَ بمقبرة سيدي بيورك بهشتوكة (308)

(1686) أحمد بن محمد الحميدي ، أديب من المغرب الأقصى قصرَ في حقِّه قومه وإن أشادوا بمهارته وبراعته ، فهم لا ينكرون تاريخ مولده ومكانه ، ولا يُشيرون إلى دراسته وتقلبه في الحياة ، ويُخَيِّلُ لقارئ التنبُّذ التي وردت في بعض الكتب عنه أنه أمام شخصين لا أمام شخص واحد ، فمحمد بن الطيب القادري نكره في (نشر المثاني) فيمن لم يقف على تواريخ وفياتهم من الأعلام ونعته بنعوت جميلة وقال إنه كتب للسلطان مولاي إسماعيل العلوي ولو لديه السلطانين مولاي عبد الملك ومولاي عبد الله ، وأبو القاسم بن سعيد العميري ذكر في (الفهرسة) أنه لقي بقبيلة غمارة

(308) حركة الأئيب في المغرب على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 1351 وخلال جزولة 4 : 14 و34 و37 و43 ورحلة الحضيكي (مصور مخطوط) ص 3 وطبقات الحضيكي 1 : 87 والمصول 8 : 86 وفهرسة التسكرنتي (مصور مخطوط) ، وفهرسة الحضيكي (مصور مخطوط) ، وسوس العالمة ص 190 .

(309) قاضيها أحمد بن محمد الحميدي دون أن يشير إلى أنه عمل بالدواوين السلطانية ، ومحمد بن عبد العزيز الموفق الثعالبي الجزائري اكتفى في كتابه (تنبيه نوي الالباب) بآثبات قصيدة في هجو تطوان واهلها لرجل من أصدقائه يُسمى احمد بن محمد الحميدي دون أن يشير إلى أنه خدم السلاطين او تولى خطة القضاء ، وعبد السلام بن أحمد سكيرج أشار في تاريخه لتطوان المسمى (نزهة الاخوان) إلى (الحميدي) الذي كان يكتب لباشا طنجة احمد بن علي بن عبد الله الحمامي الريفي ويتجسس عليه للسلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل .

وأستحسن أن أنقل ما كُتِبَ عن هذا الاسم في المراجع التي وقفتُ عليها حتى تظهر مراجعُ أخرى تفي بأخباره ، وتدون جديداً من ترسلاته وأشعاره :

ففي كتاب (نشر المثاني) لمحمد بن الطيب القادري كُتِبَ عن هذا الاسم ما يلي : (ومنهم الكاتب الأرفع ، والبدر الأطلع ، صاحبُ القلم الأعل ، واللفظُ البليغُ الأحلا ، السيد أحمد بن محمد الحميدي ، أديبُ تحرير ، له أنظمةٌ رقيقةٌ ، وقَدَّمَ إلى المعالي سبيقةً ، وخطُ حسن ، وسمتُ مستحسن ، عالي الهمة ، عظيمُ الحرمة ، كُتِبَ للخليفة الأعظم المنصور بالله ، مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف الحسنِي السُجُلْماسِي ، ثم لولده السلطان الخليفة مولانا عبد الملك ، ثم لأمير المومنين الخليفة السلطان مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل الشريف الحسنِي ، فكانَ يُحسنُ الترسيلَ والإنشاءَ والترتيب ، ويأتي من البلاغة بالعجب العجيب ، ينصتُ لألفاظه الأحباب ، ولا يدركُ بلاغته جميعُ الألباب ، فَعُرِفَ بذلك فضلُه ، وعُلمَ به عند السلطان قدرُه وخطره .

ورأيتُ في (الفهرسة) لأبي القاسم بن سعيد العميري الجابري التادلي نكراً لفتيه أديب اسمه أحمد بن محمد الحميدي لقيه بغمارة عندما توجه من

(309) غمارة : قبيلة كبيرة بإقليم شفشاون مساحلة للبحر الأبيض المتوسط ، تشمل على القبائل العشر التالية : بني بوزرة - بني جرير - بني خالد - بني رزين - بني زجل - بني زيات - بني ليث - بني منصور - بني سلمان - بني سموح .

مكناس إلى الريف (310) لما اشتدَّت الفتنُ بالمغرب عَقَبَ وفاة السلطان مولاي إسماعيل عام 1139 هـ ووصفَه بالعلم والأدب والظرف ، ولكنَّه لم يُشْرَ إلى عمله مع السلطان مولاي إسماعيل وولديهِ من بعده ، مما يوهمُ أن يكونَ رجُلًا آخرَ غيرَ المترجم اشتراك وإياه في الاسم والنسب والمعاصرة ، وها أنا أنقلُ نصًّا ما ذكرَه عنه في (الفهرسة) على طوله لأنه لم يسبقُ نشرُه ، ولما فيه من الفوائد ، فقد يكونُ إياه ، وهو قولُه :

«وممن لقيتُهُ في تلك الوجهة من أعيان تلك النواحي ، ووجوه هاتيك الضواحي ، قاضي غمارة ، وواحدُ تلك العمارة ، الفقيه الزكيّ الالعميّ النزيه ، السيد أحمد المدعو (ابو سلام) الحميدي ، فسُرُّ بقدمنا عليه ، واستحمد لنا من كان أشار بنا إليه ، ورأينا منه إكراماً جميلاً ، وإحساناً جزيلاً ، وإذا هو مع ذلك ممتعُ المجالسة ، عذبُ الفكاهة ليس يَمَلُّ طولها من جالسِه ، إلى أدبٍ يُسلي المحزون ، وينسي أنسَ من كان سمرَ بينَ الصفا والحجون ، ويسبي القلوبَ برشاقته ، ويُرِي الناظرَ فيه غايةَ بلاغته ، فمن ذلك ما كان خاطبنا به يومَ عيد الفطر ما نصُّه :

يهنيكم العيدُ عيدَ الفطر في سفرٍ	معجّلُ العودِ في الأمانِ للحضرِ
وإن تكنَ في القلوبِ منكم كُربٌ	فمثلكم في الوري يرضى عن القدرِ
وكم مساءٍ يسوءُ ثم يعقبُه	فتحٌ من الله بعد العسرِ في السحرِ
وكم ألمتْ ملَماتٌ بصاحبها	فجاءها الفرَجُ المرغوبُ في الأثرِ
وإنكم لبنو علمٍ ومعرفةٍ	من والدٍ عالمٍ بالوردِ والصدرِ
فأجبتُه بقولي :	

هنيئًا بالعيدِ عيدَ الفطر في سفرٍ	وقلتِ عودٌ على الأمانِ للحضرِ
ياحبذا الفألُ إن صحَّ المقالُ بهِ	وصدقَ الزجرُ ما أوهمت في نظرِ
وأنتِ أعلا وأولى ان تهنا بما	هنيئًا إخوة صدق من أولي الفكرِ
وعزمةُ اليمنِ والإيمانِ داعيةٌ	إلى الرضا بالقضا في الوردِ والصدرِ

(310) الريف : ناحية بشمال المغرب مساحة للبحر المتوسط ، تشتمل على قبائل إقليم الحسيمة وبعض قبائل إقليم تازة ، وغربيه تقع ناحية جباله ، ويتوسع الأوربيون في تحديده فيجعلونه يمتد من نهر ملوية شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً .

وربَّ أمرٍ يسوءُ المرءَ فاجئُهُ
وكمْ وكمْ فرَجَ الرحمانُ مِن كَرَبِ
فينجلي بعدما أشفى على خطر
وأعقبَ اليسرَ بعد العسرِ في الأثر

وكانَ لنا معه مساجلاتٌ ومراسلاتٌ كَمَلْ بها إحسانُهُ ، وصالَ بها في
جانِبِ الكمالاتِ يَدُهُ ولسانُهُ ، منها ما كان ودَّعنا به حينَ انصرفَ عنا ، وعلقَ
بما أَلِفَهُ من الأُنسِ منا ، فقال :

أودَّعكم وفي قلبي حنينُ
فكيف إذا تطاولَ بي زمانُ
أودَّعكم وقد أودعتُ قلبي
وأرجو فضلكم في رغي ودِّي
وكلُّ منكم خلٌّ وفِيَّ
يحقُّ ذاك لي منكم عيانُ
فأجبتُه :

لكَ المجدُ المؤتَّلُ مُستبينُ
وبركٌ لا يزالُ به لِساني
كتبتُ لنا وداعك في كتاب
بنظم لو يباعُ لكان حقًّا
براعتهُ تُباهي زهرَ روضِ
يمينك كُلمًا كتبتُ أجادتُ
أبا العباسِ لو يُجدي فوادي
ولو أن الأنينَ يُفيدُ شيئاً
ولكن للنوى أمدٌ إليه
سارعي ودكم ما دمتُ حياً
تعينُ على النوائبِ إن ألمتُ
وتلقى الضيفَ بالبشرى وتقرى
ومهما اعتاضَ في علم سؤال
نفيَّ عرضهُ من كلِّ سوءٍ
وتلك مكارمٌ لا قعبُ ماءٍ
وعن أخلاقك الحسنى مُبينُ
شكوراً والحديثُ به شجونُ
تعاطى كتبه أدبٌ ودينُ
لأدنى درهٍ ثمنٌ ثمينُ
يراعتهُ عريكتها تليقُ
وجادتُ بالمنى نِعَمَ اليمينُ
حنينُ طالَ بَعْدُكم حنينُ
لِما بالقلبِ ما فترَ الأنينُ
تناهي أمره وبه يهونُ
وحقُّ لا أخونُ ولا أمينُ
وتحملُ كلُّها أيأ تكونُ
غواشيهُ وقد لزمْتُ مؤونُ
فأحمدُ بالجوابِ به فطينُ
يساءُ به ومن شينٍ يشينُ
ببيتِ شابهٍ لبِن حقينُ

فنامل أن تعودَ لنا قريباً
وتؤثي خيراً ما ترجو وتحظي
ودوتك من صنيع الفكر نظم

على خير وحاسدكم حزين
بما ترضى وأنت به قمين
تقرُّ لحسن موقعه العيون

ولما وصلته حرَّكتُ منه كلَّ ساكن ، وتزعزعتُ منه للمراجعة قوائم
تلك المساكن ، فكتب لي ما نصه :

أنظمك في جيد الطروس أم الدرُّ ؟
وفكرُك أملِي ما نراه مسطراً
كذاك يصاغُ القولُ للشعرِ حلية
تنكب عن عون المعاني بلاغة
كأنه بدعُ للبديع فلفظه
إذا نُقِشت أبياتُه في صحيفة
تقول ولكن للبيب إشارة
تجانس وصف قائلِي ومداده
تودُ قصيراتِ المجال لو أنه
ولو علقتُه في النحور قلانداً
يضوعُ شذاهُ للأنوف كأنه
وهبك كتمت أو سكتت نزاهة
أبا القاسم بن العالم العلم الذي
سعيد العميرِي الذي لم يجاره
فما قصباتُ السبق إلا لفهمه
ولا تُرفَعُ الرايات إلا لعلمه
فأنت له فيما اقتنى خير وارث
وإن غاب عنا العلم من صدر والد
ولا عجب إن قيل أنت تفوقه
تسل عن الهم المبرح بالحشي
وإن جاء عباس من الخطب هائل
وإن لقمكم جور من الدهر برمة

أم النيراتُ الزاهرات أم السحرُ ؟
أم الجدولُ الزخارُ فاض أم البحرُ ؟
وإلا فلا نظم يُقال ولا نثرُ
فلم يات معنى إلا وهو له فكرُ
يتيه به شطرٌ ويزهو به شطرُ
حسبنا لحسن سببها أنها تيرُ
إذا حليت ثم استقل بها سطرُ
فذاك له حبرٌ ، وهذا له جبرُ
بأعناقها مكان أعلاقيها دُرُ
لما احتاج للعقبان من نحرها سحرُ
رياض من الأزهار ثم بها نشرُ
أخفى نكي المسك والعنبرُ الشحرُ
جرى في أقاليم البلاد له ذكرُ
إلى غاية العلياء زيد ولا عمرو
إذا استن لأخبار في معضل فكر
ولا ينتهي في الرأي إلا له الأمرُ
كأن لم يغب عناً ولم يحوه قبرُ
فقد حازه من بعده ولد صدرُ
فإن ضياء الشمس يسبقه الفجرُ
فرب عسير كان في طيه يسرُ
ففي إثره الصحاك يعقبه بشرُ
فلا بد بعد اللف أن يحصل النشرُ

كَأَنَّ قَدْ أَتَاكَ الْفَتْحُ وَانْبَعَثَ النَّصْرُ
يُبَلِّغُهَا مِنِّي التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ
بِحَلِيَّتِهِ إِلَّا الْمَثُوبَاتُ وَالْأَجْرُ
وَبِنْتَمَ فَبَانَ الصَّبْرُ وَاشْتَعَلَ الْجَمْرُ
جَرَى قَدْرًا بِالْبَيْنِ فَاتَّضَحَ الْعَذْرُ
سَخَطْنَا وَقَلْنَا بِنْسٍ مَا فَعَلَ الدَّهْرُ
وَعَمَا قَرِيبَ بَانَ فِي جَمْعِهِ كَسْرُ
فَلَمْ يُعْطِ عَهْدًا إِلَّا فِي طَيْهِ غَدْرُ
وَمَنْ شَرُّ وَصَلٍ فِي عَوَاقِبِهِ هَجْرُ
مُؤَلَّفَةٌ مَا دَامَ يَجْمَعُهَا صَدْرُ
عَلَى صَحَّةٍ حَتَّى يَقُومَ لَهُ جَبْرُ

كَذَا وَعَدَّ الرَّحْمَانُ وَالْوَعْدُ صَادِقٌ
وَاللنَّكِبَاتِ وَالنَّوَابِتِ غَايَةٌ
وَهَلْ هُوَ فِي الْعُقَيْبِ لَمَنْ بَاتَ حَالِيًا
حَلَّتُمْ مَحَلَّ الْأَنْسِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَلَيْسَ بَغْدِرٍ مَا فَعَلْتُمْ وَإِنَّمَا
وَلَوْلَا عَقِيدَةُ الْإِيمَانِ وَنُورُهَا
غَدَا يَجْمَعُ الْأَحْبَابَ جَمْعَ سَلَامَةٍ
وَمَا هُوَ إِلَّا حَاسِدٌ أَوْ مُعَانِدٌ
نَعُودُ بَرِّ النَّاسِ مِنْ شَرِّ حَاسِدِ
وَإِنْ تَفْتَرِقُ أَجْسَادُنَا فِقُلُوبُنَا
ضَمَانٌ عَلَى الْأَيَّامِ تَجْمَعُ شَمَلْنَا

فَأَجِبْتُهُ بِقَوْلِي :

وَمَنْ دُونَ تَرْصِيعِ بِهِ الْأَنْجُمُ الرَّهْرُ
شَدَى طَابَ إِلَّا أَنْ عَنَبْرَهُ شَحْرُ
بَطْرَسِكُ إِلَّا أَنْ بَابِلَهُ شَعْرُ
بِهِ سَاحِرَانِ لِلنَّهْيِ الطَّرْسُ وَالسَطْرُ
وَحَسَّنَ مِنْ حَسَانِهَا النَّظْمُ وَالنَّثْرُ
فَغَاطَ سَجُولَ الْمُوصِلِي ذَالِكَ الْبَحْرُ
بِمَصْرَ وَلَيْلِيَاتِهِ مَا بَدَأَ فَجْرُ
حَرِيرِ الْحَرِيرِي مَا جَرَى لِهَمَّا ذَكَرُ
بِهَا لِيُوا الْإِنْشَاءَ طَيِّ وَلا نَشْرُ
تَكَلَّفَ نَطَقَ الرَّاءِ مِنْ فَمِهِ الثَّغْرُ
وَشَبَّهَتْهَا فَالْشَّمْسُ نَظْمُكَ وَالنَّثْرُ
فَوَائِدُهَا مَا رَاقَ مِنْ دُونِهَا نَحْرُ
وَلَوْ زَانَهُ لَوْنٌ وَنَمَّ بِهِ تَشْرُ
قَرِيحَةُ صَدْرٍ لَا يَقَاسُ بِهِ صَدْرُ
مَحَامِدُهُ لَا بَعْدَ أَحْمَدِهَا شُكْرُ

تَقَاصِرَ فِي الْإِحْسَانِ عَنْ نَظْمِكَ الدَّرُ
تَعَرَّفَ عَرَافُ الْقَرِيضِ بِعَرَفِهِ
وَسَلَّى عَلَى الْبَلْبَابِ نَافِثَ سَحْرِهِ
نَزَعَتْ إِلَى حُسْنِ بِنَظْمِ تَظَاهِرُ
قَوَافٍ تَجَلَّتْ لِلخَلِيلِ وَوَزْنِهِ
وَجَرَّ بِهَا ذَيْلَ الْكَمَالِ جَرِيرُهَا
تُبَاهِي زُهَيْرًا فِي مُزَيْنَةِ وَالبِهَا
فَلَوْ نَافَسَتْ بَدَعَ الْبَدِيعِ وَلا مَسَتْ
وَلَوْ نَالَهَا وَالي الْكُتَيْبَةِ مَا بَدَأَ
وَلَوْ وَصَلَتْ يَوْمًا لِمَنْطِقِ وَاصِلِ
مَتَى زَهْرَتْ بِالنَّيِّرَاتِ مَنَازِلِ
يَرَى الْفَتْحُ لَوْ أَنَّ الْقَلَانِدَ قَلَدَتْ
وَمَا زَهْرُ رِيَاضِ يَحَاكِي مَثِيلِهَا
وَلا عَجَبٌ أَنْ حَاكَ وَشَنِي بَدِيعِهَا
زَهَتْ بِ (الْحُمَيْدِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ)

زمان توألى حاله الكسر والجبر
سيادتك العليا وقد يحسن الدهر
تعلق عنه حيث كان لك الصدر
يوافيك ما يرجوه سرُّك والجهر
بعثت بها ياحبذا الشفع والوتر
ولله فينا علم غيب له سر
مع العسر يسر لا محالة والأجر
قريباً ، فأما الصبر لم يبق لي صبر
كريم جوار لا يخاف به ضر
أجاريك فيما صاغ ناصعه الفكر
تنافس فيها سادة قادة عر
فمئك - وقيت هم - يلتمس العذر
لمكناسه شطر وعندكم شطر
إلينا ، ألا لرَبنا الخلق والأمر

تسلم (أبا سلام) السلم من أذى
وفي طي ما أبلى به الدهر صحبتي
فلا اختشي من فعله عملاً فقد
وقيت على بُعد ومثلك من وفي
وشفعت إحساناً بحسن رسالة
وءاسيت من هم به المرء يلتظي
ولا شك أن الحال ما قال ربنا
ولي أمل في الله أرجو نفوذه
على أن لي بالله جل جلاله
ولست بما جادت به اليوم فكرتي
وما قنعت نفسي بنظم نفاثس
وإن قصرت بي عن جوابك همة
فكيف ولي قلب تقسم فانثنى
وإني لأرجو الله فيما رجوته

والحميدي المترجم هو صاحب القصيدة الشهيرة التي تحامل فيها علي
مدينة تطوان وأهلها وأقذع في نَمها ونَمهم ووصفها ووصفهم بما لا يُصدقُه
عاقل ولا يقبله منصف ، وقد أثبت نصّها صديقُه محمد بن عبد العزيز
الموفق الثعالبي الجزائري في كتابه المُسمّى (تنبيه ذوي الألباب ، ليحذروا
من تدليس لوكس الكذاب) ، وسببها أن الفقيه الحاج عمر الوقاش (لوكس)
لما استبدّ بحكم تطوان وتشوّف إلى الملك وحصل بينه وبين حاكم طنجة
الباشا أحمد بن علي بن عبد الله الحمامي الريفي تنافس على حكم الشمال
الغربي للمملكة نظم أحمد بن محمد الحميدي - وكان من مستخدمي باشا
طنجة - القصيدة المشار إليها في نَم تطوان وأهلها ولا سيما حاكمها الحاج
عمر الوقاش ، وقد أحجم المؤرخون عن إثبات تلك القصيدة لما فيها من
السبّ الفظيع والتلبّ الشنيع ، ولكني أثبتُها في هذه الترجمة لا نكأ لجرح
تقادم ، ولكن لأنها تمثل لونا من ألوان الأدب السياسي في العصر العلوي .

قال محمد الموفق الثعالبي في (تنبيه ذوي الألباب) : «... ثم اطلعت
على قصيدة ثالثة ، في هجوه وهجو أهل بلده ثابتة ، للعلامة القاضي

الأديب ، الدراكة المشارك الأريب ، مَنْ أخلصَتْ له صفاءٌ ودِّي ، وهو
عندي كعضدي وزندي ، سيدي محمد بن أحمد الحميدي :

يا أهل تطاؤون (311) لا درْ درُكُمْ
زعمتُمْ أنكم كطنجة غلطاً
شرطُ القياس التساوي وهو مفتقدٌ
لسنمٌ سواءً ووجهُ الفرقِ بينكم
أين الذي زعمتْ غوغاؤكم سفهاً
أُكذِب قولهُمُ بابُ النوار (312) إذْ
فكم جريح. به منكم مقاتلُهُ
لنتمْ وعنتمْ بحصن الذيب (314) ويلكم
لا ننببُ ينجيكمُ كلاً ولا ضبُعُ
برُّ الهمامُ أبو العباس نجلُ علي
لولا شفاعَةُ ربّاتِ الحجال لكم
عفا وعافَ الحرِيمُ فانثنى كرما
ألقوا السلاحُ وأدوا الخرجُ إنكم
لم تُغنْ عنكم بنو جالوتَ مذْ حُسدوا
أضفتموهمُ ببضعٍ من بنايتكمُ
فصرتُمْ وهمُ صرعى كأنكمُ
ذواتكمُ لذبابِ السيفِ أعمدةٌ
إن غرَّكم من شياطينِ لكمْ عمراً

ولا سقى أرضكم من مزنة مطرُ
والعذرُ عنكم لذاك أنكم بقرُ
في شكلكمُ والدليلُ عندنا البصرُ
أنهم أسدٌ وأنكم حُمُرُ !
بين الأزقة في اليوم الذي غدروا
أدَّى ضراغُمُ أهلِ الريفِ ما نذروا
قد أنفذتْ وقتيلِ نمهُ (313) هدرُ
هل يعصمُ الذنبُ من أسدٍ إذا زأروا
من الذي ساقهُ إليكمُ القدرُ
في حلفِهِ وانقضى منكم له الوطرُ
لم تبقَ عينٌ تُرى منكم ولا أثرُ
لسيفِهِ أن يناله بكمْ قدرُ
في نمةِ المسلمين كالأولى كفروا
مثلُ الذبابِ من الأجيال وانحدروا
فهنَّ في الوصفِ أبقارُ ولا عذُرُ
أعجازُ نخلٍ من الرياحِ تنقعُرُ
وهامكمُ لأسنةِ القنا ثمرُ
فالسيفُ أصدقُ والعسالُ لا عمُرُ

(311) تطاؤون لغةً في تطوان ويقال أيضاً تيطاوين ومعنى الكلمة باللغة البربرية العيون مفردتها
نيط .

(312) باب النوار : أحد أبواب تطوان ، يقع آخر شارع العيون الطويل في الشمال الغربي
للمدينة ، كانت به وقعة كبيرة بين أهل تطوان وبين الريفيين أتباع الباشا أحمد بن علي بن عبد الله الحمامي
انصروا فيها الأخيرين على الأولين .

(313) الدم بالتشديد لغة في الدم بالتخفيف وهي لغة أهل المغرب .

(314) حصن الذيب : لم أتمكن من تحديد موقع هذا الحصن أو البرج ، ولا شك في أنه أخذ المواقع
التي اعتصم بها أهل تطوان أثناء الصراع بينهم وبين الريفيين أشياح الباشا أحمد الحمامي الريفي .

خَلُّوا الحروبَ لأهل الحرب حَسْبُكُمْ التَّفْتُ والفُجْلُ والكَرْنُبُ والجَزْرُ
ويَبِغُ حوتٍ بملاح اليهودِ وإن تَبِغُوا الفَخارَ فخمِرُ الدَّنِّ مُدْخَرُ
أنتم سِوَاءَ ووالِيكم وبلدنتكم فيكم وفيه وفيها العُجْرُ والبُجْرُ
فلا يفي القولُ منثوراً بِنمكم ولا تحبُّ به الأوزانُ والفقْرُ

ورأيتُ في كتاب (نزهُة الإخوان ، وسلوة الأحران ، في الأخبار
الواردة في بناء تطوان ، ومن حكم فيها أو استقرَّ من الأعيان) تاليف الفقيه
عبد السلام بن أحمد سكيرج - نكراً لكاتب يُسمَى الحميدي كان يخدم باشا
طنجة أحمد بن علي بن عبد الله الحمامي التَّمَسْماني الريفي ويتجسَّس عليه
للسلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل العلوي ، وهو دون شكُّ صاحبُ
القصيدة المتقدمة في هَجْو تطوان ، وفيما يلي ما كتب سكيرج عنه :

«... كما حدَّثني (الفقيه الوجيه سيدي محمد الفاسي) أن كاتباً من كتاب
الباشا (أحمد الريفي) كان يكتب مولاي عبد الله بكل نازلة وقعت عند الباشا
أحمد ولا يدعُ شأدة ولا فآدة إلا أعلمه بها ، والكاتب المذكور هو الحميدي ،
فكتب صاحب فراش مولاي عبد الله للباشا بذلك ، وأعلمه بالخبر ، فكتب
له أن يبعث له بطاقةً من تلك ، فقال له لا أبعثها لك حتى تُعطيني ألفَ مقال ،
فأذن لرجلٍ من فاس أن يدفعه له ، فلما قبضه أي الألف مقال قال لمولاي
عبد الله : ياسيدي ، هذه البطاقاتُ عمرتُ هذا الموضعَ نعيذُ قراءتها ، فما
كانت فيه الحاجةُ نُثْرِكُهُ ، والباقي نُحْرِقُهُ ، فأحضروا مجمرأ مملوءاً بالنار ،
وجلس مولاي عبد الله وصاحبُ الفراش يقرءون البطاقات ، والتي لا حاجةُ
فيها يضعونها في المجر ، فمرَّ كتابٌ من كُتُب الحميدي فوضعه تحت
ركبته ، فقال له مولاي عبدُ الله : أرني الكتابَ ولا تُحرقه ، قال ياسيدي
إني حرقته ، لا حاجةُ لنا به ، غداً ترد عليك كُتُب ، فلما فرغوا من قراءة
الكُتُب وخرج صاحبُ الفراش بالكتاب معه تمارضَ يوم الآخر غداة قراءة
الكُتُب ، فعاده مولاي عبد الله مرتين في يوم ، ولم يزل يمارضُ ومولاي
عبد الله يعوده إلى يوم الأربعاء ، فعاده وخرج ، وسار الليل كلُّه ، وصباح
يوم الخميس دخل طنجة ودفعَ الكتابَ للباشا ورجع ووصل لمكناسة بعد
صلاة عصر يوم الخميس ، ولما دخل داره قدّم عليه مولاي عبد الله ليعوده

فوجدَه في أشدِّ حالٍ من فرط مسيره ، فبعث لطبيبٍ ليعالجه فبرئ وخرج ، وكان الباشا أحمدُ يجاءُ بالعشاءِ كلَّ يومٍ لدويريةٍ كان يُقصرُ فيها ، فإن أرادَ القيامَ لداره يقول : ءانية العشاءِ تدخل الدار ، وإن أرادَ المبيتَ يقول : ادفعوها لمكان في الدويرية ، فلما أرادَ أن يُشافة الحميدي ويريه الكتاب قال أدخلوا ءانية العشاء للدار ، وجعل أصحابه يسرون لدورهم ، ورجع الباشا لمكانه واستدعى الحميدي ، فلما جاءه أراه الكتاب ، فقراه ، فقال له : هذا خطك ؟ قال له نعم ! قال إنك تكاتبُ مولاي عبد الله ، قال له نعم ، وصدقه في كلِّ ما قال ، فأجابه الباشا : إني أسجنُ وأنت تطلق ، وتسجنُ أنت ولا أقدر على الطلوق ، وعندك المواشي والحرث ، وأنت أشدُّ مني سطوةً وهياةً ، إني إن ضربتُك أو قتلْتُك يتحدثُ الناسُ أني أقتلُ أصحابي ، عليه الحرامُ من ثلاثِ نِسوةٍ لا تخرجُ من السجن حتى تموت ، وأدخله سجنَ طنجة ، وكان الباشا يقفُ على حرثه ومواشيه وجميع أموره الى ان تُوفِّي بحوز القصر كما نُكر .

وقدم مولاي عبد الله طنجة ووصل السجن وجعل يطلق كل من فيه بعد أن يسأله عن قصته ، فخرج الحميدي فسأله فأخبره ، فقال له : اذهب ، إنك لم تحظ في عيني لكونك بياعاً ! فلم يحظ في عينه .

تلك نماذج مما كُتب عن أحمد بن محمد الحميدي كاتب السلاطين ، وقاضي غمارة ، و(الحميدي) كاتب الباشا أحمد الريفي ، والأيام كفيفة بإطلاعنا على مزيد من أخباره وعديد من ءثاره .

توفِّي عام 1150 هـ حسبما وجدتُ في جذاذته من مجذتي ، وذهلتُ عن المرجع الذي نقلتُ منه هذا التاريخ (315) .

(315) تاريخ تطوان 2 : 198 ، وتنبه ذوي الألباب ، ليحذروا من تلبيس لوئس الكذاب (مصور مخطوط الخزانة الحسنية) ص 18 وحركة الأدب في المغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 113 و1146 ونزهة الإخوان ، وسلوة الأحران ، في الأخبار الواردة في بناء تطوان ، ومن حكم فيها أو استقر من الأعيان (مصور مخطوط الفقيه السيد محمد بوخيزة بنطوان) ص 32 و33 ونشر المثاني 4 : 200 وفهرسة أبي القاسم العميري (مصور مخطوط) ص 32 و33 .

(1687) أحمد بن سعيد العُميري ، فقيه مغربي ينتمي إلى أسرة مشهورة بالعلم والأدب بمدينة مكناس ، وأصل سلفه من بني جابر أحد بطون قبيلة بني عمير (316) الكائنة مواطنها بسهولة تادلة ، أخذ عن والده القاضي سعيد العميري ، وعن الفقيه الشهير الحسن ابن رَحَال المَعْداني وغيرهما من الفقهاء والعلماء ، نكحَ عبدَ الرحمان ابنَ زيدان في (إتحاف أعلام الناس) أنه من أعيان علماء الدولة الاسماعيلية وحاملي لواء التدريس وبيتُ العلم في صدور الرجال .

وذكر أخوه أبو القاسم بن سعيد العُميري في (الفهرسة) بعض أخباره ، فمنها أن أحمد المترجم كتب له من فاس أيام سكناه بها كتاباً في غرضٍ تعدّر عليه قضاؤه لأمر عرض ، وكان تمثّل فيه بقول القائل :

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما
اليوم حاجتنا اليك وإنما
نجحُ الأمور بقوة الأسباب
يُدعا الطبيبُ لقوة الأوصاب
فأجابه أبو القاسم بقوله :

طمحت إليك عيونُ عذرا أعوزت
أضيتُ فيك عزيمة لو أنها
ما ذا عليّ إذا سعيْتُ وعاقني
فاعدُدْ (317) أحاك لغيرها وتولّه
لو كان يُمكن ما ترومُ ودونه
ما كان يعدلُ عن هواك وإنه
منك الرجاء بجلة الكتاب
سمحتُ منافذها برفع نقاب
قدّر تلونَ لي بغير خضاب؟
لجليل أزمنةٍ بخفض جناب
لأخيك طعمةً حنظل أو صاب
يبيغي الصنعةَ في ذوي الاحساب

وذكرَ فيها نثراً بليغاً خاطبه به لما نشأتُ بينهما مشاحنة نالت من كلّ منهما بعد وفاة والدهما القاضي سعيد ثم عاد بينهما الودُ والصفاء .

(316) بني عمير قبيلة كبرى باقليم بني ملال ، تنقسم إلى قبيلتين كبيرتين : بني عمير الشرفيين وبني عمير الغريبين ، أكبر بلداتها دار ولد زيدوح .

(317) كلمة اعددُ لا تستعمل إلا رباعية في هذا المعنى ، وقد غلط القاضي سعيد العميري ولده أبا القاسم صاحب (الفهرسة) في استعمال فعل الأمر من الثلاثي ، ولأبي القاسم كلامٌ طويل عن اللحن في (الفهرسة) ص 107 .

أخذ عنه محمد بن محمد بن عبد الرحمان بصري .
تُوفِّي في شهر شوال عام 1150 (318) .

1688) أحمد بن حليم الورفلي ، من علماء ليبيا ، أخبار حياته قليلة ، ذكروا منها تأليفه لكتاب في الفقه سمّاه (الحليمية) ، وله تأليف أخرى في الفلك والمنطق .

كان حياً في شهر رجب عام 1150 (319) .

1689) أحمد بن محمد الجُماني ، فقيه من الصحراء المغربية ، أخذ عن الفقيه الحسن بن أعبد الزيدي ، كان يحفظ نصوصاً كثيرة لما خرج من تشبث ، ذكره محمد البرتلي في (فتح الشكور) وقال إنه كان من الفقهاء الأتقياء ، والصلحاء النجباء ، له فتاوي تدل على سعة باعه في الفقه .

مات عام 1151 (320) .

1690) أحمد بن أحمد العربي التلمساني ، فقيه مالكي أندلسي السلف ، تلمساني الشهرة ، أزهري التعليم ، أخذ الحديث عن عبد الله بن سالم البصري المكي وأحمد بن محمد النخلي المكي وغيرهما من علماء الحرمين ومصر والمغرب ، وأخذ عنه علماء من المشرق والمغرب كأبي سالم الحفني وعلي بن موسى المقدسي الحسيني ، ذكره عبد الرحمان الجبرتي في (عجائب الآثار) ووصفه بالأستاذ العارف ، ونقله عنه أبو القاسم محمد الحفناوي الديسي في (تعريف الخلف) وسماه أحمد بن عثمان بن علي ... التلمساني وليس بصحيح ، ونقله عن الأخير عادل نويهض في (معجم أعلام الجزائر) وزاد أنه رجل صوفي ولد ونشأ بتلمسان ءأخذاً عن مشيختها

318) إتحاف اعلام الناس 1 : 344 و 4 : 99 و 5 : 558 وفهارس علماء المغرب ص 422
وفهرسة الفميري (مصور مخطوط) ص 106 - 107 - 335 - 340 - 342 .

319) دليل المؤلفين العرب الليبيين ص 42 .

320) فتح الشكور ص 47 ع 26 .

ثم رحل إلى المشرق وحج وأخذ عن علماء مصر والشام والحرمين ، وأظن أن المترجم اشتبه عليهما بتلمساني آخر .
مات بالقاهرة عام 1151 (321) .

1691) أحمد بن علي النوري ، فقيه صوفي من أهل مدينة صفاقس
بتونس ، طلب العلم أولاً ببلده وعمدته فيه والده الشيخ الشهير علي بن محمد النوري ، ثم رحل إلى المشرق فلقى به أعلاماً وأخذ عنهم ، ولما عاد إلى وطنه لازم أباه في القيام بشؤون الزاوية التي أنشأها إلى أن استقل بتسييرها بعد وفاته بمعاوضة أخيه محمد ، وكان فقيهاً عالماً متفنناً مريباً معدوداً في الطبقة العليا من العلم والعمل به .

أخذ عنه ابنه محمد وعبد الله ، ومحمد كمون ، ومحمد بن علي الفراتي ، ومحمد الخميري ، ومحمد خروف ، وغيرهم .
توفي عام 1151 (322) .

1692) أحمد بن محمد العباسي السملالي ، فقيه كبير من إقليم
سوس بالمغرب الأقصى ، أخذ عن أبيه وجماعة كبيرة من فقهاء بلده وفقهاء درعة وفاس ومراكش ، كأحمد بن محمد ابن ناصر وأحمد الهشتوكي الحوزي وأحمد الصوابي متقدمي الترجمة ، والحسين الشرحبيلي والعربي بن أبي القاسم اليفرنسي وعبد الله الوكدمي وأحمد بن سليمان الرسموكي .

وكان علامة نبياً نكياً مفيداً ، جلس للتدريس وتصدر للإفتاء وطارت له شهرة وأحبه الناس ، واستفاد من دروسه جماعة من الطلبة صاروا فيما بعد من مشاهير الفقهاء والعلماء ، كأحمد بن إبراهيم السملالي آتي الترجمة في هذا الجزء ومحمد الحضيكي الذي ترجمه في (الطبقات) وأتني عليه في (الرحلة الحجازية) بقوله : كان في أسنى المراتب وأعلى المقامات ، ماهراً في علم الفقه ، إليه انتهت الرئاسة في الفتوى والمعاملات ، يقصده الناس

(321) عجائب الآثار 1 : 238 وتعريف الخلف 2 : 64 ومعجم أعلام الجزائر ص 66 .

(322) ذيل بشائر أهل الايمان ص 129 وشجرة النور الزكية 1 : 344 ع 1359 .

من بلاد بعيدة ، ويجتمع إليه فقهاء عصره وأكابر جيله ، فيصيرون عنده كالأطفال في حجر مربيهم ...

له مراسلات ومؤلفات كثيرة ، منها .

1 - حاشية على مختصر خليل في الفقه .

2 - ثبت الشيوخ .

3 - الرحلة الحجازية (323) .

4 - منشادات يظهر أنها أدبية كان يُنشدها بمجالس دروسه العلمية جمعها تلميذه أحمد بن ابراهيم السملالي .

5 - النوازل العباسية جمعها أيضا تلميذه أحمد إبراهيم السملالي وتضمنت كثيراً من الفوائد زيادة على الفتاوي ، طبعت على الحجر بفاس .

6 - شرح الجواهر المكنون ، و(الجوهر المكنون) منظومة لعبد الرحمان الأخضرري الجزائري نظم فيها متن التلخيص للقزويني .

7 - شرح البردة للشاعر محمد البوصيري في مدح الرسول (ص) .

8 - شرح الهمزية للشاعر محمد البوصيري في مدح الرسول عليه السلام .

9 - شرح قصيدة ابن وفاء (سكن الفؤاد) توجد مخطوطته ضمن مجموع نمرة 437 بالخرانة العامة بتطوان .

10 - شرح أبيات (عمدة الموثق) .

توفي بسملالة ليلة الاثنين 8 ذي الحجة عام 1152 (324) ودفن بروضة الشيخ الشهير سيدي أحمد بن موسى سابق الترجمة .

323) لم أر من نكر أن المترجم رحل إلى المشرق للحج ، ولكن نكر هذه الرحلة من طرف الأسناذ محمت المختار السوسي يفيد ذلك ، وهو من هو علما وتثبنا .

324) الأعلام للزركلي 1 : 242 والإعلام ، بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام 2 : 377 ع 261 والحركة الأدبية في المغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل (اطروحة مرقونة) ص 303

1693) أحمد بن فاضل الشريف الحسني ، فقيه ولغوي أديب من الصحراء المغربية ، تخرج بجماعة من فقائها وعلماها كالحاج الحسن بن أغبد الزيدي ، وكان متقناً للنحو واللغة مجيداً في القراءات والحديث ، بارعاً في الفتوى ، تردّ عليه الأسئلة من الآفاق فيجيب عنها بأحسن جواب ، يقول الشعرَ ويجيده ، انتفع الناس بمجالسه العلمية وتخرج به طلبة كثيرون كقاضي تشيت محمد بن كب الماسيني ، وحمى الله بن أحمد الشريف الإدريسي ، ومحمد بن الحاج محمد المسلمي .

وله ولأخيه محمد بن فاضل آاتي الترجمة نوازل مجموعة وصفها محمد البرتلي بأنها في غاية الجودة والحسن .
مات عام 1153 (325) .

1694) أحمد بن عبد الرحمان النائب الأنصاري ، فقيه نحوي من أسرة نبيهة أندلسية الأصل بطرابلس الغرب ، ولد بها ونشأ آاخذاً عن والده عبد الرحمان قاضيها ، وعن الشيخ محمد بن سعيد الهبري وأحمد بن عمر القيرواني الطرابلسي .

تولّى قضاء طرابلس بعد وفاة والده .

له تعليق على صحيح الامام البخاري في الحديث وشرح على الأجرومية في النحو .

مات بعد زوال يوم 6 محرم عام 1155 (326) .

ودليل مؤرخ المغرب الأقصى ص 317 والرحلة الحجازية لمحمد الحضيكي (مصور مخطوط) ص 7 وطبقات الحضيكي 1 : 95 ومعجم المطبوعات المغربية ص 227 والمعسول 18 : 414 والموسوعة 3 : 147 وفهارس علماء المغرب (أطروحة مرقونة) ص 158 وفهرسة التسكدلتي (مصور مخطوط) ص ... وسوس العالمة ص 188 .

325) فتح الشكور ص 47 ع 27 .

326) الأعلام للزركلي ط : 148 وأعلام من طرابلس ص 172 وأعلام ليبيا ص 38 والمنهل العذب ص 340 ودليل المؤلفين الليبيين ص 49 .

وتقدّمت ترجمة احمد بن عبد الرحمان النايب (5 : 310 ع 1535) ،
ويخلط بعض المؤرخين بين المترجم وبين سَمِيهِ أحمد بن حسين النائب
مؤلف كتاب (نفحات النسرین والريحان) ءاتي الترجمة .

(1695) أحمدُ بنُ مبارك بن علي اللّمطي السجلماسي ، فقيهٌ محدثٌ
من أهل المغرب الأقصى ، يُعرَفُ بأبن مبارك ، وينتمي بنسبه إلى أبي بكر
الصدیق رضی الله عنه .

وَتُ بقصر (قرية) اللّمط أو اللماطي أحد قصور (قرى) سجلماسة
البائدة حوالي عام 1090 هـ ونشأ به وحفظ القرآن بالروايات السبع على
ابن خالته الشيخ الصوفي احمد الحبيب كما اخذ به بعض مبادئ العلوم ،
ولما بلغ العشرين من عمره سافر إلى فاس عام 1110 هـ لاكمال تعليمه ،
فاخذ عن عامّة شيوخها كأحمد الجرندي (6 : 153 ع 1644) ، ومحمد
بن عبد القادر الفاسي ، ومحمد المسناوي الدلائي ، ومحمد بن أحمد الكماد
القُسطنطيني ، وعبد السلام الحلوي ، ومحمد بردلة ، ومُحمد بن عبد السلام
بنّاني ، وعلي الحرّيشي الذي أجازَه في رواية صحيح البخاري عن طريق
الشيخ عبد القادر الفاسي عن أشياخه ، كما أخذ التصوف عن الشيخ عبد
العزیز الدباغ الإدريسي وصارَ من مُريديه .

ولما أتمَّ دراسته تصدر للتدريس بجامع القرويين وبضريح سيدي
أحمد بن يحيى ، فأقرأ بهما التفسيرَ والحديثَ والفقهَ والأصولَ والبيانَ
وغيرها ، وكانت مجالسه العلمية ممتعةً لقوّة عارضته وكثرة حفظه واتساع
مَلَكتِهِ في المقابلة بين أقوال العلماء والبحث معهم ، وقد ينفرد عنهم بأشياء
تظهر له ولا يبالي بمن يخالفه كبر شأنه أو صغر ، يأخذ الأحكامَ الفقهيةَ من
الكتابِ والسنة من غير واسطة أحد ، ويتأثرُ أحياناً بالمواضيع التي يدرسها
حتى يبكي إن كان فيها ما يحزن ، أو يستغرق في الضحك إن كان فيها ما
يبعثُ عليه .

إلا أنه كانَ حادّ المزاج مُرهَفَ الحسِّ كثيرَ الدعوى ، يُصرِّحُ لنفسه
بالاجتهاد المُطلق ، وينتقدُ كبارَ العلماء المتقدِّمين والمتأخِّرين ، ويزعمُ أنهم
لو أدركوا زمانه وموطنه لأخذوا عنه وتلمذوا له .

شارك في الحياة السياسية ، وكان له بفاس عام 1140 هـ موقفٌ متحيِّزٌ مشهور للسلطان أحمد الذهبي العلوي (6 : 250 ع 1676) ضدَّ أخيه السلطان مولاي عبد الملك ءاتي الترجمة .

أخذ عنه طلبة كثيرون صاروا فيما بعد من فحول العلماء والفقهاء كالمؤرخ محمد بن الطيب القادري والفقير الكبير محمد التاودي ابن سودة المرِّي ، وإدريس بن محمد العراقي ونكره في فهرسته ، وأحمد الورزازي دفين تطوان ، ومحمد بن عبد الله السجلماسي نزيل المدينة المنورة ، واستجاره عددٌ وفيرٌ من الطلبة والعلماء فأجازهم ، منهم محمد بن عبد الله المنور التلمساني ، وأحمد بن الحسن الورشاني الملقب بالمكودي ءاتي الترجمة في هذا الجزء .

ولما دخل الرحالة الجزائري عبد الرزاق ابن حمادوش مدينة فاس مساءً يوم الخميس 8 ربيع الأول عام 1156 سعى للقائه والأخذ عنه ، وقدّم بين يديه قصيدةً رائيةً مهلهلةً كأنظام الفقهاء مطلعها :

أيا شيخنا ، شيخ البرية كلها أسيدي أحمد المبارك في الدهر
علوت على أعلا نرى المجد رفعة فكنت بأوج العز كالكوكب الدرّي

يلتمس فيها إجازته ، فتمّ له لقاءه يوم الأحد 11 ربيع الأول ، ثم شرع في القراءة عليه يوم الاثنين 26 منه ، ولكن أيام دراسته لم تطل ، لأن ابن مبارك أصيب بوباء بدأت أعراضه تظهر عليه يوم الاثنين 5 جمادى الأولى ، فلزم منزله إلى أن توفّي ، وعاده ابن حمادوش في منزلة وحصل منه على إجازة مكتوبة دون توقيع لاشتداد المرض به ووعده بتوقيعها عندما يخفّ به الحال .

وكان المترجم - وهو في أوج تفوّقه العلمي ونشاطه التدريسي - يتعاش من كدّ يمينه وعرق جبينه ، فكان يتجرّ ويتعاطى الفلاحة وتربية الماشية ويحرص على جمع المال ، يرى أن ذلك أحفظ لكرامته من الاعتماد على الصدقات ومعونات الأوقاف .

أثنى عليه العلماء والمؤرخون ونوّهوا بسعة علمه وقدرته على الجدل وطول نفسه في البحث والتحقيق ، فمن معاصريه قول الشيخ محمد بن عبد

السلام بناني في حَقِّه : يشهدُ إبداعهُ المغرب ، وبيأتهُ المغرب ، بأنَّه إمامُ العصر لا أقولُ إمامُ المغرب ، إذ لا يستطيع أحدٌ أن ينسجَ على ذلك المنوال ، وما لدقائق العلوم ولطائف الفهوم دونه من وال .

قسماً بمكة والحطيم وزمزم والملتزِم

ما حازَ تحقيقَ العلوم بعصرنا وبه ائسَم

إلا أبو العباسِ أحمدُ نورُ مصباحِ الظلَم

لا زال بحراً تُقتنى من لفظهِ دُررُ الحكَم

ومن المتأخرين قولُ العلامة الأديب محمد العابد بن عبد الله الفاسي الفهري : ومَن قرأ كتبَ ابي مبارك المنكور وتقاييده المختلفة وتعاليقه بهوامش كتب المحققين تبين له أن هذه الشخصية في حاجة إلى دراسة خاصة ، ومؤلفاته وإن كانت قليلةً وصغيرة الحجم تُنبئ عن صاحبها وعظمة عقليته وواسع اطلاعه وسعة نقده .

وممن مدحه شعراً تلميذه أحمد بن الحسن الورشاني الملقب بالمكودي فقد وقفت له على قصيدة مدحه بها وهي قوله (327) :

إليك أبا العباس تحدو الركائبُ	وتعدو خفافاً راقصاتٍ نجائبُ
نجائبُ أعارثها الأهلةُ شكلها	عليها بدورٌ زابلتها السحائبُ
وما زلتُ والأشواقُ يُقعدها الوني	وللعزم سيفٌ أخلصتهُ التجاربُ
إلى أن شدتُ من نحوِ أرضك نفحةً	تيمُّ على عليكِ وهي نواهبُ
فأعملتُ نصَّ العيسِ قصدكِ جاهداً	ولا قصد لي إلا العُلا لا المكاسبُ
فلما حططتُ الرحلُ بالسُدَّة التي	تُزاحمنا باللثم منها الثواقبُ
وجدتُك كالدنيا وعلمك شمسها	فما عنك لي إلا إليك مذاهبُ

(327) ألفتُ النظر إلى أن عدداً من النصوص الشعرية والنثرية الواردة في هذا الكتاب نُقل أحيانا من كُتب ودواوين وفهارس وأوراق كُتبت بخطوط بدوية ووقع فيها كثير من التصحيف والتحريف ، وأني أصحح منها ما أقدر على إصلاحه وهو الكثير ، وأترك ما لم أقدر على إصلاحه لفظنة القارئ وعناية الباحثين .

وقد مُلئت منه العُباَ والحقائبُ
وأنتَ بأقصى الغربِ ناءٍ وصاقبُ
على عَنبري الطيبِ والطيبِ راغبُ
فكن شافعياً نائباً فهوَ غائبُ
ولحظَ مُريبٌ زائِلته المعايِبُ
بأنكُ شيخُ الكلِّ والشيخُ نائبُ
ومالكهُ قهراً ونو الملكِ غالبُ
عليكُ وزالتُ عن سنالكِ الغياهُبُ
يلمُ بها (الكشافُ) والكشفُ اءيبُ
أبي غيرهُ ، والمثلُ للمثلِ طالبُ
بدائعُ أسرارٍ له وغرائبُ
وقد يبستُ واشحطُ منها النوائِبُ
عليها من الآفاتِ سودُ نوائِبُ
وتاهتُ علِ مصرٍ ، فتلك المناقبُ
وقد قصرتُ عنها المدى والمناكبُ
وقد زاحمتها في سنالكِ الكواكبُ
وليس كذا ، لكنْ تلك المواهبُ
نكي كمثل الزنْدِ والزندُ ثاقبُ
ومن فيضِ جودِ النهرِ تسقى الدوالِبُ
وعند حلولِ المحلِ تهْمى السحائبُ
يُحلّي بها جيدُ العُلا والمواكبُ
وعند اقتداحِ الزنْدِ تبدو المثالبُ
وعند مغيبِ الشمسِ تبدو الكواكبُ
وإلا فلا عتبُ ومَنْ ذا يعاتبُ
وما ناحَ قُمريُّ ولاحت غواربُ

وفي العلم بحرٌ لا يُكدرُ صفوهُ
ونكرُكُ قد جالَ المشارقُ كلها
وأصبحَ أصلُ الدينِ يزهو بطيبه
وعلمُ أصولِ الفقهِ قد مسه العنا
وللنحوِ من بعض الوجوهِ ابتسامه
دلائلُ إعجازِ البيانِ مُشيرة
ومالكُ فنٌ لا تزالُ تروضهُ
ومطلعُ شمسِ الوحيِ أشرقَ نورها
فأصبحتُ كشافاً لكلِّ مُلمة
أبي العلمِ إلا صدرَ أحمدِ إنّه
وءاليتُ لولا علمُ أحمدَ لم تلخُ
ولم يمسِ ربعُ العلمِ أخضرَ يانعا
وعمرَ أسواقِ العلومِ وقد أتتُ
وعادتُ به فاسٌ عراقاً فأعرقْتُ
وشأوكُ في كلِّ العلومِ بعيدة
مائرٌ - تبدو كالنجومِ - زواهرُ
تظنُّ به في المشكلاتِ كهانة
توقدُ ذهنٍ في خمودِ سكينه
ومن بحركم كان اغترافُ جداولي
رؤيتكمُ فلنقتبسُ بعضَ نوركم
بأن تنظموا مني فريدةَ جوهرٍ
بعقدٍ له أهلُ العلومِ جواهرُ
على أنني إن غبتُ عنكم فتاقبُ
فإن تقبلوا مني فهذه رغبتِي
علكم سلامُ الله ما لاح شارِقُ

ووقفت في مجموع محفوظ بالخرانة الحسينية بالرباط (328) على
قصيدة طويلة مدحه بها الفقيه الأديب عبد المجيد بن علي الزبدي الحسيني
مطلعها :

عَلَّوْنِي بِنَكْرِ مَنْ حَلَّ بِالسِّي إن مثلي في ذا الهوى لا يبالي
نقتطف منها الأبيات التالية :

فالعلوم التي تُرقي حواها
حافظ العصر واحد العصر من ير
عالم عامل إمام همام
أزحى مبرز المعى
قمر للهدى وللدين شمس
أينعت روضة العلوم بغرب
قسماً بالحطيم والبيت والركن
وبجمع وبالطواف وبالسغ
إنما ابن المبارك النور لنا
كوكب يهتدي به في زمان
ماله في زمانه من نظير
سيد سيد العلا والمعالي
خدمته الأحرار واستحرمته
كيف لا؟ وهو ظاهر الفضل بادي ال
وفنون العلوم قد خاض منها
أوضح الرشد بين الحق أغنا
حقق العلم دقق الفهم أنى ال
كل من يقرأ الحديث ولا يا

أحمد بن المبارك الفيلاي
جا لحل العويص والإشكال
ماجد فاضل حميد الخصال
يعرف القصد منك قبل السؤال
مطر للندي وللإفضال
إذ سقاها بوبليه الهطال
في وخيف منى وبالئزال
في وحق الإحرام والإحلال
س لكي يقتدوا به في الخلال
من دجاء أنفاً ظلام الليالي
خرز الزنج لا يضاهي اللثالي
ومعاني المعاني تلو المعالي
لسناه أكابر وأعالي
نور باو وباهر الأفعال
في بحور المعقول والأنقال
نا بحفظ عن نشر كُتب طوال
بُعد للقاصدين والسؤال
خذه منه فهو في تضلال

وللمترجم عددٌ من التصانيف والأجوبة والتقايد تدورُ حولَ مواضيعٍ فقهية وكلامية ولغوية مما سبقه الأقدمون إلى إبداء الرأي فيها ، وفيما يلي أسماءُ أهمها مع بيان الخزانات والمكتبات المحفوظة فيها :

1 - الإبريز ، في مناقب الشيخ عبد العزيز ويسمى أيضاً الذهب الإبريز ، كتابٌ مُتداولٌ بكثرة بين أيدي الناس ، ألفه في مناقب مُربيه في التصوف الشيخ عبد العزيز بن مسعود الدباغ الإدريسي الفاسي ءاتي الترجمة ، طبع لأول مرة على الحجر بالقاهرة عام 1278 هـ (1861 م) ، ثم طبع بعد ذلك مراتٍ عديدةً بمصر والمغرب ، وهو مملوءٌ بأساطيرٍ وخرافاتٍ أليست حُلل المناقب والكرامات التي لا يُسلم بها ذو عقل قويم وطبع سليم ، ومن الكتاب نسخ مخطوطةٌ عديدةٌ في مكتبات كثيرة بالمشرق والمغرب لا داعي للإطالة بذكرها .

2 - إزالة اللبس ، عن المسائل الخمس كتابٌ متوسط فرغ من تأليفه يومَ الأربعاء 3 ربيع الأول عام 1149 أجاب به عن خمسة أسئلة ، تحدث في أولها عن المَعِيَّة في قوله تعالى (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ) هل هي بالعلم أو بالذات ، وقد اختلف علماء عصره في جوابه هذا عن المعية ، فمنهم من استحسنته وأعجب به ، ومنهم من أنكره ولم يقبله كالشيخ عبد الكبير السرخيني الذي ألف كتاباً في الردِّ عليه شنع عليه فيه غاية التشنيع ، وتحدث في ثنائها عن النبوة هل هي مؤهوبة أو مكتسبة ، وفي الثالث تحدث عما نُقل عن بعض علماء الجزائر من أنَّ العذاب في النار يوم القيامة يتحوَّل بعدَ زمانٍ إلى عنوبةٍ والتذاذ ، وأجاب في الرابع عن مسألة تلقين الشهادة عند الاحتضار ، وأجاب في خامسها عن الجاحد هل هو كافر .

توجد نسخٌ كثيرةٌ من هذا الكتاب محفوظة بالخزانة الحسنية بالرباط وبيدار الكتب الناصرية بتامكروت ، وبخزانة جامع القرويين بفاس ، وبآخر نسخة الخزانة الأخيرة تقاريط سنة من مشاهير العلماء ، وبهامش ورقتها الأخيرة تعليق بخط المؤلف .

3 - إنارة الأفهام ، فيما قيل في دلالة العام صحح به بعضُ الموافق الشائعة في دلالة العام على بعض أفراده ، ويُعدُّ الكتابُ كلُّه دراسةً معمقةً

للدلالات وأصنافها وتصورات علماء اللغة والبلاغة والمنطق والأصول فيها .

توجد منه نسخ مخطوطة عديدة ، منها واحدة بالخزانة العامة بالرباط نمرتها 1092 ك ، وأخرى بالخزانة الكنونية بطنجة نمرتها 6.498

4 - تحرير مسألة القبول ، على ما تقتضيه قواعد الأصول والمعقول .
منه نسختان مخطوطتان بالخزانة الحسنية بالرباط ، وهذا الكتاب يقوم بتحقيقه الطالب الحبيب العيادي تحت إشراف الدكتور أحمد الريسوني وسجله بكلية الآداب بالرباط للمناقشة قصد نيل دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الإسلامية .

5 - حاشية في المنطق . نيل بها شرح الشيخ سعيد قدورة لـ (السلم المروثق) ، توجد منها نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط نمرتها 6.474 وأخرى بالخزانة العامة بالرباط نمرتها 1741 ك .

6 - حاشية على (جنع الجوامع) في الأصول منه نسخة مخطوطة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت نمرة 3.135 ك .

7 - الدرّة ، في تحقيق تعلق القدرة . منه نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط .

8 - ردّ التشديد ، في مسألة التقليد . أكمل كتابته يوم 29 ربيع الأول عام 1147 منه نسختان مخطوطتان بالخزانة الحسنية بالرباط بهامش إحداها تعليقات واصطلاحات بخط المؤلف .

9 - رسالة في تعلق صفات المعاني . توجد إحدى نسخها الخطية بالخزانة الحسنية بالرباط نمرتها 10.905 ك .

10 - مقالة الصواب ، في بيان حال بني مزاب . وهم جماعة من سكان الجنوب الجزائري يتبعون مذهب عبد الله بن أباض التميمي الخارجي ، أجاب به عن سؤال حول ما حكمت به محكمة وهران من الفصل بين رجل أباضي وزوجه المالكية ، وأبدأ في التعريف ببني مزاب والأباضية وأعاد ، توجد نسخة منه بالخزانة الحسنية بالرباط ضمن مجموع نمرته 18/12010

11 - المقالة الواهية ، في شرح القصيدة الدالية . كتاب شرح به قصيدة دالية الروي في الوقف والقراءات من نظم محمد بن مبارك المغراوي السجلماسي المتوفى عام 1092 ءاتي الترجمة ، منه نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط نمرتها 10.881 .

12 - القولُ المُعتَبَر ، في بيان أن جملة الحمد إنشاء لا خبر . كتاب عالج فيه قضية الخبر والإنشاء وحدد الاختيار فيها ، مُتخذاً من جملة الحمد مجالاً تطبيقياً لمناقشة مختلف التصورات التي تحتلها ، ومعالجاً قضية الخبر والإنشاء وتحديد مفهومها (329) توجد نسخته المخطوطة بمكتبات كثيرة خاصة وعامة ، منها نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط نمرتها 122 وأخرى مع مجموع محفوظ بالخزانة الكنونية بطنجة نمرته 6.498 .

ويُحقَّق اليوم هذا الكتاب الطالب عبد الإلاه القرباص تحت إشراف الدكتور عبد الله المرابط الترغي وسجل تحقيقه بكلية الآداب بتطوان قصد نيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وءادابها .

13 - الفهرسة . وهي في الحقيقة إجازة كتبها لأحمد الورشاني المكودي نكر فيها بعض شيوخه وبعض مؤلفاته ، منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط محفوظة ضمن مجموع نمرته 101 ح .

ولابن مبارك أجوبة عديدة أجاب بها عن قضايا ونوازل كان يُسأل عنها في مواضيع متنوعة ، وهذه الأجوبة متفرقة في كتب ومجاميع كثيرة ، ولو جُمعت لجائت في سفر كبير .

توفي مطعوناً بفاس يوم 18 جمادى الأولى عام 1156 هـ (330) ودُفن مع شيخه عبد العزيز الدباغ خارج باب فتوح ، وشهد جنازته خلق كثير ، منهم عبد الرزاق ابن حمادوش الذي رثاه بقصيدة وذكره في رحلته .

(329) انظر تحليلاً دقيقاً لهذا الكتاب في أطروحة الأستاذ عبد الله المرابط الترغي المسماة حركة الأدب في المغرب على عهد المولى إسماعيل ص 358 .

(330) ليس بصحيح قول من نكر أن وفاته كانت في عام 1155 .

وكان منزل المترجم بفاس هو الأول عن يسار الداخل لدرج بردلة بسويقة الذبان من حومة الصاعة ، وقد عال بالبيع فيما بعد إلى أسرة بردلة (331)

1696) أحمد بن أبي القاسم الصبحي ، فقيه مغربي يعرف بنسبته لبني صبح القاطنين على ضفاف نهر سبو قرب فاس حيث يصب فيه رافده وادي مكس ، ورد على فاس وحيداً لطلب العلم ، فأخذ عن كبار علمائها كالفقيه الشهير محمد المسناوي الدلائي ، وما زال يجتهد في الطلب والتحصيل حتى صار من مشاهير الفقهاء الذين يرجع إليهم في الفتاوى والاحكام .

وصفه محمد بن الطيب القادري في (نشر المثنائي) وغيره بالشيخ الإمام العلامة الفقيه المفتي النوازلي ، ونكروا أن القاضي علي أبو عنان القاضي بفاس كان يرفع إليه ما أشكل عليه من الأحكام ، فكان يحكم بالحق ويفتي به ، ولا يعرف له حكم أو فتوى إلا بالمشهور ، ونكره عبد السلام ابن سودة في كتابه (قضاة فاس) مع أنه لا يعرف أنه تولى خطة القضاء بها ولا غيرها .

331) إتحاف أعلام الناس 1 : 290 - 291 وأزهار البستان لأحمد ابن عجيبة (مصور مخطوط) ص 195 والإكليل والتاج (أطروحة مرقونة) ص 190 والتقاط الدرر 2 : 393 ع 527 والإعلام للزركلي 1 : 201 وجامع القرويين 3 : 801 وحركة الأدب في المغرب على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 227 - 238 - 294 - 309 - 323 - 326 - 358 والحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 237 ولبول مخطوطات دار الكتب الناصرية ص 73 و74 ولبول مؤرخ المغرب الأقصى ص 209 ودعوة الحق (مجلة) ص 11 ع 5 ص 35 وطبقات الخضيكي 1 : 112 ومعلمة القراء والحديث ص 67 ومعجم المفسرين والمحدثين ص 16 ومفاتيح النصر ص 160 والعلم والفكر في مطلع العصر العلوي (أطروحة مرقونة) ص 149 وفهارس المخطوطات العربية بالخرانة العامة بالرباط 2 : 216 - 355 و3 : 113 مكرر - 142 - 222 وفهارس علماء المغرب (أطروحة مرقونة) ص 158 - 750 وفهرسة ابن الحاج (أطروحة مرقونة) ص 64 وفهرسة التاودي ابن سودة (مصور مخطوط) ص... وفهرسة أحمد الورزازي (مصور مخطوط) ص... وفهرس مخطوطات جامع القرويين ع 1375 مكرر - 1615 وفهرسة المنجرة (مصور مخطوط) ص... وفهرسة إدريس العراقي (مصور مخطوط) ص 4 وفهرسة عبد المجيد الزبادي (مصور مخطوط) ص... وفهرسة الخزانة العلمية الصبحية ص 126 - 343 - 412 - 419 وفهرس الفهارس والأثبات صفحات عديدة ونشر المثنائي 4 : 40 وسلوة الأتفاس 2 : 203 وشجرة النور الزكية 1 : 352 ع 1405 والبيواقيث الثمينة 1 : 47 .

أخذ عنه الفقيه الصوفي الشهير أحمد الحبيب السجلماسي ءاتي
الترجمة وغيره .

توفي مطعوناً بفاس يوم 20 ربيع الأول عام 1156 هـ ودفن بمقبرة
سيدي محمد بن جبالخير المصمودي المقابلة لمدرسة السلطان مولاي رشيد
بعقبة الشراطين (332) .

1697) أحمدُ بنُ موسى بن محمد (الكبير) ابن الشيخ محمد ابن
ناصر الدرعي ، أديب مغربي من أبناء الأسرة الناصرية صاحبة الطريقة
الصوفية المعروفة والزاوية الشهيرة بتمكروت ، وُلد بها ونشأ وأخذ عن
الشيخ العديدين من أهلها وغيرهم من المريدين الوافدين عليها ، سيماً عمّ
والده الشيخ أحمد (الخليفة) متقدم الترجمة في هذا الجزء (ص 184 ع
1653) كما أخذ بجهاث أخرى من المغرب عن علماء وأدباء كثيرين ،
كالفقيه محمد الصغير الزيزي والفقيه الشاعر محمد بن عبد الله الحوات
الشفشاوني ، وأجازه بعضهم (333).

وكان أديباً بليغاً شاعراً مُجيداً يُحسنُ القولَ في كل مواضع الشعر :
مدحاً وهجاءً ، وتهنئةً ورتاءً ، وابتهالاً ودعاءً ، ووصفاً وتغزلاً ، ومداعبةً
ومجوناً ، أنثى عليه كلُّ الذين عرفوا به أو نكر اسمه أو أثبت شعره في
كتبهم ، وأكدوا أنه كان أديباً لودّعياً أريباً ، أعجوبة الدهر في النظم والنثر
(334) ، وتوسّع محمّد بنُ عبد الله الخلفي في تحليله فقال في وصفه :
الوليُّ الصالح التقي ، العالمُ العلمُ العاملُ ، الفهامةُ الدراكةُ ، الرحالةُ البركةُ ،
ذو التآليف المفيدة الشاعرُ المفلق الخ (335) ، ولا شكَّ في أنَّ هذه النعوتُ

(332) طبقات الحضيكي 1 : 112 وقد سمّاه فيها بالصبيحي ولا عبرة بقوله إنه توفي عام 1155
ونشر المثنائي 4 : 40 وقضاة فاس (نسخة مرقونة) 4 : 23 وسلوة الأتفاس 1 : 130 واليوافيت
الشمينة 1 : 51

(333) تنظرُ بعضُ إجازاته في كتاب فتح الملك الناصر ، في إجازات مرويات بني ناصر .

(334) البرق الماطر في شرح النسيم العاطر ص 156

(335) الدرّة الجليّة ، في مناقب الخليفة ص 164

والتحليات فيها غلُوٌّ كبيرٌ ومُبالغات ، وينبغي التعامل معها بمُنتهَى الحذر والحِيطَة .

وكان المترجم طوّافاً جَوّالاً ، يخالطُ العلماءَ والأبهاءَ ، ويزورُ الصالحين والأولياءَ ، وأحسبُ أنه أدّى فريضةَ الحج بمكة المكرمة ، إلى أن ألقى عصي التسيار ، وطابَ له المقامُ بمدينة شفشاون المشهورة بحسن طبيعتها ونقاء هوائها وجمال نسائها ، فاستقرَّ بها بين أخواله وأتباع طريقة جدّه إلى أن وافاه بها الأجل .

وللمترجم أشعارٌ كثيرةٌ منها الطويل ومنها القصير ، وهي مُتفرقة في كتب وفهارس وكناشات (336) كثيرة، أكثرها كتبه أخوه الشقيقُ محمد المكي الناصري ، لكن استخراجها من بطون تلك الرُّبُر شاقٌّ جداً ، لأنها مكتوبةٌ بخطوطٍ بدويةٍ رقيقةٍ متداخلة الكلمات ، ولو وقَّف أحد الطلبة الباحثين يوماً في نسخ ما تفرَّقَ منها وجمعه لجاءت في ديوان .

ولا يعرف للمترجم مؤلفاتٌ رغم ما نكره الخليفي في (الدرة الجليلة) ، لكنني رأيت شقيقه محمد المكي ينكرُ في كتابه (الدرر المرصعة) أنه شرع في شرح الكتاب الذي علَّقَ به الشيخُ محمد بن علي بركة التطواني على كتاب جده الشيخ محمد ابن ناصر المُسمّى (غنيمة العبد المنيب ، في التوسل بالصلاة على النبي الحبيب) ، وقال إنه شرح غريب ، ونسجٌ عجيب ، سمّنه بفوائدٍ علميةٍ قليلةٍ الوجود ، سالكاً فيه مسلك الإمام العلامة سيدي محمد المهدي الفاسي في شرحه الكبير على (دلائل الخيرات) ، أما (النسيم العاطر) فليس اسماً لواحدٍ من مؤلفاته ، بل هو عنوانُ قصيدةٍ له مدحٌ بها عمّ والده الشيخ أحمد (الخليفة) بن محمد ابن ناصر ، وهي التي شرحها شقيقه محمد المكي بكتاب أسماه (البرق الماطر ، في شرح النسيم العاطر) ، وهذا نصّها :

هَبَّ النسيمُ مُعَطَّرَ الأردان	والدَّوْحُ يرفلُ في حُلَى الألوان
والروضُ يضحكُ من بُكاءِ غمامةٍ	حنَّتْ لِإلفٍ عندما لقيان
والماءُ من تلك الأباطح والرُّبَا	ينسابُ كالنُّضْناصِ في الجريان

نشوانُ يرقصُ والطيورُ غواني
بالسعد والإقبال والرضوان
ببلاغةِ الترصيعِ والأرصان
سَقِيًّا لَذَاكَ الرَوْضِ والأَغْصَانِ
وأصاخُ ضربَ مِثَالِثٍ ومِثَانِي
فالحالُ يُعْرَبُ عَن ضَمِيرِ الشَّانِ
إِنَّ الصَّبَابَةَ والهَوَى دِنْدَانِي
نَارُ الغَرَامِ وفرقَةُ الخِلَانِ
والنَوْمُ نَافِرَ سَاحَةِ الأَجْفَانِ
جَمْرَ الغَضَا ، أشكو جَوَى الهِجْرَانِ
وَرَقًا تُرْجِعُ فِي فِرْوَجِ البَانِ
وكذلك التكلّي على الولدانِ
ما لي على طولِ الجفَاءِ يدانِ
بالمُنْحَى ، والجِبُّ فِي لُبْنَانِ
صَبٌّ كَثِيبٌ بالصَّبَابَةِ فَانِي
ودعتُ فَوَادِي لَوَاعِجِ الأشْجَانِ

* * * * *

واحمل تحيةَ مُدْنِفِ هَيْمَانِ
شمسِ المعاني العارِفِ الرَبَّانِي
المَاهِرِ الأَتَقِي رَفِيعِ الشَّانِ
وأدَامَ نصرتهُ مَدَى الأَزْمَانِ
وسما به شمساً على كِيَوَانِ
ومُهَنْدَأُ ذَكَرَأُ أَعَزُّ يَمَانِي
ومحَا رَسُومَ الظلمِ والعَصِيَانِ
وأَعَزُّ دِينِ المُصْطَفَى العَدْنَانِي
ما حَنَّ مُشْتَقًّا إِلَى الأُوْطَانِ
تَاجَ الوَالِيَةِ ، حَضْرَةَ الرَحْمَانِ
ناهيك من شمسِ بكلِ أُوَانِ

والزَّهْرُ فَوْقَ زَبْرَجُدٍ من سُنْدُسِ
وَالوُرُقُ حَيْثُ بِالْأَمَانِ وبِشَّرَتِ
غَنَّتْ وَرَنَّتْ بالقَرِيضِ وَرَجَعَتْ
وَالغُصْنُ أَمْلُودٌ يَمِيسُ بِهِ الصَّبَا
رِقُّ الفَوَادِ لِشَجْوِهَا وَحَنِينِهَا
لَا تَعَجَّبُوا من عَاشِقِي حَلْفِ الضَّنَا
أَصْبُو إِلَى لُبْنَى وَأَهْوَى وَصَلَهَا
جِسْمِي سَقِيمٌ ، نُو وَبَالِ هَالِهِ
وَأَبِيْتُ من شَجْوِي وَوَجْدِي هَائِمًا
مُنَوَّسِدًا شَوْكَ القِتَادِ وَمُبْطِنًا
مُنْمَلَمَلًا فِي مَضْجَعِي وَمُسَاعِدًا
حَنَّتْ لِأَلْفِ بِالجَمَى لَمْ تُلْفِهِ
طَالَ الجَفَا ، هَلْ رَاحِمٌ لِصَبَابَتِي
كَيْفَ الوِصَالِ لِمُسْتَهَامِ شَيْقِي
أَفْبَعْدُ بَعْدُ يَرْتَجِي نَيْلَ المُنَى
فَلطَالَمَا ضنَّتُ بِطَيْفِ خِيَالِهَا

يَاسَانِقَ الأَطْعَانِ عُجْ نَحْوَ الجَمَى
أَلْمَمِ بَرُوضَةِ أحمَدِ شَيْخِ الوَرَى
نَجَلِ ابْنِ نَاصِرِ الإِمَامِ المُرْتَضَى
اللَّهُ أَرشَدُهُ وَأَعْلَى حَزْبُهُ
وَأجَاحَ كَارِهِهِ وَأَحْمَى دَارِهِ
وَأقَامَهُ لِلدِينِ عَضْبًا بَاتِرَا
وَأَنَارَ مُظْلَمَ عَصْرِنَا من جَهْلِهِ
وَأزَاحَ كَلَّ ضَلَالَةٍ لَمَّا انْتَضَى
صَلَّى عَلَيْهِ مُسَلِّمًا رَبُّ الوَرَى
فَخِرَأُ بَنِي نَاصِرٍ بِأحمَدَ من غَدَا
فَخِرَأُ بَبْدَرِ فَانِقِ وَمُهَلَّلِ

فخرأ لمن أضحي صميمَ زمانه
فخرأ ببخر سنيّه عمّ الوري
بُشري بحصن مانع يوم الردى
ياصارم الإسلام ، يابحر الندى
ياحائزاً كلّ الكمال وروضة
أكرم به أصلاً وفرعاً ماجداً
ورث الفضائل والمكارم والعلا
فيه نصول على الزمان إذا طغى
ربّ ارحمّني بجاهه لا تُفصني
وانظر لحالي ، واجبر الكسر الذي
واسق الضريح شايب الرخمى وجذ
قدس بفضلك سرّه واجمع به
متوسلاً بمحمّد وبحزبه
وعليه من ربّ الوري صلواته
والآل والأصحاب والأزواج ما

نُراً نفيساً غالي الأثمان
ينبوع علم مُنمطر هتان
ولمن تقلد سيره النوراني
يأنخرنا ياكعبة الإحسان
سقيت بوبل نواله الهتان
نو همة تسمو على القمران
سيف العناية فارس الميدان
ونروم نكب عدونا الميان
واعطف على عبد أسير عاني
أعيا الأطفة من قديم زمان
بالعفو والمأوى بخير جنان
شملي ، ومن بغنية وأمان
وبصحبه والسادة الأعيان
ما فاح عرف الورد والريحان
هبّ النسيم وماس بالأغصان

وهذه القصيدة عارض بها قصيدة أحمد بن عبد الكريم المجيلي ءاتي
الترجمة في مدح الشيخ المذكور التي أولها :

من للكئيب المُستهام العاني
مُتردداً بينّ المعالم كني يرى
من فرط ما يلقاه من أشجان
أحداً ، فويحي من خلاء مغاني

وللمترجم قصيدة طويلة رثى بها والده موسى بن محمد (الكبير) ابن
الشيخ محمد ابن ناصر مطلعها :

قف وقفه بين الحمى والوادي
والعيش أطيب ما يكون من المنى
وانكر زمان الوصل كالأعياد
أشهى من العذب الفرات لصادي

لكني تركتها لاضطراب في أفاظها ، وخلوها من طلاوة الشعر .

ومن شعره على لسان المسجد الذي تصدر لتجديد ما اندرس منه أخوه
جعفر بن موسى الناصري ، وذلك في جمادى الأولى سنة 1151 :

ورونقه يُجَدِّدُ فِي الْمَبَانِي
وسِرُّ لَطَافَتِي وَبَدِيعِ شَانِي
إِزَاءَ الْعَرْشِ مَنَزَلَتِي تُدَانِي
وَمَجْدٌ دَائِمٌ طَوَّلَ الزَّمَانِ
إِلَى الْمَلَكُوتِ فَوْقَ النَّيِّرَانِ
وَلَمْ لَا ؟ وَإِنِّي حَضْرَةٌ مَن حَبَانِي
عَظِيمٌ لَيْسَ لِي فِي الْفَضْلِ ثَانِي
تَصَافِحُ بِالْتَحِيَّةِ مَن أَتَانِي
عَلَى تَجْدِيدِ قَصْرِ فِي الْجَنَانِ
عَلَى مَن خُصَّ بِالسَّبْعِ الْمِثْلَانِي

معاني الحُسنِ تَظْهَرُ فِي الْمَغَانِي
تَأَمَّلْ فِي جَمَالِي وَابْتِهَاجِي
وَإِنِّي وَإِنْ وُضِعْتُ عَلَى تَرَابِ
لِي الشَّرْفُ الْمُوْتَلُّ فِي الْبِرَايَا
سَمَوْتُ سُمُوْ عِرْزٍ وَافْتِخَارِ
يَرُوعُ لِهَيْبَتِي إِنْ سَ وَجِئْتُ
تَوَاتَرَ فِي الْحَدِيثِ بَأَنَّ قَدْرِي
تَحَفُّ بِبِي الْمَلَائِكُ كُلِّ وَقْتِ
أَمَا يَرْضَى ابْنُ مُوسَى جَعْفَرِي
وَصَلَّى اللَّهُ رَبِّي كُلَّ حِينِ

ولما آلف أخوه محمد المكي رحلته المسماة (الرياحين الوردية ، في
الرحلة المراكشية) أهداه نسخة منها وكتب على ظهرها بيتي أبي بكر
الطرطوشي وهما :

الناس يهدون على قدرهم لكنني أهدي على قدري
يهدون ما يفنى وأهدي الذي يبقى على الأيام والدفن

فأجابته المترجم بهذه الأبيات على بحرهما ورويها :

وَمَرْحَبًا بِالْكُوكَبِ السُّدْرِي
أَبْرَزَهُ الْمَوْجُ إِلَى الْجَهْرِ
(الْقَهْ) فِي لُبَّةِ النَّحْرِ
هَذَا لَعْمَرِي غَايَةُ الْفَخْرِ
كَالْمَاءِ فِي الْقَضْبَانِ إِذْ يَسْرِي
أَزْهَارَهَا بِالنَّظْمِ وَالنَّشْرِ
لِلَّهِ مَا أَحْلَاهُ مِنْ تَكْرَرِ
فَاقَتْ سِنَاءَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
وَفَرَجَتْ هَمًّا عَلَى الصَّدْرِ
يَاحْسَنَ حَاكٍ طَلَعَةَ الْفَجْرِ
مَسْكٌ عَبِيقٌ طَيِّبٌ النَّشْرِ

أهلا بمن أهدى لنا لؤلؤاً
معنئه الصدرُ ، ولكنما
والله لو أن الخليل رأي
لقال في إنشاده مُنْصَفَاً
أمهدياً عذبا سرى في الحشا
نزهت طرفي في رياض زهت
شذبت سمعي بلنيد التنا
ياحبذا العذراء في خدرها
زارت أبا الوجد على غفلة
مجبتها ضحواً حكى وجهها
لما ننت ضوع من ريجها

لَفَّتْ مُحَيَّاها لفرط الحيا
لا زلت يا نجل الرضا ترتقي
تنشدني : هذا على قدري
إلى المعالي دائم الدهر

ومنه في المداعبة والمجون :

زُوجْتُ كَفِّي بِأَيري
وما نَجَسْتُ شَيْئاً
هذا نكاح عديم
ولا سؤال فتاة
ولا تماطل و غدير
حسب المقل أكف
إن الأطباء قالوا
والشرع عنه نهانا
والله ما كان فعلي
إياك فالظن إنم
فلنثق الله عبداً
وليختلِفْ بَعْلَاهُ
وليعتبر بسواه
فهو العليم بحالي
عساه يرحم نلي
عساه يقبل سؤلي
عساه يجمع شملتي
يا فوز عبد دعاه

أمهرتها ريق ثفري
ولا استعنت بغفري
من دون بيض و صفر
لثيمة بك تُزري
ولا تروغ صدر
إن لم تكن ذات خدر
لا بد من نرح بشر
إذ فيه تضيع بدر
لكنه نسج فكري
ياسامعاً قرض شعر
في كل نهى وأمر
وليختب كل مُزري
وليكنن يوم حشر
وهو الخبير بظري
عساه يغفر وزري
عساه يسعد فهري
عسى يمن بستر
في عنبره مع يسر

ومنه ما قاله في زيارته للشيخ الصالح عبد السلام بن مشيش دفين
جبل العلم (337) .

لما غدوت لصارم عَضْبُ
والشوق يلقني ويزعجني
عبد السلام الماجد القُطب
فبَلِّغْهُ ، والحمد للرب

(337) جبل العلم : جبل بقبيلة بني عروس (إقليم العرائش) ، به مدفن الشيخ الشهير عبد السلام
بن مشيش الإدريسي ، وإليه نسبة الشرفاء العلميين .

فجلستُ جلسةَ خائفٍ ورجلٍ
ألفيتهُ بحراً يفيضُ علي
ناديتهُ والقلبُ مُكسِرٌ
يأمنتهُي أملى وياسندي
يامن سما عن صنفه شَمماً
أجزلُ قِرَى عبدٍ ببابكم
إني سألتُك ياكريمُ به
واسمخُ بما أرجوه من وطيرٍ
صلّى عليه اللهُ ما ضجكتُ
صلّى عليه اللهُ ما هملتُ
صلّى عليه اللهُ ما هتفتُ

ونختمُ هذه الترجمةَ بقصيدةٍ مدحه بها شاعرُ شفشاون محمد الحوات

الإدريسي الحسني وهي :

تدورُ به الإخوانُ تتبعه حُباً
وإن كانَ كلُّ منهمُ سيّداً نذبا
تُشيرُ له الأيدي بوفقِ نوي القربي
وفيها سقاءُ الشيخِ من فيضِهِ قعباً
ومبداهُ منه ، فأكرمُ به غرباً
جعلتُ لذاك الشربِ إذ سقتهُ عنبا
جذبتُ بها قِبَلِ السلوكِ لها جذبا
زمانُ كرامِ الحيِّ كانوا لنا عجباً
وتتركُ ما قد يوجبُ اللومَ والعتبا
يصبُ علينا الفضلُ من كفه صباً
ومن ورده في جانبي مدنفاً صباً
ولم يخشَ مَغناه اعتداءً ولا حزبا
ولا عرفَ السكانُ خوفاً ولا رجاً

وأنت أدامَ اللهُ عزَّكَ أمُّهُ
وجنَّاءَ ماريةَ وجُنَّتُهُ التي
أقامَكَ ربي للمعالي إمامها
فبالعلم والدين المتين وبالندى
فما للسوى إن كنت تبغي إرادةً
فأنت - ولا مَينَ - المُقَدَّمُ في الورى
فشمزُ إنن عن ساعدِ الجدِّ للثقى
عليك مدى الأيام ألف تحية

تَقِيهِ إذا رامتُ عداهَ له حَرَبًا
تعودُ إلى نحرِ الطغاةِ به عَضْبًا
تلوحُ بها بدرًا وتسكنها قَضْبًا
يسودُ الذي لم يركبِ الكِبْرَ والعُجْبًا
فقمْ واغتنمْ وصلًا وزدْ للعُلا قُربًا
إذا طلعتُ شمسُ الضحى نفتَ الشُهْبًا
ومدَّ اليدَ السمحاءَ تتبعاها الركبا
شذاها إذا هبَّتْ صبا نجدكم لَبِي

توفِّي مطعوناً بدارِ أصفهاريه بشفشاون زوالَ يوم الأحد 13 جمادى الأخرى
عام 1156 هـ ودُفن بالزاوية الناصرية منها (339) ونظم أخوه محمد المكي
الآبيات التالية التي أرخَّ بها وفاته وكُنيت على قَبْرِهِ :

هذا ضريحُ النَّقِيِّ المُفَرِّدِ العَلَمِ
من آل ناصر شيخ العصر من خضعت
مات غريباً بطاعون وفي طلب
في عام سنِّ وخمسين ومع مئة
قاله يرحمه فضلاً ويُدخله

أحمدُ نجلِ أبي عمرانَ ذي الكَرَمِ
لعلمه علماءُ العُرب والعجم
للعلم في بلدٍ مُجاورِ العَلَمِ
من بعد ألفِ عدا لله ذي النعم
جناتِ عدنٍ مع الإخوانِ كلهم

(1698) أحمدُ بنُ عبد الكريم المجيلدي ، شاعرٌ مغربي اشتهر
بالنسبة إلى قبيلة بني مجيلد التي منها أصلُ سلفه (340) وهو أحدُ الأديباء

(339) البرقي الماطر ، في شرح النسيم العاطر (مصور مخطوط) ص 154 - 155 - 156 وحركة
الأدب في المغرب على عهد مولاي اسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 187 - 734 والدرة الجليلة ،
في مناقب الخليفة (أطروحة مرقونة) ص 34 - 39 - 131 - 164 والذُرُورُ المُرضعة (أطروحة مرقونة)
صفحات عديدة ، والروض الزاهر (مصور مخطوط) ص 198 والروضة المقصودة 1 : 406 وشجرة
أنسي ، في التعريف بنفسي ص 66 والرياحين الوردية ، في الرحلة المراكشية (مصور مخطوط)
ص 4 - 47 - 53 - 54 - 55 وطلعة المشتري ، في النسب الجعفري 2 : 148 والكنائش الناصرية
(مصور مخطوط) صفحات عديدة ، وفتح الملك الناصر ، في إجازات بني ناصر (مصور مخطوط)
ص 70 - 74 .

(340) بني مجيلد : قبيلة كبيرة بجبال فازاز (الأطلس المتوسط) قاعدتها مدينة أزرو بإقليم يفرن ،
تشمعل على بطون وعشائر عديدة مثل زكلاوة وبني غانم وبني لياس وءاية عرفة وءاية واحي وءاية مولاي
الخ ومن اشهر قراها : عين اللوح وبنصميم وزاوية يفرن وإيتزر والمحظية (تيمحضيت) .

والعلماء الذين أهملهم قومهم في هذا العصر وقبله وبعده ، فعلى كثرة ما طالعت من كتبٍ وراجعت من نواوينٍ وتصفحت من كُنْشَاطِ أَلْفَتٍ أو جمعت في هذا العهد والعهود التي تلتُه لم أظفر بشيءٍ يلقي بصيصاً من نور على حياته ، وكل ما استفدت منها عنه ثلاثة أشياء ، أولها أنه من أهل فاس ، وثانيها أنه ابن أخي قاضيها الفقيه الشهير أحمد بن سعيد المجبلي مُتَقَم الترجمة (6 : 90 ع 1614) ، وثالثها أنه شاعرٌ مفلقٌ وأديبٌ أريب ، عالمٌ علامة ، وحيدٌ وفته في علم العربية والنحو .

تَكَرَّ الشَّيْخُ أَحْمَدُ (الْخَلِيفَةُ) بِنَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ ابْنِ نَاصِرٍ فِي رِحْلَتِهِ (341) أَنَّهُ لَقِيَهِ بِالْمَاجِنِ فِي حِجَّتِهِ الثَّانِيَةِ عَامَ 1109 وَنَعْتَهُ بِأَحْسَنِ النَّعْوَاتِ وَدَعَا لَهُ ، فَقَالَ فِي حَقِّهِ :

«كَمَا وَرَدَ عَلَيْنَا الْأَخُ الْأَدِيبُ ، الشَّاعِرُ الْمَفْلُقُ الْأَرِيبُ ، سَيِّدِي أَحْمَدُ بِنَ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، نَجَلٌ صَبُو سَيِّدِي أَحْمَدُ بِنَ سَعِيدِ الْقَاضِي الْمَجْبَلِيِّ رَحْمَةً اللَّهِ ، وَمَعَهُ قَصِيدَةٌ رَائِقَةٌ ، اشْتَمَلَتْ عَلَى فَنُونٍ مِنَ الْبَدِيعِ فَائِقَةٍ ، تَقَبَّلَ اللَّهُ عَمَلَهُ ، وَبَلَّغَهُ فِي الدَّارَيْنِ أَمَلَهُ ، وَأَدَّى مَا عَلَيْهِ مِنَ الدِّيُونِ ، وَحَفِظَهُ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ»

ثُمَّ أوردَ الْقَصِيدَةَ الَّتِي مَدَحَهُ بِهَا ، وَهِيَ الْأَثَرُ الْوَحِيدُ الْمَعْرُوفُ مِنْ شِعْرِهِ ، وَنَصُّهَا :

مِنْ فَرَطٍ مَا يَلْقَاهُ مِنْ أَشْجَانٍ
أَحْدَا ، فَوَيْحِي مِنْ خَلَاءِ مَكَانٍ
مِمَّنْ تَمَلَّكَ مُهْجَةَ الْهَيْمَانِ
أَوْ مُقَلَّةٍ تَهْمِي بِدَمْعِ قَانِي
عَمَّنْ عَهْدَتْ بِهَا مِنَ السَّكَّانِ
رَحَلُوا ، فَسَلَّ الْقَلْبَ عَنْ جِيرَانِ
قَلْبِ الشَّجِيِّ خَلَا مِنَ السَّلْوَانِ
لِمَنَازِلِ الْأَحْبَابِ وَالْخِلَّانِ ؟

مَنْ لِلْكَتِيبِ الْمُسْتَهَامِ الْعَانِي
مُتَرَدِّدًا بَيْنَ الْمَعَالِمِ كَيْ يَرَى
خَلَّتِ الدِّيَارُ فَمَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكِي
لَا مَنْ يُجِيبُ سِوَى الصَّدَى بِخِلَالِهَا
وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى الطُّولِ مَسَائِلًا
فَأَجَابَنِي وَرَقُ الْحَمَامِ هُنَاكَ : قَدْ
خَلَّتِ الرِّبُوعُ مِنَ الْأَوَانِسِ مِثْلَمَا
هَلْ مِنْ دَلِيلٍ بِالرَّشَادِ يَدُلُّنِي

ما لي أراك تتيه كالخيران
بيداً من الأنجاد والغيطان
مهلاً بقلبي سائق الأظعان
فموعه مثل النجيع القاني
إن الصبابة فيكم نيداني
أهواكم في السر والإعلان
متجافياً ، وودانكم أعراني
هل كان يطرق ساحة الأجان
نلي ، فطول صدوبكم أضناني
فغدا كئيباً بالصبابة فاني
أحباب قلبي ، حبذا هجراني
ممن تحب ؟ لقلت فرط تداني
في دنها من قبل كل أواني
تخلق ، ولا كانت بنو ساسان
أهل الولاية من رجال الشان
يعبأ بأزواج ولا ولدان
جرار نيل التيه ذا هيمان
قدته وهو يهيج كالسكران
كلا ، ولا يخشون ذا شأن
ريان منها يعط خير جنان
يسقي الصداة بكأسه الريان
شمس الطريقة منبع العرفان
شيخ الشيوخ الأوح الصمداني
سباق أهل السر في الميدان
في لحظة من كان ذا طغيان
أهل العناية في أقل زمان
فغدا ولياً ذا شهود عيان
د به احتظي في غابر الأزمان

فكلم الربيع القواء وقال لي
ذهب الذين عهدتهم وتعسفوا
ساروا وسار القلب في أظعانهم
رفقاً بمن لا يأتلي ذا لوعة
يا أهل ودي ، أنتم أصل الجوى
إني وإن عدتوني بالضنا
حذرتوني بالتجني كني أرى
فلتسألوا الليل البهيم عن الكرا
ها مهجتي برحالكم فلترحموا
فصلوا غريباً قد توله بالهوى
إن كان في هجري رضاكم فاهجروا
لو قيل لي يا ابن الهوى ما تشتهي
والساقى يسقيني مداماً عتقت
كانت تصان لأهلها ، والكرم لم
خمر تخبرها السري وحزبه
وبها ابن أدهم طلق الدنيا فلم
وبها ابن دينار تذلل فاعتدى
وبها غدا الثوري في أجم وقد
لا يختشي شرابها من لائم
من ذاق منها ينتشي ومن اعتدى
خمر بها كان ابن ناصر الرضا
بحر الحقيقة موجه متلاطم
كنز المرید وتاج أرباب التقى
مرفاة أرباب السلوك ممدهم
نو همة ترقى إلى أوج العلا
كم من بعيد قربته فصار من
كم من جهول صار عالم وقته
هذا هو السر الذي كان الجنيد

غَرَّ الْأَنْسَامَ بِزُخْرِفِ فَتَّانِ
شَيْخٍ إِلَى شَيْخٍ إِلَى الْعَدْنَانِي
وَلغَرَّبْنَا بِحُلَاهِ بُرْدُ أَمَانِ
هُ الْأَقْمُونِ غَدَا نَوِي إِذْعَانِ
بِضْرِيحِهِ مِنْ شَاحِطِ أَوْ دَانِي
بَيْتِ الَّذِي يَسْمُو جَمِيعَ جَنَانِ
قُ ففَضْلُهُ يَعْنُو لَهُ التَّقْلَانِ
مَوْلَى أبا الْعَبَّاسِ قَطْبِ أَوَانِ
مَنْ مَا لَهُ فِي عَصْرِنَا مِنْ ثَانِي
وَمِغَاصُ نُرِّ السَّرِّ وَالْمَرْجَانِ
مِنْ بَدْرِهِ الْأَسْمَا الرَّفِيعِ الشَّانِ
قَدْ أَقْطَعْتُ بِتَطَاوُلِ الْعُدْوَانِ

يَسْمُو بِهِمَّتِهِ عَلَى كِيَوَانِ
فَخَرَّ عَلَى النَّظْرَاءِ وَالْأَقْرَانِ
زَهْرًا تَدَانِي لَاقْتِطَافِ الْجَانِي
كَالشَّمْسِ فِي حَمَلٍ وَفِي سِرْطَانِ
لِ الْعَالَمِينَ بَدَتْ بِكُلِّ مَكَانِ
أَوَّلُو النَّهْيِ بِتَشْنُفِ الْأَذَانِ
لِلْحَاضِرِينَ بِهَا عَلَى اسْتِذْنَانِ
وَلَنَا دَلِيلُ سَاطِعِ الْبُرْهَانِ
بُشْرَى لَهَا وَلَسَائِرِ الْأَكْوَانِ
نَحْوَ الْحِجَازِ مُصَاحِبَا بِنَهَانِي
فِي الرِّكْبِ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عُرْبَانِ
بِرِحَالِكُمْ بِفَوَادِهِ الْوَالِهَانِ
نَاءٍ عَنِ الْأَوْلَادِ وَالْأَوْطَانِ
مُسْتَصْرَخًا لِنَوَائِبِ الْجِدْثَانِ
مَا إِنْ لَهُ لِنَوَائِبَاتِ يَدَانِ
بَتْ فَجَلْمُكُمْ أُرْبَى عَلَى ثَهْلَانِ

هَذَا هُوَ الْمَجْدُ الْإِلَهِ ، لَا كَمَنْ
هَذَا الَّذِي إِسْنَادُهُ قَدْ صَحَّ مِنْ
هَذَا الَّذِي بَلَغَ الْمَشَارِقَ صَيْئَهُ
هَذَا الَّذِي زَانَ الطَّرِيقَةَ لورءَا
بُشْرَى لِدرَعَةٍ فَاخْرَتْ كُلَّ الدُّنَا
حَاشَا مَدِينَةَ طَيِّبَةَ وَمَدِينَةَ الـ
وَالْقَدَسَ لَا تَنْسَى لَهُ مَا يَسْتَجِ
فَاقْصِدْ فَتَنُوكَ النَّفْسُ وَارِثَ سِرِّهِ الـ
مَوْلَايَ قَطْبِ نَوِي الْمَعَارِفِ أَحْمَدِ
بِحَرِّ خِضْمٍ مَوْجُهُ مِتْلَاطِمٍ
ذَلِكَ الَّذِي نَوَّرَ الْهَدَايَةَ سَاطِعٍ
ذَلِكَ الَّذِي يُرْجَا لِدْفَعِ مُلْمَةِ

مَنْ حَازَ إِزْنًا مِنْهُ بِالْتَعْصِيبِ ، مَنْ
غَوَتْ الْمَشَارِقُ وَالْمَغَارِبُ ، مَنْ لَهُ
شَيْخُ الشُّيُوخِ وَمَنْ لَهُ خُلُقٌ حَكِي
نَوِ السَّرِّ مِنْ آيَاتِهِ كَالْبَدْرِ أَوْ
كَمْ مِنْ كِرَامَاتٍ لَهُ بِهِرْتِ عَقْوِ
كَمْ مِنْ مَعَارِفٍ تَزْدَهِي بِسَمَاعِيهَا
كَمْ حَضِرَةٌ فِيهَا الْكُؤُوسُ مُدَارَةٌ
هَذَا لَعَمْرِي قَطْبُ أَهْلِ زَمَانِنَا
لِبِسْتِ بِهِ هَذِي الْبِلَادِ مُلَاءَةٌ
لَكِنَّ لِلشَّرْقِ افْتِخَارًا إِذْ غَدَا
بُشْرَى لَمَنْ يَحْنُو وَمَا يَحْنُو وَمَنْ
يَا أَهْلَ هَذَا الرِّكْبِ رِقُّوا لِلَّذِي
اللَّهُ فِي هَذَا الْكَنْيَبِ فَإِنَّهُ
حَاشَاكُمْ أَنْ تُسَلِّمُوا مِنْ جَاءَكُمْ
حَاشَاكُمْ أَنْ تَتْرَكُوهُ مَوْلَاهَا
أَنَا جَارِكُمْ وَإِنْ انْتَأَيْتُ بِمَا اقْتَرَفُ

أهل العناية فالوداد كفاني
مقروحة بالمدمع الهتان
فلتقبلوا مدحي على عصياني
ما يختشي من نلّة وهوان
الأتقياء السادة الأغيان
فيصول صولة ضيغم غضبان
صر الذي نصر الشريعة ثاني
ودليل هذا في غصون البان
بدوائه من بعد سقم ءاني
متفجراً من صدره بحران
نو هممة تعلقو على الميزان
هذي لغمري هممة السلطان
فتراه منعطفاً لذنوب الجاني
سطوات لئث في نوي العصيان
والنفس والشهوات والشيطان
يرجو النجاة وملجأ اللهفان
وننوبه قانده بالأرسان
مستقلاً لعبادة الرحمان
ضربت عليه بكل كل وجران
أنسته دين المالك الدينان
لا يقبلون ولو أنى بيان
بثنائكم متناسب الأوزان
مختار في كعب وفي حسان
جدلاً مصوناً في أجل صوان
بين البرية حائزاً لأمان
وصداقها منك القبول لجاني
في صفح وجه نواب الجندان
جوراً علي وصل بالعدوان

جودوا لمن قد أمكم بمناه يا
هل عطفة منكم لمن أجفائه
ها مدحتي أرجو تكون وسيلتي
أنى يخاف المستجير بأحمد
لم لا؟ ووالده إمام الأوليا
شهم إذا انتهكت لجار حرمة
قسماً بمكة ما لمولانا ابن نا
إلا ابنه والمرء يشبه عيصه
كم من مريض القلب أصبح ناشطاً
جمع الشريعة والحقيقة فاغدى
فلنا بحمد الله منه سيد
نو هممة تدع القلوب نوابلا
ولحلمه كل العلوم تضاءلت
بحر المعارف والعارف من له
فيه نصول على النوائب والردى
يا أيها الحامي الحمى وملاذ من
من للذي وافى حماكم ضارعا
قد صار للشيطان عبداً طائعا
مشكياً من فقره، فهمومه
أنى يطيق عبادة وديوته
وله أفيراخ صغار عذره
ها قد أتيناكم بمدح رائق
والمادحون لهم حقوق سنها ال
كعب كساه بردة فغدا بها
سأل الأمان به وصار معظماً
ها مدحتي لفت حياء وجهها
أبغى بها صكاً تصك أكفه
وبكم أنود خطوب دهر قد عتا

وأكون حراً من ديون أثقلت
وأوب منكم بالغنى والعز والد
إني وأولادي ألود بكم على
لا تتركوا الدهر الخوون ينوشني
فلتجدوا ذا المستغيث ببابكم
فبحرمة المختار أحمد جنتكم
صلى عليه الله ما أهدى النسب
أو ما شدا الشادي لفرط هيامه

ظهري فتمحق لفظة الديان
بين المتين مطهراً لجنان
مر الليلي وجملة الإخوان
فإلى متى هذا الزمان أعاني؟
ولتصلتوا مولاي غضب يمانى
مستشفعاً ياسادة الأعيان
م تحية لأزاهر الريحان
(من للكتيب المستهام العاني)

لم أقف على تاريخ وفاته ، وأقدر أنها كانت قبل سابقه المترجم قبله ،
وإنما نكرته بعده لاشتراكهما في مدح أحمد الخليفة ووالده الشيخ محمد ابن
ناصر ومعارضة الأول لقصيدة الثاني ، وأيضاً للفت الأنظار إلى هذا الأديب
الذي لم يحظ بعناية المؤرخين والمترجمين ، والذي أعلل النفس بأن الأيام
كفيلة بأن تطلعنا على أخباره ، وتضع بين أيدينا نبذاً وافيةً من أشعاره
وءأثاره (342)

(1699) أحمد بن علي بن عبد الله الحمّامي الريفى ، أحد كبار قواد
المغرب في القرن الثاني عشر الهجري ، وابن أسرة قوية اضطلعت بالجهاد
والمرابطة على مراكز الاحتلال الاجنبي بشمال المغرب ، أصلها من قبيلة
تمسمان الشهيرة بناحية الريف ، ونسبها إلى فريقي منها يُعرفون بأولاد
حمامة أو إلى جبل هناك يُسمى جبل الحمام ، فلذا يُدعى المترجم بالحمّامي
تارة وبالريفي تارة أخرى ، وشهرته بالريفي أغلب .

وُلِدَ في أغلب الظن بتطوان في نحو عام 1093 هـ (343) أيام حكم
أبيه القائد علي بها ، ونشأ فيها نشأةً تتّسم بلين الحضارة وخفض العيش على

(342) الدرر المرصعة (نسخة مرقونة) ص 73 والرحلة الناصرية 1 : 21 والروض الزاهر
(مصور مخطوط) ص 147.

(343) ذكر مستر وندوس الذي كان مرافقاً للسفير الإنجليزي مستر شارل ستوارت في كتابه (رحلة
إلى مكناس) أن عمر الباشا أحمد المترجم كان يتراوح سنة 1721 م (1133 هـ) بين الأربعين والخامسة
والأربعين .

خلاف نشأة وحياء أسرته المُتَّسِمَةِ بخشونة البداوة وشطَف المعيشة ، تلك الأسرة التي كانت همتها مصروفةً لإِتْقَانِ الفنون الحربية وإِجَادَةِ المكايد القتالية والتضييق على الأجانِبِ المحتلين ، وعلى ذلك كان تامَّ الخلقَة جلدًا صبوراً فارساً مغواراً وقوراً مطاعاً في قبيلِهِ كثيرَ الطموح شديدَ الاعتدالٍ بالنفس جماعاً للمال لا يُبالي أي طريق سلك لتحصيله ، اجتمعت فيه خصالٌ مُتباينةٌ وشيمٌ متناقضة مثل كَلِّ الطغاةِ المُستبِدِّينَ ، تُرَوَى عنه قِصَصٌ في بعضها رحمةٌ وكرمٌ وتعقلٌ ، وفي بعضها الآخر ما يدلُّ على قسوته وبخله وتهوره وغروره.

ولما تُوفِّي والده القائد علي بن عبد الله بطنجة مساءً يوم الثلاثاء 6 شعبان عام 1125 وكان هو أكبر أولاده والمشهورَ بينهم بالصرامة والحزم ولأه السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف العلوي مكانه ومنحه لقبَ باشا ، فانتسَع نفوذه وعظُم سلطانه ، وصارت مناطق حُكمِهِ مُمتدَّةً من طنجة ومَصَّب نهر سَبُو غرباً إلى نهر مَلُوية شرقاً وأحواز مدينة تازة عمقاً ، وقضى سنوات حُكمِهِ الأولى هادئاً وديعاً يُقيمُ مرةً بتطوان وأخرى بطنجة وثالثة مع المجاهدين في الرباط على سبته ، ذلك الرباط الذي مضى عليه يومَ أُسِنِدَتْ إليه الولاية أكثرُ من عشرين سَنَةً .

وخلال هذه المُدَّة الأولى من حكمه ارتبط الباشا أحمد بعلاقات قوية مع الجيران الإسبانيين ومع الإنجليز حُكام جبل طارق الجُدُد ، وهو الذي أمضى صحبة اليهودي المغربي موسى ابن عطار - نيابةً عن السلطان مولاي إسماعيل - يوم 18 ربيع الأول عام 1133 هـ (7 يناير سنة 1721 م) المعاهدة المغربية الإنجليزية التي أمضاها - نيابةً عن جورج الأول ملك بريطانيا العظمى - سفيره الجديد بالمغرب شارل ستيوارت (344) Charles Stewart

وكانت نفقات الحكم والرباط وتكاليف مبانیه وهداياهِ إلى السلطان ورجال حاشيته تقتضي جمعه لأموال كثيرة ، فكان بسبب ذلك يفرضُ على مَنْ وضعهم القدرُ تحت حكمه ضرائب ثقيلة ويوجبُ عليهم أداءَ غراماتٍ

باهظة أفقرت أغنياءهم ، وأضعفت أقوياءهم ، لا يخاف في تحصيلها لومة لائم ، ولا تأخذه شفقة ولا رحمة ، وكان الناس يتحملون تلك المغارم على مَضَض ، خوفاً من بطش السلطان وعبيده الذين كان الباشا أحمد يسترضيهم بالتحف النفيسة ، ويجلب ودُّهم وتأييدهم بالهدايا الغالية ، وما عساهم أن يفعلوا ؟ وأرخصُ السِّلَعُ سعراً في سوق الحُكْم يومئذٍ أعناقُ الرجال .

فلما تُوفِّي السلطان مولاي إسماعيل بمكناس يومَ السَّبْتِ 28 رجب عام 1139 هـ (22 مارس سنة 1727 م) وبإيع العبيد ابنه أحمد الذهبي سلطاناً على المغرب ، وهوَ مَنْ عرفتْ نعتَه وصفته في ترجمته المتقدمة في هذا الجزء ، وظهر الخللُ في الدولة ، وانحلَّت عقدة النظام بقتل العبيد لجُلِّ الرجال الذين كان السلطانُ مولاي إسماعيل يعتمدُ عليهم في الحكم ، بدأت الرعيةُ المقهورةُ تتململ وتثورُ على عمالها المستبدين ، وولاتها الجائرين ، وكان أهلُ فاس أسبقَ الناسِ إلى التمرد ، فقتلوا عاملهم أبا علي الروسي (345) وثمانين من أتباعه ، وصار أهلُ تطوان يتربصون دائرة السوءِ بالباشا أحمد المترجم ، حتى وقعَ حادثٌ بسيطٌ في حَمَام بين مُستحِمِّ تطواني وءآخر ريفي ، فأعلنوا الثورةَ التي سبقتهم إليها القبائلُ الجبليةُ بقيادة زعيمٍ من أسرةِ بوالليف المصوري كان صاحبِ جاءٍ وصوله وكلمةٍ مسموعةٍ في تلك الجبال ، فكان من نتيجة هذه الثورات أن الباشا أحمد فكَّرَ في رفع الحصار عن سبتة واستقدام الأبطال المرابطين حولها لقتال المتمردين على حكمه ، ولكنه لما خاطبهم في ذلك أبوا أن يرفعوا الحصار عن المدينة المحتلة التي كانوا مصممين على إنقاذها من يد الإسبانيين ، ورفضوا أن يسيروا معه لمحاربة الثوار الذين خربوا قصره بتطوان ، ونسفوا (دارَ النزهة) التي كان يشيدها بضواحيها (346) .

ورغم المحاولات التي بُذلت لإصلاح ذاتِ البينِ بين الباشا أحمد وبين أهل تطوان وقبائلها لم يسع السلطان أحمد الذهبي إلا أن يعزله عن ولايتها

(345) إليه تُنسَبُ (دار بوعلي) بحومة المعادي بفاس .

(346) قصر الباشا أحمد هو الذي صار فيما بعد مسكناً للخليفة السلطاني ومقرّاً للتصليّة الإسمانية بساحة العذان بتطوان ، وكلاهما تحوّل في الوقت الراهن إلى قصر من قصور جلالة الملك .

وَيُعَيِّنَ بَدْلَهُ حَاكِمًا عَلَيْهَا الْبَاشَا عَبْدَ الْمَلِكِ بُوَشْفَرَةَ الْوُدِّيَّ الَّذِي كَانَ قَائِدًا بِفَاسَ الْجَدِيدِ ، وَكَتَبَ إِلَى الْقَنْصَلِ الْإِنْجَلِيزِيِّ وَالتَّجَارِ الْأَجَانِبِ بِتَطْوَانٍ يُخْبِرُهُمْ بِذَلِكَ يَوْمَ 20 ذِي الْقَعْدَةِ عَامَ 1139 هـ .

لَكِنْ أَيَّامَ حُكْمِ بُوَشْفَرَةَ لَمْ تَطُلْ بِهَا ، لِأَنَّ الْبَاشَا أَحْمَدَ الرَّيْفِيَّ الَّذِي عَزَلَهُ السُّلْطَانُ عَنْ حُكْمِهَا وَأَبْقَاهُ حَاكِمًا عَلَى الثُّغُورِ الْغَرْبِيَّةِ (طَنْجَة - أَصِيلَة - الْعَرَاتِش) كَرَّ عَلَيْهَا فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنْ عَامِ 1140 وَجَلَبَ عَلَيْهَا بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ ، وَتَمَكَّنَ رِجَالُهُ فِي الْأَوَّلِ مِنَ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى بَعْضِ أَحْيَائِهَا ، وَلَمَّا رَأَى أَهْلُهَا أَنَّ حَاكِمَهَا الْجَدِيدَ تَخَلَّى عَنْهُمْ وَفَرَّ هَارِبًا تَارِكًا إِيَّاهُمْ لِقَدْرِهِمْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَأَسْنَدُوا قِيَادَةَ مُقَاوَمَتِهِمْ لِلْفَقِيهِ عُمَرَ بْنِ الْحَاجِّ عَبْدِ السَّلَامِ لَوْقَشٍ وَرَدُّوا الْكُرَّةَ عَلَى الْمُهَاجِمِينَ ، وَجَرَى بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مَعْرَكَةٌ عَنيفَةٌ عُرِفَتْ بِـ «عَيْطَةِ السَّبْتِ» ، انْتَهَتْ بِهَزِيمَةِ أَصْحَابِ الْبَاشَا أَحْمَدَ وَانْسِحَابِهِمْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَحِينَئِذٍ أَتَوْا مَجْلَسًا سَمَّوْهُ الدِّيْوَانَ اخْتَارُوا أَعْضَاءَهُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ وَأَوْلَى الْبَاسَ وَالشَّدَّةَ مِنْ رِجَالِهِمْ لِحُكْمِهَا وَتَتَقَيَّفَ اطْرَافُهَا وَتَنْظِيمَ الدِّفَاعِ عَنْهَا .

وَلَمْ يَبْأَسِ الْبَاشَا أَحْمَدَ عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا أَصَابَهُ وَجُنُودَهُ مِنْ ذَلِّ الْهَزِيمَةِ ، فَقَدَّ وَاصِلًا مَسَاعِيَهُ لَدَى الْعَبِيدِ (قَوَادِ رَوْسُهُمْ) بِمَكْنَاسِ (347) ، وَاسْتَطَاعَ بِمَا أَغْدَقَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْهَدَايَا أَنْ يُوَثِّرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى اسْتَصْدَرُوا لَهُ مِنَ السُّلْطَانِ ظَهِيرَ تَعْيِينِهِ قَائِدًا لَتَطْوَانٍ مِنْ جَدِيدٍ ، وَلَكِنَّ أَهْلَهَا الَّذِينَ أُبْسُوا مِنْ إِنْصَافِ الْعَبِيدِ وَفَهَمِهِمْ لِلْوَضْعِ عَقَدُوا النِّيَّةَ وَصَمَّمُوا الْعِزْمَ عَلَى رَفْضِ هَذَا التَّعْيِينِ كَيْفَمَا كَانَتْ عَاقِبَةُ الرِّفْضِ ، وَأَكَّدُوا تَمَسُّكَهُمْ بِالْقَائِدِ عُمَرَ لَوْقَشٍ الَّذِي انْتَخَبُوهُ بِرِضَاهُمْ لِحُكْمِ الْمَدِينَةِ بَعْدَ مَا أَظْهَرَ مَقْدَرَةَ وَكْفَايَةَ فِي الدِّفَاعِ عَنْهَا .

وَبِهَذَا الرِّفْضِ الَّذِي أُبْدِنَتْهُ الْقَبَائِلُ أَيْضًا دَخَلَتْ تِلْكَ النَّاحِيَةَ فِي صِرَاعٍ حَامٍ بَيْنَ أَهْلِ تَطْوَانٍ وَأَشْيَاعِهِمُ الْجَبَلِيِّينَ وَبَيْنَ الْبَاشَا أَحْمَدَ وَأَتْبَاعِهِ الرَّيْفِيِّينَ ، صِرَاعٌ اسْتُعْمِلَتْ فِيهِ كُلُّ الْأَسْلِحَةِ الَّتِي مِنْهَا الشُّعْرُ وَالتَّرْسُلُ وَالتَّالِيفُ (348)

(347) قَوَادِ رَوْسُهُمْ هُوَ اللَّقْبُ الَّذِي صَارَ النَّاسُ يُلقَّبُونَ بِهِ عَبِيدَ الْبَخَارِيِّ (فَنَّةٌ مِنَ الْجَيْشِ النَّظَامِيِّ) لَمَّا عَمَتِ الْفِتْنَةُ الْمُعْرَبُ بَعْدَ وَفَاةِ السُّلْطَانِ مَوْلَايِ إِسْمَاعِيلَ ، وَصَارَ الْعَبِيدُ يَتَصَرَّفُونَ بِالتَّوَلِيَّةِ وَالْعِزْلِ دُونَ أَنْ يَكُونَ قَوَادِمَ مُسْتَنْدِينَ فِي (الْقِيَادَةِ) عَلَى سَنَدٍ شَرْعِيِّ ، فَكَانَ النَّاسُ يَصْفُونَ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ قَائِدٌ رَاسِمٌ .

(348) تَقَدَّمَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي تَرْجُمَةِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الْحُمَيْدِيِّ (ص 270 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ) ، وَاسْتَرْدُ أَشْيَاءَ أُخْرَى فِي تَرْجُمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَوْفِقِ الثَّمَالِيِّ الْجَزَائِرِيِّ ، وَمُحَمَّدِ بَجَّةِ الرَّيْفِيِّ ، وَعُمَرَ لَوْقَشٍ .

وخلال السنين التالية ازدادت الحالة سوءاً في المغرب بسبب استبداد العبيد وتنازع أولاد السلطان مولاي إسماعيل على الملك ، وشعر الولاة في الأقاليم بضعف السلطة المركزية فتحركت في نفوسهم نوازع الاستقلال بالحكم ، وتشوّف منهم من تشوف إلى الاعتماد بالتاج والاستواء على السرير ، ومع أن الباشا أحمد بن علي الريفي المترجم لم يقطع صلته بمقر الحكم بمكناس ، وبقي يداهن العبيد بها ويغدق من هداياه عليهم وعلى من يبايعونه سلطاناً فإن تصرفات هوجاء مسنة شخصياً ومست قبيلة عام 1143 أحدثت نفرة بينه وبين السلطان مولاي عبد الله وجعلته يُغيّر مواقفه ويتخلّى عن مدهنته ويستبد بحكم مدنه وقبائله غير معترف بشرعية حكم كل من يُسلطنه العبيد «قواد روسهم» بالغدو ليخلعوه بالأصل .

وطيلة السنوات الثلاث عشرة التي تلت القطيعة المذكورة عاشت المناطق الخاضعة لحكم الباشا أحمد الريفي في فوضى عارمة واضطراب كبير ، شأنها في ذلك شأن بقية جهات المغرب ونواحيه ، وعاش هو نفسه في وضع متأزم وحال متقلب ، فمرة كان يستعد لإعلان نفسه سلطاناً فوضع لعشيرته نسباً مع آل البيت النبوي ، وكتب إلى أصدقائه بأوربا يطلب منهم إعداد سرير الملك وأدواته الفاخرة له ، وقوى عزمه على التملك ما رآه في بعض الجفريات من صيرورة الملك إليه ، وتارة أخرى كان يخوض مع الخائضين من العبيد في نصر هذا الملك وعزل ذلك ، حتى أنه أضهر بإحدى بناته إلى الأمير مولاي المستضيء بنور الله أحد أبناء السلطان مولاي إسماعيل ، وصار يؤيده في حروبه ضد أخويه السلطان زين العابدين والسلطان مولاي عبد الله ليحمله في حالة انتصاره العوبة بين يديه يتصرف باسمه في المغرب كله كما يشتهي ويريد ، وزحف معه في شهر محرم عام 1156 على فاس بجيش قوي ولكنه انهزم ونهب معسكره ، وفر إلى طنجة وأقام بها ريثما أعاد تنظيم جيشه وتجديد أسلحته ، ثم سار قاصداً فاس بقصد احتلالها وتنصيب صهره مولاي المستضيء سلطاناً بها ، ولكن السلطان مولاي عبد الله كان له ولجيشه بالمرصاد بدار العباس على وادي لكوس قرب مدينة القصر الكبير ، فجرت بين الفريقين معركة مبيدة يوم الاثنين 14 جمادى الأخرى عام 1156 هـ (6 غشت سنة 1743 م) أسفرت عن

جرح الباشا أحمد وسقوطه في الميدان من على ظهر فرسه ، وتعرف عليه وسط القتلى والجرحى أحد قواد السلطان مولاي عبد الله فأجهز عليه وحز رأسه ، فأرسله السلطان إلى فاس فوصلها عشية يوم الأربعاء فطيف به في الأسواق ثم علق بباب المحروق ، وبقي مُعلّقاً إلى أن تشفّع في إنزاله عند السلطان أبناء الشيخ عبد الرحمان الثعالبي من الجزائر فقبل شفاعتهم وكتب بإنزاله ودفعه لهم .

وأخبار الباشا أحمد وأسرته طويلة عريضة لا يسع تفاصيلها إلا كتاب ، وقبل طي صفحاتها نشير إلى أن الأديب الشهير المهدي الغزال آتي الترجمة ألف له وفيه كتاباً سماه (نزهة الإحسان ، ومناهج الصلوات الجسان) توجد نسخة مخطوطة منه في مكتبة العلامة المرحوم السيد العابد بن عبد الله الفاسي الفهري بفاس (349)

(1700) أحمد بن محمد السرايري ، فقيه مغربي تطواني النشأة والوفاة ، كان مشاركاً في علوم الشريعة واللغة والحديث ، تتلمذ على الشيخ علي بركة وجمع حواشيه على ألفية ابن مالك .

ولما زار تطوان عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري اجتمع به وأخذ عنه ألفية العراقي التي كان يُقرئها في جامعته القريب من زاوية سيدي الجعدي ، وقال إنه لم يرَ من يُحسن قراءتها وفهمها مثله واستجازه فأجازه في أواخر محرم عام 1156 .

توفي مطعوناً بتطوان في شهر شوال 1156 هـ (350)

(349) الاستقصا ج 7 صفحات كثيرة ، وتاريخ تطوان 2 : 45 وما بعدها ، وتاريخ الدولة السعودية للضغيف صفحات عديدة والجيش العرمرم الخماسي (الطبعة الحجرية) ج 1 صفحات عديدة ، وحركة الأترب في المغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 1112 و 1138 والدر المنتخب المستحسن (مصور مخطوط) صفحات عديدة ، ورحلة ابن حمادوش الجزائري ص 75 - 77 ورحلة إلى مكناص لجون وندوس ، صفحات عديدة والروضة السلومانية (مصور مخطوط) صفحات عديدة ، والعلم والفكر في مطلع العصر الطوي ص 123 .

(350) التقاط الدرر 2 : 394 ع 528 وتاريخ تطوان 3 : 41 و 172 ورحلة ابن حمادوش الجزائري ص 67 و 69 ونشر المثاني 4 : 42 والنهستان الطريف ص 284 . 309 . 310 . 312 . 313 .

(1701) أحمد بن الأمين الغلاوي التواتي ، من علماء التكرور بالسودان المغربي ، يلقب بالتواتي ، كان عالماً عاملاً ، امرأً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، مقيماً للسنة ، مهاباً مطاعاً في بلده ، حجّ مراتٍ عديدة ، وكان شيخ ركب حجاج بلده .

له شرحٌ عجيبٌ علي نظم ابن سعيد السوسي سمّاه (كشف الضمة ، في نفع الأمة) ، وبنى قرية سماها دار السلام ، وأول ما بنى فيها المسجد ودار الإمام ومدرسة للطلبة .

توفي بفران وهو راجع من الحجّ عام 1157 هـ (351)

(1702) أحمد بن يوسف القرماني ، والي طرابلس الغرب ، ومؤسس الأسرة القرمانية التي حكمها حكماً وراثياً دام 125 سنة على عهد الخلافة العثمانية .

أصل أسرته من تركيا ، وموطنها بالأناضول مدينة قرمان التي جاء منها جدّه الأعلى مصطفى القرماني إلى طرابلس ، واستقرّ منها بحيّ المنشية ، وامتلك أرضاً فلاحية اشتغل بزراعتها بعدما كان بحاراً ، ونشأت نريته بين سكان تلك المنطقة وتصاهروا معهم ، وكان منهم موظفون حكوميون ، مثل يوسف والد المترجم الذي ارتقى في الخدمة العسكرية إلى رتبة باشاغا فرسان الساحل أيام حكم الوالي خليل باشا .

وُلد أحمد باشا القرماني بطرابلس عام 1098 هـ ونشأ في حضانة زوج أمّه الذي ربّاه تربيةً حسنةً لفتت إليه الأنظارَ وحببته إلى الناس ، وأهلته لتولّي المناصب الرفيعة على صغر سنّه ، ولما عزل أعيان الديوان الوالي محمود أبو أميس وقبضوه لم يروا أصلح منه لتولّي الحكم ، فبايعوه بالإجماع ضحى يوم الخميس 13 جمادى الآخرة عام 1123 وعمره لا يتجاوز 25 سنة ، فأمسك مقاليد الولاية بحزم ، وكان عليه في البداية أن يحبط العديد من المؤامرات ، ويخمد نارَ الكثير من الفتن والثورات ، ومن المصاعب التي واجهته بعد مرور تسعة أيام فقط على جلوسه على سرير الحكم وصول

أسطول من إسطنبول يَحْمَلُ الوالي الأسبق خليل باشا وفي يَدِهِ فرمانٌ تَعْيِينُهُ من طرف السلطان أحمد خان الثالث والياً جديداً على طرابلس ، ومعه 800 مقاتل ، ولكنَّ أحمد القرماتلي منَعَهُ ومقاتليه من النزول إلى البر ، فذهب خليل باشا إلى مدينة زوارة الواقعة في غرب مدينة طرابلس ، ونزل بها وجنوده ، وبدأ يكتأب شيوخ القبائل ويدعوهم إلى طاعته بدعوى أنه الوالي الشرعي المعين من طرف السلطان ، فنسل إليه الأعراب من كل حَدْبٍ وصَوْبٍ ، وبدأ يستعدُّ للزحف بهم على طرابلس ، ببَدَأَنَّ المترجم سَرَّحَ إليه الجيش فاعترضه في زواغة (352) وتحارب الفريقان يوم السبت 13 رجب عام 1123 ، وقُتِلَ في المعركة خليل باشا ، وارتدَّ قُلُّ عسكرِهِ إلى الأسطول ، فأقلعَ بهم عائداً إلى تركيا.

ومن نكاه المترجم وبراعة سياسته أنه أرسل عَقَبَ هذا الانتصار وفداً إلى إسطنبول عاصمة الخلافة يحمل هديةً سنويةً إلى السلطان أحمد خان وهدايا فاخرةً إلى وزرائه ورجال حاشيته ، فَشَرَحُوا للسلطان ولهم استقامة مُرسَلِهِم وصلَاحه ، وبيَّنوا له سوءَ سيرة الوالي الأسبق خليل باشا وما عاناه الأهالي من مظالم أيام ولايته ، فأصغى إليهم السلطان وأمرَ بكتِّبَ فرمان يُعَيِّنُ المترجم بمقتضاه والياً ، فحملهُ الوفدُ وانقلبَ إلى طرابلس مسروراً.

وكانَ المترجمُ يَتَمَتَّعُ بمواهبٍ سياسيةٍ ويَتَّصِفُ بصفاتٍ سويةٍ ضمننت له محبة الشعب وطاعة الجنود ، وبها استطاع أن يُنَلِّقَ العقبات التي اعترضته ويوطد دعائم استقرارٍ نسبي في مناطق حكمه التي امتدَّتْ إلى بنغازي ودرنة شرقاً وإلى فزان في الجنوب ، نكروا أنه كان لين العريكة مؤثراً للعدل والإنصاف ، إدارياً مُنظماً ، أسس قوانين الدولة وأحيا ما دثر من قواعدها ، وضرب السكة ، وعيَّن الولاة والعمال لحكم الأقاليم ، وأمرهم أن ينشئوا بجانبهم مجالسَ تعيُنُهُم على الحكم ، على غرار المجلس الذي أنشأهُ هو إلى جانبه للنظر في الشؤون العامة وفصل القضايا والنوازل الشرعية التي تُعَرِّضُ عليه ، ولكنه كان - كما يقولُ ريدولفو ميكافي - يُخفي تحت رِقَّةِ أخلاقِهِ وحُسنِ مُعامَلتِهِ إرادةً قويةً وحزماً وعزيمةً لا تعرفُ

التردد ، حتى أنه لم يكن يتوانى في القضاء على من يشك في إخلاصهم له أو يحس أنهم يتآمرون عليه ، أفراداً كانوا أو جماعات ، ذكروا أنه لما تم له الأمر واستولى على الحكم عمل مذبحة كبيرة في بيته الريفية بقرب الهاني ، دعا إليها 300 من الضباط الأتراك من الذين يخاف أن يكيدوا له فقتلهم جميعاً !

وكانت له علاقات مع جُلّ الدول الأوروبية ، تتسم تارة بالصلح والمهادنة ، وتشوبها في غالب الأحيان العداوة والبغضاء بسبب القرصنة التي كانت سفنه تمارسها في وسط البحر الأبيض المتوسط ، ولاتقاء شر أسطوله كانت دولٌ أوروبيةٌ عديدةٌ تعقدُ معه اتفاقياتٍ ومعاهداتٍ تلتزم فيها بأداء أموالٍ وهدايا وءالاتٍ حربيةٍ إليه.

وهو الذي استقبل في عاصمته يوم الجمعة 29 شعبان عام 1143 هـ ركب الحاج المغربي الذي كانت فيه السيدة خنثة بنت بكار المغافرية زوج السلطان مولاي إسماعيل صحبة حفيدها الأمير سيدي محمد بن عبد الله الذي فيما بعد صار سلطاناً ، وقد وصف الكاتب المغربي الإسحافي الشرقي - الذي رافق السيدة خنثة والأمير حفيدها في رحلته التي كتبها عن حجتهما - دخول موكبهما إلى طرابلس وحفاوة أميرها المترجم وسكانها به فقال :

«... ومن الغد ارتحلنا فأصبحنا على طرابلس ، فقرأت لنا قصوره بها وميض ، وكأنها في سواد زياتينه الأيام البيض ، وقد صدق أهلها في تسميتهم لها بالمدينة البيضاء ، وما حططنا الرحال ، وألقينا عصا الترحال ، إلا قريباً من الظهر ، فتسابق الناس إلى الموضع المسمى منه بالمنشية ، لاكتراء الأحواش والسواني ، ومن الناس من سبق أو سبق صاحبه فهياً منزله فقصده من أول وهلة ، وخرج ولدُ صاحب البلد وحاكمه أحمد باشا في لمةٍ من أصحابه مع أهل البلد رجالاً ونساءً حفاقي الطريق وعلى السطوح مظهرين الفرخ والسرور بولد سيدنا نصره الله وبوفد الحجاج ، وأخرج مدافع كباراً سلاماً على ولد السلطان نصره الله على عادة أهل البحر في التسليم والتوديع بالمدافع ، واحتفل ولدُ سيدنا نصره الله سيدي محمد أصلحه الله للدخول لهذا البلد فيمن معه من الوصفان عبيد سيدي البخاري نفع الله

به ، فتناولوا من لباسهم ومراكبهم وحسن زبهم ما كانوا أعدوه لذلك ، ولعبوا بالبارود لعباً قضى منه ترك البلد وغيرهم العجب ، ويعترفون أنهم لا قدرة لهم على ذلك اللعب ، ولا معهم من الفروسية ما يقاوم ذلك ، وأهل البلاد المشرقية كلهم يتعجبون من زبي مخزن سلاطين المغرب : مولانا إسماعيل ، وولده هذا مولانا عبد الله نصره الله وأدام وجوده ، فقد تقرّر عندهم من فروسيته وشهامته وحزمه وعزمه وضبطه وجوده ما أوجب تعظيمه في نفوسهم كل التعظيم ، ويقول منهم من علم ما أعلم : من يشابه أبه فما ظلم !

واحتفل الباشا في ضيافة ولد سيدنا نصره الله مع أمه أعزها الله غاية الاحتفال ، فما ترك شيئاً من أنواع المؤونة والعلوفات وسائر المرافق إلا أحضره ، ووقف لدفعه خدامه وأعوائه المؤكّلون بذلك ، وهذه عادته حتى انفصلنا عن البلد مُشرفين ، وكذلك حين خيمنا على طرابلس مغربين ، جزاه الله بالخير ، فقد قام بالحقوق قيام الحرّ لا المرقوق ، وإنما يعرف الفضل من الناس نوره ، ولا شك أن البادية بالخير أكرم ، وإلا فهذا الخير الذي صدر منه للسيدة والدة سيدنا نصره الله قد كافأته عليه وأضعفت له الجزاء على ضيافته أضعافاً مضاعفة ، فقد أعطته عطاءً ملكياً يستغرب في بلده وغيره جزاها الله خيراً على ما أسدث من الخير والتبرعات ، في هذه الفلوات التي لا يستغني عن المواساة فيها الغني والفقير ، والجليل والحقير ، تقبل الله منها أعمالها ، وأنالها من الخير . آمين .

ونشير بمناسبة ذكر هذه الزيارة إلى قضية مسجد مولاي محمد الموجود بوسط العاصمة الليبية الذي تذكر بعض الروايات أن مولاي محمد المضاف المسجد إلى اسمه هو الأمير (السلطان فيما بعد) سيدي محمد الذي زار وهو صغير طرابلس مع جدته خلال مرورهما بها وهما مسافران إلى الحج ، وأن المسجد بُني بمال تركه الأمير بطرابلس في ذهابه ، فلما استردّه وهو أيب أمر أن يبني به المسجد المذكور ، فنسب منذ ذلك الوقت إليه .

وقد أنشأ أحمد باشا القرماني عدداً من المباني خلال أيام حكمه التي طالت خمساً وثلاثين سنة ، منها الجامع المنسوب إليه بالقرب من باب

الْمُنْشِيَةِ الَّذِي بَنَاهُ فِي مَوْضِعِ مَسْجِدِ بِنَاءِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ زَمَنَ الْفَتْحِ ،
وَالْمَدْرَسَةِ الْمَتَّصِلَةِ بِهِ الَّتِي أَوْقَفَ عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ أَوْقَافًا كَثِيرَةً ، وَالْبَرَجَ
الْمَعْرُوفَ بِبَرَجِ الْمُنْدَرِيكِ الْكَائِنِ فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ مَرَسَى طَرَابُلُسِ عَلَى
الْجَزِيرَاتِ الصَّغَارِ الْمَمْتَدَّةِ مِنَ السَّاحِلِ إِلَى الْبَحْرِ .

كما انتعشت خلال تلك الأيام الحركة العلمية والأدبية ، فظهر في
عهده فقهاء ، وقصده العديد من الشعراء بقصائد المديح ، فمن تلك القصائد
قصيدة الشيخ محمد بن العربي بن محمد بن حمودة بن الصغير الهاشمي
وهي :

مَحَطُّ الْمُنَى مَعْنَى الْكَمِيِّ الْمُفْتَعِ
مُقَدَّسَةٌ تَبْلُغُ مِنْكَ وَتُرْفَعُ
تَمَائِمُهُ وَالْمَجْدُ مِنْكَ بِمَسْمَعِ
تَنَادِي هَدِيلاً بَيْنَ أَدْوَاحِ أَجْزَعِ
وَقَدْ خَلَفُوا جَمْرَ الْغَضَا بَيْنَ أَضْلَعِي
ظَعِينُهُ شَرَكُ فَرَحِهَا وَسَطُّ بَلْقَعِ
وَبُلُّ فِرَاشِي مِنْ يَنَابِيعِ أَدْمَعِي
بِهَا الْمَاءُ مَنَسَاباً إِلَى كُلِّ مَمْرَعِ
فَبَاءَ بِفَضْحٍ فِي صَدُورِ وَمَشْرَعِ
لِمَقْلَةٍ صَبَّ مُدْمِنِ السَّهْدِ مُصْرَعِ
فَدِيمَتُهَا تَهْمِي عَلَى كُلِّ مَرْبَعِ
يُفَسِّمُهُ مَا بَيْنَ كَهْلٍ وَمَرْضَعِ
يَمْدُ يَدَا فَوْقَ السَّحَابِ الْمَرْفَعِ
سَحَابِ سَيْبٍ مِنْهُ لَيْسَ بِمَقْلَعِ
تَجَاوَرُهَا مِنْ كُلِّ شَهْمٍ سَمِيدِ
نَجِيبٍ حَسِيبٍ عَالِي الْقَدْرِ أَرُوعِ
أَفَادَ فَجَادَ بِالْحَبَاءِ الْمَنْوَعِ
وَأَبْكَى جَرِيئاً بِالشَّكَاسَةِ مَوْلِعِ
فَقَهَقَرَ جُبْناً مِنْ حُسَامِ مُرُوعِ
وَأَمَالَهَا سَفَنَ وَجَسْمِي بِمَوْضِعِ

لِكَ الْخَيْرُ عَرَجُ بِي عَلَى طَلَلِ الرَّبْعِ
وَكُنْ خَالِعاً نَعْلَيْكَ بَيْنَ مَرَابِعِ
هَنَّاكَ الْمُنَى وَالْعَزُّ حَيْثُ تَقَطَعْتُ
بِهِ صَادِحَاتِ الْوَرَقِ تَسْجَعُ فِي الضَّحَى
يُحَاكِيْنَتِي إِذْ شَطَّ عَنِّي وَلِيَهُمْ
وَبْتُ بِلَيْلٍ نَابِغِي كَأَنَّي
وَأَحْرَانُ يَعْقُوبِ تَسْرِبَلْتُ دَرْعَهَا
وَزَهْرُ رِيَاضِ مَاسٍ بَيْنَ جَدَاوِلِ
يُحَاكِي جَنَّا وَرِدِّي بُوْجِنَةَ
فَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَبَاوَا اجْتِنَاءَهُ
وَعَيْنَاهُ قَدْ أَعْمَاهُمَا كَثْرَةُ الْبِكَا
تُحَاكِي نَوَالاً لَاحَ مِنْ كَفِّ أَحْمَدِ
عَلَى الْغَيْثِ شَيْبُهُ مِنْ نَدَاهُ كَأَنَّمَا
أَلَا فَاعْجَبُوا مِنْ أَرْبَعِ وَمَلَاعِبِ
فَلِمَ لَا يَكُونُ الْوَرْدُ مَوْطِيءَ أَرْجَلِ
أَدِيبٍ أَرِيبٍ فَاضِلٌ مُتَعَفِّفٌ
أَقُولُ لِأَصْحَابِي عَلَيْكُمْ بِأَحْمَدِ
فَكَمْ أَضْحَكَ الْمَخْزُونُ مِنْ نَفْسِ رَسْمِهِ
أَتَيْتُ وَجَيْشُ الْهَمِّ جَرَّ خَمِيْسَهُ
إِلَيْكَ أبا الأمداد حنَّتْ مطيبتي

لها منك حاجاتٌ وفيك فطانة
متى تعلم الأيامُ والدهر مدحتي
سكوّتي بها أوّلَى لكم من توجّعِي (353)
لكم ترعوي عني وترثي وتخضع
ساءتُ حالةُ أحمدَ باشا القَرَمَانلي في أواخر أيامه ، ولما تيقن أنه لا
يستطيعُ أن يتغلّبَ على مصاعبه ، وأن الزمامَ يوشك أن يفلتَ من بين يديه
فضلَّ أن يضعَ حدًّا لحياته بنفسه ، فأفرغَ مُسدّسه في بطنه يومَ الخميس 16
شوال عام 1158 هـ (11 نونبر سنة 1745 م) ، فمات مُنتحرًا وله من
العمر ستون عاماً ، ودفن في مقبرة الجامع الذي بناه بطرابلس ، وخلفه في
الولاية ابنه محمد القَرَمَانلي آتي الترجمة في المُحمدين (354).

1703) أحمد بن عبد الله الشراذي الزّراري القُضاعي ، أحدُ شيوخ
الطريقة الناصرية ومؤسس زاوية كبيرة تُعرف بالنسبة اليه بناحية مراکش ،
أخذ عن الشيخ أحمد (الخليفة) بن محمد ابن ناصر وعن عبد الله (أبي سالم)
العياشي والحسن اليوسي والمرسلي المكروتي وغيرهم ، وأخذ عنه السلطان
سيدي محمد بن عبد الله العلوي أوراّد الزاوية الناصرية ، وينسبُ إليه
ضعاف العقول مناقبَ وخوارقَ لا يقبلها ذو عقل سليم ، ويزعمون - أوزعمَ
هُو لهم - أنه أخذَ عن قاضي الجن شمهروش ! وكان له أتباعٌ وأنصارٌ في
ناحيته ومريدون لزاويته تشوفوا لما يتشوفُ إليه أمثالهم من أصحاب
الدعوات الدينية وشيوخ الطرق الصوفية عندما يُقبلُ عليهم الناس وتقوى
تقنهم بهم ، الشيء الذي أساء ظنَّ الملوك بهم وأدى في النهاية إلى خراب
زاويتهم وتشريد سُكانها سنة 1244 هـ .

(353) أخذه من قول المتنبي من قصيدة مدح بها كافر الأخشيدي :

وفي النفر حاجاتٌ وفيك فطانة
سكوّتي بيانَ عندهما وخطابُ

ولكن شتان ما بين الثرى والثريا !

(354) الأدب المغربي تأليف محمد الصادق عفيفي ومحمد ابن تاويت ص 72 وأمير مغربي في
طرابلس ص 44 وصفحات أخرى كثيرة ، والتذكار ، فيمن ملك طرابلس ومن كان بها من الاخيار
ص 213 - 250 - 281 ورحلة الشرقي الاسحاقي (مصورٌ مخطوط) ص 83 وطرابلس تحت أسرة
القرمانلي ص ... والمنهل العذب ، في تاريخ طرابلس الغرب ص 300 - 310 وولاية طرابلس ص

توفي عام 1160 هـ وهذا الرجل لئس على شرطي ، وإنما ذكرته فقط لشهرة زاويته واعتقاد كثير من الناس إلى اليوم في صلاحه وولايته (355)

(1704) أحمد بن محمد (الخياط) ابن ابراهيم الدكالي المشنزايي ، فقيه من أهل فاس من بيت أولاد ابن ابراهيم القادمين إليها في أوائل القرن التاسع من قبيلة مشنزاية إحدى قبائل دكالة العربية (356) ، وبيئهم بها شبيهة في العلم والأدب ببيت المرازقة بتلمسان .

كان فقيهاً أديباً مؤرخاً أريباً ثباتاً ثقة ، أخذ عن محمد المسناوي الدلائي ومحمد العربي بن أحمد بردلة ، ومن آثاره الباقية كتاب (سلسلة الذهب المنقود ، في ذكر الأعلام من الأسلاف والجدود) عرف فيه بأسرته مع استطرادات لا تخلو من فائدة ، مات قبل إكماله ، وشرع أخوه محمد بن محمد (الخياط) في تكميله وكتابة نيل عليه فلم يتفق له ذلك أيضاً ، توجد منه نسختان مخطوطتان إحداهما بالخرزانة الحسنية الملكية بالرباط ثالث مجموع نمرة 12.373 وأخرى بالخرزانة العامة بالرباط نمرة 4240 د توفي المترجم بفاس عام 1160 هـ وقيل بعدها (357) .

(355) الإعلام ، بمن حل مراكش وأغماث من الاعلام 2 : 378 ع 262 ودعوة الحق (مجلة) ع 244 ص 23 (1985) والموسوعة 3 : 110 ونشر المئاني 4 : 59 والاستقصا 8 : 160 و9 : 17 - 18 - 19 - 20 - 21.

(356) نكالة : مجموعة قبيلة كبرى عربية الأصل تقع مواطنها جنوبي نهر أم الربيع مساحلة للمحيط الأطلسي ، تشتمل على ست قبائل هي : أولاد بوعزيز ، وأولاد بوزرارة ، وأولاد عفرو ، وأولاد عمران ، والعونات ، وأولاد فرج ، ويعد منها إدارياً لا عرقياً قبائل الحوزية والشياظمة وهشوكة ، وأكبر منها الجديدة وأزمور ، ومن مجموع تلك القبائل - التي قطعت اليوم إلى جماعات حضرية وقروية - يتكوّن إقليم الجديدة.

(357) الإعلام للزركلي 1 : 242 وتاريخ تطوان 3 : 25 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 117 ع 414 والمصادر العربية لتاريخ المغرب 2 : 46 ع 758 وسلسلة الذهب المنقود (مصور مخطوط) ص 99 والروضة المقصودة ص 267 و418 وسلوة الأتفاس 2 : 79

(1705) أحمد بن محمد ابن القاضي الإيدكلي التملي ، فقيه من إقليم سوس بالمغرب الأقصى ، يكنى أبا الشكل ويلقب بالقاضي ، ينتمي إلى أسرة رجراجية اشتهرت بالعلم والأدب في تلك الناحية ، وصفه العلامة محمد المختار السوسي في (المعسول) بالجهيد الخنذيد ، وقال إنه من القضاة الرسميين .

أخذ عن إبراهيم الأدوزي.

تُوفِّي بعد عام 1162 هـ (358)

(1706) أحمد بن علي بن أحمد الشدادي الإدريسي الحسني ، فقيه من أهل مدينة فاس ، من بيت علم نبيه بها ، وأصل سلفه من بني شداد ، فرقة من قبيلة بني زجل الغمارية باقليم شفشاون .

وُلد بفاس ونشأ بها ، وأخذ عن والده وعن أبي القاسم العميري (2 : 154 ع 437) وغيرهما من علماء جامع القرويين ، ولقي الشيخ مولاي الطيب الوزاني وأخذ عنه التصوف ، وكان حافظاً ثقة ضابطاً محققاً ، يقوم على الفقه والوثائق والفلك والحساب وغيرها .

درّس بجامع القرويين ومسجد سيدي قاسم بن رحمون ، وولي قضاء زرهون في عهد السلطان مولاي إسماعيل ، ثم ولي بعده قضاء فاس الجديد ثم قضاء فاس الإدريسية والخطابة والإمامة بجامعها الأعظم ، وأخر عن القضاء مرتين وأعيد إليه مرتين أيام الفتن التي تلت وفاة السلطان مولاي إسماعيل بسبب تنازع أولاده على الملك ، وفي إحدى المرتين اللتين أحرّ فيهما عن القضاء دعاه شيخه مولاي الطيب الوزاني لتولي قضاء وزان فلباه .

أخذ عنه الطيب القادري ، وسمع منه ابنه محمد بن الطيب لما كان يرافق أباه لسماع دروسه بمسجد سيدي قاسم بن رحمون .

له حاشية على شرح ميارة للامية الزقاق التي ذكرت - تَبَعاً لأخطاءِ المترجمين - في ترجمة عمه أحمد بن أحمد أنها له ، وشرح لعمليات سيدي عبد القادر الفاسي ، وتقايدُ مهمة في الفقه والتاريخ والأحداث.

توفي مطعوناً بفاس يوم 16 رجب عام 1163 هـ ودُفِنَ خارجَ باب الشريعة (المحروق) بالقبة التي بُنيت على أبيه وعمه قرب ضريح أبي بكر بن العربي.

وتقدّمت في هذا الجزء (ص 261 ع 1681) ترجمة عمه وسَمِيه أحمد بن أحمد الشدادي ومُشجّرُ نسبهم المرفوع إلى الإمام إدريس بن عبد الله الكامل ، وكثيراً ما يخلطُ النسابون والمترجمون بينهما بسبب المعاصرة وتشابه اسميهما ، وينسبون ما لهذا لذلك (359)

1707) أحمد (بن عاشر) بن عبد الرحمان الحافي السلوي ، فقيه شهير من أهل سلا من بيت معروف بها تعددت في رجاله المناصب الإدارية والعلمية والأدبية ، وعاشر ليسَ اسم أبيه ، وإنما هو جزء من اسمه الشخصي (أحمد بنعاشر) ، سُمي كذلك تبركاً باسم الشيخ أحمد بن عاشر الجزيري متقدم الترجمة (4 : 345 ع 1338) وأملا في أن يكون شبيهاً به في التقوى والصلاح ، وأهل المغرب يُسمون أبناءهم بأسماءٍ مُشابهة ، مثل (بنعيسى) و(بناصر) و(بنسالم) تيمناً باسم الشيخ محمد بن عيسى الفهدي دفين مكناس ، والشيخ محمد بن ناصر الدرعي دفين تامكروت ، والشيخ أحمد بن سالم التجاني دفين فاس ، والحافي على وزن فاعل : من يمشي بغير نعل ، وهو هنا منسوب في أغلب الظن لقبيلة الحافات الموجودة بقبيلة بني يزناسن أو قبيلة الحافات الموجودة بإقليم قلعة السراغنة ، ورد المترجمُ نسبه في بعض تقايدده المُثبتة في (الروض) لأحمد بن محمد الصبيحي إلى الحافي بن قضاة وهو أمرٌ بعيد.

(359) التقاطُ النُزْر : 2 : 414 ع 539 ومُعجمُ المؤلفين 1 : 318 ومُعجمُ المطبوعات المغربية ص 187 والموسوعة 3 : 116 ونشر المثاني 4 : 77 وفهارس مخطوطات الخزانة العامة بالرباط 1 : 275 و 3 : 198 وفهرسة الخزانة العلمية الصبيحية بسلا ص 142 وقضاة فاس (نسخة مرقونة) 2 : 24 وسلوة الأنفاس 3 : 198 واليوافيت الثمينة 1 : 52

وُلد بسلا يوم الخميس 1 رمضان عام 1091 ونشأ بها في أسرة محافظة دينية ، وأخذ القراءات ومبادئ العلم عن بعض مُقرئيه وفقهائها ، وانتفع بكتب خزائن بعضهم ، قبل أن ينتقل عام 1110 لاستكمال قراءته إلى فاس حيث أخذ عن علمائها وفقهائها علوماً كثيرة وفنوناً متنوعة لا تخرج عن علوم الدين والعربية ، ومن أشهر الشيوخ الذين أخذ عنهم محمد ابن زكري ومسعود جموع ومحمد بن أحمد المسناوي الدلائي ومحمد بن عبد القادر الفاسي ، كما أخذ عن أحمد بن عبد الله معن (6 : 127 ع 1637) ، وأحمد بن عبد الحيّ الحلبّي (6 : 130 ع 1638) ، وأحمد ابن ناجي السجلماسي (6 : 150 ع 1640) ، وأحمد بن عبد القادر التستاوتي (6 : 161 ع 1650) ، وأحمد بن يعقوب اللوالي (6 : 179 ع 1651).

ولما أكمل المترجم تعليمه عاد إلى بلده سلا ، فتصدّر للتدريس وأكبّ على التأليف والتقييد ، وعُني بلقاء المتصوفة والعلماء ، ومحاورة الفقهاء ومساجلة الأدباء ونسخ الكتب وتخريجها.

وقد أثنى عليه كل الذين كتبوا عنه ، وذكروا ما كان يتمنّع به من سعة العلم ودمائة الخلق وحسن التبليغ والتزامه بأداب الطريقة الناصرية التي أخذها عن شيخه أحمد التستاوتي ، كما ذكروا أسماء جماعة من تلاميذه المتخرجين به كمحمد بن حَجّي زنيير ، وابنه محمد ، ومحمد بن عبد الله المغيلي.

وللحافي مؤلفات وكناشات وتقايد كثيرة ، من أشهرها :

1 - الإفادات والإنشادات ، توجدُ نسخةً خطيةً منها بالخرانة العامة

بتطوان .

2 - تحفة الزائر ، في مناقب الحاج أحمد بن عاشر ، ألفه - كما

يدلّ عليه عنوانه - عن حياة المتصوّف الأندلسي أحمد بن عاشر الجزيري المتوفّي بسلا عام 765 وذكر فيه مناقبه التي منها ما يُقبَل ومنها ما يرفض ، وقد تولت طبعه الخزانة العلمية الصبيحية بسلا سنة 1988 بتحقيق الأستاذ الباحث مصطفى بوشعراء.

3 - فهرسة أشياخه ومروياته ترجم فيها لأربعة عشر فقط من

شيوخه ، ألفها عام 1140 توجدُ منها نسخ عديدة مخطوطة بمكتبات كثيرة ،

وقد اعتنى بتحقيقها الطالب محمد السعديين ، وتقدم بها سنة 1991 إلى كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ.

أما كُنَاشأته وتقايدُهُ فهِي كثيرةٌ مُتعددة ، وتحتوي على تراجم ووفيات وفوائد تاريخية ، ونقول علمية وأدبية ، بعضها موجودٌ في خزانات عامة (خزانة تطوان نمرة 536 مثلا) وبعضها في خزانات خاصة.

والحافي هو جامعٌ موادَّ كتاب (نزهة الناظر ، وبهجة الغص الناظر) لأحمد بن عبد القادر التستاوتي وقصائد ديوانه (الخزانة الحسنية نمرة 1928) ، ومواد كُنَاشة العياشي التستاوتي ، ورسائل شيخه محمد ابن زكري.

وله أنظامٌ كأنظام الفقهاء نكرَ بعضها في آخر كتابه (تحفة الزائر) منها قوله عام 1128 مُستشفعا بأحمد بنعاشر الجزيري في دفع ما نزل بسلا :

إن رمتَ أمراً من إلهٍ أمر
ولبابهم فالزم وقف مُتأدباً
وارفع أكفاً داعياً مُتوسلاً
واضرغ له مُتشفعاً بوليهِ
تتل المرام مُيسراً في لحظةٍ
فلكم بلغت مؤملاً بجنابهِ
فمقامه عند الإله مُعظّم
ياغوث أهل الله قاطبةً ويا
ضاق الخناق وعز كشف مُلمة
أوما ترى ما حل في بلدكم
يارب أمن روعتي بجنابهِ
واحفظ بحفظك جمعنا في كل ما
واغفر لنا ولوالدي وكل من
وصلنا خالقنا تدوم مسرمداً
وكذا الصحابة جملةً مع ءاله

فاصرخ بأهل الله تحطّ بناصر
متضرعاً واسبل دموع نواظر
بمقامهم عند الإله القادر
غوث الوري كنز النقي ابن عاشر
وتر المؤمل عاجلا من فاطر
وأغث كم من مُستغيث حائر
ونواله يحظى به كل زائر
مفضالها المنحار كل مبادر
وتراكمت أهوال بحر زاخر
فاشفع لهم عند الحليم الغافر
وادفع بفضلك كل أمر ضائر
يؤدي ، وأمن سرينا من ماكر
يبغي الهدى من غائب أو حاضر
لنبينا قطب الوجود الطاهر
أهل المكارم والنجاح الطاهر

وبقية أنظامه لا تختلف عن هذا المثال لفظاً ومعنى ، فلنكتف به .

توفي بسلا مطعوناً عام 1163 هـ (360) ، وقبره بها معروف قرب ضريح الشيخ أحمد ابن عاشر.

(1708) أحمد بن مسعود الكنسوسي ، من فقهاء الزاوية الناصرية وعلمائها ، أصله من قبيلة كنسوسة بناحية سوس ، ومنها انتقل إلى تامكروت حيث أخذ عن الشيخ أحمد (الخليفة) بن الشيخ محمد ابن ناصر وصاهره وأصبح من أحب الناس إليه والمقربين منه.

وصفه محمد بن عبد الله الخليلي في (الدرة الجليلة) بالعالم العامل ، العلامة الأستاذ الفاضل ، ونكر أنه أم مدة بالجامع الكبير وتولى خطابة الجمعة به وكذلك الأعياد ، وأن له معرفة تامة بالقراءات وأحكامها وسائر العلوم ، وقال إن له مكاتبات ومراسلات معه ذكرها في كتابه (الدرر اللوامع).

توفي بالزاوية الناصرية في 1 ذي الحجة عام 1164 هـ (361) وتقدمت في هذا الجزء ترجمة سميّه أحمد بن سعيد الكنسوسي المراكشي (6 : 67 ع 1599).

(1709) أحمد الحبيب بن محمد الصديقي اللمطي السجلماسي ، من فقهاء سجلماسة المدينة المنذرة بإقليم الرشيدية بالمغرب ، والصديقي نسبة إلى أبي بكر الصديق (ض) ، واللمطي بفتح الميم نسبة إلى اللمط قرية كانت بجوار سجلماسة أو فريق من قُطانها.

(360) الإتحاف الوجيز ص 115 ع 20 والأعلام للزركلي 1 : 142 والإعلام ، بمن حل مراكش وأغماث من الأعلام 2 : 280 ع 263 وتحفة الزائر تقديم المحقق وصفحات كثيرة ، وحركة الأئمة في المغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 257 و 263 و 1352 و 1480 والبور الضاوية في نكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية لعلي بن محمد الكاري (مصور مخطوط) ، ولليل مؤرخ المغرب الأقصى 2 : 318 والمصادر العربية لتاريخ المغرب 1 : 170 و 176 ومعجم المؤلفين 2 : 257 ومؤرخو الشرفاء ص 223 والموسوعة 2 : 34 و 3 : 105 و 135 ونزهة الناظر (مصور مخطوط ، صفحات كثيرة) ، والعلم والفكر في مطلع العصر العلوي (أطروحة مرقونة) ص 155 وفهارس علماء المغرب (أطروحة مرقونة) 3 : 752 وفهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط 2 : 218 وفهرس الفهارس 2 : 841.

(361) الدرة الجليلة (نسخة مرقونة) ص 202 ترجمة نمرة 33 وصفحات أخرى كثيرة ، والدرر المرصعة (نسخة مرقونة) صفحات كثيرة.

وُلِدَ بها ونشأ ، وحفظَ بها القرآنَ وأخذَ مبادئَ العلم عن شيوخها ، ثم رحل لطلب العلم إلى فاس ومراكش ودرعة والصحراء حيث أخذَ عَمَّنْ بها من الفقهاء والمُتصوفة كعبد السلام بن الطيب القادري والحسن اليوسي وعلي الدادسي وعبد الرحمان ابن القاضي وعلي العكاري وأحمد بن يعقوب الولالي ، وسافرَ إلى المشرق (362) فأخذَ عن شيوخ عديدين به واستجازَهم فكتبَ له أحمد البناَ الدميّاطي إجازةً طويلة ، وكانَ للزاوية العياشيّة (363) على الخصوص أكبرُ الأثر في تكوينه العلمي والصوفي ، ففيها قضى مدةً طويلةً يلازمُ مجالسَ محمد بن عبد الجبار العياشي ، ومحمد بن يوسف العياشي والشيخ حمزة بن عبد الله (أبي سالم) العياشي وغيرهم من شيوخ الزاوية.

ولما أكملَ تعليمه عادَ إلى فيللة حيثُ أحيى ما اندثرَ بها من رسوم العلم والدراسة ، وبقيَ على ذلك على صلةٍ مُستمرة بالزاوية العياشيّة ورجالها يفدُ عليها وعليهم بين حينٍ وآخرَ فيُقيمُ بها الشهرين أو أكثرَ يباشِرُ بعدَ التعلّم التعليم ، وانفعَ به فيها خلقٌ كثير.

وكانَ مُحبباً إلى العامّة والخاصّة لاجتماع العلم فيه والصلاح ، وكانَ السلطانُ مولاي عبد الله العلوي يُجلُّه ويُعظّمه ولهُ فيه كبيرُ اعتقاد ، وقد قَبِلَ وساطتَه بينه وبين سُكان فاس لإزالة الخلافِ الذي كانَ بينه وبينهم ورفع الحصار عن المدينة.

(362) فهارس علماء المغرب (أطروحة مرفوعة) ص 754

(363) الزاوية العياشيّة أو زاوية آاية عياش أو زاوية سيدي حمزة كما تُدعى اليوم زاوية كبيرة بجبال الأطلس تبعد 60 كلم عن بلدة مبدلت من الجهة الجنوبية (طريق الرشيدية) ، و65 كلم عن بلدة تاندلة (طريق خنيفرة) ، أسسها محمد بن أبي بكر العياشي في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، وكان لرجالها العياشيين دور مشهور وسعي مشكور في نشر الثقافة العربية ومبادئ الدين الإسلامي بين القبائل البربرية التي تسكن جبال الأطلس ، وبها اليوم مكتبة علمية تضم آلاف المخطوطات التي تنطرق إلى عديد من العلوم والفنون ، كما يوجدُ بها قبر الرحالة المغربي الكبير والعالم المقنن الشهير عبد الله (أبي سالم) العياشي مؤلف الرحلة المُسمّاة (ماء الموائد) أو (الرحلة العياشيّة) شهرة.

وحمزة الذي تُنسبُ إليه اليوم الزاوية هو حفيدُ الشيخ محمد بن أبي بكر العياشي ، عُني بتوسيع الزاوية لما مال إليه أمرُ نظارتها وأغنى خزائنه كتبها بما اشتراه لها أو استنسخه من كتب قيمة عديدة.

وصفه تلميذه أحمد بن عبد العزيز الهلالي عاتي الترجمة قريباً في كتابه (الزواهر الأفقية ، في شرح الجواهر المنطقية) بقوله : فريد العصر ، ذو المآثر التي لا يدركها الحصر ، المتضلع في المعقول والمنقول ، المتحلي من الفضائل والفواضل بما يبهز العقول ، المجلي في الحفظ والتحقيق بين مشاهير القراء ، وسائر أرباب العلوم الغراء ، من حاز المجذ الراسخ ، والولاية التي ما لمحكم آياتها بحمد الله من ناسخ.

وحلاه الهلالي أيضاً في (الفهرسة) في أول سنّد ذكر لصحيح البخاري بما يلي : أخبرنا به شيخنا علم الأعلام ، وغوث الإسلام ، الجم المآثر والمناقب ، الموقفي من علم الظاهر والباطن علي أسما المراقب ، غاية مناي وأتماسي ، سيدي أحمد الحبيب السجلماسي ، وأسند عنه في آخرها فهرسة عبد الله (أبي سالم) العياشي بروايته له عنه.

أخذ عنه جماعة كبيرة من طلبية الوقت كأخيه صالح الحبيب وأحمد الهلالي المذكور وأجازهما ، ويحبي السوسي الجزائري وذكره في فهرسته ، ومحمد بن أحمد الفاسي ، ومن أهل الزاوية العياشية عبد الله بن حمزة العياشي وابنه محمد ، وعبد الله بن عمر بن أبي بكر العياشي.

توفي بسجلماسة يوم 4 محرم عام 1165 هـ وبني عليه ضريح بداره (364) وهو غير أحمد بن محمد حبيب (بصيغة التصغير) الرندي الغرناطي متقدم الترجمة (5 : 271 ع 1521).

(364) أزهار البستان لابن عجيبة (مصور مخطوط) ص 191 ع 137 والإكليل والتاج (نسخة مرفونة) ص 191 ع 137 والتقاط الدرر 2 : 424 ع 547 والإعلام ، بمن حل مراكز وأغماث من الأعلام 2 : 383 وتطوان (مجلة) 8 : 174 وثمره أنمي ، في التعريف بنفسي ص 109 والإحياء والانتعاش (مصور مخطوط) صفحات كثيرة والحركة الأنبية في المغرب على عهد مولاي إسماعيل (أطروحة مرفونة) ص 199 - 207 والحياة الأنبية في المغرب على عهد الدولة العلوية ص 257 والدرر المرصعة (نسخة مرفونة) ص 126 والروضة المقصودة ص 294 والزواهر الأفقية ، في شرح الجواهر المنطقية (مصور مخطوط) ، والمورد الهني ، بأخبار الإمام المولى عبد السلام الشريف القادري الحسني (مصور مخطوط) ص 38 ومعجم المطبوعات المغربية ص 97 والموسوعة 3 : 164 ونشر المثاني 4 : 94 - 95 ومختصر اليتيمة ص 105 ومواضع أخرى ، وفهارس علماء المغرب (أطروحة مرفونة) ص 754 وفهرسة يحيى بن عبد الله البكري الجزائري (مجموع مخ. خ. ع نمرة 71 ج) ص 311 والمقتبس الأسنى ، في بيان طرف من معاني نظم الأسماء الحسني (مخ. خ. ع نمرة 855 ك) ص 2

(1710) أحمد هويدي ، فقيه أديب من أهل القطر التونسي ، وقفت على جملة من أشعاره ، ولم أقف على شيء من أخباره ، وهو من رجال هذه المدة من الزمان التي تُعرف بطائفة من أعلامها الآن ، فقد كان تلميذاً للشيخ محمد الغرياني المتوفى عام 1295 هـ وصديقاً لأحمد العصفوري المتوفى عام 1299 هـ ، وأثبتته على الجهل بمجمل حياته ومفصلها إخراجاً له من دائرة النسيان ، وحثاً لهمم الرجال على البحث عن أخباره ، وجمع المزيد من آثاره.

فمن شعره قوله يهنئ شيخه محمد الغرياني لما ختم عليه العقيدة الكبرى للشيخ السنوسي عام 1167 هـ :

مُقلّ تعوقُ الأسدَ عن وثباتها لما غدت كالبيض في شفراتها كيف المنية وهي في سكراتها فتميتها والموت من مرضاتها وقضت بجزم القلب من كسراتها عقلت شرود الطرف في روضاتها مهما سعى ترميه من جمراتها ري راح منثوراً على ورداتها سكن البها والحسن في حركاتها تهتز كالأغصان في عطفاتها لب البرايا ما عدا لفتاتها حتى على الآساد في أجماتها طفه فأثناها على سطواتها وألفها في القلب عند ثباتها فأتاحها سنوان سنواناتها فاعجب وقل ما شئت في آياتها من بحر وجدي في عقيقاتها لأ وهي للعشاق عين حياتها أشها من الصبها ومن نشواتها	حكمت بطول صبابتي وثباتها سود لنا منهن موت أحمر وتريك مهما إن رنت نشوانة تصبو لها الأرواح منا خلسة رفعت سلوي فانتصبت على الأسي يرنو بها شاد يقول بوجنة ياحسُن ذاك الصدغ منه واقفاً في حرها حبي العتيق وثرُ صب ظبي سبا منا القلوب بقامة ما هي إلا السمر إلا أنها حاكي الظبا في كل وصف ساحر تفديه نفسي من غزال جائر ثبتت لقلب قلوبنا أرواح مع فسطا على الأرواح وهو ربيها ولقد سبا الشعري بنور جبينه بيدي إذا ابتسم العقود نظيمة ومراشفاً أنفقت در مدامعي وأرى بها عيناً تُسمى سلسبيد يا ناشى أنشينا بريق أشنب
---	--

في العين منها وهي من جاماتها
ساقى كما الولدان في جناتها
تشكو لنا من جورهِ ورماتها
تصعدُ الأنفاسَ من غلاتها
منها دراهمٌ هنَّ من زهراتها
فترى الخيامَ تُصبِنُ من خاماتها
ياطيبها والطيبُ بعضُ سماتها
هي تونس ترهو بشيخ هداتها
أضحى لدى الفضلِ أجلُ سراتها
فربتُ مفاخرها على ربواتها
دهرُ المُسيءِ يعدُّ من حسناتها
قد حلتِ الدنيا به لبائها
بنكائه أو ماز مختلطاتها
يرمي بشهب نكائه شبهاتها
واختصها بعد الشفا بنجاتها
فتبين كالأنوار في مشكاتها
في العلم إلا وامتننت صهواتها
واسأل قواحبها وكسبياتها
تبدو له الأشياء في مراتها
فيه المحاسن من جميع جهاتها
جمع المكارم بعد طول شتاتها
كان القصيد الفرد من أبياتها
حتى ارتوى من عنب مروياتها
يفغنيك عن نور الشمس وذاتها
حي للورى من خير أمنياتها
أقلامٌ كلتُ وهي في راحتها
لمعارف (الكبرى) وتحقيقاتها
حازت علماً من ذاتها وصفاتها
ذاك السنوسي ربَّ تحريراتها

وأبر علينا قهوةً ، جاماتها
في روضة أغصانها قامت على
قد أرسلت لما أضرَّ بها الصبا
وتماشت النسماتُ في الأغصان وهي
والنهرُ فيها سائلاً فتنبيله
يهديك نفح الطيب نحوَ ظلالها
تاقت على عشاقها أفانها
وزهت بأزهار لها فكأنما
علم العلوم الجامع الفرد الذي
ذاك المفضلُ من لغزبان انتمى
علامة العلماء الذي في وجنة الـ
عقدُ النقي والفضلُ فيه محاسناً
حبرُ أبيي كم أبان غوامضاً
مهما شياطين الضلال تطف به
ولكم شفى أهل الجهالة بالهدى
بيدي المعاني للنهي ببيانها
نو فكرة لم تأو كلَّ شرودة
فاسأل لقتها المعارف كلها
فعليه لا يخفى الخفي كأنما
هو حجة أبدت قضايا علمه
شهم همام فاضل متفضل
لو كانت العلماء الكرام قصيدة
أخذ الأحاديث الصحاح ولم يزل
نور الهداية لامع من ذاته
ورع سرِّي راح معروفاً فأضد
يامن بحصر جلاله وكماله الـ
بشرى فهذا الختم منك مبارك
ياحسنها قد صُنفت في صنفها
أثار واحد عصره في مصره

فتبصّروا في ذوق سمعياتها
زهر تومّ القطب في داراتها
قد وسّحت بردا الحيا وجنّاتها
لما انتشت هامت بالهاماتها
درأ تخال السحر من نفقاتها
نشوانة من حسن خمرياتها
وأنيسها جهراً وفي خلواتها
وموشحاً بالمصطفى دعواتها
بحمائه الآرام من نكباتها
عته الوحوش البكم في فلواتها
فاهترت الأغصان من نفحاتها
ما رجعت ورق على عذباتها
ما دمت في الأخبار خير رواتها

ولأنت قد أنهلت منها فتية
فكأنهم وكان شخصك فيهم
خذها سمّي الهاشمي خريدة
هيمنة تسلي الكنيب كأنها
تبدي محاسن للنهي لو لم تكن
تمشي على استحيا إليك لذا غدت
لم تبغ غير دعانكم مهراً لها
فاشمخ وكن للطالبيين مرشحاً
ذاك المرام محمد، من أفلحت
الهاشمي المختار من نطقت لمب
صلّى عليه الله ما هب الصبا
وعلى الصحاب الأكرمين وآله
وعليك يافد الكمال تحية

ولما مدّحه صديقه أحمد العصفوري آتي الترجمة بهذه الأبيات :

بنكائه أبطلت دعوى المدعي
ونظمته في كل معنى مبدع
(هبطت إليك من المحل الأرفع)

ياأحمد الأديب بالعقل الذي
أخرجت ذرّ البحر من أصدافه
لوزمت معنى في الكواكب مشرقاً

أجابته المترجم بقوله :

في جيد دهر من مثلك بلقع
شنت سمعي بالنظام المبدع
ذا الشوق أشها من وصال مقنع
لحظ الغواني والظباء الرتع
مثلاً فلم ألف له من نزع
(هبطت إليك من المحل الأرفع)

يامن تنظّم فضله وعلاؤه
مهلاً فقد حزت البشاشة عندما
نظم وما أدراك ما نظم أرى
لو لم يكن درأ لخلنا أنه
غصت البحار لعنني ألقى له
فعلمت بعد بأن زهرا لفظه

لم أقف على تاريخ وفاته ، وكان حياً عام 1167 هـ وأرجح أنه توفي بعد ذلك (365)

(1711) أحمد بن ابراهيم اليعقوبي الأدوزي ، فقيه صوفي من الأسرة اليعقوبية السملالية الشهيرة باقليم سوس من المغرب الأقصى ، أخذ عن شيوخ بلده ، وعمدته فيهم هو العلامة أحمد العباسي (6 : 282 ع 1692) لازمه واستفاد منه وتخرّج به .

له تقايد ومجاميع كثيرة ، منها (الأجوبة العباسية) أجوبة شيخه أحمد العباسي المذكور ، وهي كبرى وصغرى ، وقد طبعت الصغرى بفاس في جزأين من 600 صفحة ، وله (الإتشادات العباسية) وهي إنشادات لشيخه العباسي أيضاً كان يلقبها في مجالس إقرائه ، ومؤلّف في (مريم) زوج أحمد بن عبد الله السملالي جمع فيه عبارات عامية ما كان يسمع منها من حكايات وأقوال وتنبؤات ، وجمع كذلك (رسائل) معاصريه .

توفي بأدوز في 6 جمادى الثانية عام 1168 هـ ودُفن بها جوار قبر أبيه (366).

(1712) أحمد الزروق بن مَحْيِي الدين ابن عبد اللطيف ، فقيه جزائري من آل ابن عبد اللطيف أسرة شهيرة بمدينة الجزائر هاجرت منها جماعة إلى المغرب ساعة الغزو الفرنسي واستقرت بمدينة تطوان وهم اليوم بها في عداد المغاربة .

تولّى المترجم به خطة الإفتاء بالمذهب المالكي بمدينة الجزائر عام 1153 هـ خلفاً لأستاذه محمد ابن نيكزو الأندلسي ، وبقي يتولاها سنوات عديدة بعد ذلك ، وتصدّر للتدريس بالجامع الكبير .

كان حياً عام 1169 هـ (367)

(366) الأعلام للزركلي 1 : 28 وحركة الأئب في المغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 1244 و1481 وخلال جزولة 2 : 47 و 4 : 11 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 : 223 ومعلمة المغرب 1 : 289 ومعجم المطبوعات المغربية ص 228 والمعسول 5 : 140 و 18 : 418 والموسوعة 3 : 85 وسوس العالمية 190 .

(367) رحلة ابن حمدوش الجزائري ص 122 والمجلة الإفريقية (بالفرنسية) سنة 1866 ص 375 .

1713) أحمدُ بن الحسنِ الوَرْشاني الحسني يُدْعَا المَكودي ، عالم محدثٌ من أهل المغرب ، ولد بفاس ونشأ بها ، وأخذ عن كبار علمائها كأحمد بن مُبارك اللَّمطي السَّجلماسي (6 : 285 ع 1695) وعلي بن أحمد الحريشي وأجازاه ، ومن شيوخه أيمناً محمد بن عبد الله المنور التلمساني ، ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، فدخل مصر ودرس بجامعة الأزهر وأخذ عنه بها خليل الرشيدى ، ولما كان راجعاً إلى المغرب مرَّ بتونس فاستحسنها واستوطنها وتصدى بها لإقراء الحديث وسائر العلوم ولا سيما علوم اللغة التي كان ماهراً فيها ، وكان لمجالسه العلمية التي كان الطلبة يتنافسون في حضورها صدق استحسان لدى العلماء الذين اعترفوا بفضله وطول باعه وصار سندهم في رواية الحديث عن طريقه ، وبلغ من شهرته أن تقلد الفتوى في عهد علي باشا الأول ونال أعلا مقام في رئاسة الديوان الشرعي المالكي .

أثني عليه كل الذين كتبوا عنه مغاربة وتونسيين ، ونعته بأحسن النعوت ووصفوه بأجمل الصفات ، فمن ذلك قول شيخه أحمد بن مُبارك اللَّمطي في إجازته له :

«الفيهِ الوجيه ، المدرس النزيه ، صاحب الفهم العواص ، الذي يعجز عنه كثيرٌ من الخواص كامل القريحة والهمة ، المحصل أسباب تحصيله المهمة ، مع جودة الفطنة وتقوب الفهم ، وسلامة الإدراك من غلبة الوهم ، العارضة لأهل الطيش والخفة ، الذين يعتمدون أول ما يُلْمَح لهم فيخطفون المسائل خطفة ، فيخطفون أكثر مما يُصيون ، ويُفسدون أكثر مما يُصلحون».

وقول تلميذه محمد المختار العياضي الباجي في ترجمته من كتابه (مفتاح النصر ، في التعريف بعلماء العصر) :

«بحرٌ علم يقنف بالمسائل والفوائد ، وتهب رياح التحقيق عليه فترمي أمواجه جواهر النكات والقواعد ، نو الأنقال الغريبة ، والأبحاث الشريفة العجيبة ، مُحقق الزمان ، وعلامة العصر والأوان ، بديع النثر والنظام ، راوية أيام الجاهلية والإسلام ، إن رأيتَ رأيتَ طوداً من الوقار ، وإن خاطبك

عاطاك كؤوساً من العُقار ، مع همةٍ تُزاحمُ النجومَ الثواقبَ ، وسلامةٍ طبيعةٍ كالغمامِ الساكبِ».

له (فهرسة) و(تحرير في وفيات الفقهاء السبعة) و(مجموع إجازات شيوخه).

أخذ عنه عبد القادر الراشدي القسنطيني ، وحمودة بن عطاء الله القيرواني وأجاره ، ومحمد المختار العياضي ، ومحمود بن سعيد مقديش ، ومحمد بيرم الأول ، وغيرهم كثير.

وكان المترجم ينظم الشعر نظم الفقهاء ، وتقدمت في هذا الجزء (ص 287) قصيدته التي مدح بها شيخه أحمد بن مبارك السجلماسي.

وممن مدحه تلميذه محمد المختار العياضي الباجي الذي نظم فيه القصيدة التالية عام 1152 :

وفي الأعين المرضي تقصى شبابه
وسادته ، والفرقدان ارتقابه
سهاد سميلاً ، والنجوم صحابه
وفي الخد مع لا يزال انسكابه
فأصبح مُضنى والسقام ثيابه
دعوه ، فإن الحب عذب عذابه
متى شاهد الألاحظ زاد التهابه
بشوب جمال قد كساه شبابه
- لعمرك - إلا كان منه احتجابه
وسكراً ، ولكن الثنايا حبابه
وعن شربه خمر الكؤوس رضابه
كأن إلى هاروت يزوى انتسابه
بروض كأن المسك منه ترابه
إلى أن رأينا الليل طار غرابه
ورحنا وكف الصبح زال خضابه
علوم أبي العباس أم ذا خطابه ؟

خليلي هل صب يحق عتابه
يبعث على فرش الهوى ، ويد النوى
ويسكره خمر الهوى ، فيبيث لل
وفي قلبه نار يشب لهيها
تملكه حب ووجد وصبوة
فيالانمي في صباه ووجده
تملكه حب اللحاظ فقلبه
ويسبيه إذ يصبيه بالوجد أفيف
بديع جمال ما رأى البدر وجهه
له ميسم - حقاً - هو الخمر نكهة
ويغنيه عن زهر الربا روض خده
ويسحر أرياب الغرام بطرفه
خليلي كم قضيت منه لبانتني
وبننا وكاسات المجرّة تنجلي
وقمنا وتغر الفجر يصقله الضيا
وفاح الربا طيباً فقلنا أهذه

إمام حوى كل الفضائل مجده
ترى العلم بحراً وهو خائض لجه
إذا ما رأينا العلم أوثق رخله
وإن سئل التحقيق من روح جسمه
إمام سوى إن الفصاحة تاجه
له هيئة في وجهه وجلالة
فلو سيوية لم يكن مرّاً واخفى
لكننا أدعينا أنه سيوية وال
وعلم المعاني قد تكرر نهره
وما احتجب البحث العويص وجدته
فمن فضله حدث عن البحر إنه
فكيف وللعلم الشريف انماؤه
عليه صلاة الله ما قال مغرم

وأمنت ثياب المجد وهي ثيابه
ولكن تحقيق العلوم عبابه
إليك أبا العباس كان ذهابه
لكان أبا العباس حقاً جوابه
هزبر سوى أن البلاغة غابه
فلو شاهدته الأسد كانت تهابه
بقبره واستولى عليه ترابه
كتاب المسمى بالكتاب كتابه
وكان له ياصاح عنياً شرايه
لعمرك إلا زال عنه احتجابه
لبحر ولكن بالمعاني انسيابه
وللمصطفى المختار كان انتسابه
(خليلي هل صب يحق عتابه)

تُوفِّي بتونس عام 1169 هـ (368).

(1714) أحمد بن عبد اللطيف التونسي ، أديب من تونس ، رحل
من بلده ونزل دمشق واستوطنها وساجل علماءها وأدباءها ، ودخل القدس
ومصر ، ومرّ خلال غربته بأطوار تقلّب فيها بين القبول والرفض ، والحبّ
والبغض ، وهو كأمثاله من المغاربة المهاجرين إلى المشرق المستقرّين به
مجهولاً في وطنه ، فلا حديث عنه في كتبه ودواوينه ، وإنما يُنكر اسمه
ويُعرف خبره مما كتبه عنه أهل المشرق.

نكره محمد خليل المرادي (توفي 1206 هـ) في كتابه (سلك الدرر ،
في أعيان القرن الثاني عشر) ناقلاً ما كتّب عنه الشيخ سعيد ابن السمان
(توفي 1172 هـ) في كتاب بدأ تأليفه عن شعراء عصره وتُوفِّي قبل إتمامه ،

(368) إتحاف أهل الزمان وتراجم المؤلفين التونسيين 4 : 368 ومفاتيح النصر ص 160
ومسامرات الظريف ص 25 و160 والموسوعة 3 : 96 والعلم والفكر في مطلع العصر العلوي ص
150 والفكر السامي 2 : 290 وفهرس الفهارس والأنتيات ص 558 و559 وصفحات عديدة أخرى
وشجرة النور الزكية 1 : 346 ع 1367 وفهارس علماء المغرب (أطروحة مرقونة) ص 755 - 756 .

وعبارته فيه مسجعة منمقة كسجع الكهان تفيذ أن حياة الرجل ليست حياة عادية ، وأنها عرفت تقلبات غير مريحة لم يورد تفاصيلها.

وأثبت فيما يلي ما كتب عنه ابن السمان مكتفياً به ، إذ ليس في اليد غيره ، ريثما تسمح الأيام بالاطلاع على تفاصيل حياته والظفر بالمزيد من آثاره.

قال :

«هذا الأديب وإن كانت تونس مسنة القوابل فيها ، إلا أن الشام حبه بملء فيها ، فربض بها ربضة الليث ، وقال لوطنه منادياً إلى حيث ! (369) ، ولأذ ببعض الصدور ، وجعل لنديه الورود والصدور ، فأنزله منه منزلة ابن اللبانة من المعتمد (370) ، وأصبح في لجه المستفيض هو المغترف المستمد ، فأقبل عليه الدهر بوجهه أغر ، وما أقدمه على هجر ولا به غر ، وأقطعه من الحظوة نصيباً ، وأورثه الرعاية فرضاً وتعصيباً ، فاستكان وتقرب ، وبعد مرأه وما رب (371) ، فتهللت عليه أغصان الحنو ، وعطفت عليه الافئدة بالدنو ، وتأبط سيفراً وكراسه ، وأكب على قراءة ودراسة ، فارتشف من ذلك دون الوشل ، ولم بالعنا منه حد الفشل ، وأدعى الفضل التام ، وخاض في ذلك القتام ، وسولت له نفسه الأماره ، ما خفرت به الآمال ذمته وزمارة ، وشمخ بعرنين الأنفة ، واستنكف عمّن أحله كنفه ، فلم تُقبل له حركة ، وقال في القبول البركة ، فندذ ذو البعير (372) ، ولم يدر هو من العير أم من النفير ، فحلّ القدس والديار المصرية ، ورصد من الدهر العطفة الحرية ، فرق له وحن ، وسقاه من الأوبة الغمام مرّجحن (373) ، فعاد لما سلف ، وعانق ذلك العلف ، فعاثته الطباع ، وقذفته في

369) جزء من المثل : إلى حيث ألقّ رطلها أم فضع

370) أبو بكر : محمد بن عيسى ابن الليانة الداني المتوفى عام 507 وكان شاعر محمد بن عباد اللحمني أمير اشبيلية الملقب بالمعتمد على الله دفين أغمات قرب مراكش ، وله فيه - حياً وميتاً - أمداح ومراثي عديدة تدل على وقائه ومروءته.

371) أي وما جمع (سلك الدرر)

372) أي نفر نفور البعير (سلك الدرر)

373) مرّجحن على وزن مطمئن : شيء ثقيل (سلك الدرر)

مهاوي التعريض باليد والباع ، ومكرَ به حاله واستدرجه ، ووضعَه من الأعين درجةً فدرجة ، ولم تزل أطواره تتقلب ، وطويئته عليه تتقلب ، حتى عصفت به مهابُ هواء ، وأكبُّه على مخطمه عقيب دعواه ، وقامَ به الغرامُ واستأثر ، ورشفتُه بما أودى بفؤاده وأثر ، وسلمَ قلبه لمن عدَّبه ، واستلذَّ تهنُّكُه فيه واستعدَّبه ، حتى بعدت عليه من التنصلِ الشُّقة ، واستقلَّت به المضرةُ والمشقة ، وانقلب وهو مُليم ، عرضةً للتفريع الأليم ، وما انفك يُريه من التجني ما يُريه ، ويطرقُ سمعه بكلِّ كرية ، حتى تحطفتُه أيدي الشتات ، بعد أن طلقَ الشامُ تطليقَ البتات ، فما استقرَّ ، حتَّى نوديَ إلى أين المفرَ ؟ ، وطواه رمسه ، كما طوي أمسه ، وبالجملة فقد كان يُستأنسُ بمذاكرته ، ويستروحُ بمحاضرته.

وله شعرٌ زهريُّ الأرج ، ما عليه في سبكه حرج ، قد أثبتت منه طرفاً ، وتركت ما يُعدُّ سرفاً .

فمنه قوله من قصيدةٍ يمدحُ بها عليَّ المرادي مُفتيَ الحنفية وقد كان نزيلاً عنده مدةً إقامته بدمشق :

بها غصنُ عمري بالتأدب مائس
إلى لطفه يصبو الغزالُ الموانسُ
كعوبٍ لعوبٍ لا نلؤلُ وعانسُ
فياحبذا ذا الكرمِ رباهُ فارس
رأيتُ شرابَ الليلِ للنفسِ ءانس
أهيمُ بها وجداً وجسمي رامس
فما بسطها إلا البسيطُ المجانس
له من طبا البيدا عيونَ نواعس
له من طبا الغاراتِ حامٍ وحارس
بها الأسدُ في الغيلِ المنيعِ فرائس
فيرنو بطرفِ فاترٍ ويخالس
ولكن له شعرٌ هو الليلُ دامس
يقس بقوامي النبت ما ذاك قايس

هي الأدبُ النفسيُّ وهي النفائس
ولي غزلٌ فيها الغزاةُ في الضحى
هي البكرُ بنتُ الكرمِ هيفاءُ ناهدُ
من الغرس بيتُ المجدِ عنقودُ كرمها
أدزها لنا قبلَ الصباحِ فإئني
ودعني صريعاً بينَ ندمانِ حانها
أدزها بلا مزجٍ ولا تقنلئها
وإن شئت فامزجها ولكن بريق من
مليح صبيحِ الوجهِ طبتي خباؤه
يصيدُ قلوبَ الناظرين بلفتةٍ
أخالسه في موكبِ الحسنِ بفتةٍ
له غرةٌ كالصبح لا ليل قبلها
إذا قيس بالغصنِ الرطيب يقول من

فبدرُ الدُّجَا من نورِ وَجْهِي قَابِسِ
تَطْيِبُ بِهَا بَيْنَ النَّدَامَى المَجَالِسِ
تَرَى يَانْدِيمِي كَيْفَ تُجَلَا العِرَائِسِ
فِرَائِدُهُ مِنْهَا تَضِيءُ الفَوَائِسِ
فَتَلِكُ لَمَنْ تَسْطُو عَلَيْهِ الوَسَاوِسِ
يُنَافِسُ فِي إِحْرَازِهِ مَنْ يُنَافِسِ
تُرِيحُهُ الآدَابُ وَهِيَ النِّفَاسِ
فَغِييْتُهَا ذَاكَ الحَضُورُ المُمَاسِيسِ
إِلَى شَرِبِهَا تَنْحُو الكِرَامُ الأَكَاسِيسِ
إِذَا كَانَ سَاقِيهَا الهِمَامُ المُحَاسِيسِ
مَدِيدٌ طَوِيلٌ وَافِرٌ لَا يُقَاسِيسِ

وله من قصيدة أرسلها إلى الشيخ أحمد بن علي المنيني :

وَلَا الزَّهْرُ فِي الرُّوضِ الأَرِيضِ تَبْسَمَا
وَلَا رِيْقٌ مَحْبُوبٌ بِهِ يَذْهَبُ الظَّمَا
أَجَادَتِ لِمَشْغُوفٍ بِهَا قَدْ تَنَبَّيَا
بَدِيْعِ السَّنَا عَذْبِ المَرَاثِفِ وَاللَّمَا
صَبِيحَةَ وَافِيَتِ الإِمَامَ المُكْرَمَا
مُعْنَعَةً تُزَوِي وتَعْدَادُهَا ثَمَا
حَزَايَا ، وَفِي أَوْجِ السِّيَادَةِ قَدْ سَمَا
وَفِي مَذْهَبِ النِّعْمَانِ بَحْرٌ لَقَدْ طَمَا
وَأَدْهَشَ أَرْبَابَ العَقُولِ وَأَفْحَمَا
فَأَبْدَى نَفِيْسَ الدَّرِّ نُرّاً مَتِيْمَا

وعلامه الدنيا ويافاضلاً سما
بأفنايه ظبي الأراك ترتما
جری في كتاب الله لا شك مبهما
وهام أبو نواس فيه وهیما

وَإِنْ قَيْسَ بِالبَدْرِ المُنِيرِ يَقُولُ لَا
يَبِيرُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجِدِيَّةِ
إِذَا جَلِيْتُ فِي كَاسِهَا عِنْدَ ذَائِقِي
عَلَى تَاجِهَا إِكْلِيلُ نُرٍّ تَنَاسَقْتُ
وَمَا هِيَ رَاحُ الحُسْنِ دَغَ عَنكَ يَكْرَهَا
مُرَادِي بِهَا خَمْرُ المَعَانِي فَشَرِبَهَا
مَدَامَ غِدَاءِ الرُّوحِ وَالجَسَدِ الَّذِي
فَقَدْ تَسَكَّرَ الأُرُوحُ مِنْ غَيْرِ خَمْرَةٍ
إِلَاحِ المَعَانِي نَشْوَةٌ أَيْ نَشْوَةٍ
فَتَفَعَّلَ بِالأَلْيَابِ مَا تَفَعَّلَ الطَّلَا
عَلِيَّ عَلِيَّ النَّفَرِ مَنْ بَحْرٌ فَضْلُهُ

لِعَمْرِكَ مَا رِيحُ الصَّبَا إِذْ تَنَسَّمَا
وَلَا طَيِّبُ أَنفَاسِ الرَّبِيعِ وَحَسْنُهُ
وَلَا ضَمُّ خَوْدِ كَالأَرَاكَةِ قَدْهَا
وَلَا شَرِبُ كَاسِ الرَّاحِ مِنْ كَفِّ أَغْيِدِ
بِأَطْيَبِ مِنْ عَرَفِ زَكِي شُومْتُهُ
لَهُ اللّهُ مِنْ مَوْلَى أَحَادِيثِ مَجْدِهِ
سَلِيلُ النَّقَى شَمْسُ المَعَارِفِ أَحْمَدُ الـ
غَدَا شَافِعِي فِي الحَبِّ لِي وَهُوَ مَالِكِي
أَتَى بِحَلَالِ السَّحْرِ هَارُوثٌ نُطْقِهِ
وَغَاصَ بِحَارَ العِلْمِ غَوَاصٌ فَكْرِهِ

ومنها ملغزاً :

فياأحمد الأوصاف يا عالم الورى
بك اسم خماسي كروض منبج
حوى كل لطف واختوى كل رفة
وقد حله قنماً كثيراً عزة

وتصحيْفُهُ مَعْنَى هُوَ الْمَوْتُ لِلْعَدَا
وإن زال من أولاهُ خُمْسَاهُ فاعتَبِرْ
لنا في نبيِّي جاء بالحقِّ مُرسِلا
وإن قلبوا باقيه ماسٌ بعطفه
وإن حذفوا أخراهُ من بعد قلبه
ونبتأ ببيعِ الحسنِ كالغُصْنِ قد زكَّتْ
أطُ عنه سِترُ اللبسِ لا زلتُ مُحسِناً

يلوْحُ لِذِي فَهْمٍ إِذَا مَا تَفَهَّمَا
مصحف باقي الاسمُ بخلا قد انتمى
لقومٍ همُ أهلُ الجهالةِ والعَمَى
كغصن النَّقا إذ مالَ في روضةِ الجمى
غدا أسَّ بنيانٍ كودُك مُحكِّما
روائحه كالْمِسْكِ إذ ما تنسِّما
ودمتُ لطلابِ الإفادَةِ منعما

توفي باللاذقية في حدود عام 1170 هـ (374)

1715) أحمد بن ابراهيم الركني الصنهاجي فقيه ينتمي إلى أسرة
عالمة صالحة بقرية الركن من ناحية سوس ، يغلبُ عن الظن أنه أخذ عن
علماء الزاوية الناصرية بتامكروت ، وله في بعضهم أمداح ، وتصدر للتعليم
في مدرسة تالتت.

وصفه بعضهم بالعالم العلامة الفقيه النحوي اللغوي المحدث الرئيس
العامل قاضي الجماعة ، وأثنى على صلاحه واستقامته ووقوفه مع الحق.

له مؤلف في الفقه سماه (الحاوي ، على الزواوي) ، وءاخر في بليديه
سيدي محمد بن يعقوب سَمَاهُ (شفاء القلوب ، ومواهب علام الغيوب ، في
مناقب الشيخ سيدي محمد بن يعقوب) ، ووقَّف المختار السوسي على
بعض أنظامه ، ولكنه صرح أن الرجل فقيه وليس مثله من يُنسَقُ مع
الأدباء ، ومع ذلك أثبت قصيدة تشكك في نسبتها إليه ، نظَّمها حوالي عام
1170 في مدح السلطان سيدي محمد بن عبد الله حين كان بأجدير وهو
يومئذ خليفة بمراكش لوالده السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل العلوي
مطلعها :

قلبي من الصبر الجميل سليلُ
ما سيم سلواناً بقولة عاذلُ
ماكان يهدأ فترةً عن خَفَقَةِ
جلدُ يُعاني الكارثاتِ صليلُ
إلا يطيرُ به جوى ووجيبُ
حتى يدفقُ دمعِي المسكوبُ

ومنها:

هذا الخليفة قد بدا مُتَحَنِّكاً
ظهرت به في سوس حين يزوره
قد وطَّدَ الأفاقَ حتَّى راجعتُ
وَيُسَلِّسُ المُرَاقَ يَعْتَلِّمُ إلى الـ
ثمَّ ائْتَنَى نحو الرعية مُنعماً
فيفيضُ مفعمُ سنيه حتى غدا
طلعت علينا الشمسُ يومَ طلوعه

وبدا لنا من ساعدَيْه عَجيبُ
في اليَوْمِ من سُبُلِ الرِشَادِ ضروبُ
سراءها قبلا وزال شحوبُ
حمراءِ يحدوهم أسي وقطوبُ
فيهبُ منهم بالجميع مُهيبُ
في الخِصْبِ بين التاربين جديبُ
فأنيرت الأجبالُ ثم دروبُ

توفِّي عام 1171 هـ (375)

1716 (1716) أحمدُ بنُ محمد الأصرم القَيْرَوَانِي ، رئيس الكتَبَةِ بديوان الإنشاءِ التونسي ، وابنُ أسرةٍ وجيهةٍ تُسبِّها في عَرَبِ الفتحِ اليَمَنِيَّةِ ، وكانَ بيئتهم في القَيْرَوَانِ جوار (باب أصرم) المنسوب إلى سلفهم الأَعْلَى في القرن الثاني ، ولد بالقَيْرَوَانِ ونشأ ، وأخذَ عَمَّنْ كانَ بها من الفقهاء والعلماء والأدباء ، وعمدته من بينهم العالمُ المغربي عبد الله بن محمد السُكْتَانِي السوسِي أستاذ المدرسة التي بناها الباي حُسَيْن بن علي عام 1133 هـ .

ولما تارَ علي باشا بن محمد بن علي تركي عام 1140 هـ على عمِّه حُسَيْن باني المنكور والتجأ هذا وبنوه إلى القَيْرَوَانِ واعتصموا بها تعرَّفَ أحمدُ الأصرم بأحدِهِم هو الأميرُ مُحَمَّد بن حُسَيْن الملقَّب فيما بعد بالرشيد ، ونشأت بينهما صداقةٌ قويةٌ لأصرةِ العِلْمِ والأدب التي كانت تجمعُهُما ، واستأنسَ أحدهما بالآخر ، وصارا لا يفترقان إلا عندما يخرجُ الأميرُ مُحَمَّد بالمحال (376) لمقاتلة ابن عمِّه علي باشا أو صدَّ غاراتِ أتباعه ، ولكنَّ

(375) حركة الأديب في المغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 1482 وخلال جزولة 3 : 111 و 129 ونبيل مؤرخ المغرب الأقصى ص 203 والمعسول 16 : 6 والموسوعة 3 : 86 و 105 وسوس العالمية ص 191 وإتحاف المطالع 1 : 11

(376) الأمحال ج محلة ، وتُجمع في المغرب الأقصى على محلات ، وتُطلق على الجيش المقيم ، وعكسها الحركة التي تطلق على الجيش الضارب ، وقد تعني المحلة الجيش مطلقاً ، سواء كان مقيماً أو منحرِكاً.

الضائقة اشتدَّت عليهم في الأخير ، وقبل أن يُقتل حُسَيْن باي عام 1153 فرَّ أبناؤه من القيروان وخلصوا نجياً إلى مدينة قسنطينة ومعهم أحمد الأصرم وقليل من شيعتهم ، وكان القصد أن يصلوا إلى الجزائر ليستنجدوا بالداي إبراهيم رمضان حاكمها التركي ويطلبوا منه إعانتهم بجيش يذهب معهم إلى تونس لاسترجاع حكم أبيهم ، ومن قسنطينة أرسل الأمير محمد بن حسين باي صديقه وكاتبه أحمد الأصرم إلى الجزائر يستأذن الداوي في انتقال مخدومه إليها ، فجاءه الإذن وانتقل إليها مع مَنْ فرَّ معه من القيروان ، وممَّا يذكّره المؤرخون عن فرار آل حُسَيْن باي وشيعتهم من القيروان إلى قسنطينة ثم انتقالهم إلى الجزائر أن أحمد الأصرم المترجم كان يحمل الأمير مُحَمَّد على ظهره إذا أعيأه المشي وأتعبه قطع المسافات الطويلة ، فرعى له الأمير هذه السابقة لما استرجع ملك أبيه بتونس بعد سنين كما سنذكره ، وجزاء أحسن جزاء ، عملاً بقول القائل :

إن الكرامَ إذا ما أَسْرُوا نكروا مَنْ كانَ يالفهم في الموطنِ الخشنِ

وما أن وصل الأمير محمد إلى الجزائر حتى بدأ يقوم بمساعي لدى الداوي وديوانه لحثهم على إرسال جيش معه إلى تونس لطرد ابن عمه علي باشا من الحكم ، ولكن الظروف لم تكن لتساعد على تلبية طلبه رغم إلهامه ، فسكت وأقام ينتظر ظروفاً أخرى مواتية ، واشترى بستاناً بضاحية الجزائر عرف فيما بعد بقصر باردو ، وتأنق في غرسه وزخرفته ، واستقر فيه يتسلى بمطالعة الكتب ومسامرة صديقه أحمد الأصرم وعالمٍ آخر من أتباعه الذين فروا معه يُسمَّى محمد الشافعي الباجي ، وقد أعجب شعراء الوقت بحسن صنيع الأمير محمد في هذا البستان وتباروا في وصفه ، فمن ذلك قول مترجمنا أحمد الأصرم يصف إحدى نافوراته :

وفوارٍ حاكّت بوشى رحيقها حباباً نضيداً يفضح الأنجم الزهرا
تحاكي إذا انسابت بسلسال مائها كريم أناسٍ في العطا ينثر الدرّا

على أن المترجم لم يرض أن يعيش عائلة على صديقه الأمير محمد ، فكان يعمل بالنهار لكسب قوته : بيت العلم بالمساجد ، ويتعاطى الشهادة في سباط العدول ، وينوب على القاضي في الأحكام.

وخلال إقامة الأمير محمد بالجزائر تعرّف برجل من أعيان عسكرها اسمه علي برمق سيز كانت له منزلة كبيرة عند الداي ، فاضطحبا وكان يعدّه أنه إذا أفضت إليه الولاية يعينه علي الرجوع لوطنه ، فبقي الأمير محمد بن حسين باي ينتظر ما ستؤول إليه الأمور بالجزائر ، بينما بقي أخوه علي بقسنطينة يتقلب في أحياء العرب من قبيلة إلى قبيلة ويستقبل من يفد عليه من تونس من الأعراب شيعة أبيه حسين باي ويعدّهم لليوم الموعود ، فلما اغتيل الداي علي بوصبع حاكم الجزائر عام 1168 وجلس علي كرسي الإمارة الداي محمد بن بكير خوجة استنجز الأمير محمد بن حسين داي الوعود لباي وعده بها رجال ديوانه وضباط عسكره ، فكتب الداي إلى حسن باي حاكم قسنطينة يأمره بإعداد جيش لغزو تونس وإرجاع الحكم فيها إلى أولاد حاكمها القليل حسين باي ، فخرج الباي حسن بعسكر الترك من قسنطينة ومعه الأميران محمد وعلي بجيش وافر فيه أتراك جاءوا من الجزائر وعسكر تونسي كان نزع إليهما وفرسان من قبائل الحنانشة ودريد ، وسُمي الجيش كله (محلة الشرق) وساروا حتى بلغوا الكاف أولى مدن ولاية تونس يوم 8 رمضان عام 1169 هـ فاستولوا عليها بعد قتال مرير وجصار طويل ، ثم تقدّموا إلى تونس العاصمة فملكوها يوم الخميس فاتح ذي الحجة ، وفرّ منها علي باشا وجلس علي كرسي الإمارة فيها ابن عمه الأمير محمد بن حسين باي وتلقب بالرشيد . وإذذاك ابتسم الحظ لأحمد الأصرم لما استوزرّه الأمير الجديد وصديقه القديم ، وولاه رئاسة ديوان إنشائه ، وصار يستشيرُهُ في القضايا التي تعرضُ عليه.

ولما توفي الأمير محمد الرشيد ليلة الاثنين 14 جمادى الثانية عام 1172 هـ وتولى الحكم بعده أخوه علي باي أبقى أحمد الأصرم علي وظائفه التي كانت له في عهد أخيه ، وكان يُكلّفه بعدد من المهام السياسية الصعبة فيحسن تدبيرها والتصرف فيها ، كما رساله إلى جبل وسلات للتأكد من استقامة سكانه (377) ، وإرساله مع محلة إلى الجريد لاستخلاص مجابهه (378)

(377) انظر الكتاب الباشي ص 64.

(378) انظر الكتاب الباشي ص 70.

وكان رجوع هذه المحلة عام 1173 هـ وهو العام الذي تنقطع فيه أخباره ، فلا ينكر أحد حاله أثناءها ولا بعدها ، ولا أين ولا متى توفّي ، وكل ما ينكره المؤرخون أن البايات بقوا يرعون نريته من بعده تقديراً لوفائه لجانبهم أيام محنتهم وغربتهم ، ونصحهم وإخلاصه في خدمتهم.

كان المترجم فقيهاً مشاركاً في كثير من الفنون والعلوم ، له (حاشية على شرح المحلّي لجمع الجوامع) في أصول الفقه ، كما كان سياسياً إدارياً وكاتباً أديباً ينظم الشعر ويبرع في الترسل والنثر ، وقد تحدث عنه العلامة الكبير الشيخ محمد النيفر في (عنوان الأريب) بعبارات مستحسنة أنقلها على طولها لبلاغتها وحسن صياغتها وهي قوله :

« نشأ هذا الأديب في طلب العلم فاقتطف من زهره يانعاً ، ورفع عن غرائسه براقعاً ، وأناره متألقاً من برقه ساطعاً ، حتى امتلأت حقائقه ، وبلغت منه مآربه ، وبهرت محاصيله ، وصال صولة البزل فصيله ، وضرب في كل فنّ بسهم مصيب ، وخصّ في قسم حظوظها بأوفر نصيب ، وجلّى في حلبّة الأدباء ، وتميّز بين أقرانه منها بأجزل حباء ، فكان فارس الكتابة ، والخائض من يمّ الأدب عبابه ، ما شئت من شعر كأنه القلائد ، في نحور الغواني الخرائد ، ونثر كالرّوض جاده المطر ، فازدانت أماليده بشذى الزهر ، اختصّ بالدولة الحسينيّة . واقعدت منها زروة سنيّة ، وانضاف إلى أشبال الإمارة ، وانتشق من نجد جودهم بهاره وعراره ، ولما حلّت الحادثة ، وداهمتهم بفظائعها الكارثة ، كان صاحب الترجمة ممن صاحب ركابهم ، ولازم في السراء والضراء أعتابهم ، حتى كان يحمل الأمير محمد الرشيد باي على كاهله إذا أعياه المشي حتى بلغ منجاته من الجزائر ، فحفظوا ذلك العهد ، وألوه خير جزاء من بعد ، فاقتعدت رياسة الكتابة ، لما أتاح الله إلى تونس معهم إيايه ، فأثّل مجدداً بها لأهل بينيه ، أشاد في الأقطار التونسيّة بصنيّه ، غير أنه لم يطل بها إمامه ، حتى اقتطفه من سعادته جمامه ، فتوفّي ، ولا يزال الأمراء الحسينيون يرعون لآله عهد أبيهم ، حتى جعلوا رياسة الكُتاب فيهم ، فتداولها خلفهم عن السلف ، إلى أن خفّ قطين تأهلهم وزرع اضطلاّعهم بها جفّ ، وكل شيء قالى زوال ، والملك لله الكبير المتعال .»

وقال عنه محمد بيرم الرابع في كتابه (الجواهر السننية ، في شعراء
الديار التونسية) :

« تاجُ الآداب ، وإمامُ الشعراءِ والكتّاب ، هو في أفقِ البلاغةِ بدرٌ
زاهر ، يشهدُ له بالتضلعِ فيها البادي والحاضر ، لا تُجتنى أزهارُ البلاغةِ
إلا من يانعِ رَوْضِهِ ، ولا يَرَوَى ظمآنُ الأدبِ إلا من زُلالِ حوضه » ، ثم
أثبت مجموعةً من أشعاره ورسالةً واحدةً من نثره.

فمن شعره قوله يمدح الأمير علي بن حسين باي :

إذ أشابَ البطاحَ زهرٌ تشابه
مثلما سلسلَ الحبيبَ عتابه
كان في كَفْها الشقيقَ خضابه
من عبوسٍ أتى لنفي الكآبه
إن دعا منشدٌ أخاهُ أجابه
نِ أجادَ الهزارُ فنَّ الخطابه
وحياضٍ وربربي وربابه
همتُ من قوسٍ ما علمت انتشابه
سدلُ البدرُ من حياءِ حجابهِ
لم يمازحُ ومَن يطيقُ شرابه ؟
شمت شيخاً وشيبه ما عابه
يستقي وصلها فتسقي سرابه
فيك لولاك ما أبحت لهابه
جاهلٌ في الهواءِ يبغي الكتابهِ
هكذا هكذا قتيلُ الصبابهِ
ثم كان الهوانُ عينَ الإنابه
لا أبالي شغابهُ وشعابه
أستحي أن يكونَ هوني جوابهِ
وجعلنا الوشاةَ نالوا سبابهِ
أثمرتُ هجرَ صادقٍ لا يُشابه

يارعى الله للربيع شبابه
هيم القطرُ في الرياض فتصغي
واكتست بالزهور ثوبَ عروس
عبس الجوُّ فوقها فعجبنا
عجت الطيرُ عندها وتغنّت
يومَ قامت علي منابر أفنا
لي روعٌ ما يزعوي عن رياض
بالجفون اللواتي يرمين قلبي
وفتاة فتاة إن تبدت
فسقتني العيونُ أي عمار
لو تراني أهانُ بين يديها
تتجنى فاستفرّ خضوعي
ونظام وشيئه لم يفدني
فكأني وخالصُ الودِّ مني
غررتني بوارق من رضاها
كم وقيتُ الحبيبَ دهرأ بعيني
وخلعتُ العنانَ ثم طليقاً
فإذا استفهم العذول جزائي
لك من قتلتني اعتذارُ فنرضي
هم أذاعوا عني أقاويلَ هجرٍ

ولطف الإله والى انتصابه
ارّ وياغادراً دعيت اجتنابه
يتهم الصبّ بالذي قد أصابه
ماء كفر الصنيع يُطفي التهابه
سمتُ نفسي هلاكها لن أهابه
أين للصبّ ما يزيل ارتبابه
وتمليتُ عذبه وعذابه
ساعةً منه تستهينُ صعابه
حينَ كنا والكأسُ يذري حبابه
مائساتُ ، والنبتُ زانُ ترابه
بين بيض النحورِ سودِ الذوابه
والصباحُ انبرى يريدُ انتهابه
صامتٌ ما ابن أم كشرَ نابِه
س أنمي بقلبه نشابه
ساهرٌ ضعفَ المدامَ خطابه
قطاعٌ من الهلالِ مذابه
نسخَ الفجرُ من دجاها غرابه
فتحَ النورُ من عليه نقابه
حلَّ كلُّ من العفاة جرابه
جنةٌ سهلةٌ القطوفِ مُطابه
وقضىَ المجدُ من سناك اعتجابه
كنته إذ دعا بوقتِ الإجابه
تتوالى عصابةً فعصابه
حزتُ في دارةِ الملوك القطابه
قامَ فيه السوى مقامَ الإنابه
مثلما ضوعَّ النوارُ هضابه
إذ سرتُ في أقطارها جوابه
فدعوناها الدعوةَ الجلابه

أملوا منك خفضَ ما رفعَ الله
وادعوا لي غدراً ، وما أنا غد
وكبير على الفؤادِ حسودُ
قالَ أهلُ الولوعِ إن المعنى
ولكم ذقتُ في وداك بلوى
أكذب الناصح الصدوق ارتباب
كم تعذبتُ بالمرار مراراً
كل ذا في رضاك عندي قليلُ
يأثرى تذكيرين ساعةً وصل
يتدلّى من الغصونِ علينَا
منه قد بتُ في نمارقِ خُضِرِ
والسماءُ اكتستُ وشاحاً نضيداً
وكأنَّ الهزيرَ واش رقيبُ
خفتُ طغيانه فعدتُ برام القو
وكأنَّ النسيمَ ، والجو ساو
وكأنَّ الدرَّ المنظمَ في النحر
غارت الشهبُ من سناها فغارثُ
وبدتُ شمسهُ ولما تجلّت
كعليّ مولاي لما تبدى
عمرک الله حضرةُ ابن حسين
مخضتُ عن سماك أم المعالي
ودعا الدهرُ أن يجلي بعدل
جئتُ فرداً ، ومجمعاً للمزايا
أن يولي الإنسان ما يقتضيه
إنما الفضلُ في سواك معارُ
ضاعَ في إفريقية لك نشرُ
طنعتُ منك نفحةً فأسرّتُ
جنبتُ أخلاقك الخليقة طراً

فعلمنا أنّ النهي نسابه
منه بدرُ السماء يكسى ضبابه
ضوءك المنتقى عليه شهابه
أنتَ قطعاً غمامةً سكاّبه
حيثما سرتَ جدُّ فيك طلابه
هذه هذه السجايا المطابيه
إن من عنصر الكمال انتسابه
ويأبى الهمام إلا عباّبه
دَدَ والجودَ والحجا والنجاّبه
ماجدٌ هاجدٌ كبيرُ المهابه
ب يُعيرُ الهنديّ منه الصلابه
بَيْنَ جَنِينِهِ مُهَجَّةً وثابّه
اكتسى حصن ربّه جلابه
زَيْتٌ من دم العدو رقابّه
شَقِيّ المألُ والعدا والخرابه
ولجِنٌ يلجُ مما أصابه
ما ترى من حديثه ياسحابه
وامتطى كفه الرحيبُ رحابه
فتلقاها مالكي لا غرابه
رَ وعانى إقباله وانقلابه
جاءَ كلُّ مطنّبٍ أطنابّه
ذو اجتهادٍ ، لكنّ أين الإصابه ؟
أو يداعبُ سبتك حسنُ الدعابه
أنتَ أغلقتَ من قريضي بابّه
أنني في عداك أسقي النبابه
في رضاكم أرومُ منه صبابه
أحدٌ منكمُ يحبُّ انتكاّبه
وسيبُ لا تحرموني انسكاّبه

نسبتك النهى إلى ناظرها
بدرُ عليك واضح ليس يخفى
فلك أنت ، من يناضك يرمي
أنتَ بحرٌ ، بل ذاك ملح أجاج
أنتَ ينحوك كلُّ فضل وخير
هذه شيمه المليك عليّ
أنتَ تعني عليّاً بن حسين
قد أرادت أقرائه الغوص في الشطّ
جمع المجدّ والشجاعه والسؤ
باهرٌ طاهرٌ تقىّ نقىّ
هَيْنَ لَيْنَ ، وفي حومه الحر
يتمسّى إلى الحروب رويداً
إن توفقت أقرائه بدروع
يتلقى اللقى بنفس جموح
سعدت أمة النبيّ به إذ
ذهبَ ذاهبٌ وظلمٌ مصاب
كرمٌ يُخلج الغمامَ فحدّث
جالٌ في مهيع الكرام طليقاً
نُشرتْ رايه المكارم فينا
من فتى قلب الحوادث والدهم
هو في عسكرين بأساً ورأياً
وكثيرٌ من الملوك سواه
هو في جدّه مجيدٌ مجيدٌ
علمتني صفائك المدح لولا
أصرمُ أصرمُ أنا بك إلا
بعثَ عمري بني حسين مطيعاً
وفؤادي سكنتموه ، فحاشا
عمرتني في بحركم منن الله

مطلبي في الدنا أبو حسن إن
إنما جاء مقولي ترجماناً
أيتها الزاخرُ الذي كلُّ من ينحو
دمٌ معافى مُظفراً من يعادب
أنت في حصن ربنا ومُجاراً
طالَ قولي فلا تلمَ إطنابَه
عن لسان الوري أنيب منابَه
له من نداء يملا وطابَه
كك يعاني خوارَه ونعابَه
بشفيع الوري غداً والصحابَه

تُوفِّي في أوائل حكم علي بن حسين باي ، وكان حياً عام 1173 هـ
وأرجح أن تكون وفاته في ذلك العام أو بعده بقليل كما يستفاد من إشارات
المؤرخين (379).

(* أحمد بن مصطفى الطروذي ، أول قضاة المذهب الحنفي
بتونس ، تقدّمت ترجمته في هذا الجزء (ص 152 ع 1642) ، ولما لم تكن
المراجع التي اعتمدت عليها في ترجمته ذكرت تاريخ وفاته فإنني أثبتت
اسمه في آخر سنة من حياته نُكرت في تلك المراجع ، ورجوت أن يكون
الشيخ علي بن محمد النيفر أرخ وفاته في الذيل الذي وضعه لكتاب والده
(عنوان الأريب) ، وقد حقّق الله الرجاء لأن الطبعة الجديدة للكتاب المذكور
التي تداخل فيها الذيل والمذيل وصلت إلى المغرب أثناء طبع هذا الجزء
وفيه تاريخ وفاة الرجل مع معلومات أخرى عن حياته ، فاستحسنّت أن أعيد
كتابة ترجمته مستوفياً فيها تلك المعلومات وأثبتها غير مُرقّمة في مكانها من
تراجم الأحمدين حسب التسلسل التاريخي لسنوات وفياتهم ، فأقول :

وُلد المترجم بتونس ونشأ ، وحفظ بها القرآن وجوّده على الشيخ
المقرئ أحمد عزوز (6 : 203 ع 1658) ، وأخذ الفقه والفرائض على
الشيخ محمد الكفيف ، والعربية والتوحيد على الشيخ محمد الغماري ،
والحديث ومُصطلحه على الشيخين محمد الصفار وسعيد المحجوز.

(379) إتحاف أهل الزمان 2 : 160 و 178 والأدب التونسي في العهد الحسيني ص 152 وتاريخ
الأدب التونسي (الأدب في المهدين المرادي والحسيني) ص 25 وتراجم المؤلفين التونسيين 5 : 193
والجواهر السنوية ص 257 و 285 والكتاب الهاشمي صفحات عديدة ، وعنوان الأريب 1 : 530 ع 238
وعقد الفراند ، في تنبيل الخلاصة وفوائد الرائد ص 6.

وصفهُ الشيخُ محمد بيرم الرابع في كتابه (التراجم المهمة ، في الخطباءِ والأئمةِ) بالعالم الفاضل ، الورع الكامل ، القاضي الأعدل ، وكان مليحَ الصورة ، حسنَ الزيِّ ، نَقِيَّ الثياب ، دِيناً عفيفاً حسنَ اللقاء.

تصدر للتدريس بجامع الزيتونة وبمدرسة القائد مراد والمدرسة اليوسفية لما تُوْفِي شيخُها هبةَ الله أفندي ، فأجادَ وأفاد ، واشتهرَ بالبراعة في الشرح والتلقين حتى عدَّ من أجلِّ كبار علماء الإسلام ، وتخرَّجَ على يده كثيرٌ من الفقهاء والعلماء.

ولما ثار علي باشا على عمه حسين باي وقرَّرَ إحداث منصب القضاء بالمذهب الحنفي ولأه ذلك المنصب عام 1157 هـ وهو أول فقيه يتولاه ، ثم عزَّله عنه عام 1161 هـ لصنم أصابه ، ثم تولَّى الإمامة والخطبة بجامع القصر ، فجامع باردو ، فالجامع الباشي الذي توفي عنهما فيه طاعناً في السن.

وله مؤلَّف جمع فيه ما كتبه على أبواب من صحيح البخاري لأختام مجالس الرواية بجامع القصر على العادة المألوفة بتونس من الاقتصار على ما يليق بالعامَّة من نكر فضائل الأعمال.

وله أنظَم كأنظام الفقهاء ، منها النظم التالي الذي مدح به (الفتاوي الخيرية) وصاحبها :

جلَّت عن التعداد والحسبان
وسقى ضريحك وأبل الغفران
دار المقامة جنَّة الرضوان
أعيت كُماة العِلم والفرسان
وافت لحضرتكم مع الركبان
دار الخلافة من بني عثمان
أحد من الأمثال والأقران
كقلائد الياقوت والمرجان
تهدى الورى لشريعة الرحمان

ياخير دين الله نلت مفاخرا
حياك مولانا بألف تحية
وجزاك من خير الجزاء بفضلته
لله كم من واقعات مسائل
من مصر والشام الشريفة أرسلت
وكذا من اسلامبول زيدت بهجة
عزراء لم يكثف نقاب جمالها
أوضحت مشكلها بفتواك التي
أفرغتها في قالب التحقيق قد

حَوَتْ الْأَصُولَ مَعَ الْفُرُوعِ وَأَيَّدَتْ
شَهِدَتْ عَقُولَ الرَّاسِخِينَ بِأَنَّهَا
يَارِبُ بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ وَأَهْلِهِ
أَغْفِرْ لَنَاظِمِهِ عَيْبِيكَ أَحْمَدُ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَءَالِهِ
مَا حَرَّرْتَ أَقْلَامَ أَعْلَامِ الْهُدَى
مَا حَرَّرْتَ بِيَدَائِعِ الْبِرْهَانِ
فِي غَايَةِ التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ
وَبِجَاهِ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْفُرْقَانِ
وَأَقْلَهُ عَثْرَتَهُ لَدَى الْمِيزَانِ
كَنْزِ الْهِدَايَةِ رَحْمَةِ الْمَنَانِ
بَطْرُوسِيهَا عِلْمَا مَدَى الْأَزْمَانِ

تُوِّفِّي بتونس يوم الأربعاء 29 شوال عام 1174 هـ (380).

1717) أحمدُ بنُ هَيْبَةَ ابنِ نغمَاشِ البركني ، من أمراء قبيلة
البراكنة (381) الشنجيطية ، ونغمَاشِ الذي ينتسبون إليه هو جدُّ أحدِ
الفرعَيْنِ الكبيرين للقبيلة المذكورة ، وجعل أحدُ النسابين نسبَ المترجمِ
وعشيرته في جعفر بن أبي طالب.

تولَّى أحمدُ المترجمَ رئاسةَ قبيلته بعد أخيه محمد بن هيبَةَ ، وكان
جباراً ضيقَ العطنِ ، غَضِبَ يوماً على الشاعر الكبير محمد بن سعيد اليدالي
الديماني لما بلغه أنه قلبَ الأشعارَ التي قيلت في مدحه فجعلها في مدح رسول
الله ﷺ فأحضره وسأله عما بلغه ، فقال قلبتها فيمن هو خيرٌ منك ! فسكن
غضبه وأذعن للحق.

وللشاعر المذكور قصيدة طويلة من 50 بيتاً في مدحه نقتطف منها
الآبيات التالية (382) :

380) الخُلُ السُّنُوسِيَّةُ 3 : 117 وذيلُ بشارِ أهلِ الإيمانِ ص 252 ومفاتيحُ النصرِ ص 179
وصفحاتُ من تاريخِ تونسِ ص 187 و192 و208 وعنوانُ الأريبِ 1 : 502 ع 229.

381) البراكنة : قبائل مغربية استقرت في جنوب موريتانيا مما يلي الترابزة شرقاً محاذين لضفة
نهر السينغال حتى وادي كوركول الأبيض ، وهم فرعان كبيران : أولاد نغمَاشِ الذين منهم المترجم ،
وأولاد السيد الذين انتقلت إليهم الإمارة على يد المختار بن هـ اغريش بن سدوم بن السيد المتوفي حوالي
عام 1180 هـ وقيمت فيهم الإمارة إلى زمان الاحتلال الفرنسي.

382) اقتصر محمد بن أحمد يوره الديماني على إثبات 25 بيتاً منها في كتابه (الكلمة) ، والقصيدة
كلها مثبتة في ديوان محمد بن سعيد اليدالي الديماني (تحقيق الأمين بن أكاه).

لأولادِ أمِّ العِزِّ (383) بالعِزِّ والظَّفِرِ
ببَدَلِ النَّدى وَالْعَدْلِ وَالْجَلْمِ وَالصَّبْرِ
ضَعِيفٍ وَمُسْكِينٍ فَقِيرٍ وَمُضْطَرِّ
إِلَيْهِمْ وَكَمْ مَصُوعًا لَمَى ذَلِكَ النَّعْرِ
قَبِيلًا فَلَيْسَ الطَّيْنِ وَالتُّرْبِ كَالنَّبْرِ
فَإِنَّ ضِيَاءَ الشَّمْسِ مِنْهُ سَنَى النَّبْرِ
وَتَأَلَّوْا عَلَيَّ الْقَدْرَ وَالْحَمْدَ وَالشُّكْرَ
وَأَهْلَ النَّهْوَى وَالغِيَّ بِالْحَقْرِ وَالنَّقْرِ
عَلَى رِغْمِ أَنْفِ النَّاسِ الَّذِينَ ذُو الْكُفْرِ
عَدَا عَرَّةَ زَيْنَتْ بِهَا دُهْمَةَ الدَّهْرِ
وَذِي مِنَّةٍ لِلْوَالِدِ الصَّمَدِ الْوَتْرِ
بِأَيْدِي الْمُنَى مَا بَيْنَ أَوْرَاقِهِ الْخُضْرِ
إِلَيْنَا نَوَامَ الدَّهْرِ مُنْهَمِلِ الْقَطْرِ
وَطَرَقَ الْعَلَا وَالْمَكْرَمَاتِ بِهَا يَجْرِي
قَضَى الْحَاكِمِ الْعُرْفِيِّ وَالْحَاكِمِ الْحَجْرِيِّ
بِبَدَلِ النَّدى عَنِ هَيْبِ مَفْخَرَةِ الْعَصْرِ

قَضَتْ جَكَمَةَ الْجَبَّارِ بِالْفَتْحِ وَالنَّصْرِ
مَنْ اخْتَصَّهُمْ رَبُّ الْوَرَى بَيْنَ مَغْفَرٍ (384)
وَرَاعُوا حُقُوقَ اللَّهِ فِي كُلِّ مُسْلِمٍ
تُعَوَّرُ الْمَعَالِي فَأَبْلَتْهُمْ ضَوَاكِمًا
فَإِنْ يَكُ مِنْ حَسَانٍ أَصْلُ جُدُودِهِمْ
فَإِنْ يَكُ كَرُومٌ اشْرَأَبَ إِلَى الْعَلَا
وَأَوْلَادُ إِمْحَمَدَ حَوُوا كُلَّ سُوْدَدٍ
يُؤَالُونَ أَهْلَ اللَّهِ بِالْبَرِّ وَالنَّقَى
وَأَحْمَدُ مِنْهُمْ فَازَ بِالْمَجْدِ وَالْعَلَا
مَنْ أَصْبَحَ تَاجًا فَوْقَ هَامِ الْعَلَا وَمَنْ
بِهِ أَنْجَبَتْ لِلدَّهْرِ وَالِدَةَ الْعَلَا
وَأَيَّامُهُ خُضِرَ جَنِينًا تِمَارَهَا
سَقَى اللَّهُ مَوْلَانَا زَمَانًا سَخَا بِهِ
عَلَى أَنْ طَرَقَ اللُّؤْمُ لَا يَهْتَدِي بِهَا
فَمَا لِابْنِ أُمِّ الْعِزِّ مِنْ إِخْوَةٍ، بَدَا
وَرَثَتْ الْعَلَا وَالْعِزَّ وَالْمَجْدَ أَحْمَدًا

صَوِيمٍ فُرَيْشٍ يَنْتُمُونَ إِلَى فَهْرِ
عَنْ أَفْضَلِ خَلْقِ الْوَالِدِ الصَّمَدِ الْبَرِّ

هُمُ الْعَرَبُ الْعَرَبَاءُ مِنْ سَرِّ هَاشِمٍ
وَفِي فَضْلِهِمْ جَاءَتْ أَحَادِيثُ جَمَّةٍ

مات عام 1175 هـ (385).

(383) أم العز الجفاحية هي أم أولاد نغماش وأولاد السيد وأولاد المختار ، وأولاد أبيش من قبائل البراكنة ، وأبوهم محمد بن عبد الله كزوم البركني

(384) المغافرة قبيلة صحراوية حسانية من ذرية مغفر بن ودي (جد الوادية) بن حسان ، وفيهم انحصرت القبائل المؤسسة للإمارات بالصحراء المغربية ، وإليهم تنتسب السيدة خنائة بنت بكار المغربية زوج السلطان مولاي إسماعيل العلوي وأم ابنه السلطان مولاي عبد الله.

(1718) أحمدُ بنُ عبد العزيز الهلالي السَّجَلْمَاسِي ، إمام المعقول والمنقول في المغرب الأقصى وأحد أكابر فقهاء ومشاهيرهم ، ونسبته التي اشتهر بها إلى جده إبراهيم بن هلال سابق الترجمة (1 : 142 ع 145) وُلد بِسَجَلْمَاسَة عام 1113 هـ وبدأ بها تكويته العلمي ءأخذاً عن قريبه أحمد الحبيب اللَّمَطِي الصديقي (6 : 323 ع 1709) ، وأحمد بن أبي القاسم الغنجاوي السَّجَلْمَاسِي ، ثم انتقل إلى فاس لإكمال قراءته بجامع القرويين فأخذ عن جماعة كبيرة من أعيان علمائها وفقهائها كأحمد بن مبارك اللَّمَطِي السجلماسي (6 : 285 ع 1695) وأحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد بن عبد السلام بناني ومحمد الجندوز ومحمد الكبير السَّرغِينِي ، وما زال يَجِدُ وَيَجْتَهِدُ حتى أصبح من كبار شيوخ العلم بها ، وحجَّ مرتين كانت إحداهما عام 1150 هـ ولقي في حجَّته جماعة من علماء مصر والحرَمين الشريفين أخذ عن بعضهم وأجازَه بعضٌ آخرُ منهم ، وتكرَّر أسماءهم ومروياتهم عنهم في رحلته وفهارسه الثلاث ، كمحمد بن الطيب الصميلي الشرقي الفاسي نزيل المدينة المنورة ، ومصطفى البكري الشامي دفين مصر ، ومحمد ابن غلبون الطرابلسي ومحمد العجيمي ، ومحمد بن سالم الحفناوي (والحفني أيضاً) وعن هذا الأخير أخذ الحديث المُسلسل بالأولية المسمَّى عندهم بحديث الرحمة (386) ، قال : جئتُ منزلَ شيخنا البركة الحفناوي ناوياً أن أطلبَ منه أن يرويني هذا الحديث ، فوجدته داخلَ المنزل ، فأجلسني أصحابه في غرفةٍ بفناء المنزل مفروشةٌ معدَّةٌ للقراءة والذكر ، فلما خرج الشيخُ رضيَ اللهُ عنه فُمتُ إليه وسلمتُ عليه ، ثم لما جلسَ شرعَ يُحدِّثني بهذا الحديث ، ففرحتُ غايةً ، ونظمتُ له في وصف الحال أبياتاً هي :

مَنْ شَاءَ أَنْ يَحْظِيَ بِمَا هُوَ نَاوِي وَيَبْدَأُ كُلَّ مَسَابِقِي وَمُنَاوِي
فَلْيُنْتَجِحِ الْمَوْلَى الْإِمَامَ مُحَمَّدَا شَيْخَ الشُّيُوخِ الْفَاضِلِ الْحَفْنََاوِي
فَرَدَّ الزَّمَانَ وَشَمَسَهُ الْغَوْثَ الَّذِي هُوَ جُنَّةٌ ، بَلْ جُنَّةٌ لِلَاوِي

(386) لفظ الحديث هو قوله (ص) : الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَانُ تِبَارَكَ وَتَعَالَى ، إِزْحَمُوا مِنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ ، أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَأَبُو دَاوُدَ ، وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَالْحَاكِمُ فِي (المُستدرک).

قد جنّته أروي الحديث مُسلسلاً
فأفاضَ من قبل السؤال سجاله
لا غرو إن من الرجال محدثي
يامجمع البحرين بحر شريعة
عطفاً على ذي غربة في كربة
حاشا لجويك أن يخيب ، وانه
والله يُبقي بدركم تسمو به
وعلى مقامكم سلام ناشر

وكان عالماً محرراً مُحققاً مشاركاً في علوم وفنون كثيرة من فقه
وحديث ولغة وأدب ومنطق وتاريخ وأنساب ، ورأيت من وصفه بالمهندس
(387) ولست أدري أي هندسة يعني ، درس وأفتى بفاس ومدغرة
وسجلّ ماسية وجهات أخرى ، وانتفع به وتخرّج على يديه جماعة من الطلبة
صاروا من بعد فقهاء وعلماء وجُهاء ، مثل محمد بن الطيّب القادري صاحب
(نشر المثنائي) ، ومحمد بن صالح الزكزوتي وعبد الرحمان بن أحمد الحبيب
السجلّ ماسي ومحمد بن أحمد ابن السيّد السجلّ ماسي الذي اختصر فهرسته في
ثبت له ، وكان الهلالي يكتتب علماء عصره ويكتتبونه كمحمد بن أحمد
الحضيكي صاحب (الطبقات) الذي استجاره فأجازّه.

ويُروى أنّ السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل العلوي
سأل - لما ولي الخلافة - الفقيه عمر بن عبد الله الفاسي عن أكبر علماء
العصر ، فأجابّه : الأحمدون الثلاثة ! يقصد أحمد الهلالي المترجم ، وأحمد
بن عبد الله الغربي الرباطي ، وأحمد بن محمد الورداني التطواني ، وأيد
هذه الشهادة الشيخ محمد التاودي ابن سودة وءآخرون من مشيخة علماء فاس
كانوا حاضرين بالمجلس الذي وقع فيه السؤال (388).

وكان الهلالي المترجم يقول الشعر ، وله فيه قطع قصيرة ومُتوسطة
وقصائد مطولات يعلو فيها ويسفل ، ويخف ويثقل ، أكثرها توسلات

(387) الإكليل والتاج (نسخة مرقونة) ص 192 ونشر المثنائي 4 : 144

(388) فهرس الفهارس والأثبات 2 : 1100

وابتهالات ، ونصائح ووصايا ومديح ، وهو في شعره متأثر بمعارفه اللغوية لما يضمّن أبياته من أمثال العرب وحكمها ، ويستعمل من مفردات لغوية وصينغ غريبة - هي وإن كانت قاموسية - ليست مما ألفته الأسماع ، ولا عبرة بقول سليمان الحوات في (الروضة المقصودة) إنه كانت له في نظم الشعر عارضة تفضح فصاحة سبحان ، وتحقر ببلاغتها صريح الغواني وبديع الزمان (389) ، فإن ذلك من الصفات التي كان المؤرخون والمترجمون ينعنون بها مجاناً شيوخهم وأصدقاءهم ، فالرجل كان له باع طويل في الفقه واللغة والحديث ونحوها ولم تكن له موهبة في الأدب ولا ملكة في صياغة القريض الجيد ، وشعره لا يبعد كثيراً عن أنظام الفقهاء كما سنرى ذلك في أمثلة منه نُثبُّها فيما بعد.

وقد ترك المترجم عدداً من المؤلفات في الفقه واللغة والمنطق ، أهمها :

1 - إضاءة الأدموس ، ورياضة الشَّموس ، من اصطلاح صاحب القاموس ، تاليف صغير يدلُّ اسمه على معناه ، نظمه محمد بن عبد القادر الكرودي برجز سمّاه (حلية العروس ، لجمع إضاءة الأدموس) وطبعا معاً مرتين على الحجر بفاس ، الأولى عام 1300 في 42 صفحة ، والثانية عام 1313 في 52 صفحة ، وللكتاب نسخ كثيرة مخطوطة محفوظة في مكتبات مغربية عديدة ، منها نسخ عديدة بالخرزانة الحسنية ، إحداها نمرتها 2557 مُقابلة مع أصل صحيح عليه خط المؤلف ، ومنها نُسخ بالخرزانة العامة ومؤسسة علال الفاسي بالرباط ، وخرزانة جامع القرويين بفاس ، والخرزانة العامة بتطوان ، والمكتبة العلمية الصبيحية بسلا ومكتبة عبد الله جنون بطنجة نمرة 10097 الخ الخ وللكتاب مُختصر في 40 صفحة محفوظ بمؤسسة علال الفاسي بالرباط ، نمرة 404

2 - ثبت (390) ذكره الشيخ عبد الحي الكتاني في (فهرس الفهارس والأثبات) ، وقال إنه كبير في نحو كراسين ، ذكر فيه أسانيد الكتب السنّة

(389) الرُّوضة المقصودة 2 : 298

(390) الثبُت : الكتاب الذي يجمع فيه المحدث مشيخته ويُثبِت أسانيدَه ومروياته وقراءته المصنفات على أشباهه.

ومشاهير كتب العلوم المتداولة وبعض المسلسلات ، لم أقف على أثر له في
فهارس خزائن كتب العلم بالمغرب ، وربما يكون واحداً من فهارسه الثلاث
التي سنذكر فيما بعد.

3 - ديوان الهلالي ، وهو كبيرٌ وصغيرٌ ، أما الكبير فجمعه سليمانُ
بن محمد بن عبد الله الحوأت الحسني الشفشاوني ، رتبّه على مُقدمة وعشرة
أبواب وخاتمة ، ووزع بيّنها التعريف بقيمة الأدب ، ثم موضوعات أشعار
الديوان ، وختم بالتعريف بالشاعر تعريفاً اقتصر فيه على اثبات فهرسته
الكبرى ، توجّد من هذا الديوان نسخة مخطوطة جميلة الكتابة ملونة العناوين
محافظة ضمن مجموع بالخزانة الحسنية بالرباط نمرته 3/158 من صفحة
158 إلى صفحة 487.

وأما الصغير فنكره صديقي المرحوم خير الدين الزركلي في ترجمته
للهلالي من كتابه (الأعلام) ، وقال إنه تملّكه ، ولا شك في أنه نقله إلى
المشرق في جملة ما نقل إليه من كتب المغرب العديدة عندما انتهت المهمةُ
التي كان يضطلعُ بها سفيراً للمملكة العربية السعودية بالمملكة المغربية.

وأشعارُ الهلالي مبنوثةٌ في كتب ودواوين غميسة كثيرة ، وذكر لي
صديقي العلامةُ البحاثُ الكبير الأستاذ محمد المنوني أنه يملك أوراقاً تتضمن
بعضَ قصائده ربما كانت فصلّةً من ديوانه .

4 - رحلة الهلالي ، رحلة وصف فيها ما شاهده في حجّتيه الأولى
والثانية ، ونكّر من لقي في طريقه من العلماء بفجيج وصحراء الجزائر
وطرابلس ومصر والحرّمين الشريفين ومروياته عنهم وإجازات بعضهم له ،
وهذه الرحلة نادرةٌ لا يعرفُ أحدٌ مكاناً توجّد فيه ، ولندرتها شك بعضهم في
وجودها بالمرّة ، مع أن النقل عنها ورد في عدد من الكتب والتقاييد كوصف
إقامته يومين في خزائن بني عبد الجبار في فجيج لم يستوف فيهما قراءة
أوائل الكتب المحفوظة فيها ووصف إكرام أهل طرابلس له وما قال من شعر
في عالمها محمد ابن غلبون ، قال عبد السلام ابن سودة في (دليل مؤرخ
المغرب الأقصى) نقلاً عن (الروضة المقصودة) : وأعمل (أي الهلالي)

الرحلة إلى الحجاز مرتين ، فحجّ واعتمر ، ولقي من أهل الحرمين كل شيخٍ مُعتبر ، وجمع رحلته في مجلدٍ مُشتمل على فوائد لا تجد (391).

5 - الزواهر الأفقية على الجواهر المنطقية ، كتاب في المنطق شرح به أرجوزة شيخه عبد السلام بن الطيب القادري ، طبع على الحجر بفاس عام 1313 بالمطبعة الجديدة في 272 صفحة ، ومنه نسخٌ مخطوطةٌ عديدةٌ بكثير من خزائن كتب العلم بالمغرب ، منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط نمرتها 276 ك ، ونسخةٌ بمكتبة عبد الله جنون بطنجة نمرتها 10061 ، وسماه محمد الأخضر خطأ (الظواهر الفقهية ، على الجواهر المنطقية) في كتابه (الحياة الأدبية ، على عهد الدولة العلوية) ص 284.

6 - المراهم ، في حكم فسادِ الدراهم ، ألفه عندما ظهرت السكة المغشوشة في زمنه بفيلالة ، توجد منه نسخٌ مخطوطة كثيرة ، منها واحدة بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع نمرته 1081 د وأخرى بالخزانة الناصرية بمكرونة ضمن مجموع نمرته 1917 ، وثالثةٌ بمكتبة مؤسسة علال الفاسي نمرتها 1569 (ضمن مجموع) .

7 - النصيحة الهلالية ، أرجوزة من 128 بيتاً التزم في جل أبياتها لزوم ما لا يلزم ، جمع فيها ما بسطه المتصوفة من الحكم والآداب وأسسا من الأصول المبنية عليها أخلاقهم وسيرهم ، مُعتمداً بالخصوص على مؤلفات أبي طالب المكي وأبي حامد الغزالي وعمر السهروردي ، توجد منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع نمرته 157 د ، ونسختان بمكتبة عبد الله جنون بطنجة نمرة 10518 ونمرة 10695 وطبعت على الحجر بفاس مع (رفع الخفاء ، عن منظومة البناء) للعراقي ، وبمطبعة الجنوب المغربي بمراكش عام 1341 مع منظومة في لبّ واجب العقيدة واستغفار مصطفى البكري الصديقي.

وقد اعنتى عددٌ من علماء المغرب بشرح الأرجوزة المذكورة ، كالشيخ الطيب ابن كيران ، وأحمد بن ادريس بن جعفر الكتاني الذي سمي

شرحَه (الثَّرَر والَّلالي ، على نصيحة الشيخ أبي العباس الهلالي) ، وعبد الصمد جُنُون وسَمَى شرحه المطبوع بمصر (النسَق الغالي ، والنفس العالي ، في شرح نصيحة أبي العباس الهلالي) ، وءاخِرُ شَرَّاحِهَا زَمَنُ الفقيه القاضي العلامة السيد رشيد المصلوت الذي سَمَى شرحَه (فَتَح العَلِي المتعالي ، بشرح نصيحة الهلالي) المطبوع بالرباط عام 1985 في 344 صفحة.

8 - نور البصر ، في شرح المُختَصِر ، مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المصري في الفقه المالكي ، طُبِعَ ما وُجِدَ منه بخط المؤلف على الحجر بفاس بمطبعة الطيب الأزرق عام 1303 وأعيد طبعه بها عام 1309 بهامش شرح عبد الباقي الزرقاني على شرح اللقاني لخطبة خليل المذكور في 248 صفحة ، ومن الكتاب نسخ خطية عديدة بالخرانة الحسنية بالرباط ، وسَمَى في مَجَدَّتِهَا خطأ (إتحاف المقتنع بالقليل ، في شرح مختصر خليل) ، ونسخ مخطوطة أخرى بخزائن ومكتبات مغربية شتى.

9 - عَرَفَ النَّد ، في حُكْم حذف المد ، منه نسخ مخطوطة عديدة بالمكتبات المغربية ، منها نسختان بالخرانة العامة بالرباط إحداهما ضمن مجموع نمرته 1371 د والثانية نمرتها 1641 د ، وبالمكتبة العلمية الصبيحية بسلا ، ومكتبة مؤسسة علال الفاسي بالرباط.

10 - فتح القدوس في شرح خطبة القاموس ، توجد منه نسخ مخطوطة كثيرة بمكتبات مغربية عديدة ، منها ثلاث نسخ بالخرانة العامة بالرباط نمراتها 905 د و1696 ك و1703 ك ، وبالمكتبة العلمية الصبيحية بسلا ، ومكتبة مؤسسة علال الفاسي بالرباط ، والخرانة العامة بتطوان.

11 - فهارسُ الهلالي ، كتب الهلالي ثلاث فهارس ، كبرى ووسطى وصغرى ، والوسطى تلخيص مُصَغَّرٌ للكبرى ، وليس منها واحدة تُسَمَّى (العجالة) ، فالعجالة كلمة وردت في فهارسه بمعناها اللغوي وهو ما يتعجله الإنسان ولم ترد على أنها اسمٌ للفهرسة ، وقد قام الأستاذ العلامة السيد رشيد

المصلوت بتحقيق كبرى هذه الفهارس وطبعتها بالرباط عام 1401 هـ (1981 م) اعتماداً على نسخة عثر عليها عند أحد علماء رُدانة .

12 - الياقوتة الفريدة ، في نظم لبّ واجب العقيدة ، طبعت على الحجر بفاس ومعها قصيدة بهلول الشرقي.

وللهلالي عدد كبير من التقايد والأجوبة والأراجيز يضع لكل منها عنواناً يوهّم بأنه عنوانُ كتاب ، مع أن عددَ صفحاته قد لا يتجاوز عددَ أصابع اليد ، وهي كلها مذكورة بعناوينها في فهارس الخزانات والمكتبات العلمية بالمغرب.

وأثبت فيما يلي أمثلة من شعره ، فمنه قوله من قصيدة طويلة في التوسّل بأسماء الله الحسنى :

تلافاه لطفَ الله من حيث لا أدري	إذا نابني خطبَ وضاقَ به صدري
بأسمائه الحسنى المعظمة القدر	ولاسيما إذ جنّته مُتوسّلاً
وأنت رحيمٌ مالك الخلق والأمر	فبالله يارحمانُ إنني لنو قفر
مُهَيَّمُن قَدَسْنِي لَدَى السِّرِّ وَالْجَهْرِ	بقديك قُدوسَ سلامٍ ومُؤمِن
وياخالقَ الخلقِ أكفني أزمة الدهر	عزيرٌ وجبارٌ ويأْمُتْكِبِر
وغفارُ ياقَهَارُ جَبْرًا لذي كسر	ويابارئِي ما لي سِوَاكَ مُصَوِّر
وفتّاحُ أشْرُقُ يا عَليمُ نَجَا فكري	وهب لي ياوهابُ رِزاقَ مُطْلَبِي
ويارافِعُ ارفعُ باتّباعِ الهدى نكري	ويا قابضُ ياباسطُ خافضُ العدا
على ما ترى من فادح العيبِ بالسّتر	مُعزٌّ مُنذٌ ياسمیعُ بصيرُ جد
لنا وَرَزُّ الإاكِ في الضيقِ والعُسْرِ(392)	وياحاكمُ عدلٌ لطيفٌ خبيرٌ ما

وقوله من قصيدة طويلة أخرى في مدح المصطفى عليه السلام وأهل بيته ، وخصّ بالمدح مولاي علي الشريف جدّ الشرفاء العلويين ملوك الأسرة العلوية الملكية بالمغرب :

كُلَّ يَوْمٍ مزيدها في ازدياد	للكريم على العبادِ أيادي
ومُقرٌّ وجاحِدٍ ومعادي	عمّ بالفضل كلَّ برٍّ وعاصِ

وله الشكر دائماً مُتمادي
 ومن أزداه ما له من هادي
 عن دليل وعن صحيح اعتقاد
 ونذيراً إلى جميع العباد
 يات كل مصادم ومُصادي
 لا ولا ماجد من المُجاد
 من شوارق نوره الوقاد
 وهو ينبوع كل مجد مُساد
 قاصراً كل ناطق بالصاد
 في الكتاب بوصفه المُستجاد
 واستوى فيه حاضر مع بادي
 ونفى كل ظلمة وفساد
 سَمَكه وأبان مهج الرشاد
 كل لبس وشبهة وعناد
 دائم كلما ترنم شادي (393)

فله الحمد طيباً دون حصر
 من هداه فما له من مُضل
 لا إله سواه حقاً يقيناً
 أرسل المصطفى الصدوق بشيراً
 قاهراً بالصوارم البيض والآ
 وحباه ما لم ينله نبئ
 واصطفاه وأنشأ الخلق طراً
 فهو عنصر كل عنصر فضل
 قد غدا عن بلوغ وصف علاه
 كيف لا والإلاه أثنى عليه
 فاستوى في القصور لسنن بيكم
 فهدى بالرسول أهدى صراط
 وأقام دين الإلاه وأغلا
 فاتحاً كل مُغلق ومزبلاً
 فعليه صلاته وسلام

ومن قصائده المطولات قصيدة يمدح بها شيخه أحمد الحبيب بن محمد
 السُّجلماسي أولها :

واجتلاب الكمال كل أوان
 بانقضاء الهنات والعدوان
 يُشترى عند ذي الجبا الكُنوان
 فف في روم نيله المَلوان
 كالمهدى بمشرق التبيان
 ب وإشراق ساطع العرفان
 والتخلي بالصدق والإيقان
 قصد والمُرْتَجى رضيعا لِيان

شرف المرء في اجتناب التواني
 وارتقاء الفتى لأرقى المراقبي
 ونفيس العلوم أنفس علق
 فافتناء الفتى له خير ما أن
 أفمن ظل خابطاً في ظلام
 وكمال النفوس تصفية القلب
 والتخلي عن الرعونات طراً
 فالمقام بين الدعات وقوت الـ

تت من الخير في فسيح الجنان
وغرور مورت الأحران
ب ووجدائها إلى فقدان
ن بها ذو الإجدان والأشقان
وبنيها اطراح قتل شان
إنما نيك خضرة في نمان
تر بطل فلوصه كالعيان (394)

فارق عن هذه الدنا تلق ما رم
إنما هذه الحياة متاع
منحها آيل إلى المنع عن قر
ما لها حالة تدوم فسيبا
فاصرمن حبل ودها واطرخها
واله عما يروق طرفك منها
فالأديب اللبيب من ليس يغ

ومن مطولاته قصيدة يمدح بها (القاموس المحيط) للفيروز ابادي في
اللغة وشيخه أحمد الحبيب بن محمد السجلماسي :

بعزم كالحسام المشرفي
مفوقه لشاكلة الرمي
ويشرب بحرها البادي الطمي
من (القاموس) ذى الصنع البدي
على طلباته بادي بددي
مبيناً للأديب اللوذعي
سوابقه بإعياء وعي
يقاس نداء بالحسي البكي
تقابل بالسهي عند الذكي؟
وفضل سبق ليس من الخفي
زرى واختص بالفضل الوفي
غرائب كل شيء عبقري (395)

أقول لطالب العلم الحفي
وجد لا يني ونيال فكر
يحاول أن يحيط بها سريعاً
فديتك لا سبيل لذاك إلا
متى عمد اللبيب إليه يهجم
حوى (القاموس) بين الكتب فضلاً
فكم جلي بمضمار أقرت
وما اللجي نو التيار عذبا
وهل شمس الضحى في يوم صحر
فإن قيل (الصباح) أجل منه
فكم متأخر بمقدم قد
هل (القاموس) إلا البحر فيه

ومن شعره قوله مودعاً أهل فاس :

وللكبد انصداع واحتراق
يفيد أذا الجوى دمع يراق؟

أودعكم وقد شق الفراق
وأسكب عبرة نهمي، وما ذا

394) بقية القصيدة في ديوان الهلامي المتكور ص 472

395) بقية القصيدة في الديوان المتكور ص 372

فَلَوْ بَلْنَا الْخِيَارَ لَمَا تَسَنَّى
وَلَكِنْ دَابُّ ذِي النِّيَا سُرُورٍ
فَأَوْدَعُكُمْ أَحَبَّنَا جَمِيعاً
عَلَيْكُمْ مِنْ أَخِي وَدُّ صَفِيٍّ
لَسَهْمِ الْبَيْنِ فِي الْوَصْلِ أَنْزِرَاقُ
رُحْزَنٌ ، وَاجْتِمَاعُ وَأَفْسِرَاقُ
دُعَاءٌ لَا يُخَوِّنُهُ أَنْسِرَاقُ
سَلَامٌ رِضَا وَلَا طَالَ الْفِرَاقُ

وقوله لما رأى نخلة بمدرسة فاس :

يا نخلة هاجت الأشواق في خلدي
أنكرتني أخواتك اللواتي لدى
وغادرتني بلا حجر ولا جلد
ربع الأحبة في ببحوحة البلد

وقصائد الهلالي المطولات وقطعه المتوسطة والقصيرة كثيرة جداً ، وأخباره ومباحثه كثيرة كذلك ، وقد اعتنى بجمع نثف منها القاضي العلامة السيد رشيد المصلوت في كتيب سماه (إتحاف المعاصر والتالي ، بجمع تَرْجَمَةِ الشَّيْخِ الْهَلَالِيِّ) ، وتعمدت أنا إطالة ترجمته في هذا الكتاب لفتاً لأنظار مؤرخي الأدب العربي في المغرب إليه ، فإنني ما رأيت من اهتم منهم بأبيه ومباحثه اللغوية ، بل يضعونه دائماً في صف علماء الفقه والتوحيد.

توفي بسجلماسة قبيل فجر يوم الثلاثاء 21 ربيع الأول عام 1175 هـ ودُفِنَ بزاوية سيدي علي بن بوزينة (396) ورثاه تلميذه محمد بن الطيب القادري بقصيدة طويلة مطلعها :

(396) إتحاف اعلام الناس 3 : 129 وإتحاف المعاصر والتالي ، بجمع ترجمة الشيخ الهلالي ، والإكليل والتاج (نسخة مرقونة) ص 192 والتقاط الدرر 2 : 443 والإحياء والانتعاش (نسخة الخزنة العامة بالرباط) ص 347 - 350 وأزهار البستان لابن عجيبة (مصور مخطوط) ص 200 والأعلام للزركلي 1 : 151 والبدور الضاوية (نسخة مرقونة) ص 190 وتاريخ الأديب العربي لبروكلمان 2 : 456 والملحق 2 : 390 وتطوان (مجلة) 8 : 174 وثمره أنسي ، في التعريف بنفسي ص 110 وتذكرة المحسنين ، وحركة الأديب في المغرب على عهد السلطان مولاي اسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 1553 والحياة الأنبيئية على عهد الدولة العلوية ص 281 والذرة المرصعة (نسخة مرقونة) ص 418 ونبيل مؤرخ المغرب الأقصى ص 311 و318 و348 ودعوة الحق (مجلة) ص 11 ع 4 ص 54 والروضة المقصودة ص 297 وصفحات أخرى عديدة ، وطبقات الحضيكي 1 : 109 - 112 والكناشة الناصرية (مصور مخطوط) ص 16 و418 ومجلة دار الحديث الحسنية ع 10 ص 424 ومعجم المحنثين والفسريين ص 16 ومعجم المطبوعات المغربية ص 352 ومعجم المؤلفين 1 : 275 ومعلمة القراء والحديث ص 27 و66 والمضول 4 : 32 و52 والموسوعة 3 : 103 و165 و النبوغ المغربي 1 : 221 و 3 : 156 وندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية ص 29

لك الله من قلب تقلب بالجنس على فقد شمس العلم في مغرب القبر (397)
كما رثاه تلميذه الآخر محمد بن أحمد ابن السيد بقصيدة طويلة
مطلعها :

إلى الله أشكو صولة البين إنها دهنتي وأوهى الجسم منها كلوم (398)

1719) أحمد بن محمد ابن زاكور الفاسي ، فقيه أديب من أسرة
أولاد ابن زاكور المعروفين بفاس ، ولد المترجم بفاس ونشأ ، وأخذ عن
شيوخها ، وكان فقيهاً مطلعاً شاعراً أديباً واعظاً فصيحاً عدلاً ، استقر زمناً
بالزاوية العياشية ، وجرث بينه وبين بعض أدبائها مراجعات شعرية ، ونسخ
بها بعض مؤلفات والده الشاعر الكبير محمد بن قاسم ابن زاكور آتية
الترجمة .

له كتبت سماه (إعفاء العين والأثر ، من السقم والضرر) جمع فيه
ما اشتمل عليه (القاموس المحيط) من أسماء الأدوية والأدوية وكلمات
طبية ، وفرغ منه يوم 12 رمضان عام 1155 هـ توجد منه نسخة مخطوطة
بخزانة الجامع الكبير بوزان نمرتها 1211 واطلع الأستاذ محمد المنوني
على نسخة ثانية منه بخزانة القاضي المرحوم محمد المامون البدرابي
الحسني .

و 33 و 39 ونزهة الأبصار (مصور مخطوط) ونشر المئاني 4 : 143 . 151 والعلم والفكر في مطلع
العصر الطوي (أطروحة مرقونة) ص 43 والفكر السامي 2 : 290 وفهارس علماء المغرب (أطروحة
مرقونة) ص 756 وفهرسة أحمد بن عبد العزيز الهلالي (مطبوعة ومصور مخطوط) وفهرسة
المئاني (في آخر مجموع خ . ع نمرة 254 ك) وفهرسة ابن الحاج (أطروحة مصورة) ص 91
وفهرس الفهارس والأثبات 2 : 1099 وصفحات أخرى كثيرة وفهارس مخطوطات الخزانة الحسنية
والخزانة العامة ومؤسسة علال الفاسي بالرباط ، والمكتبة العلمية الصبيحية بسلا ، وخزانة جامع القرويين
بفاس ، والمكتبة العامة بطنجة ، والمصادر العربية لتاريخ المغرب 1 : 227 ع 608 و 2 : 56 ع
779 وشجرة النور الزكية 1 : 355 ع 1420 وهديّة العارفين ص واليوافيت الثمينة 1 : 19

397) بقية القصيدة في نشر المئاني 4 : 149

398) بقية القصيدة في مجموع محفوظ بخزانة الحسنية نمرته 12495

توفي بفاس ليلة الأحد 12 ربيع الثاني عام 1176 هـ (السبت 30 أكتوبر سنة 1762 م) (399)

(1720) أحمد بن محمد الصقلي الحسيني (400) ، صوفي شهير من أهل فاس ، ولد بها عام 1112 هـ ونشأ نشأة دينية محافظة ، وبعدها حفظ القرآن وجوّد رسمه في صغره توجه لطلب العلم ، فتفقه على علماء عصره ولازمهم يأخذ عنهم ما يقيم به شعائر دينه ، ثم تجرد لسلك طريق المتصوفة ومطالعة كتبهم ، وأكثر ما كان يطالع منها شرح الشيخ محمد ابن عباد الرندي دفين فاس على (الحكم) لابن عطاء الله الأسكندري ، وحج مرتين عام 1158 و عام 1170 ولقي في حجته كثيراً من رجال التصوف بالحرمين ومصر وطرابلس والجريد ، مثل الشيخ محمد بن سالم الحفناوي المصري الشافعي الذي أخذ عنه الطريقة الشاذلية الخلوتية وأدخلها إلى فاس وأخذ يلقنها لمريديه الذين كان يعقد لهم مجالس للذكر والسماع.

وقد انتشر أمره وشاع ذكره في فاس وما حولها ، ونسبت له العامة عديداً من المناقب والكرامات.

ورأيث في فهارس مخطوطات الخزانة العامة بالرباط (1 : 304) شرحاً لقصيدة في الثنقات كلاهما لأحمد بن محمد بن أحمد الصقلي الكاظمي (نمرة 1079) وهما دون شك لغير المترجم.

(399) إتحاف المطالع 1 : 17 والإحياء والانتعاش (مصور مخطوط الخزانة العامة بالرباط) وتكررة المحسنين (مصور مخطوط - وفيات 1176) ، وحركة الأديب في المغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 208 ودعوة الحق (مجلة) ص 11 ع 4 ص 59 (1968) وسلوة الأتفاس 3 : 353 وتاريخ الشعر والشعراء بفاس ص 130.

(400) فيما يلي مُشجّر نسيبه على ما فيه من اختلاف بالزيادة والنقص والقلب بين المؤرخين والنسابين :

أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن قاسم بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن محمد بن علي بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن طاهر بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن علي بن أحمد بن طاهر بن عيسى النقيب بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله سيّتنا محمد عليه الصلاة والسلام.

توفي بفاس عصر يوم السبت 7 رمضان عام 1177 هـ (10 مارس سنة 1764 م) ، ودفن بأقصى درب السبع لويات حيث بُنيَتْ له زاوية فُتِح لها باب بأخر حومة البليدة من جهة باب النقبة(401)

وهذا الرجل ليس على شرطي ، وإنما ذكرته استثناءً لاشتهاره ولهج العوامً بذكره واعتقاد بعض الخواص في وقته أنه بلغ درجة القطبانية ، وهي درجة عالية في سلم الهرارشية الصوفية.

(1721) أحمد بن محمد معتوق المنزلي ، فقيه لبيب ، وشاعرٌ أديب ، من القطر التونسي ، وصفه قريئُه وزميلُه علي البقلوطي بقوله : تحفة الأدياء ، ونخبة الألباء ، لمع نجم نجابته في الخافقين ، وأجمع على فضله الأفاضل فلا أثر بعد عين ، الشيخ الفقيه النبيه ، الأديب الشاعر ، العالم العلامة الخ

أخذ عن العلامة الشهير الشيخ محمد الغرياني ، وله فيه أمداح تدل على علو كعبه في الشعر وبراعته في إقامة أوزانه وإجادة معانيه ، فمن شعره قوله من قصيدة يهنيء بها الشيخ المذكور بختم صحيح البخاري ليلة الأربعاء 1 رجب من عام 1167 بدأها بالتغزل والتشبيب كما جرت عادة الشعراء المتقدمين :

هو الوجدُ فاصبر للذي حكم الوجدُ وأنفق لآلي الدمع إن فقد الوجدُ
ولا تبتس من فرط صد ، فإنما يعدُ الفنى من ليس يزعبه الصدُ
ولا تبذل للحساد إلا تجلدا فإن الذي غاظ العدا الرجل الجلدا

(401) إتحاف المطالع 1 : 18 والإعلام ، بمن حل مراكش وأغامت من الأعلام 2 : 386 والنقاط الدرر 2 : 406 والإشراف ، عن بغض من بفاس من مشاهير الأشراف (مصور مخطوط) ص 188 وتكررة المحسنين (مصور مخطوط) في وفيات 1177 والذُرر البهية 2 : 223 والروضة المقصودة (صفحات كثيرة) ، والمزاي ، فيما أحدث بأم الزوايا (مصور مخطوط) ، والموسوعة 3 : 149 ونشر المثاني 4 : 156 و 238 وغاية الأمنية ، وارتقاء الرتبة القلية ، في نكر الأنساب الصقلية (مصور مخطوط) ، وفهارس الخزائن العامة بالرباط 1 : 304 وفهرسة الشيخ التاودي ابن سودة (مصور مخطوط) ، ورسالة الأنفاس 1 : 133 وسلوك الطريق الوارية ، بالشيخ والمريد والزواية (مصور مخطوط) ، واليوافيق الثمينة 1 : 53

إذا ما بدا منها لهم تلك الصدُ
غدا أصل شوقي في الوري فرعها الجعدُ
فرمَحْ، وأما نهدهما فهو النهْدُ
بدينار خدُ لا يُصاحبه النقد

وهيتم بمن تكفيك ألسن عُدلٍ
كنايئة الألحاظ سعيئة البها
مُفهفة لمياء، أما قوامها
لها بعث قلبي عاجلا غيرَ عاجل

ومنها :

وضرب كأن النار من حره بردُ
وعقد الهوى ينحل والصبر يشتدُ
بأبحاث علم بثها العلم الفردُ
وفي هذه زاد وعنها له زهدُ
فذاك له قصر وهذا له مدُ
زماناً، فألفت الثبوت هو الجحدُ
ومن قبل ياكم في الوري وري الزندُ
كأن له التمهيد أصله المهدُ

لقلبي خفوق منذ عني تباعدتُ
فما زالت الأشواق تذري مدامعي
إلى أن سلت نفسي الهوى وتولعتُ
إمام له في تلكم الدار رغبةُ
تحالف فيه السؤدد الضخم والذكا
تثبتت في إثبات مثل يرى له
أرانا الهدى مذ أورى زند نكائه
ومهد طرق الحق كهلا ويافعا

إلى آخرها وهي طويلة .

ولما ختم الشيخ محمد الغرياني مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي في شهر
شعبان عام 1177 مدحه بالقصيدة التالية :

وقالت أنا السحر الحلال فحاج بي
تتيه على الأتراب تية الكواعب
يُخبئن معسول اللما بالعصائب
مُحسنة ما شأنها عيب شائب
أجل مهمات وأسنى مكاسب
أنيسة إيحاشي وأنس المصاحب
فلا بد من شكوى إلى خير صاحب
ويمنح للأعمار صفو المَشارب
ونيل العلا بالكتب لا بالكتائب
وتفهم تنكياتها في المواكب

تبدت بأداب كما رمز حاجب
وأبدت لآليها إنيبا وقد غدث
مُفهفة لمياء زانت ترائبا
نُخبنا منها البلاغة أنها
وإن مراماً رام مُنشئها لمن
فقبلتها لما بدت وجعلتها
وقلت لها بئي إلي شكايئة
فقلت رأيت الدهر يمنع ذا الحجا
وما الناس إلا العالمون نوو التقي
وما العز إلا في التصدي لفهيا

بإيضاح تحقيق له منك صائب
هو العز في سمر القنا والقواضب (402)
تشد مطيات نيل المآرب
معالیه في الخضرا سمو الكواكب
يزاحم في شهب العلا بالمناكب
فإما إلى نذب وإما لواجب
ويعرض عن دار العنا والمتاعب
فلا حصر فيما حازه من مناقب
جله بتحقيق جلو الغياهب
لما أمه في رمزه من مطالب
أفاضل كل في العلا خير راغب
إحاطة الحافظ بسود الحواجب
أشبههم قطباً وهم بالكواكب
سيوف لمعن في مثار السلاهب
نحاه لكي يحظى بنيل المطالب
وينهل منه طالباً بعد طالب
ويؤدي إلينا كل معنى مناسب
نيول العلا عن غدا خير صاحب
ويرقى من الغلياء أعلا المراتب
قريحة فكر حله كل شاغب
بتيسير مطلوب فكن خير طالب
وعيني غدت تهمني كهمي السحاب

وإيراد تشكيك لديهم وفكه
فدغ عنك من بالنصر يزعم قائلاً
ولذ بأجل العارفين ومن له
هو العالم المولى محمد من سمته
لغريان ذات العز يعزى ، وقد غدا
يدور على قصنين في الدين فعله
ويقبل عن دار يدوم نعيمها
لئن حصروا عدأ مناقب من مضى
متى رام منه الفكر إيضاح مُشكل
فلو نظر المولى خليل لشرجه
وقد أهدقوا في زمرة لاستفادة
أحاطوا به من كل قطر وبلدة
وقام سنا الأفهام منهم ومنهم
قلته أذهان لهم فكأنها
ولله هذا الختم ما أسعد الذي
ترى شيخه ينحو إلى كل مورد
فلا زال في كل المعارف قدوة
ولا زال سحبان البلاغة ساحباً
ولا زال في الخضراء يحظى مَجَلًا
وخذ لك يامولاي ما سمحت به
وما مهرها منكم سوى صالح الدعا
فلي غربة ذاب الحشا من عنائها

(402) هو الشاعر الفحل محمد الوردغمي كاتب علي باشا القائل في بعض قصائده فيه وهو مطلعها :

هو العز في سمر القنا والقواضب وإلا فما تُغني صدور المراتب

وقد عارضها شعراء تونسيون وزناً وقافية منهم صاحب الترجمة ، وعصرئهما الشيخ حمودة بن عبد العزيز والشيخ محمد العزيز بوعتور وغيرهم (عنوان الأريب)

وأهدي صلاةً منع سلام لمرسل - إلى الناس طُرّاً عَجْمِها والأعارب
مع الأهل والأصحاب ما نرُّ شارِقَ وما أفلتَ في أققه من غوارب
وأخبارُ هذا الرَجُلِ قليلةٌ يكتنفها غموضٌ شديدٌ ، والأملُ أن يرفعَ المستقبلُ الحجبَ
عما استترَ منها ومن آثاره .

كان حياً كما سبق ذكره في شعبان من عام 1177 هـ (403)

1722) أحمدُ بنُ عبد الله الغربي الرباطي ، مُحَدِّثٌ حافظٌ ، وفقيةٌ
مُشاركٌ من أهل مدينة الرباط ، وأصله من قبيلة الغربية إحدى قبائل نكالة
القريبة من مدينة الجديدة ، انتقل منها والده إلى الرباط واستقرَّ به ، فَعُرِفَ
فيه بالعربي ، وجرت الشهرةُ على بنيه من بعده ، وبيئهم فيه بيتٌ علم
ومروءة.

وُلِدَ بالرباط ، وقرأ به وبفاس وتطوان والمشرق ، وزارَ مراكش
صحبةً أحمد الصقلِّي مُتَقَدِّمَ الترجمة ، ومن أشهر شيوخه أحمد بن يعقوب
الولالي (6 : 179 ع 1651) وأحمد (الخليفة) بن محمد ابن ناصر الدرعي
(6 : 184 ع 1653) والحسين بن محمد الشرحبيلي ، وعلي بركة
التطوان ، ومحمد بن أبي مدين السوسي قاضي مكناس ، وعمدته من بينهم
الشيخ علي العكاري لازمةً مدةً طويلةً.

ولما حجَّ عام 1140 اجتمعَ بَعْدَ كبير من العلماء والفقهاء والمُحَدِّثِينَ
بالحرَمين الشريفين ومصر وطرابلس وروى عنهم واستجازهم فأجازوه
وحلَّ منهم محل العناية والتقدير ، مثل محمد الكوراني ومحمد بن عبد الله
السجلماسي ثم المدني ومحمد بن الحسن العجيمي وأحمد العماوي كبير فقهاء
المالكية بمصر لازمةً مدةً إقامته بها ، وسليمان بن أبي سلهم الحصيني الخ
الخ .

وكان فقيهاً واسع الاطلاع ، محدثاً حافظاً ، مشاركاً في فنون كثيرة متواضعاً بعيداً عن الدعوى ، وصفه معاصروه بأنه خاتمة علماء المغرب ومدرسيه ونسائه ، ونكروا أن سنده في الحديث أعلا سنو في المغرب ، وتقدم في ترجمة أحمد بن عبد العزيز الهلالي أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي لما بويع بالخلافة وزار فاس سأل الشيخ عمر الفاسي عن أكابر علماء العصر ، فأجاب : الأحمدون الثلاثة ، يعني أحمد العربي المترجم ، وأحمد بن عبد العزيز الهلالي ، وأحمد الوززازي التطواني ، وأيد هذه الشهادة علماء آخرون كانوا حاضرين بالمجلس ، منهم الشيخ التاودي ابن سودة .

درس الحديث وغيره بالرباط وفي كل مكان مر به أو أقام فيه ، واستفاد منه وانتفع به خلق كثير ، ومن أشهر تلاميذه أبو القاسم العميري ، والتاودي ابن سودة ، وابنه أحمد ، ومحمد الحضيكي ، وأجاز آخرين .

له كتابات وأجوبة وتقايد وفهرسة نسيها له سليمان الحوات في (الروضة المقصودة) تعد كلها في حكم المفقود .

مدحه تلميذه محمد بن حجي زنيير السلوي بقوله :

من ذا يحاكي أحماً في فضله
حاز العلاء قدماً بعلم والنقى
لا غرو أن جمع المعالي جهرة
وعلومه ؟ هيهات حقاً لا يرى
ورقى مراقي بدره من قد درى
والعلم أشرف ما به شغل الورى

وفيه يقول أيضاً شيخه أحمد العماوي شيخ المالكية بمصر بعد أن أنثى

عليه :

أقسمت بالساريات العر والنجب
لم يبلغ القصد إلا عالم شهيد
ذاك الذي ملك الدنيا وقيل له
كذي المفدى أبي العباس أحمد من
لا زال مبقى منقى نافعا حكماً
ودام مغتبطاً ما نسمة حملت
وبالمراشف عن نر وعن حبب
أهل العلوم له مع جودة النسب
قل ما تشاء فذاك العز يا ابن أبي
دانث له رتب العليا بذاك حبي
ما بين أرياب أفهام بلا ريب
نشراً كنشر المحب صادق الرتب

ومن أخبار المترجم أنه زار مدينة أسفي مع تلميذه الهاشمي سكلانط وصحبتهما الفقيه الشهير عمر الفاسي وتلميذه محمد بن الطاهر الهواري ، فمدحهم قاضيها الفقيه الفلكي محمد ابن عزوز الأندلسي الآسفي بقوله :

يا مرحباً بالمنصف	الماجد الخَلِّ الصَّفِي
البارع المتصف	بالعلم والودَّ الوفي
فكم وكَم من نُكْتَرِ	أودَّعها في الصُّفِّ
الناظمُ النَّائِرُ مَنْ	للعارفين يقفني
كمثل شيخنا أبي الـ	عباس خير الخلف
يا له من بدر سما	في أفق بيت الشرف
فبحرهُ الكامل من	دائرة المؤتلف
حُجَّتُهُ أنتجها	شكل قضايا السلف
فمذ وافيت أسفي	أميط عني أسفي
لاسيماً إذ معكم	لؤلؤة في صدف
نجل الهمام المرئضي	سبط الإمام اليوسفي
فاسٌ به قد أشرفت	أنوارها في سدف
ذاك أبو حفص الذي	ضاهى الإمام النسفي
في علمه ، ولو را	ه غار منه السلفي
سعيكم ملتمس	من فضلك السر الخفي
يا هاشمي إن لي	وداً لكم بالوعد ف!؟

فأجابه الشيخ عمر الفاسي بقوله :

لله دركم بني أسفي	فنزيلكم يُشفي من الأسف
حان الترحُّل بعدما ألفت	نفسى بوصلكم فياأسفي
أخلاقكم كالعطر في نفس	ووجودكم كالبدر في شرف

وقال محمد بن طاهر الهواري :

أهلا بأهل أسفي	من كلَّ خَلِّ مَنْصِف
أكرم بهم من معشر	حازوا الجمال اليوسفي

سادوا الأنامَ كرمًا
إن جنتهم نلتَ المنى
أو انتجعتَ جودهم
بلدتهم طيبةً
بحران فيها التقيا
قاضيهم الشيخَ الإما
سليلاً عزوز الذي
أتحننا من شعره
ضمنه مدحَ الأما
جزاه عنا ربُّه
وقال الهاشمي سكلانط :

أهلاً بأهل أسفي
بخلقهم وخلقهم
وذي وداو خالص
وقرَ ربي جمعهم
رقاهم المولى إلى
الناسخين أسفي
من صالح ومُصنّف
مُؤصلٍ من سلف
ولحقوا بمن صفي
منصّة من شرف

توفي بالرباط ليلة الجمعة 11 ربيع الثاني عام 1178 هـ (18 أكتوبر
سنة 1764 م) ودُفن بالزاوية المنسوبة إليه قرب ضريح مولاي إبراهيم
(404)

(404) إتحاف المطالع 1 : 20 والإتحاف الوجيز ص 123 والإكليل والتاج (نسخة مرقونة) ص
29 والأعلام للزركلي 1 : 190 والإعلام للمراكشي 2 : 385 والاعتباط 1 : 21 وتاريخ تطوان 3 :
153 وتاريخ الدولة السعيدة ص 269 و279 و314 وثمره أنسي ص 67 - 68 وجواهر الكمال ص
46 وحركة الأئمة في المغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 257 و720
والروضة المقصودة ص 302 و709 وطبقات الحضري 1 : 102 ومجالس الاتيساط ص 101 ومجلة
دار الحديث الحسنية ع 10 ص 429 والموسوعة 3 : 110 وفهارس علماء المغرب (أطروحة
مرقونة) ص 419 و757 وفهرسة الشيخ التاودي ابن سودة (مصور مخطوط) الورقة 57 وفهرسة
التستائتي (مصور مخطوط) ، وفهرسة الشميري (مصور مخطوط) ، وفهرس الفهارس والألقاب

(1723) أحمد بن أحمد بن الإمام الشريف ، فقيه نحوي من الصحراء المغربية ، كان مُحققاً لبيباً ، مُتفناً عاقلاً سيّداً ، أخذَ عن خاليه أحمد ابن الشريف ومحمد ابن الشريف ، أقرأ مختصرَ خليل في الفقه وألفية ابن مالك في النحو قراءة تحقيق وتدقيق ، مُوفّقاً في الإجابة عن الأسئلة التي تُلقَى عليه ، معتنياً بتدريس العلم طولَ عمره ، مع مروءة ومحافظة على السنّة .

تُوفّي عام 1178 هـ (405)

(1724) أحمد بن محمد ابن الشيخ (الشنغ) فقيه محدث من الصحراء المغربية ، كان مُتفناً للقراءات بروايات نافع والمكي والبصري ، مشاركاً في علوم كثيرة من نحو وفقه وحديث ، معروف الصلاح مشهور الولاية في تشيت .

مات يوم 24 رمضان عام 1179 هـ (406)

(1725) أحمد بن محمد الورزازي ، أحد فقهاء المغرب ومحدثيه المشهورين في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري ، نعت نفسه بالديمي الحميري في بعض إجازاته ، ويعرف بالورزازي (407) نسبة الى ورزازة قرية بأقصى إقليم سوس لم أتُحقّق موقعها منه بعد كثرة البحث والسؤال ، إلا أن تكون القرية التي ارتقت إلى مصافّ المدن وعواصم الأقاليم ، وينطقُ الناسُ اليومَ باسمها بصيغة الجمع (ورزازات) وهي من ناحية درعة وليست من ناحية سوس ، وُلد بها ونشأ ، وبيته بها بيت علم وفقه وصلاح .

(405) فتح الشكور ص 51 ع 32

(406) فتح الشكور ص 51 ع 33

(407) ويقال فيه أيضاً الورزيزي والورززي .

أخذ عن عمه محمد الصغير الورزازي المتوفى بمصر عام 1137
وعن أصهاره الناصريين أصحاب زاوية تامكزوت خصوصاً أحمد (ال خليفة)
بن الشيخ محمد ابن ناصر ، كما أخذ أيضاً عن علماء سوس وفاس ، ومن
أشهر شيوخه أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي متقدم الترجمة ، وحج
مرتين لقي فيهما عدداً كبيراً من المحدثين والفقهاء والعلماء بالحرمة والشام
والقدس ومصر ، كمحمد بن عبد الله السجلماسي ثم المدني ، وأبي طاهر
الكوراني ومحمد بن محمد بن شرف الدين الخلفي ، وجرث بينه وبينهم
مجادلات ومناظرات ، وذكر في فهرسته أن أعالي أسانيده في الحديث إنما
تدور على أربعة منهم ، هم محمد القلعي المكي ، والكوراني ،
والسجلماسي ، وعبد القادر الصديقي ، كما زار المترجم الجزائر مرات
عديدة ، واجتمع بعلمائها وأدبائها ، وتلمذ عليه كثير من طلبتها ، ومدحه
بعض شعرائها .

وكان المترجم فقيهاً مطلعاً محدثاً حافظاً ، مستظهِراً عن ظهر قلب
لعديد من النصوص والمتون ، مشاركاً في كثير من العلوم والفنون
كالقراءات والتفسير والحديث والفقهاء والأصول ، ذلق اللسان ، حاضر
البديهة ، درس بدرعة وسوس وفاس قبل استقراره بتطوان ، أخذ الأحمدين
الثلاثة الذين ذكر الشيخ عمر الفاسي للسلطان سيدي محمد بن عبد الله
العلوي أنهم أكابر فقهاء الوقت في المغرب ، درس بالزاوية الناصرية التي
تخرج منها ، وخلف في التدريس بها شيخه أحمد ابن ناصر بعد وفاته ، كما
درس بزاوية أحمد بن عبد الله الصوابي بماسة ، ولما انتقل إلى تطوان
للاستقرار بها درس بالجامع الكبير وجامع الوقف الذي كان إماماً مداوماً به ،
وطار صيته في المغرب كل مطار حتى كان الطلبة يفدون على تطوان
للاستفادة من عمله والرواية عنه .

أثنى عليه كثير من الفقهاء والأدباء ، كقول سليمان الحوات : الشيخ
العلامة الحافظ الصالح ، القائل بالحق ، العامل به ، وقول الشيخ أحمد ابن
عجبية في (أزهار البستان) : العالم العلامة ، البحر الفهامة ، .. كان فقيهاً
نحرياً ، عالماً كبيراً ، يحقق المسائل ويدققها ، ولا يرضى بالتقليد في

جلّها ، وقول العلامة محمد بن أحمد الحضيكي : شيخنا الإمام الكبير ،
والقدوة الجليل ، علامة فاس وتطوان ، الحافظ المُتَفَنُّنُ في علوم القراءات
والمعقولات والمنقولات ، المحقق المتحقق فيها ، عالي الهمة ، سيف السنّة
والدين وناصره ، قوال الحق ، لا يخاف في الله لومة لائم ، ثهابه الملوك
ومن دونهم لذلك .

وعلى ذلك كان المترجم حادّ المزاج ، سليط اللسان ، شديد الاعتدال
بنفسه ، كثير الدعوى والانتقاد للوُلاة ، مُقتصدًا في مدح السلطان والدعاء
له في خطبه الجُمعيّة ، يُحكّم العقل ولا يعبأ بأقوال من تقدّمه من الأئمة
وجهاذة العلماء ، حتى أنّهم بالاعتزال وسُجن على ذلك زماً ، نصب نفسه
للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى اتباع مظاهر من السنّة
والتزامها قولاً وعملاً ، نكّر محمد بن عبد السلام الناصري في كتابه
(المزاي ، فيما حدث من البدع بأَمْ الزوايا) أنه سأله لما زاره عن السَّمْع
في الصلوات هل بقي يُسمع بسطح المسجد ؟ وهل الحزب والتدريس ما زالوا
بالمحراب خارج المسجد ؟ فلما أجابه بنعم قال له : أنتم بخير ما بقيتم على
السنّة !

وكان ضدّ استقرار النصارى بمدن المغرب وفتح الدول الأجنبية
قنصليات لها في موانئه ورفع أعلامها فوقها ، نكر محمد بن عبد السلام
الضُعَيْف في كتابه (تاريخ الدولة السعيدة) أن المترجم به لما قدم عام 1176
من تطوان على السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي بمراكش وجده
في المسجد مع بعض العلماء وكان لا يعرفه ، فحيّاهم وقال من فيكم السيد
محمد بن عبد الله ؟ فلما عرفوه به صافحه وقال : لا يحل لك وأنت أمير
المومنين أن تُسكن النصارى في مدائن المسلمين ، ويرفعون فوق ديارهم
أعلامهم وفيها تصاوير ، ولا يحل لك أن تُعطي من بيت مال المسلمين من
لا يستحقّه ، فأنت المسؤول عليه بين يدي الله ، ويجب عليك أن تكفّ ولاتك
عن المظالم ، وأن تتحرّى في ولاية المستحقين ، وقال له أيضاً كلاماً لا يقدر
أحد أن يقوله إلا هو ، ولما أراد الرجوع إلى تطوان أعطاه السلطان خمسمئة
دينار فلم يقبلها وردّها عليه ، فقال له السلطان : إنها حلال من إرث ، فقال

إن كان ولا بُدَّ فأفد بها بعض أسارى المسلمين ، أما أنا فلا حاجة لي بها ،
وكان لا يأكل طعامَ السلطان (408)

أخذ عنه بالمغرب والجزائر والمشرق عدد كبير من الطلبة والفقهاء
والعلماء والأدباء ، واستجازَه البعضُ منهم فأجازَهم ، ومن أشهر تلاميذه
محمد بن الحسن بناني ، وعمُّه محمد بن عبد السلام بناني ، ومحمد بن
الحسن الجنوي ، ومُحمد بن علي الورزازي ، ومُحمد بن أحمد الحضيكي
وكان يلازمُه طيلةَ مقامه بسوس وتدرسه بزواية ماسة.

ومن تلاميذه أديب الجزائر أحمد ابن عمّار ووصفه بصاعقة الآداب ،
وقطب ذوي الفصاحة والبلاغة الأقطاب .. عالم قطر المغرب ومُدْرَسُه ،
وباني ركن العلم فيه ومؤسسُه ، والرحالة عبد الرزاق ابن حمادوش لقيه
بتطوان لما دخلها وسمع منه واستجازَه فأجازَه ضحى يوم الخميس 17 مُحرم
عام 1156 بكل ما يرويه عن شيوخه المغاربة والمشاركة.

ومدحه مُفتي الجزائر وأديبها محمدُ بن محمد بن علي لما وفد المترجمُ
عليها عام 1162 بهذه القطعة :

خليلي عاد الأنسُ والعودُ أحمدُ	فقد زارنا شيخَ المشايخ أحمدُ
رأينا محياه السعيدَ وباله	محيًا بدتْ أنوارُه تتوقَّدُ
فأشهدُ أن الشمسَ قد طلعتْ لنا	من المغرب الأقصى ولا أترددُ
وقد فتحتْ أبوابُ توبتنا بها	وذا عكسُ ما قد كانَ للشمسِ يُعهدُ
فمالكُ قد أصبحتَ مالكَ علمه	وفي خلدي أنتَ الإمامُ المُجددُ
فجدُّ لي بما أرجوه منك فأنتي	رأيتك كنزاً للذخائر يُقصدُ

مات بتطوان ضحى يوم الاثنين 18 ذي القعدة عام 1179 هـ (28
أبريل سنة 1766 م) ودُفن بمسجد خارج باب المقابر في ساحته المُعدَّة
للصلاة على الجنائز(409)

(408) تاريخ الدولة السعيدة 1 : 315 طبعة دار الثقافة .

(409) إتحاف أعلام الناس 4 : 414 وإتحاف المطالع 1 : 23 وأزهار البستان لابن عجيبة
(مصور مخطوط) ص 203 والإكليل والتاج (نسخة مرقونة) ص 30 والأعلام للزركلي 1 : 243

(1726) أحمد بن الأمين بن الحبيب الحرشي ، من فقهاء المذهب المالكي بالصحراء المغربية ، ولدَ يوم ثاني رمضان عام 1140 وقرأ على والده الطالب الأمين وغيره ، وكان بارعاً في الفقه المالكي ، أقرأ رسالة ابن أبي زيد القيرواني وانتفع به طلبه كثيرون .

توفي عام 1179 هـ (410)

(1727) أحمد بن عثمان الغلاوي ، من علماء الصحراء المغربية المشهورين ، أخذ عن خاله الفقيه محمد بن الحاج أبي بكر ، وكان فقيهاً حسن الخط معتنياً بالعلم مُحصلاً له ، كثيرَ النقل للمسائل مواظباً على البحث والمطالعة حتى أنه لم يكن يُرى إلا وفي يده كراسة يُطالعها ، نظمَ عديداً من مسائل الفقه ونظائره ، ولو جُمعت أنظامه وأجوبته ورُتبت على ترتيب أبواب الفقه لاستقلَّ بها كتاب.

من مُستَحسنات نظمه قوله في دخول الدور يومَي عيد الفِطر وعيد الأضحى :

يا طالباً بالوصل نيل الأجر	ليس بوصل العيد غير الوزر
أما دخول الدور يومَ الفِطر	فليس ممدوحاً بهذا القطر
لأنه يومٌ تبرُّج النساء	فمن يُبخه للورى فقد أسا
إلا لمن غصَّ عن المحارم	طرفاً ، ولم يُصنع لِقولِ ءاثم
فكم نساءٍ قد رأيتُم ورجال	يُيغون بالعيدين ممنوع الوصال !
وليس ذا يحتاج للشهود	لانه من أوضح المعهود
كفى من الحجة قوله علا	(لا تدخلوا بيوتاً غير) (411) فاعقلا

والإعلام ، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 2 : 392 ع 268 وتاريخ تطوان 3 : 85 و173
وتاريخ الدولة السعيدة طبعة دار الثقافة ص 315 ورحلة ابن حمدوش (لسان المقال) ص 31 - 36
- 112 والروضة المقصودة ص 306 وطبقات الحضيكي 1 : 106 ومجلة دار الحديث الحسنية ع
10 ص 433 ومختارات مجهولة من الشعر العربي ص 92 وخلال جزولة 4 : 43 وفهارس علماء
المغرب (أطروحة مرقونة) ص 160 و266 وكناشة الحضيكي (مصور مخطوط) ، وفهرس الفهارس
والاثبات 2 : 1110

(410) فتح الشكور ص 53 ع 35

(411) جزء من الآية الكريمة : (يا أيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا على أهلها) .

فقد مُنِعْنَ من زيارة القبور خوف أفتانِهِنَّ في عصر البدور
ولا يُبيحُ عارفُ الحقوق زيارة العيد لذي الفسوق
لأنَّ ما أدَّى إلى الحرام يحرمُ في قواعد الإسلام
نظمُها سداً لهذا الباب لستُ مبالياً بذي عتاب

مات عام 1179 هـ (412) ، وتقدمت في صفحة 154 من هذا
الجزء ترجمة أحمد بن علي الغلاوي .

1728) أحمد (المفتي) بن عبد الله الجرسيفي التيملي ، فقيه كبير
من أسرة بني القاضي الشهيرة بإقليم سوس من المملكة المغربية ، ولد عام
1126 وأخذ عن فقهاء قطره كالفقيه أحمد محمد العباسي متقدم الترجمة ،
وهو الذي أطلق عليه لقب المفتي لجودة حفظه وثقوب ذهنه ، فجرى عليه
اللقب واشتهر به .

كان من العلماء الأفاض المشهورين بالتبحر في الفقه المالكي ، انتصب
لتدريسه والإفتاء به ، وكان الناس يقصدونه للفصل بينهم فيما يختصمون فيه
بمقتضى الشرع ، وءاتاه الكتابية كثيرة في ناحيته .

وله رسالة طويلة تأنق في كتابتها ردَّ بها على رسالة موجهة إلى فقهاء
سوس من أحد فقهاء فاس حول مسألة فقهية تجاذبتها الأنظار يومئذ ، وقد
أثبت العلامة المرجوم المختار السوسي الرسالتين معاً في كتابه (المعسول) .

ونكر المؤرخ المرجوم عبد السلام ابن سودة في (إتحاف المطالع)
و(دليل مؤرخ المغرب الأقصى) أن للمترجم (رحلة حجازية) ، وأن المختار
السوسي لم يعثر عليها بعد البحث عنها .

مات بأسكاور في 15 شعبان عام 1180 هـ وقره بمقبرتها معلوم (413)

(412) فتح الشكور ص 52 ع 34

(413) إتحاف المطالع 1 : 24 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى ص 348 ع 1502 والمعسول

117 : 188 سوس العالمة ص 188

(1729) أحمد بن محمد ابن القاضي التلمساني ، فقيه أديب من أهل مدينة الرباط ، وأصله من تلمسان كما تدل على ذلك نسبته التي اشتهر بها في حياته وبعد مماته ، أخذ عن أحمد بن عبد الله الغربي مُتقدّم الترجمة ، وصفه محمد بوجندار في (الاعتباط) بعلامة الرباط وشاعره ومفتيه ، وذكر أنه كان من مفاخر الفقهاء المفتين المدرسين الناظمين الناثرين ، وقال إنه وقف على بعض إجازاته للغير وفتاويه الدالة على غزارة مادته في العلوم ومشاركته في كثير من الفنون مثلما وقف على بعض آثاره الشعرية والنثرية كتفريظه (شرح همزية البوصيري) للقاضي محمد زبيير السلوي الذي جمعه من إملاءات شيخه أحمد الغربي المذكور .

أخذ عنه وتخرّج به عديد من الفقهاء ، منهم محمد ابن جلون الرباطي ، ومحمد زبيير السلوي شارح الهمزية ، والهاشمي سكلانط.

من شعره قوله في المديح :

ما بال قلبي يهيمُ وجداً ؟
هل أومضَ البرقُ من حُنينِ
أم حرّكَ الشوقُ ذكراً عرب
أم زارَ طيفَ الكرى بليل
هَمَّتْ جُفُونِي لذكرِ حَبِي
أَيْكْتُمُ الصَّبُّ حَبَّ نَجْد
أبعدَ وجدي وسيلِ نَمْعِي
ما كانَ ظنِّي لفرطِ جهلي
ما رامَ عزمي حديثَ سَعْدِي
قد أرقَ الجفنُ من جَوَاهِ
يا عاذلي دغ هوى علاني
فطالما عرَّ دواء قلبي
بدتْ عرى الصبر من نواه
ما نَعَمِي قَصْدِي ولا سُلَيْمِي
مَنْ فاقَ كلَّ التوري جمالا
مصباحِ جود وسحبِ جود

وقد جرى الدمع بانسجام
أم هبَّ ريحٌ من ذي سلام ؟
حلوا حشا فُذُّ مَنْ ضيرام ؟
أم عاد عرفٌ من الخيام ؟
فزاد قلبي أسي وهام
وقد بدتْ صفرة السقام
يبغي سجونا مع اكتنام
أن الهوى يكسبُ الكلام
إلا وقد صادني غرام
فلم يطبْ عنده منام
يفري فؤادي بلا حسام
دواءه هل له انحسام
ما جاسَ إلا بدا انهزام
لا رامة إنما المرام
ومنَ ما نورهُ الظلام
وعينُ مجنو فلا يرام

أُبْهَى الْمُحْيَا كَشْمَسٍ ضَخْوِ
فِيَالَهُ مِنْ بَهْيٍ وَجْهِ
لَايْمَتْرِي طَرْفَ مَنْ رِءَاهُ
قَدْ أَشْرَقَ الْكُونُ مِنْ سَنَاهُ
قَدْ وَسِعَ الْعَالَمِينَ جِلْمًا
مَا غَيْرَ أَخْلَاقِهِ نَسِيمِ
طَيِّبُ أَصْلِ وَشَمْسُ فَضْلِ
يَمْشِي الْهُوَيْنَا لَهُ فَوَادٌ
هَدَى السَّبِيلَ الْقَوِيمَ لِمَا
مَحَا مِنَ الْأَرْضِ كُلَّ شِرْكَ
حَتَّى بَدَا الرُّشْدُ مِنْ سَوَاهُ
فَانْقَضِيَ مُذْ جَاءَ كُلُّ بَغْيِ
قَدْ أَلْفَ النَّسْكَ وَهُوَ طِفْلٌ
يَرْمِي بَدْنِيَا غَدَتْ وَيَرْجُو
أَظْلَهُ الْغَيْمُ كَانَ يَدْرِي
قَدْ نَصَحَ الْخَلْقَ حَقًّا نُصْحِ
وَأَطْرَبَ السَّمْعَ مِنْ حُلَاهِ
يَا مُصْطَفَى اللَّهِ حُرَّتْ حَسَنَا
مَا طَالَ مَدْحِي لَكُمْ ، وَقَصْدِي
قَدْ بَرَّحَ الشُّوقُ بِي ، فَقَلْبِي
يَا دَرَجَةَ الْمَجْدِ خَيْرَ هَادِ
قَدْ أَنْقَلَ الظَّهَرَ حَمْلَ وَرْزِي
مَا لِي سِوَى أَحْمَدٍ مِلَادٌ
عَلَيْهِ مِنْ رَبِّنَا صَلَاةٌ
يَغْشَاهُ مِنْ عَزْفِهِ شَدَاهُ

أَوْ قَمَرٍ لَاحٍ عَنْ تَمَامِ
يَفْتَرُّ عَنْ لَوْلُو الْغَمَامِ
فِي أَنَّهُ الْمُرْسَلُ الْإِمَامِ
وَضَاعَ طَيِّبًا مَدَى الدَّوَامِ
وَحَلْمُهُ عَمَّ مَنْ يُلَامِ
وَلَا سِوَى وَصْفِهِ اخْتِشَامِ
وَسَيِّدُ ضِحْكِهِ ابْتِسَامِ
إِنْ نَامَتِ الْعَيْنُ لَا يَنَامِ
أَنْ ضَمَّ كَفَرًا إِلَى اجْتِرَامِ
وَلَمْ يَزَلْ يُرْشِدُ الْأَنَامِ
وَبَانَ غَيًّا فَلَا يُسَامِ
وَأَنْفَدَ بِالتَّوْبَةِ الْأَثَامِ
يَبْغِي التَّقَى هَكَذَا الْكِرَامِ
مَا عِنْدَ مَوْلَاهُ بِاهْتِمَامِ
مَنْ خَلْفَهُ وَمَا دَرَى أَمَامِ
لَمْ يَكْتَرِثْ قَطُّ بِالْمَلَامِ
مَحَاسِنٌ مَا لَهَا اخْتِثَامِ
عَنْ وَصْفِهِ يَعْجِزُ الْكَلَامِ
أَوْفِيكَ مَدْحًا مِنْ انْتِظَامِ
يَهْوَى جَمِي سَاكِنِ الْخَزَامِ
عَيْنِ النَّدَا مَسْكَةَ الْخَتَامِ
مَا كَانَ يَأْوِي إِلَى انْفِطَامِ
يَوْمِ امْتِحَانٍ مِنْ انْتِقَامِ
يُصْحَبُهَا أَفْضَلُ السَّلَامِ
وَالْآلَ مَعْ صَحْبِهِ الْكِرَامِ

تُوِّفِي بِالرِّبَاطِ عَامَ 1182 هـ وَقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ بِالزَّوَايَةِ التَّلْمَسَانِيَّةِ قَرِبَ
الْجَامِعِ الْكَبِيرِ (414) .

(1730) أحمدُ سُمَيَّةَ القَيرواني ، شاعرٌ كبيرٌ كثيرُ الأشعارِ قليلُ الأخبارِ من شعراءِ العصرِ الحُسَيْنِي بتونس ، جنى عليه قومُه فلم يخصوه بترجمةٍ في كتبهم إلا ما نكرهُ الشيخُ محمدُ الشاذلي النيفرُ في مُقدمةِ تحقيقه لكتابِ (مسامراتِ الظريف) من أن مؤلفه الشيخُ محمدُ بنِ عثمانِ السنوسي عقَدَ له ترجمةً في كتابه الآخرِ المُسمَّى (شفاءِ النفوسِ السنيَّةِ ، بمجمَعِ الدواوينِ التونسيَّةِ) ، ولكننا نَسْتَغْرِبُ كيفَ لم يَسْتَخْرِجْ هذهَ الترجمةَ ويُفدَ مما فيها أحدُ الذين كتبوا عن الأدبِ التونسي في مُختلفِ عصوره - وكثيرٌ ما هم - رغمَ وجودِ الكتابِ المذكورِ بدارِ الكتبِ الوطنيَّةِ (415) .

وخلاصة ما بلغَ علمي عن هذا الرجلِ أنه من أهلِ القَيروانِ وعاشَ في تونس أثناءَ المُدَّةِ التي سادَ فيها الفتنُ والاضطرابُ وسفكُ الدماءِ بسببِ تنازُعِ آلِ الحسينِ بنِ علي التركي على حُكمها وتدخُلِ داياتِ الجزائرِ في شؤونها ، وأنه كانَ كاتباً بديوانِ الإنشاءِ إلى أن عُرِلَ من الكتابةِ في أيامِ الباي محمد الرشيدِ عام 1171 كما يُستفادُ ذلك من شطرِ بيتِ قاله مؤرخاً ذلك العزلِ (بلا عيبٍ عُرِلتُ من الكتابةِ) ومجموعُ حُرُوفِ هذا الشطرِ يُساوي بحسابِ الحروفِ الابدجديَّةِ 1171 وهو عامٌ كان فيه البايُّ محمد الرشيدُ ما زال حياً ، وقد ردَّ عليه الأديبُ يحيى التواتي بقوله (عُرِلتُ بالغيِّبِ من الكتابةِ) ومجموعُ حُرُوفِ هذا الشطرِ يُساوي أيضاً العددَ المذكورَ ، ويغلبُ على ظنِّي أن المترجمَ أُعيدَ إلى الكتابةِ بعد ذلك ، لأن الشيخَ حمودةَ بنَ محمد ابنِ عبد العزيزِ استمرَّ يُلقبُه بالكاتبِ بعد ذلك بسنين في كتابه (الكتابِ الباشي) ، كما أن المترجمَ بقي بلبلاً صداحاً في قصرِ علي باي الثاني الذي خلفَ في الحكمِ أخاه محمد الرشيدِ يمدحُه بشعره ويشيدُ في كلِّ مُناسبةٍ بذكره ، ويُخلدُ وقائعَ أيامه وأحداثها إلى أن انقطعتْ أخبارُه .

(415) مسامراتُ الظريف ص 57 (تقديم) ، وكتابُ (شفاءِ النفوسِ السنيَّةِ) يُعرفُ اختصاراً بـ (مجمعِ الدواوينِ التونسية) ، ترجم فيه مؤلفه لثيِّبِ وثمانين من شعراءِ العصرِ الحُسَيْنِي ، وانتهى من تأليفه عام 1292 هـ .

وقد عاثتْ أيدي الضياعِ في هذا الكتابِ ولم يبقَ منه إلا جزءان محفوظان بدارِ الكتبِ الوطنيَّةِ بتونس تحتِ نمرة 16.628 ونمرة 16.632 وترجمةُ أحمدِ سُمَيَّةِ توجدُ في الجزءِ الأخيرِ .

وكانت لأحمد سُمِّيَّة علاقة سيئة ببعض معاصريه من الأدباء ، سيما بالشاعر الكبير علي الغراب الصفاقسي الذي كانت بينه وبينه منافسة ومهاجاة نال كلاهما من صاحبه نيلاً ، سُمِّيَّة يَلْقَبُ الغَرَابُ بغراب البين ، والغرابُ يُعَيِّرُ سُمِّيَّةَ ببحره ودمع عينيّه ، ويعرضُ باسمه الذي يتكوّن حرفاه الأولان من مادة قاتلة (سَم) ، واستمرت المهاجاة بينهما إلى أن تدخل من أصلح ذات بينهما على أن يتنازل سُمِّيَّة ويطلب الإجازة في الشعر من الغراب ، ففعل وأجازه الغراب بهاذين البيتين ودسّ في آخرهما هجاءً خفياً :

يا مَنْ غدا طالباً مئِي الإجازة في فنّ القريض وتعظيماً لصاحبها
فبالقريض وبالآدابِ أجمعها أصبحت في تونس أنت الأجلُّ بها (416)

وشعرُ أحمد سُمِّيَّة مُتوسِّطٌ لفظاً ومعنى ، يعلو في أبياتٍ منه ويسفل ، لكنه يُعتَبَرُ جيِّداً بالنسبة لمستوى الشعر في عصره وبلده ، وقد جُمع في ديوانٍ توجِّدُ مخطوطته محفوظةً بدار الكتب الوطنية بتونس ضمنَ مجموعٍ نمرة 16.636 وأورد منه الحاج حمودة بن محمد ابن عبد العزيز الشيبّ الكثير في (الكتاب الباشي) ، ومن مميزاته أن كلَّ قصائده وقطعه مختومة بتاريخ نظمها بالحروف الأبجدية ، وكانت لناظمها قدرةً عجيبةً على ذلك ، حتّى عاب عليه ذلك منافسه عليّ الغراب وسماه (مورخ الأعوام) وقال في ذلك مُداعباً :

يا أحمد بن سُمِّيَّة يا مَنْ له في سرعة التاريخ أيّ مقام
فلكلّ عام قد غدوت مؤرخاً فافخرْ ، فأنت (مورخ الأعوام) !

وفي انتظار ظهور معلومات وافية عن حياته وطبع ديوانه ليُمكن التعرف على تفاصيلها والحكمُ الأقربُ إلى الصواب على أدبه نكتفي الآن بإثبات أمثلة من شعره المنشورة قصائدُ منه في بعض الكتب .

فمنه قوله مؤرخاً وفاة المفتي يوسف درغوث عام 1156 ونقش على شاهد قبره :

(416) ورد التعليق التالي على هاذين البيتين في بعض الكتب : أراد الشاعرُ (الغراب) أنت الأجهل ، وراحت على سُمِّيَّة فافتخر بهذه الإجازة مُدّةً حتى فظنه بعض الأكياس ، فتتقن من مسالمة صاحبه بالياس !

فعدا به كالبدر في غَسَقِ الظلام
ورقى المنابرَ في جلال واحتشام
إلا وشاهدَ في محيَاةِ ابتسام
لا تعجبُوا هوَ دَرَعُوْتُ من كرام
فَنَبَّهْرَجَتْ بجماله بين الأنام
فخرأ به والمنبرُ العالِي المقام
ويَهَبُ له الخيراتِ في دار السلام
هذا الهمامُ ابن الإمام ابن الإمام

لله رمسٌ ضمُّ يوسُفَ عَصْرَه
حازَ المفاخرَ في الحياةِ وبعدها
ما جاءهُ لمحله ذو حاجةٍ
فإذ سمعتَ ثناءه من مادح
أجلى صدا الفتيا بحدّةِ ذهنه
وكسا علاه حلّةً من بهجة
فَسَلَّ المهيّنَ يكسه حُلَّ الرضا
وبحقّه قل إن سألتَ مؤرخاً

وقال يهنئ علي باي بفتح جبل وسلات ، وكان فتحه واستسلام أهله
ونزولهم منه يوم الخميس 30 ذي الحجة عام 1175 :

ومن نخوةٍ للنصر فيه البشائر
ووجهٌ عليّ بالبشاشةِ زاهر
ونكرٌ له في سائر الأرض سائر
فيقمعُ من عاداه والرُبُّ قادر
ويحظى بما شا من له الله ناصر
عليه للآلي البشر وهي نواضر
وأحشاءُ أهل البغي فيها خناجر
وما الله عنهم غافل فهو حاضر
فعافنهم للخبيثِ حتى المقابر
فأبعضهم بادِ رءاهم وحاضر
جنيتهم ومن يجني له الدهر زاجر
ومنطقه الدرّي للكسر جابر
يعيشُ مهاناً وهو للخفض عائر
(فدارت على أحياء الأعداء الدوائر)

هنا سنا الإقبال فيه يُباشِر
تبسم وجهُ الدهر بعد عبوسه
ملكٌ له من نخوة الملك بهجة
تُساعدُهُ الأقدارُ في كل ما يشا
أبخشى ونصرُ الله يرعى جيوشه
أتاه بشيرُ الخير يوماً فأصبحت
وأحشاؤه فيها رياضُ مسرّةٍ
طغوا وبعوا والآن قد ان حنْفهم
رمثهم على الأرض المنية بَغْتة
وألستِ الأحياءُ يدُ السبي ذلة
فقل لذوي العُصيانِ هذا جزاؤكم
فللخيرِ فعل ابن الحسينِ مُحرك
فيا وَيحُ من عاداه ولم يلقَ نهضةً
إذا حلَّ بطنُ الأرض قال مؤرخاً

وفي هذا الفتح يقول أيضاً :

وعليه قد صبَّ الإلاه مصائباً
جوُّ يُمزق بالرياح سحابياً

وسلاتٌ أضحى للبلاءِ مصاحباً
والبغيُّ مرقٌ ساكنيه كأنه

أمهلتهم وبعثت سيف سياسة
فخليلهم بعد الصفا عاдам
ثم يا أبا الحسن الرضا في زينة
زانت بك الدنيا فقلت مؤرخا
فيهم ، فأظهر في النخور عجائبا
وودودهم للعيب أصبح هاربا
واحلتم على من جاء نحوك تائبا
(أمسى عدوك يا مزين خائبا)

قال الشيخ حمودة بن محمد ابن عبد العزيز :

وهذه المقطوعة صالحة في شعره ، سهلة الألفاظ منسجمة ، إلا أن قوله في التاريخ يا مزين (417) من الألفاظ العامية الساقلة التي لا ينبغي أن تقع في خطاب الملوك ولا في مدائحهم ، لا سيما إن كانت الرواية عنه بكسر الياء ، هذا مع اقتداره على التاريخ وتفرده فيه بالانسجام والسهولة وعدم الحشو والتكلف والمناسبة للمقصود واختصاصه فيه بالبديهة .

وقوله يهنئ الباي علي الثاني عام 1175 بعيد :

قلبي يميل إلى الجمال إذا بدا
حتى رأيت غزالة فتانة
لما نظرت لها - وحياتها الحيا
سكرت بخمرة ريقها فتأودت
كل امرئ ذي عفة وتنسك
بفتوره عجباً تعزب جفنها
لمحبها فيما يريد حقا
لما سعت بالجور في إهماله
كم بات يرشد للهداية قلبه
ملك خصال الحمد فيه جمعت
أعزى القلوب من المخافة أمه
حلاه بالعرز المجلد عدله
فالعذل شيمته يراه كأنه
وبحر نيران الغرام تعودا
أيقنت أن غرامها سبب الردى
عاد اللجين بوجنتيها عسجدا
تيتها كغصن بالنسيم تآودا
مهما رأى منها النهود تنهدا
فأعجب لجفن بالفتور تعزبدا
تبدى منافرة وتخلف موعدا
حكم السلو بعدله فترشدا
لولا علي بن الحسين لما اهتدى
وعلى الملوك تفرقت فتفردا
ومن السرور المخض ألبسها ردا
فأذل من جوراً - علي الناس اعندى
رجم ، ما فيه قط ترددا

حَسَنٌ ، وفي كَفَيْهِ أَنهَارُ الندى
وحُسامه يهوى مواصلة العدا
فغدا سبيلُ المُشكلاتِ مُمهدا
إلا وبالرأيِ السديدِ تسددا
واحذرهُ إن هزَّ القنا وتهددا
طيبٌ ، وكلُّ منهما يحلو الصدا
جكِّمُ ، وفي الحكامِ أضحى مُفردا
وزهتْ لَمَن قذِ راح فيها أوغدا
رِقُّ رقيقِ الطبعِ لاقى سيِّدا
وزمانٌ مَن عاداكِ أمسى أسودا
عيدٌ فزادَ به عُلاكِ تأيدا
(بالخيرِ عادَ العيدُ يا ملكِ الهدى)

في وجهه رَوْضُ البشاشةِ يانِعُ
وكلامه تهوى المِسامعُ وصلهُ
أجرى على صعبِ المسائلِ لُبُّهُ
ما جالَ في أمرِ عويصِ رأيهُ
فالزَّمهُ إن هزَّتْهُ مُطربةُ الرِّضا
في طبعه لينٌ ، وفي أخلاقِهِ
يا أيُّها الحَكَمُ الذي أحكامُهُ
جمَلتْ بك الدنيا كأنك حَلِيها
والسعدُ مُبتسماً أتاكِ كأنَّهُ
وزمانٌ مَن والاكِ أصبحَ أبيضاً
والعيدُ ليس له سِواكِ من الورى
تحى إلى أمثالِهِ إذ أرخوا

وكان مُنافسه عليَّ الغرابِ الصفاقسيِ يجلسُ بحوانيتِ العُدولِ ، فاتفقَ
عزلُهُم عام 1166 فقال في ذلك أحمدُ سُمَيَّةُ يهجوهُ :

حوانيتُ الشهورِ خَلَّتْ وأضحَتْ عيونُ مَعمرِها جَرِي عَيْنِ
فقالَ المسلمونَ بما أصيبوا؟ فقلتُ مؤرخاً بغرابِ بَيْنِ

أما الغرابُ فله فيه هجؤٌ كثيرٌ ، فَمِن ذلك قولُهُ :

سُمَيَّةٌ بوصفِ الشعرِ يُثبِتُ نفسَهُ ونو الشعرِ أَمسى نافياً لثبوتِهِ
تدورُ بيوتُ الشعرِ من نظمه على ثلاثِ قوافٍ عَدَّهِنَّ لِقوتِهِ
زنتُ بمعانيِ نظمه كلَّ فِكرَةٍ قِحابِ المعانيِ كُلِّها في بيوتِهِ !

وقال فيه أيضاً :

سُمَيَّةٌ مُقلِّتُهُ تشعُرُ أليسَ منها تخرجُ الأبحرُ
قد زادَ في الأبحرِ بحرَينِ من عينِيهِ فهو الأَخفشُ الأصغرُ
لو لم يكنْ في الشعرِ لِيناً لما كانَ له منه فَمَ أبحرُ !
ونغرُهُ لو لم يكنْ روضةً ما حقَّهُ الأَخضرُ والأَصفرُ

وفيه أيضاً يقول مُعَرَّضاً بَبَخْرِهِ ومورياً بالإمامين البُخاري ومُسلم :
قَلْتُ يوماً لأبْخِرُ لا تُحَدِّثُ تَقْتُلُ المُسلمين من غيرِ ثارِ
فِعْصاني وَقَالَ هل ماتَ يوماً مُسلمٌ من حَدِيثنا بالبُخارِ
لم أَقْفَ على تاريخِ ولادته ولا على تاريخِ وفاته ، وكان حياً عام
1183 هـ (418)

(1731) أحمدُ بن محمد بن العربي الحَضْرِي المراكشي ، فقيهٌ
مُشارك ، وعالمٌ متفَنُّنٌ من أهل مدينة مُراكش ، بها وُلِدَ ونشأ ، وأصلُ سَلْقِهِ
من الأندلس.

سَمِعَ من محمد بن عبد الرحمان الشريف ، ومحمد العربي الغواشي ،
وفقهاء الزاوية الناصرية ، وصحبَ منهم الشيخ يوسف بن محمد بن أحمد
(الخليفة) بن الشيخ محمد ابن ناصر لما جاء لمبايعة السلطان سيدي محمد
بن عبد الله العلوي ، ورافقه عند انفصاله من المبايعة لزيارة قبر الشيخ عبد
السلام بن مشيش بتازروت ، وكان معهما في هذه الزيارة أحمد بن عبد الله
العربي الرباطي متقدم الترجمة ، ودخلوا جميعاً بلدة شفشاون التي كان بها
يومئذ للطريقة الناصرية مُريدون كثيرون.

وكان المترجِمُ به مولعاً بالموسيقى والسماع ، عالماً فاضلاً مُستَحْسَنُ
السيرة حميدُ الأخلاق .

ألَّفَ ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع وبيان تعلُّقها
بالطبائع الأربع (419) ، جمع فيه ما وقف عليه من قصائد وموشحات

(418) الأئمة التونسي في العهد الحُسَيْنِي ص 44 و54 و98 و151 و241 وتاريخ الأئمة
التونسي في العهدين المرادي والحُسَيْنِي 1 : 53 والجواهر السنوية ص 261 وديوان علي الغراب
الصفائسي صفحات كثيرة ، والكتاب الباشي صفحات كثيرة ، ومسامرات الظريف ص 57 (تقديم) ،
وعلي الغراب ص 69 و139 و145 و164 وعنوان الأريب 1 : 561 ع 246 .

(419) يُنظَرُ عن مصطلحات الموسيقى الأندلسية (الآلة) وتاريخها في المغرب مقال قِيمَ للأستاذ
محمد المنوني في مجلة (البحث العلمي) عدد 14 - 15 ص 147 وتصدير الدكتور محمد ابن شريفة لكتاب
(إيقاد الشموع).

مولدية بالخصوص ، مما نظمته شعراء المغرب ومَن في حكمهم في مدح الرسول عليه السلام كأحمد بن عبد الحي الحلبي ثم الفاسي ، وأحمد بن عمر العطار التازي ، ومحمد بن (محمد) المرابط الدلائي ، وأكثرُ هذه القصائد والموشحات من الفصيح الموزون ، وبَيَّنَّها أُخرى من النوع الشعبي الذي نُسِّميه (الملحون) ، وجعلَ كلَّ واحدة منها مع ما يُناسبها من اللحن ، وصدَّرها بمقدمة تفسيرية مطولة استهلَّها بقوله : الحمدُ لله الذي حرَّكَ منا عزائمَ القلوب ، بمدح أفضل محبوب وأجل محبوب الخ ، ثم صنَّف نغمات القصائد والموشحات المديحية على ثلاثة عشر طبعاً مع تصدير كل واحد ببيتين للإشاد ، ناقلاً عن شيخه محمد العربي الغواشي وعن الفقيه محمد البوعصامي المكناسي.

وقفَ المرحوم عبد السلام ابن سودة على هذا الديوان ، وذكره في كتابه (دليل مؤرخ المغرب الأقصى) ، وقال إنه دخل بعد ذلك إلى الخزانة الأحمدية السودية بفاس ، ولستُ أدري ما ءال إليه بعد وفاته وتشتت كتب الخزانة المذكورة.

عرَّفَ بالمترجم العباس بن إبراهيم السملالي مرتين في كتابه (الإعلام) مرة تحت اسم أحمد بن العربي المراكشي (2 : 392 ع 268) ومرة تحت اسم أحمد بن محمد بن العربي أَحْضري (2 : 394 ع 273) ، والترجمتان معاً لشخص واحد.

مات عام 1185 هـ (420)

1732) أحمد (الشاهد) بن عبد السلام العلمي الشفشاوني ، فقيه مشارك وخطيب بليغ ، يُعرفُ عندَ الناس بالشاهد ، تولَّى قضاءً ببلده شفشاون ، وبه توفِّي عام 1185 هـ (421)

(420) إتحاف المطالع 1 : 32 والإعلام ، بمن حلُّ مراكش وأغامت من الأعلام 2 : 392 و394 وإيقاد الشموع ص 8 والبحث العلمي (مجلة) ع 14 - 15 ص 156 وثمره أنسي ص 67 ودليل مؤرخ المغرب الأقصى ص 446 والروضة المقصودة ص 305 والموسوعة 3 : 137

(1733) أحمد بن محمد ابن الوثان الملوكي الحميري ، شاعرٌ شهيرٌ من أهل فاس ، وُلد بها ونشأ ، وأصل سلفه من قبيلة وقرية بإقليم توات ، تدعى كلتاهما ملوكة (422) ، كان والده محمد بن محمد بن عبد الله أديبا ظريفاً خفيف الروح حلو النكتة حاضر البديهة ، جعله السلطان سيدي محمد بن عبد الله أحدَ ندمائه وكنَّاه بأبي الشمقمق تشبيهاً له بشاعر ماجن من أهل البصرة أو الكوفة تُوفي في نحو عام 200 هـ يترددُ اسمه كثيراً في أمهات كُتُب الأدب العربي كالأغاني والعقد الفريد ، وتخطَّته التكنية إلى ابنه أحمد المترجم فعرف بابن أبي الشمقمق ، كما عُرفت إحدى قصائده بالشمقمقية.

تربَّى المترجمٌ في حجر والده الذي اعتنى بتعليمه وتأديبه ، وأورثه ما يتوافر فيه من لطف وظرف يؤهله للحلول محلَّه لدى السلطان بعد وفاته ، ذكر أحد شراح القصيدة الشمقمقية أن من الشيوخ الذين أخذ عنهم وتأدب بهم التاودي ابن سودة وعمر الفاسي ومحمد بن قاسم جسوس ومحمد بن الحسن بناني ، فبهاؤلاء وأمثالهم من جلة علماء فاس استقامَ عوده في العلم واتسعت مداركه في الأدب والشعر.

ولاتحدث المصادر التاريخية عن اتصاله بالسلطان هل تمَّ ذلك بعد وفاة أبيه أو تمَّ ووالده بقيد الحياة عاجزاً عن الخدمة ؟ ولكنَّها تشيرُ إلى الصعاب التي واجهها للاتصال به من طرف الحساد والمنافسين ، حتى عمد إلى حيلة للفت نظر العاهل إليه ، فنظَّم أرجوزته الطويلة المعروفة بالشمقمقية وانتظرَ حتى خرج السلطان ذات يوم ، فصعد نشراً عالياً من الأرض بحيث يراه ويسمعه واعترض موكبه وأخذ يصيح بأعلا صوته :

ياسيدي سبط النبي أبو الشمقمق أبي

فعرقه السلطان ، وأمرَ باحضاره لما رجع إلى قصره ، فلما مثل بين يديه أنشده أرجوزته التي حظيت برضاه واستحسانه وأجازه عليها بألفي دينار ذهباً.

(422) لا تزال بقية من الأسرة الملوكية بفاس حتى اليوم ، وهم مهرة في الصناعات اليدوية سيما صناعة الزليج.

وكان ابن الونان أديباً متقدِّم القريحة ثاقبَ الذهن مطلعاً على التواريخ وأخبار الملوك والشعراء وأجواد العرب وشجعانها ، حافظاً للحكم والأمثال وحوشي اللغة ، الشيء الذي يحتاجُ غيره لفكِّ رمزه وتجليه غامضه إلى مراجعة قواميس اللغة ودواوين الأدب وكتب التاريخ ومجامع الأمثال ، وصفه الفقيهُ محمد الجريسي السُّلوي شارحُ أرجوزته بقوله :

«وكان الناظمُ على ما بلغني شاعراً ماهراً ، وفحلاً هادراً ، ذا وُجْد وإجادة ، وقريحة وقادة ، وبديهة بارعة ، وفكرة لأبكار المعاني فارعة ، وكان حسنَ النظم مكثراً ، لا يخافُ جوادُ لسانه عثاراً ، ألفتُ إليه الصناعة الشعريةَ زاماتها ، وفوضتُ إليه أحكامها ، ووقفت عليه نقضها وإبرامها ، حتى صارَ في عصره قطبها وإمامها ، مُبرِّزاً على أبطال الكلام وفُرسانه ، قاهراً لأدباء زمانه بإكثاره وإحسانه ، وكانَ مع ما حوَّله من الإكثار والإحسان ، مولعاً بالهجو بذية اللسان ، مُعجباً بشعره ونثره ، مزهواً بأدبه وتقوب فكره ، ذاهباً بنفسه كلِّ مذهب ، لا يَحيدُ عما اعتاده من ذلك المذهب ، ريانٌ من الفصاحة اليَعرُبية ، ملآنٌ من العلوم العَربية» الخ الخ ولا أحسبُ أن ما وُصفَ به بهذه العبارات البليغة المنمقة فيه غلوٌ ومبالغة ، خلاف ما ذهب إليه بعضُ نقَّاده.

وإثارة ابن الونان قليلة كأخباره رغم أنه كانَ مُكثراً جيِّد القريحة ، أعظمها أرجوزته القافية التي سارت بذكرها الركبان وشرحها غير واحد من العلماء والأدباء ، وتعرف بـ «الشَّمَقِيَّة» ، وقطعٌ شعريَّة قليلة ، ورسالةٌ مُسجعةٌ خاطب بها الشيخُ الشهيرُ المعطي بن الصالح الشرقي دفين زاوية أبي الجعد (423) صاحب (نخيرة المحتاج) ، وذكروا له أيضاً قصيدتين أُخريتين في مدح السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، إحداهما داليةٌ طويلةٌ من بحر البسيط هُتأه فيها بطرد البرتغاليين من ميناء الجديدة ، والثانية حائيةٌ

(423) أبو الجعد (بجعد بالعامية) بلدة لطيفة بإقليم بني ملال ، أسسها عام 1009 هـ - 1600 م الشيخ (أبو عبيد) محمد الشرقي الجابري الزعري (928 هـ - 1010 هـ) الذي تُنسبُ إليه الزاوية الشرفاوية الكبيرة التي لها فروع ومريدون في مُختلف جهات المغرب ، تملو 674 متراً على سطح البحر ، وتبعد 175 كلم عن الدار البيضاء و20 كلم عن وادي زم و25 كلم عن قصبه تالطة و56 كلم عن مدينة بني ملال.

قصيرةً من بحر الطويل ، قَلَدَ فيها قصيدة عوف بن مُحلم في مدح عبد الله بن طاهر ، كما ذكروا له أرجوزةً نظم فيها مسائل ابن خميس أظنُّها مسائل النحو التي طرَحَهَا الطلبةُ على الشاعر الفحل محمد بن عمر ابن خميس التلمساني لما دخلَ مدينتهم سبئةً لتعجيزه ، ونحنُ لا نشكُّ في أن ابن الوثان ترك ثروةً شعريةً جُمعت في ديوان أو لو جُمعت لامتلاً بها ديوان ، ولكنها ضاعتُ على قرب العهد به وبها ، فهو - حسبَ تعبير الأستاذ المرحوم عبد الله جنون - على شهرته التي طبَّقت الأفاقَ من الأشخاص الذين جُهلوا بقدر ما عرَفوا ، وتُسوا كما ذكروا ، وفي ذلك أقوى دليل على إهمالنا لنبغائنا وعدَم إنصافنا لهم حتى بعدَ مماتهم !

ونعودُ بعد هذا إلى أرجوزته الشمقمقية البالغة أبياتها 275 عدّاً لنقول إن الشاعرَ بدأها بذكر رحيل الأحبة ولوم حادي مطيهم على جدِّه في السير وتذكيره بمن تحمَّل على ظهورها من النساء اللاتي لا قدرةَ لهنَّ على تحمُّل السير العنيف ، وإظهار شديد العطف والشفقة على الإبل ، ثمَّ يخلصُ من التَّسبيب إلى التغزل بحبيبتة معدداً صفاتها ومحاسنها وأنواع مفاتها ، وينتقلُ بعد ذلك إلى الحماسة والفخر ومخاطبة الحسود وتهديده ، ثمَّ يسوقُ جملاً من الحكم والوصايا والأمثال ، مادحاً في الختام السلطان سيدي محمد بن عبد الله والشعرَ عموماً وأرجوزته خصوصاً متحدياً الشعراءَ أن يأتوا بمثلها أن كانوا قادرين.

وقد اعتنى بشرح هذه الأرجوزة جماعةٌ من علماء القرن الثالث عشر فما بعده ، منهم الفقيه الشهيرُ محمد بن أحمد الجريسي السلوي ، والطاهر ابن العناية المكناسي ، وعبد العزيز الأدوزي ، وأحمد بن خالد الناصري ، وأبو بكر بن عبد الهادي بوشنتوف السلوي متقدم الترجمة (1: 266 ع 268) والمكي بن محمد البطاوري الرباطي وعبد الله بن عبد الصمد جنون الفاسي ، كما عارضها الأديبُ محمد بن محمد التهامي ابنُ عمِّرو الرباطي ، وطُبعتْ طبعَ حَجَرِ بَفاَس عام 1315 هـ ضمن مجموع ، ولشدة إعجاب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بهذه القصيدة وحسن

تذوّقه لمعانها وألفاظها أمرني جلالته بطبعها مع واحد من أهمّ شروحيها ،
وأمرُ جلالته في طريق التنفيذ.

وفيما يلي نماذج من هذه الأرجوزة ومقتبسات أخرى من آثار ابن
الوثنان .

فمن الأرجوزة قَوْلُهُ :

ولا تُكَلِّفُهَا بما لَمْ تُطِيقِ
سَوِّقَ قَتِي مِنْ حالِها لَمْ يَشْفِقِ
بِكُلِّ فَجِّ وَفِلاجِ سَمَلِقِ
أذْرُعُها وَكُلِّ قاعِ قَرِقِ
ع. وَصريمَةِ وَكُلِّ أْبْرِقِ
لا يَمِنَةُ لا رَسْمُ دارِ قَدْ بَقِيَ
بِجَلْمِ اليَدِ وَسَيْفِ العُنُقِ
وَمِنْ صَعودِ بِصَعيدِ زَلِقِ
خاضتِ وَغابتِ بِسرابِ مُطْبِقِ
وَالنوقُ أَمْواجُ عَلَيْهِ تَرْتَقِي
مِثْلُ سَفينِ ماخِرِ أو زورِقِ

..
وَأَتَسَعَ الخَرِقُ على المُرْتَقِ
مَتناً مَتيناً ما خِلا عَن مَصدِقِ
بِظَعَنِ أودى بِها في العَسَقِ
إِساءةً بِتَوْبَةِ لَمْ تُمَحِّقِ
وَالمنقَرِيُّ قَلبِي ذا تَعَلَّقِ
مُرَوِّعاً بِه حُدَاةُ الأيْتِقِ
أَمِنْ خَوْفِكَ وَلا تَذَرَنْفِقِ
دِنا وَلوْجُها بوغَرِ ضَيِّقِ
ذو خِبرَةٍ بِمُبْهَماتِ الطَّرِقِ
جَمعُته مِنْ ذَهَبِ وَوَرِقِ
نَهْرَ الأَبْلَةِ وَنَهْرَ جَلِّقِ

مهلا على رسلك حادي الأيُّقِ
فطالما كلفتها وسقتهها
ولم تزل ترمي بها يد النوى
وما ائتلت تذرُع كل فذقب
وكل أبطح وأجرع وجز
مجاهل تحار فيهن القطا
ولم تزل تقطع جلباب الدجا
فما استراحت من عبور جعفر
إلا وفي خضخاض دمع عينها
كأنما رقرأه بحر طما
وكل هودج على أفتابها

..
رفقا بها قد بلغ السيل الزبي
وهب لأيديهن أيدا ولها
فما لظعن حملت من مرة
أسأت للغيد وللنوق ولي
لو لم يكن بحب جلم أحنف
حملت رأسك على شبا القنا
فسق فلا نعم عوفك ولا
ودع يسوق بعضها بعضاً فقد
ولتخذني رائداً فإنني
إن غرثت علفتها ولو بما
أو صديت أوردتها من أدمي

ومنها يَصِفُ حبيبه وتولعه بها :

رفقاً بها شفيعها هودجُ
من كل غيداء عروب بضة
خريدة مَسودة رِقراقية
وقل لرباتِ الهودج انجليد
فإنتني أشجع من ربيعة
فربما يئدو إذا برزن لي
لئبتي وما أنرتك ما لئبتي بها
..
كم أودعت في مقلتي من سهر
ولا يزال في رياض حُسنيها
ولا تسل عما أبث من جوى
يوم اشتكى كل بما في قلبه

ومنها يَفخر بشجاعته ونسبه وشعره :

والله لو حلت ديار قومها
لزرتها والليل جَوْنُ حالِك
مع ثلاثة تقي صاحبها
سيف كصمصامة عمرو باتر
وبين جنبني فؤاد ابن أبي
وفرس كداحس أو لاحق
..
سل ابن خلدون علينا فلنا
وسل سليمان الكلاعي كم لنا
ويوم بدر وحنين وتبو
بهم فخرت ، ثم زاد مفخري
وزان علمي أدبي ، فلن ترى
فإن مدحت فمديحي يُشتقى
وإن هجوت فهجائي كالشجي

وبعد أن خاطب حسوده وهدّده انتقل إلى الوصايا والحكم مُشيراً إلى كثير من الوقائع والأخبار والرجال على سبيل الموعظة ، ثم ختم القصيدة بمدح السلطان سيدي محمد بن عبد الله وشعره ، نقتطفُ منه ما يلي :

فحلا فكن مثل أبي الشمقمق
غير أبي - في مغرب ومشرق
سلطان عز الدين تاج المفرق
ساد بحسن خلقه والخلق
بر المومنين بن الأمير المتقي
في وقته على العموم المطلق
سناه مثل القمر المنسّق
سيول وذق وركام مطبق
بها الأرامل نوو تعلق
وعلمه ورأيه الموقّق
هراً وحاماً ببذل الورق
ولم يكن كمثلُه في الخلق

.. ..
نظيره في غربنا لم تخفق
وجاش صدرى بالفريد المونق
لعدم الباعث والمشوق
للراء وابن تولب للملق
ربيعة النادر عتق الهنبق
لمثلها نو أنب لم يرتق
في غزل وفي نسيب مونق
جرت بها أقلامه في مهرق
رجا من القربة رشح العرق !

وإن أردت أن تكونَ شاعراً
ما خلّت في العصر له من مثلي
لذلك كناه به سيدنا
(محمد) سبط الرسول خير من
أعني أمير المومنين بن أمير
خير ملوك الغرب من أسرته
له محياً ضاءً في أوج الدجا
وراحة تغار من سيولها
ودوحة المجد التي أغصائها
فاق الرشيد وابنه في حلمه
وساد كعباً وابن جذعان وطا
ولم يدغ معنى لمعنى في النداء

.. ..
ياملكاً ألوية النصر على
طاب القريض فيكم وازدان لي
لولاك كنت للمديح تاركاً
ترك الغزال ظله وواصل
وكنت في تركي له كابن أبي
إليها أرجوزة حسنة
ما لجريـر وجميل مثلها
ولا أديب في قرى أندلس
من كان يرجو من سواي مثلها

وهذه الأرجوزة - على رغم ما قيل فيها - بديعة لطيفة خفيفة على السمع واللسان ، ثقيلة في الاعتبار والميزان ، لقصر مقاطعها وعذوبة ألفاظها وبعدها معانيها ، بل هي إعجازية لا يحل الكثير من ألفاظها ويفهم العديـد

مما وردَ فيها من الإشارات التاريخية والكلمات الحوشية - المقبولة على كل حال - إلا بالاستعانة بقواميس اللغة والاستنجاذ بأمهات كتب الأدب العربي ، ولذلك خُصِّت بالشرح ، وجاءت شروح الشارحين لها في مجلدات .
ومن شعره قوله يُهنئُ السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي بانتصاره على ثوار شقوا عليه عصا الطاعة بإقليم الريف :

سعدَ الذي ءاوى لظلك طائعا
لم يشقَ إلا خائن متمرّد
كِبْغاة أهل الريف لا قرّت بهم
شقتُ عصا الإسلام منهم فرقة
ضلّوا عن النهج السويّ ببغيهم
ألقي عليهم من صواعق بُنيهِ (424)
ظنّوا صياصيتهم لهم وزراً ، وإذ
طهرت بقتلهم البلاد من الأذى

وسعى لخدمتك السعيدة وابتدر
نيد الأمانة والشريعة مذ ختر
عين ولا أسقى بلادهم المطر
سلك الغرور بناسها نهج العرر
فسطا بهم سيف الإمام وما أنتم
ما كاد يمحو العين منهم والأثر
خابت ظنونهم تئاتوا لا وزر
ولكم بها قد كان فيها من قدر

ومنه قوله على لسان الباب المُواجه لقبّة ضريح الإمام إدريس الثاني
الموالي لسوق المجادلين بفاس الذي بناه السلطان سيدي محمد بن عبد الله
العلوي وهو منقوش عليه :

بديع محاسني زان العيوننا
وموطني السعيد يفوح عطرا
ومجدي ثابت لا ريب فيه
وزدت مجادة لما كساني
محمد الإمام أخو المزاي
أجاد أميته (الصفار) صنعني (425)
وتاريخي بشعبان جلي

وحسن شمالي سحر الجفونا
بذكر الله رب العالمينا
بقطب الغرب كهف العابدينا
وطررني أمير المومنيننا
وباني المجد بنينا مكيننا
وأحسن إذ تخيره أميننا
يدوم به هناء المسلميننا

(424) البنب جمع بنبة Bombe قنيفة المدفع واللغم الأرضي .

(425) الصفار اسم أسرة شهيرة بفاس أنطلسية الأصل ، تولّى منها ولاية فاس في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي الحاج محمد الصفار ثم ولده العربي .

تذكروا أن الأمين الصَفَّار المذكور فيه أعطاه على البيت الذي ذكره فيه خمسمئة مثقال.

ومن نثر ابن الوثَّان الرسالة التالية التي خاطبَ بها الشيخُ محمدُ المُعطى بن الصالح الشرقي صاحب (نخيرة المحتاج ، في الصلاة على اللواتج) آتية الترجمة ، وهي : «بحر العوارف ، وعنصر المجد التاليد والطارف ، وينبوع العلم النافع ، ومطلع أنوار الهداية الساطع ، مجمع الخصال الإنسانية ، ومهَب المَواهب الإحسانية ، نعمة الله تعالى على الجيل ، وقُدوة أهل العلم والتحصيل ، نجم الهداية والرشاد ، وكعبة القُصاد والوراد ، خديم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وِإِلَيْهِ ، ومحَبَّة المُقَدِّدِي بِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، سليل أئمة الدين والهدى ، وقُدوة أهل السلوك والافتدَا ، وَمَنْ إِذَا عُدَّ الْأَخْيَارُ وَجِبَ بِهِ الْإِبْتِدَا ، سِيدِنَا وَسُنْدِنَا ، وَقُدُونِنَا وَعُمَدِنَا ، الَّذِي فَاقَ أَسْرَةَ وَرَهْطًا ، أبا المَحاسِنِ وَالْمَكَارِمِ سِيدِنَا وَمَوْلَانَا الْمُعْطَى ، لَا زَالَ قَاصِدُكَ بِكُلِّ خَيْرٍ يُتَحَفُّ وَيُعْطَى ، وَلَا آخِذِنَا اللهُ تَعَالَى إِنْ ضَيَّعْنَا مِنْ حُقُوقِكُمْ وَاجِبًا أَوْ شَرْطًا ، وَسَلَامٌ عَلَى سَيَادَتِكُمُ الْكَامِلَةِ ، وَمَجَادِيَتِكُمُ الْفَاضِلَةِ ، مَا خَطَّ قَلَمٌ فِي قِرْطَاسٍ خَطًّا ، وَمَا دَامَ مَدْحُكُمْ لِلآذَانِ شَفَاءً وَقِرْطًا .

وبعدَ تقبيل يديك الكريمتين ، وتمريغ الخدَّ عليهما مرتين ، فأني ممَّنْ له فيك حبٌّ شديد ، وشوقٌ مُبرِّحٌ يتوالى ويَزيد ، ويتضاعف لرؤية وجهك السعيد ، وكذلك محبُّك وخديمك وصهرُك سيدي مُحَمَّد الكانوني ، وها أنا وهو شاكيان إليك ما أهمُّنا من غفلة القلب ، وسوء الكسب ، والكسل والتفريط في طاعة الربِّ ، وقد تشفَّعنا إليك بـ (نخيرة المحتاج) ، وبمحبَّتكَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى صَاحِبِ اللِّوَاءِ وَالتَّاجِ ، أَنْ تَجُودَ عَلَيْنَا بِالشِّفَاءِ وَالعلاجِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا دَعْوَةٌ صَالِحَةٌ تُدْرِكُ بِهَا مَا لَنَا مِنْ حَاجٍ ، وَتُؤَوِّقُ بِهَا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ الْوَاضِحِ الْمُنْهَاجِ ، وَنَرِغِبُ إِلَى سَيِّدِنَا أَنْ يَجْبِرَ خَاطِرَنَا ، وَيُؤَنِّسَ نَاطِرَنَا ، بِكَتَابِ بَخْطِ يَدِهِ الْكَرِيمَةِ ، يَكُونُ لَنَا مِنْ سِوَةِ الْعَوَاقِبِ حِرْزًا وَتَمِيمَةً ! مُتَضَمَّنًا لِلدَّعَاءِ الصَّالِحِ ، الَّذِي هُوَ الْمَغْنَمُ الْمُبَارَكُ وَالْمَتَجَرُّ الرَّابِحُ ، وَإِنَّ الْكَاتِبَ لِمَقَامِكَ هَذِهِ السُّطُورِ ، الْمُنْشِئُ لِلْمَنْظُومِ مِنْهَا وَالْمَنْثُورِ ، طَامِعٌ فِي حُصُولِ الْعَفْوِ مِنَ اللَّهِ بِبِرِّكَتِكَ وَالْغُفْرَانِ ، وَذَهَابِ وَسُوسَةِ الْبَاطِنِ

ونزغاتِ الشيطان ، فإنَّ القلبَ أشرفُ المواطن ، وقد خفتُ على خباله من
وساوسِ تَمازجِه في الباطن ، فادعُ اللهَ سيدي أن ينقذني من مكرهه وخباله ،
ويحرسني من كيده ووباله.

وكتب عبيدُ ربِّه أحمد بن محمد الوثان ، عامله الله بالعفو والغفران.

مُستعطفاً لكم بهذه الأبيات ، على ما سمحتَ به القريحة في هذه
الأوقات ، وهي :

فاللئيلُ أجمعُ من سَناكِ نهارُ وبه غدتُ تتحدثُ السُّمارُ فكأنَّه الشهدُ الذي يشتارُ لا ريبَ فيهم أنهم أختيارُ ومناقبُ ما إن لها إنكارُ وتشوقُ إذ عزَّ منك مزارُ وبذاك عندك تُدركُ الأوطارُ فالخيرُ أجمعُ في الذي تختارُ تُنسى لدى أمثالك الأصهارُ حملتُ رسالته لك الزوارُ تعدو على الأعضاء منه النارُ ولأنتمُ الأعوانُ والأنصارُ فعلى علاكم لا عليَّ العارُ ما غرّدت في روضها الأطيّارُ	سطعتُ لكم في غرينا أنوارُ وحديثُ فضلك مُستفيضُ في الوري ومديحك قد لدُ في أفواهنا ياسيدي المعطى الذي أسلافه ولهم مدي الأزمانِ سرُّ ظاهرُ لمحمد الكانون فيك محبةُ فبحقُ حبك في النبي وءاله جدُّ لي بدعوتك التي تختارها لا تتسني إنِّي لكم صهرُ ولا ويريدُ منشئها لكم عن إن من دفعاً لوسواسِ بباطنه ولا هذي شكايه عاجز عن عذره وإذا طردتُ ولي بكم مُتعلق وعليك ألفُ تحيةٍ مسكّيةٍ
--	---

ومن نظمه قوله في أول الأرجوزة التي أجابَ عن الأسئلة النحويّة
التي طرحها طالبةُ سبتة على الشاعر الفحل محمد بن عمر ابن خميس
التلمساني بقصد تعجيّزه وامتنع من الإجابة عنها :

تُعرب عن وجوده تعالى قواعدُ الدين فأحسن البناء مسائلُ العلم وبئها نحوًا	حمداً لمن قد جعل الأفعالا وصلُّ ياربُّ على من قد بنى وءاله وصحبه ومن حووا
---	---

وبعد هاك من نظامي النفيس
لما أتى سبتة للإقراء
ألقوا عليه من عويص الاشتغال
وقال أنتم مثل شخص مفرد
فصار أصغر الذين حضروا
من باب معرفة حال الاعراب
فقال ذا شأن صغار الولدان
فقام مغتماً ، ومن سوء الأدب
منها إلى غرناطة فقربته
والآن ان الأخذ في الجواب
جواب ما سئل عنه ابن خميس
وكان في الجمع نوو استهزاء
أسئلة ، فلم يجب عنها بحال
وإن كثرت باعتبار العدد
يسأل عن مسائل ستذكر
وعدها ، وقال جذ بإعراب
قال له فدونهم أنت الآن
أصبح في مالقة ثم ذهب
وزيها ، والكرب عنه أذهبه
والله يرشد إلى الصواب
ثم شرع ابن الونان يجيب عن تلك الأسئلة واحداً منها بعد آخر.

مات بفاس عام 1187 هـ (426)

(1734) أحمد الدراق الفاسي ، طبيب ماهر من أسرة الدراق (427)
السوسية التي استقرت من قديم في فاس وكانت لهم بها الرياسة في الطب ،
واشتهر منهم بها أطباء نبغاء في العصر العلوي الأول مثل الطبيب عبد

426) إتحاف أعلام الناس 3 : 344 وإتحاف المطالع 1 : 35 والأدب المغربي لمحمد الفاسي
ص 537 والأدب العربي والنصوص 6 : 399 والأعلام للزركلي 1 : 243 واقتطاف زهرات الأفنان
1 : 324 والاستقصا 8 : 71 وتاريخ الأدب في المغرب العربي ص 441 وتاريخ الشعر والشعراء
في فاس ص 82 وثمرة أنسي ص 99 والحياة الأدبية ، على عهد الدولة العلوية ص 298 ودائرة
معارف القرن العشرين لغريد وجدي ، ودائرة المعارف الإسلامية ، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى 1 :
261 ودعوة الحق (مجلة) س 13 ع 3 ص 186 وس 18 ع 2 ص 135 ونكريات مشاهير رجال
المغرب ج 15 وملحق تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 2 : 706 والمنتخبات العبقريّة لمحمد السائح
81 - 83 ومعجم المطبوعات المغربية ص 367 ومؤرخو الشرفاء ص 150 هامش 210 و ص 353
هامش 2 و ص 404 والنبوغ المغربي 1 : 316 و 2 : 170 - 182 والعلم والفكر في مطلع العصر
العلوي (أطروحة مرقونة) ص 40 وفهارس مخطوطات الخزنة العامة بالرباط 2 : 34 وفهرسة
الخزنة العلمية الصبحية بسلا ص 360 و 365 والسر الظاهر ملزمة 13 ص 8 والشموس العنبرية
ص 18 - 22

427) وتكتب أحياناً بصيغة بربرية هكذا (أدراق) مثل أحفير وأطبيب وأزيات بالنسبة للحفير
والطبيب والأزيات الخ

الوهاب الدراق ءاتي الترجمة وأحمد بن محمد الدراق متقدم الترجمة وكلاهما كان من أطباء السلطان مولاي إسماعيل .

أما المترجم فكان من قبيلهما وليس من نسلهما وكان طبيبياً للسلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، وكانت له عنده حظوة عالية ومنزلة رفيعة ، ملازماً له في حضره وسفره ، يطلع صباح مساء إلى قصره فيتفقد أحواله ويعالج من يحتاج من أهله أو رجال دولته إلى علاج ، وكان يحمل أدواته وأدويته عندما يرافق السلطان في أسفاره على أزيد من ثلاثين بغلة ، وهو الذي عالجه عندما مرض مرضاً شديداً بقصبة تادلة المشرفة على نهر أم الربيع وبقي يباشره حتى أفاق من علته ، وعاد الى المعهود من صحته ، فأعطاه السلطان ألف دينار وقال هذه نية المسلمين الأحرار ، فقال له المترجم : ياسيدي ، بل هذه هدية مُطلقٍ الناس ، فزاده السلطان ألف دينار أخرى .

لم أقف على تاريخ وفاته ، وكان حياً عام 1187 هـ (428) وتقدمت في هذا الجزء ترجمة سميّه أحمد بن محمد الدراق (6 : 123 ع 1631).

1735) أحمد بن البشير الكلسوكي ، فقيه مُربي من صحراء المغرب ، ولد عام 1101 هـ وخرج من بلده في سنّ الخامسة والعشرين لطلب العلم ، فأخذ عن الشيخ أحمد الهكاري برأس الماء ، ثم توجه إلى أوران فأخذ عن أحمد بن عبد القادر الرقادي والأمين بن حبيب الجكني وإبراهيم بن الإمام العلوي والواقفي بن طالب (طالبين) الأوراني ، وكان يتقن القراءات والتفسير والحديث ، ولا يرى إلا قارئاً أو مقرئاً أو ذاكراً أو واعظاً ، سخياً جواداً كريماً .

توفي عام 1184هـ (429)

(428) إتخاف أعلام الناس 3 : 172 و225 والاعلام ، بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام 2 : 370 ع 259 والجيش القرمرم الخماسي 1 : 152 والطب العربي في المغرب (نسخة مرقونة) ص 114

(429) فتح الشكور ص 54 ع 36 وكان حق هذه الترجمة أن توضع بعد ترجمة أحمد سمية القيرواني المتقدم (ص 375 ع 1730)

1736) أحمد بن خليفة العلوي الشنجيطي ، فقيهٌ مُحدثٌ منسوبٌ إلى قبيلة ادا وعلي الشنجيضية ، وصفه محمد البرتلي الولاتي في (فتح الشكور) بالفقيه النحوي المحدث المتفنن ، وقال إنه مكثَ يُدرِّسُ العلمَ بشنجييط خمسَين سنة ، وكان قارئاً بالسَّبْع ، ومن كتب الحديث والسيرة التي درَّسَ بها (الجامع الصحيح) للإمام البخاري ، و(الشفاء) للقاضي عياض .

أجازَه والده خليفة بن أحمد في الحديث بسنده عن شيخه المختار ابن الأعمش .

أخذَ عنه مالك بن الحاج المختار ، وحرمةُ بن عبد الجليل العلوي ، والمختار بن الطالب الوافي الغلاوي ، وعمار بن محمد ابن الإمام العلوي وغيرهم .

مات عام 1189 هـ (430)

1737) أحمد بن محمد ابن الكاهية الأسفي ، فقيهٌ وإداري مغربي من أهل مدينة أسفي ، اشتهرَ بين الناس باسم حمدان ، تركي الأصل كما يدل عليه لفظ الكاهية الذي يعني الخليفة باللغة التركية ، ولعلَّ أسرته من بقايا الأتراك الذين كان عددهم كبيراً في الإدارة والجيش أيامَ حكم الأسرة السعدية .

وكانَ المترجماً من الفقهاء اللامعين ، والإداريين الناجحين ، مشهوراً بالرأي السديد وسعة الفكر وحسن الأخلاق ، ولأه السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي قيادةً الطائفة اليهودية ببلده ، وكانوا من قَبْلِ لا يقبلون قائدأ عليهم من غيرهم ، ثم ولأه عمالتي أسفي والصويرة معاً لما ظهرَ فيه من الكفاية وحسن التدبير .

وكانت وفاته عام 1190 هـ (431)

(430) فتح الشكور ص 56 ع 38

(431) أسفي وما إليه ص 118 ومعلمة المغرب 4 : 1357

(1738) أحمد بن المهدي الغزالي الحميري ، أديب ابن أديب ، وسفير ابن سفير ، من أسرة شهيرة بفاس ، كان سلفها يسكنون مدينة مאלقة الأندلسية ، وكان والده المهدي بن محمد من كتاب السلطان مولاي إسماعيل وأدباء عهده وسفر عنه إلى ملك إسبانيا ، فنشأ ولده المترجم الذي تختلف الروايات في ولادته بفاس أو مكناس في رعد من العيش بجوار السلاطين والأمراء ، مُعْتَنَى بتربيته وتعليمه واختيار المقتدرين الكفاة لتلقيه العلوم والفنون والآداب من الأساتذة الذين كان عددهم وفيراً بفاس موطن الأسرة وبمكناس حيث سريراً الملك وحاشية السلطان ، ولا يُعرف الشيء الكثير عن بداية عمله بدواوين السلاطين الذين تعاقبوا على الملك بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل ، وتشير رواية (432) إلى أنه تدرّب أولاً في الكتابة السلطانية على يد الكاتب المؤرخ أبي القاسم الزياني متقدم الترجمة (2 : 157 ع 442) وهي رواية لا يُعْتَدُّ بها ، لأن الزياني نفسه يذكر في كتابه (الترجمة الكبرى) أنه لما عاد من الحج مع والده إلى فاس بعد وفاة السلطان مولاي عبد الله عام 1171 هـ واستأنف بها الدراسة بحث عن أصدقائه الذين كانوا يدرسون معه ويأنس بهم ومنهم أحمد الغزالي فوجدهم جميعاً تعلقوا بخدمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، فتأقت نفسه للخدمة معه مثلهم وسعى لذلك رغم نهي أبيه وتحذير أشياخه له من خدمة السلطان (433) ، ثم ينكر بعد ذلك أنه إنما تقلد ديوان الإنشاء عام 1182 هـ فلا شك في أن العكس هو الصحيح ، أي أن الغزالي سبق الزياني إلى العمل بديوان الإنشاء السلطاني ، وأنه تولى قبله رئاسة هذا الديوان ، وصار بحكم هذه الوظيفة - وظيفة رئيس الكتاب - يكتب ملوك الدول الأجنبية ووزراء حكوماتها وقناصلها المعتمدين بالمغرب ، حتى لكأنه صار وزيراً للخارجية وإن لم يحمل هذا اللقب (434) .

(432) رأيت ذلك قديماً في بعض الكنائس أو التقاليد بالمكتبة الحسينية الملكية ، وقد ذهلت عن اسم المرجع وتغيره لطول المدة.

(433) الترجمة الكبرى ، في أخبار العالم بَرّاً ويحرراً ص 60 طبع الرباط سنة 1991.

(434) في مديرية الوثائق الملكية بالقصر الملكي بالرباط رسائل عديدة مكتوبة بخطه الجميل موجهة إلى ملوك أوروبا ووزرائها وقناصلها بالمغرب في ذلك العهد ، منقولة بالنسخ التصويري من دور الأرشيف بفرنسا وإسبانيا .

وصفَهُ مَنْ ترجموا له بالفقيه الأديب ، الكاتب الرئيس الأريب ، آخِر
أبناء الوقت ، وأضفوا عليه من النعوت ما يدلُّ على علوِّ كعبه وطولِ باعِهِ
في علوم الدين والسياسة والأدب .

وكان من أهمِّ ما يشغل بالَ مستخدمِهِ السلطان سيدي محمد بن عبد
الله ويستأثر باهتمامه منذ جلس على عرش المملكة قضية الأسرى المسلمين
الذين تحتفظ بهم الدول النصرانية والأسرى النصارى الذين تحتفظ بهم الدول
الإسلامية ، وكان تأتيه من الأولين رسائل مؤثرة يشكون فيها مما يعانونه
من نُصبٍ وعذاب على أيدي النصارى ، ويظهرُ أن ملك إسبانيا كان له نفسُ
الاهتمام والانشغال لكثرة مَنْ كان يومئذ بالمغرب والجزائر وسائر البلاد
الإسلامية بالضفة الجنوبية للبحر المتوسط من الأسرى المسيحيين الذين كان
القراصنة يأسرونهم في عرض البحار ، وجرث بين الملِكين - سلطان
المغرب وملك إسبانيا - مكاتبات كثيرة في هذا الشأن ، كما تبادلوا الهدايا
إظهاراً لصدق المودة ورغبةً في المهادنة والسُّلم ، وحدث في أواخر عام
1178 هـ أن وصلتْ سلطانَ المغرب رسالةً من أسرى مغاربة وءآخريين
يَنتمون إلى دول إسلامية غير المغرب يشرحون له فيها حالة البؤس والشقاء
التي يعيشون فيها في الأرض الإسبانية وما يكلفون به من أعمال شاقَّة لا
تطيقها قواهم البدنية مع سوء تغذيتهم وقلة العناية بملبسهم صيفاً وشتاءً ،
يستوي في ذلك الرجل العادي منهم والرجال الذين يحفظون القرآن ويُلْمونُ
بالأحكام الشرعية وقواعد الفقه الإسلامي ، فتأثر لحالة هاؤلاء التعساء وفكر
جيداً في الطريقة التي يَخْلُصُهم بها من محتتهم ، فكتبَ إلى كارلوس الثالث
(435) ملك إسبانيا يُبدي له انشغاله بقضية الأسرى المسلمين المعتقلين
ببلده ، سيما العجزة منهم وحفظة القرآن ، طالباً منه أن تحظى هذه الطبقة
الأخيرة بحسن المعاملة مثلما يفعل هو مع رجال الدين من الأسرى الإسبانين
الموجودين في مملكته ، وللتدليل على حُسن نيته ورغبته في تسوية هذه
المشكلة أمرَ باطلاق سراح عدد من الأسرى الإسبانين والاطالين وأرسلهم
إليه بدون فدية .

(435) كارلوس الثالث ابنُ الملك فليبي الخامس ، وُلد بمَريدي يوم 20 يناير سنة 1710 م ومات
بها يوم 14 جُنبر سنة 1786 م .

فما كان من الملك كارلوس الثالث إلا أن وجّه إليه في الحين بعثة يرأسها الأب بارتولومي خيرون Bartolome Jiron أحد كبار القساوسة ومعه ضابط كبير من جيشه ، وأصحابهم هدايا إليه وعدداً من الأسرى المسلمين - من باب المعاملة بالمثل - وكلفهم بالسعي في عقد معاهدة صلح وإطلاق سراح الأسرى الذين يحتفظ بهم الطرفان ، ولما وصلت البعثة الاسبانية إلى مكناس حيث كان يُقيم السلطان سيدي محمد بن عبد الله - استقبلت من طرفه يوم الأحد 21 شعبان عام 1179 هـ (2 يراير سنة 1766 م) وتقبّل منهم هدايا ملكهم ، وجرى بينه وبينهم حديث عن مستقبل العلاقات الاسبانية المغربية تقرر خلاله أن يرسل السلطان مبعوثين عنه إلى إسبانيا للقاء ملكها وإكمال التفاوض مع وزراء حكومته في شأن عقد معاهدة صلح بين الطرفين وتسريح الأسرى الذين يحتفظ بهم كل جانب .

وبناءً على هذا الاتفاق قرر السلطان إرسال بعثة - أو سفارة - إلى إسبانيا وعيّن لها رجلين من أعيان قبيلة الوداية الذين هم أخوال والده السلطان مولاي عبد الله ، والرجلان هما عمارة بن موسى الوديني ، ومحمد بن ناصر الوديني ، وكانا من كبار ضباط الجيش المغربي ، كما أرسل معهما - كاتباً - مترجمنا أحمد الغزال ، وقبل رحيل هذه البعثة استقبلها السلطان وزوّدها بتوجيهاته وأصحابها عدداً من الإبل وعتاق الخيل ونفائس أخرى هدية إلى ملك إسبانيا ، وأوصى الجميع بتفقد الأسرى المسلمين وإعطائهم صلاتٍ مالية إكراماً لهم وتخفيفاً من ضائقتهم ، كما أوصى أحمد الغزال بالخصوص أن يصف جميع ما يشاهده في الطريق ذهاباً وإياباً من آثار المسلمين الباقية حتى تلك الوقت في الأندلس ، وعادات النصارى وأحوالهم ومظاهر التقدم أو التأخر في بلادهم فلاحياً وصناعياً وعلمياً .

وانطلقت من مكناس البعثة المغربية التي لا نعرف من أسماء أعضائها إلا الثلاثة المذكورين ، وأثناء الطريق من مكناس إلى طنجة اكتشف الغزال أن الرجلين اللذين عيّنهما السلطان على رأس البعثة لا يصلحان للمهمة التي كلفت بها ، لأنهما وإن كانا من وجهاء قبيلتهما وضباط جيش السلطان - بعيدان كلّ البعد عن الدبلوماسية (فهم قوانيّن النصارى) لبدائتهما وعدم ممارستهما لمثل هذه المسؤولية ، فكتب - سراً - إلى أحد المُقرّبين من

السلطان يخبره بحالة الرجلين مُحذراً من وقوع البعثة بسبب جهلها في محذور وفشلها في المهمة التي انيطت بها ، ولما أُخبر السلطان بما كتبه الغزال قال لخاصته : واليه ما قال إلا الحق ، وقد نيمت على تقديم الرجلين عليه ، وما راعيت إلا ذاتهما وأغفلت الأنوات ، ثم أمر أن تكتب رسالة اعتماد جديدة باسم الغزال ، كما أمر الغزال أن يسحب من الرجلين رسالة الاعتماد القديمة ويحتفظ بها (436) .

وأستحسن أن أثبت فيما يلي رسالة الاعتماد التي حملها السفير الغزال إلى كارلوس الثالث ملك إسبانيا لما فيها من الفوائد التاريخية والدلالة على سعة صدر السلطان سيدي محمد بن عبد الله وحسن تفهمه ورغبته في إقامة علاقة ودية مع إسبانيا شأنه في ذلك كشأنه مع جميع دول البحر الأبيض المتوسط ، مُسلمها ونصرانيها ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(الطابع السلطاني الكبير)

(كتب بداخله محمد بن عبد الله بن إسماعيل)

(الله وليه ومولاه)

إلى سلطان إصبانيول نُكْرُس الثالث

سلام على من أتبع الهدى

أما بعد فقد ورد على حضرتنا العلية بالله كتابك وهديتك ، وما نحن سرحن لك جميع الأسارى من الإصبانيول وكذا النبيلطان (437) على أنهم ليسوا من جنسك ، وهذا هو الجنس الذي نكرنا لك في كتابنا نسرخ لك جنساً من غير جنسك مُراعاة (438) ، ولأن ولدك مؤلى عليهم من قبلك ، وعددهم ثمانية وتسعون بين نساءٍ ورجال.

436) البستان الظريف ، في دولة أولاد مولاي الشريف 1 : 398 .

437) النبيلطان نسبة إلى نابولي إحدى مدن إيطاليا الشهيرة ، وكانت في ذلك العهد عاصمة إمارة يحكمها فرديناندو ابن شارل الثالث ملك إسبانيا .

438) كذا بالأصل ، والصواب مُراعاة لك .

وقد أمرنا رؤساء مراكبنا إذا التقوا بمراكبهم يُقابلوهم بما يحبون ،
وكلٌّ من يوجَدُ بمراكبكم من أعدائنا يَجوزُ في حرمة سنجقكم (439) ، كما
أمرنا قواد مراسينا أن كلٌّ من نزل بها من جنسكم فهو آمنٌ على نفسه وماله
ومركبه ، ويسافرُ في أي بلاد أرادَ من إيالتنا (440) يبيع ويشترى كيف
شاء ، ولا يلزمه الا القمرق (441) المعلومُ في كلِّ مرسى من المراسي ،
وكلُّ مركب تكسَّرَ لكم في بلادنا فهو لكم بما فيه ، والباصأبرط (442) التي
بعثتَ بها دفعناها لرؤساء مراكبنا .

ومن كان أسيراً من جنسكم وهرب لبرنا فهو مُحَرَّرٌ يذهبُ حيث
شاء ، ولا يتصرَّفُ فيه أحد.

وكل مسلة (443) كتبتَ لنا عليها وهي جائزة في ديننا تُقضى لك ،
لأنك عندنا مُميِّزٌ عن ملوك الروم على ما بلغنا من الكلام الحسن والاعتناء
بأوامرنا ، وبعثت أسارانا من غير تأنٍ فلذا أردنا مكافأتك .

ومسلة (443) نُعلمك بها ، وهي أن تامرَ حاكمَ سبنةَ وحاكمَ مليلية
أن يقفوا عند الحدود المعلومَةِ لهم مثلما أمرنا قوادنا الموالين لهم أن يقفوا
عند حدودهم المعروفة لهم ، ولا يتعدى أحدٌ من الجانبين ، وهذا الاحترازُ
خشيةً أن يقعَ أمرٌ من أحد الجانبين يكونُ فيه ما يُفسد المهادنة ، ونحنُ
المسلمون من أعظم الدِّين عندنا الوفاءُ بالعهد.

(439) أي احتراماً لتأييمكم ، والسنجقُ كلمةٌ تركيةٌ معناها العلمُ كانتُ مُستعملةً بكثرة في اللغة
الإدارية المغربية خلال العهد السعدي والعهد العلوي الأول .

(440) الإيالة كلمةٌ تركيةٌ معناها المملكةُ والإمارةُ والولاية ، وتَبيَّنتُ مُستعملةً في الإدارة المغربية
إلى عهد قريب ، وكان المغرب يُدعى (الإيالة الشريفة) .

(441) القمرق ويقالُ اليومُ الجُمرَك ، كلمةٌ تركيةٌ معناها الرسومُ المُستخلصةُ على السلع ونحوها
بالموانئ وأبواب المدن والأسواق .

(442) الباصأبرط : جواز السفر والمرور ، والكلمة لاتينية Passeport

(443) كذا بالأصل ، والصواب مسألة .

وقد بعثنا لك كاتباً أوامرنا المطاعة بشدور (444) السيد أحمد الغزال
وخالنا القائد عمارة بن موسى مع الصلة الواصلة إليك من جانبنا العلي بالله.
صدر الأمر بكتبه في العاشر من ذي القعدة الحرام عام تسعة وتسعين
ومائة وألف ، وكان بعثه من حضرتنا العلية مكناسة الزيتون حرسها الله
تعالى بمئة أمين.

وكان من المقرر في الأول أن تُبحر البعثة المغربية من طنجة إلى
إسبانيا مباشرة ، ولكن حاكم سبتة الإسباني احتال حتى جعل السفينة التي
نقلها تُلقى يوم 15 حجة عام 1179 مرساتها بسبتة ليقع الإبحار منها بعد
ذلك إلى إسبانيا ، ولعل القصد من ذلك كان هو انتزاع اعتراف فعلي من
المغرب بالوجود الإسباني بتلك المدينة المغربية ، وإطلاع أعضاء البعثة
على ما فيها من التحصينات والآلات الحربية التي تستطيع بها الحامية
الإسبانية أن تصد أي هجوم يقع عليها من البر فينقلوا ذلك إلى السلطان حتى
لا يفكر في استرجاعها بالقوة مثلما استرجع بها جده السلطان مولاي
إسماعيل عدداً من المدن والمراكز الساحلية التي كانت تحت الاحتلال
الأجنبي ، وخلال الأيام التي أقامتها البعثة السلطانية في سبتة استطاع الغزال
ومن معه أن يطلعوا على ما بقي فيها من آثار إسلامية تحول معظمها إلى
مآثر مسيحية ، كما اطلعوا على تحصيناتها والآلات الحربية التي أعدت
للدفاع عنها ، ووصف كل ما شاهده وصفاً دقيقاً كالمستشفى وشئى مظاهر
الحضارة والتنظيم العمراني العصري التي بدأت بوادرها تظهر في تلك
المدينة السليبية التي لم تكن في ذلك الوقت إلا معسكراً لجنود الاحتلال
ومعتقلاً لمرتكبي الجرائم والجنايات ، وبعد إقامة استمرت ستة أيام أبحرت
البعثة المغربية يوم السبت 21 ذي الحجة عام 1179 هـ (31 ماي سنة
1766 م) متوجهة إلى العُدوة الشمالية - إسبانيا - حيث مرت في طريقها
إلى مدريد بعيد من المدن والقرى ، مُقابلةً حيثما حلت وارتحلت بحفاوة

(444) بشدور وتكتب أيضاً باشادور : السفير بين نولتين ، وهي من الكلمات التركبية التي تسربت
إلى اللغة الإدارية المغربية ، وأصلها لاتيني Ambassadeur وما زالت جارية على الأسنن في
المغرب إلى اليوم .

بليغة من الحكّام والسكّان الذين كانوا يَمْتَلُونَ في ذلك الأوامر التي صدرت إليهم من ملكهم وحكومتهم ، وكما وصف الغزّال ما شاهد في سبتة وهو شيء قليل وصف ما شاهد في المدن والقرى التي مرّ بها في طريقه إلى مدريد وهو كثير ، تستوي في ذلك مآثر المسلمين الباقية في الأندلس والحضارة الناشئة فيها ومرافقها من مدارس ومصانع وقناطر ومستشفيات وقصور بانخة وملاعب واسعة وطرق مُرَصَّفة وأشجار باسقة ، ولم يُغفل أيضاً وصف عادات الاسبانيين في أفراحهم ومباهجهم كالرقص والغناء ومصارعة الثيران ، كل ذلك بأسلوب شيق وتفصيل دقيقة للفن والالات والأدوات التي يعجز عن وصفها كثير من الكتاب في العصر الحاضر ، ويحس قارئ ما سجّله عن كل ذلك في الكتاب الذي ألفه عن رحلته أن الرجل كان شديد الغيرة على الإسلام كثير الترحم على المسلمين الذين سَكَنُوا تلك الديار الأندلسية من ملوك وعلماء وأدباء ، كما يشعُر بأن الرجل كان في المقيم المُقعد من إقبال النساء عليه وتودُّهن إليه ورغبتهن في مشاهدته ربّما لملاحظته أو لغرابته ملبّسه ، وهو أمرٌ كان يستهجنه في نفات قلمه وإن كنت لا أشك أنه كان يستحسنه في قرارة نفسه ويتلذذ بتذكره بعد رجوعه إلى المغرب .

ولما وصل الغزّال وصحبُه مدريد قوبلوا بمثل الحفاوة التي قوبلوا بها في جميع المدن والقرى التي مروا بها في الطريق إليها ، وأنزلوا في واحد من منازلها الفخيمة الأنيقة ، وكان من المنتظر أن يستقبلهم الملك شارل الثالث بعد استراحتهم من عناء السفر ، ولكن حدث بعد وصولهم بقليل أن تُوفِّيت أم الملك (445) فأعلِن الحداد في القصر وفي إسبانيا كلها ، وتُكسّت الأعلام ولبِسَ الناس السواد ، واحتجب الملك في قصره لأمر معلوم عندهم لا يدخل عليه أحد ولا يكلمه أحد إلا من كان من خاصّته ، ولكن أحد وزرائه كان يقوم بمؤانسة السفير ورفاقه بالحضور عندهم أو توجيه الرسائل والكتب إليهم ، وكان مما ورد في إحدى رسائله : أن الملك كان في غاية الشوق والانتظار لملاقاتكم ، ولكن حصل هذا الأمر المُوجب للتأخر عن حصوله

(445) اسمها إيزابيل دي سارنيسيو بنت إنيورد الثالث أمير بارما ، ولدت يوم 25 أكتوبر سنة 1692 م وماتت يوم 11 يوليو، سنة 1766 م .

على المقصود من رؤيتكم ، وعن قريب تكون الملاقاة ويحصل الكل على مراده .

وأقام الغزّال أكثر من شهر في مدريد يسمع دقّ النواقيس ويرى الناس مُتسحين بالسواد ، ولكن إقامته بها لم تكن دون فائدة ، فقد اغتتم مُدتها لزيارة مآثرها ووصف قصورها ومصانعها وبساتينها وأماكن الفرجة فيها وصفاً فنياً بديعاً ، حتى جاء الخبر باستعداد الملك لاستقباله بمدينة لاكرانخة (446) ، فسافرَ ومن معه إليها بعد زوال يوم السبت 10 ربيع الأول عام 1180 هـ (16 غشت سنة 1766 م) ، ولما دخلوا على الملك استقبلهم واقفاً وأزال قُبَعته (شمريره) من على رأسه إظهاراً للتقدير والاحترام ، وكان معه أربعة من وزرائه وراهب كبير من ملازميه ، فبلغه الغزّال رسالةً سلطانيه ، وجرث بينهما مذاكرةً اتّسمت بالودّ والمجاملة ، وقبل انصرافه التمس من الملك أن ياذن لمن يشاء من وزرائه في التفاوض معه على الأمور التي أوفده سلطانه إلى إسبانيا من أجلها ، فعين الملك شارل الثالث أهدّ وزرائه للتذاكر معه في شأنها ، وكانت مكتوبةً عند الغزّال في ورقة ، وتتعلّق بتحرير أسرى المسلمين - مغاربةً وجزائريين - والرفق بهم ، واسترجاع الكتب الإسلامية ، وعقد معاهدة سلّم وصداقة بين الدولتين تنصّ على إقرار هدنة بينهما في البحر لا في البرّ حيث توجد مراكز احتلال إسبانية في السواحل المغربية لا يعترف السلطان بشرعية احتلال الإسبانين لها ، ولا يقرّ بوجودهم فيها ، ويظهر أن الغزّال انبهر بما لقي في إسبانيا من الحفاوة والاكرام ، وجرفه تيارُ المجاملات وتكريات الحفلات وبسّامات الغيد الجميلات فالتزم باسم المغرب أن تكون المهانئة في البحر والبرّ معاً مخالفاً بذلك تعليمات سلطانه ، وكان هذا الانجراف سبباً نكبتة كما سيذكر فيما بعد .

وقد أثمرت المفاوضات ثمرتها المنشودة ، ولم يلق حلّ مشكلة الأسرى المسلمين في إسبانيا صعوبة كبيرة لأنّ عدد الأسرى الإسبانين في المغرب والجزائر كان أكثر منهم عدداً ، وكانت إسبانيا ترغب رغبةً أكيدة

في تحرير مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فِي الْمَغْرِبِ وَتَوْسِيطِ سُلْطَانِهِ لَدَى وُلاةِ التُّرْكِ بِالْجَزَائِرِ لِتَحْرِيرِ مَنْ يَوْجَدُ مِنْهُمْ فِيهَا ، فَلِهَذَا وَاثِقَ الْمَفَاوِضُونَ الْإِسْبَانِ عَلَى أَنْ يَصْحَبَ السَّفِيرُ الْغَزَالُ عِدداً مِنَ الْأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ عِنْدَمَا يَرْجِعُ إِلَى الْمَغْرِبِ ، كَمَا وَعَدُوا بِالرَّفْقِ بِبَقِيَّةِ الْأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ وَحُسْنِ مَعَامَلَتِهِمْ أَكْلاً وَلباساً وَعِلاجاً رِيثاً تَتِمُّ تَسْوِيَةُ قَضِيَّةِ الْأَسْرَى تَسْوِيَةً نَهائِيَّةً ، وَلَكِنَّ السَّفِيرَ الْغَزَالُ إِذَا كَانَ نَجَحَ فِي حُلِّ هَذِهِ الْمُشْكَلَةِ وَتَحْرِيرِ مَشْرُوعِ مَعَاهِدَةِ صِدَاقَةِ وَمِهَادَنَةِ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْجَحْ فِي اسْتِعَادَةِ الْكُتُبِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي كَانَ الْمَلِكُ شَارِلُ الثَّالِثُ وَعَدَهُ عَلَى لِسَانِ رَاهِبِهِ الْمُتَرْجِمِ بِإِكْرَامِهِ بِمَا يَمْلِكُهُ مِنْهَا بِصِفَةِ شَخْصِيَّةٍ عِنْدَمَا يَعْتَزِمُ الرَّجُوعَ إِلَى الْمَغْرِبِ .

وَبِعِندَمَا اسْتَوْفَى الْغَزَالُ أَغْرَاضَهُ وَأَكْمَلَ مَقَاصِدَهُ التَّمَسَّ مِنْ مَلِكِ إِسْبَانِيَا أَنْ يَأْذِنَ لَهُ بِالْعُودَةِ إِلَى بَلَدِهِ ، فَأُذِنَ لَهُ وَأُصْدِرَ أَمْرُهُ إِلَى جَمِيعِ وُلاتِهِ بِالْمَدِينِ وَالْأَقَالِيمِ الَّتِي سَيَمُرُّ بِهَا فِي الطَّرِيقِ بِالْإِعْتِنَاءِ بِهِ وَبِمُرَافِقِيهِ ، فَغَادَرَ مَدْرِيدَ يَوْمَ السَّبْتِ 28 جُمَادَى الْأُولَى عَامَ 1180 هـ (1 نُونِبَرِ سَنَةِ 1766 م) مُتَوَجِّهاً إِلَى قَادِسِ الَّتِي سَيَبْحُرُ مِنْهَا إِلَى الْمَغْرِبِ ، يَرِافِقُهُ عِدَدٌ مِنَ الضَّبَاطِ وَالْجُنُودِ كَلَّفَهُمُ الْمَلِكُ بِمُصَاحَبَتِهِ وَقَضَاءِ مَآرِبِهِ ، وَسَارُوا مَآرِينَ فِي الطَّرِيقِ بَعْدَ مِنَ الْمَدِينِ الْإِنْدَلِيسِيَّةِ كَشَقُوبِيَّةِ وَالْأَسْكُورِيَّالِ وَطَلِيظَلَّةِ وَمَرْسِيَّةِ وَقِرْطَاجَنَةِ وَغِرْناطَةَ وَوَادِيِ عَاشِ ، وَكَانَ يُقَابَلُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِحَفَافَةٍ كَبِيرَةٍ وَيُخْرَجُ لِرُؤْيَتِهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْبَنُونَ وَالْبَنَاتُ ، فَكَانَ كَدَّابِهِ فِي الْأَوَّلِ يَصِفُ كُلَّ مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَمُرُّ بِهَا وَصفاً دَقِيقاً يَطُولُ أَوْ يَقْصُرُ حَسَبَ أَهْمِيَّةِ الْمَكَانِ الْمَوْصُوفِ ، حَتَّى الْأَشْعَارِ وَالْكِتَابَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَنْقُوشَةِ فِي الْأَبْوَابِ وَالْقِيَابِ وَعَلَى شِوَاهِدِ الْقُبُورِ كَأَنَّ يَنْقُلُهَا وَيُسْجِلُهَا لِيَضَعَهَا فِي مَكَانِهَا مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي سَيُؤَلِّفُهُ عَنِ رِحْلَتِهِ وَيَتَحَفُّ بِهِ سُلْطَانَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يَغْفَلُ فِي الطَّرِيقِ عَنِ الْكُتُبِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ يَجْمَعُ مِنَ الْأُولَى مَا يَقْدِرُ عَلَى جَمْعِهِ وَحِيَازَتِهِ ، وَيَنْقُدُ الْأَسْرَى وَيُصَلِّهُمُ وَيَبْعَثُ الْأَمَلَ فِي نَفُوسِهِمْ بِقَرَبِ تَحْرِيرِهِمْ ، وَلَمْ يَزَلْ يَقْطَعُ الْمَرَاحِلَ حَتَّى بَلَغَ قَادِسَ فَوَجَدَ الْأَسْرَى الَّذِينَ أُطْلِقَ مَلِكُ إِسْبَانِيَا سَرَاحَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَيْهَا ، وَعِنْدَهُمْ 290 أَسِيرًا جُلُّهُمْ مِنَ الْجَزَائِرِ ، كَمَا وَجَدَ بِهَا السَّفِيرَ جُورْجَ خُوانِ الَّذِي عَيَّنَهُ الْمَلِكُ الْمَنْكُورَ لِمُرَافَقَتِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَتَقْدِيمِ هَدَايَاهُ إِلَى سُلْطَانِهِ ، وَبَعْدَ إِقَامَةِ طَالَتْ أَكْثَرَ مِنْ

شهر في قانس أبحر الغزّال والسفير الإسباني ومن معهم من الأسرى وما معهم من الهدايا متوجهين إلى تطوان التي كان مرساها مرتيل نشيطاً يومئذ فوصلوها بعد 24 ساعة قضاها في البحر ، ولما نزلوا إلى البرّ قابلهم حاكمها الحاج محمد عاشر والسكان بما يجب من الإكرام والابتهاج ، تنفيذاً لأوامر سبق وصولها إليهم من السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، كما فعل مثل ذلك جميع الولاة والعمال بالمدن والقرى التي مروا بها بعد ذلك وهم في الطريق إلى مراكش التي كان يقيم بها السلطان يومئذ.

واستأنف الغزّال عمله مع السلطان في ديوان إنشائه كذى قبل ، يُلخّص له الرسائل والتقارير الواردة ، ويُحررُ المراسيم والمكاتيب الصادرة ، ويؤدي الرأي ويُقّمُ النصح إذا شُورَ في أمر من الأمور ، ويحضرُ الدروس ومجادلات العلماء التي تقع بحضرته ، كما يحضرُ بعض أسناره ونزّهه عندما يُضنيه العمل ويشعر بالارهاق ، مُقيماً بإقامته ، ضاعناً بطعنه ، وتُحدّثنا المراجع التاريخية عن عمل دبلوماسي آخر قام به في الجزائر شبّه بالعمل الذي قام به في إسبانيا ، وخبرُ ذلك ان ملك إسبانيا كتب في عام 1182 هـ إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله يُخبره أنه لم يبق في مملكته أسير واحد من أهل المغرب ، ولم يبق فيها إلا أسرى الجزائر ، طالباً منه التوسط لدى حكامها الترك ليفادوهم بالأسارى الاسبانيين الموجودين فيها : الرايس بالرايس ، والبلوط بالبلوط والياكانجي بالياكانجي (447) والجندي بالجندي ، والبحري بالبحري ، وإذا فضلت فضلاً من الأسرى عند أحد الجانبين بعد المفادة العينية ، فُدّي كل نفر من العدد الفاضل على أساس خمسمئة ريال للرأس بالنسبة للأسير العادي وألف ريال إذا كان من الرياس.

فاستجاب السلطان سيدي محمد بن عبد الله لطلب ملك إسبانيا رغبةً منه في فكّ رقاب المسلمين ورفع العناء عن الأسرى من أي دين كانوا ، وكتب إلى الداوي محمد بن عثمان دولاتي الجزائر يعرضُ وساطته في شأن

(447) البلوط : ريان السفينة ، والكلمة لاتينية الأصل والياكانجي كلمة تركية معناها الجندي الغازي أو المتأهب للقتال .

مفاداة الأسرى الاسبانيين بالأسرى الجزائريين فامتنع من قبول الوساطة ، ثم كاتبه مرة ثانية حاضماً إياه على تخلص أسرى المسلمين مُحذراً ومُخَوِّفاً من مكر الله ، ومنكراً بما يحصل له ولديوانه من الأجر والثواب إن قبل وساطته وشفاعته ، فلم يسغه إلا أن يجيب بالقبول ، واشترط أن يحضر أحد رجاله من المغرب لتكون المفاداة على يده ، الداي يدفع له أسرى الإسيان ، والإسيان يدفعون له الأسرى الجزائريين ، فانتدب السلطان لهذه المهمة كاتبه أحمد الغزال المترجم وأرسله إلى الجزائر ومعه عمارة بن موسى الوديعي ومحمد بن ناصر الوديعي اللذان رافقاه عندما ذهب سفيراً إلى مدريد ، واتفق السلطان سيدي محمد بن عبد الله مع ملك إسبانيا شارل الثالث على الوقت الذي يصل فيه الأسرى الجزائريون إلى الجزائر ، فأقلعت بهم سفن إسبانية في الوقت المُتفق عليه ، وما كاد الغزال يصل إلى الجزائر حتى ظهرت في عرض البحر السفن الإسبانية ، فنزل منها 1600 أسير جزائري تسلمهم الغزال بنفسه وسلمهم لرجال الداي ، وسلم الترك نفس العدد من الأسرى الاسبانيين إلى الغزال فسلمهم بدوره إلى رياس السفن الإسبانية ، وفضلت فضلة من هاؤلاء عند الجزائريين فداها الإسيانيون بالمال ، وعاد الغزال بعد ذلك إلى المغرب ليواصل عمله بديوان سلطانه .

بيد أن القدر كان له بالمرصاد بعد ثلاث سنوات ، فحدث له ما لم يكن يحتسبه ويتوقعه ، وكان من الواجب أن يحتسبه ويتوقعه هو ومن على شاكلته ممن يكونون في مثل موقعه ، فقد حدث أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي خرج في أواخر عام 1187 هـ (448) لحصار مدينة

(448) نقل عبدالرحمان ابن زيدان في كتابه إتحاف أعلام الناس 3 : 168 نقلاً عن أبي القاسم الزباني في كتابه الترجمان المغرب والروضة السلطانية أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله توجه عام 1184 لحصار مليلية وبدأ قصفها بالمدافع والمهاويس يوم فاتح محرم عام 1185 هـ (الثلاثاء 6 أبريل سنة 1771 م) ثم استترك فنقل ما ذكره المولى عبد السلام بن السلطان المنكرور واليه يؤمذ على فاس في كتابه نورة السلوك أن خروج والده لحصار مليلية كان سنة 1187 ورجع ابن زيدان هذا التاريخ الأخير قاتلاً وهو عندي أصح ، لأن الأمير مولاي عبد السلام رافق والده السلطان في محاصرته لملييلية ، والذي عند محمد بن عبد السلام الضعيف في كتابه تاريخ الدولة السعودية أن نزول السلطان سيدي محمد بن عبد الله على مليلية كان يوم 15 شوال عام 1188 هـ (الاثنين 19 جنبر سنة 1774 م) وأن حصاره إياها دام نحو ثلاثة أشهر ، وهذا التاريخ الأخير هو الأصح بكل تأكيد ، لأنه يتفق مع ما عند الاسبانيين من تاريخ بدأ الحصار وانتهائه ، وهو 3 يناير - 16 مارس 1775 م .

مليلية التي يحتلها الاسبانُ بساحل المغرب الشمالي وجلبَ عليها بخيله ورجله ومدافعه ، وبدأ جيشه يقصفها يوم الجمعة 5 شوال (9 دجنبر سنة 1774 م) ، وتمادى القصف عليها أياماً ، فلما بلغ خبرُ ذلك ملكَ إسبانيا شارل الثالث كتب إلى السلطان يُعاتبه على محاصرة مليلية ورميها بالمدافع وينكره بمعاهدة الصلح والمهادنة في البرِّ والبحر المعقودة بين الدولتين ، ويقول له : هذا خطُّ يد كاتيك الغزال الذي كانَ واسطة بيني وبينك في عقدها ، فأجابهُ السلطانُ بأن المهادنة المقررة بيننا إنما جعلتها معك في البحر لا في البرِّ ، ولو كانت عامّة تشملُ البحرَ والبرَّ كليهما لكنا ندخلُ المدنَ التي تحتلونها بسواحلنا ولُكُنْتُمْ تخرجون منها إلينا ، فوجّهَ إليه ملكُ إسبانيا نصَّ المعاهدة فإذا هو يشتملُ على كلمتي البحر والبرِّ معاً ، فلما اطلعَ عليه السلطانُ لم يَسعُه إلا أن يرفعَ الحصارَ عن مليلية ويعودَ أدراجَه إلى داخل مملكته ، مُشترطاً على ملكِ إسبانيا أن ينقلَ ما تركه بجوارها من مدافع وعربات ونخائر حربية ، فقبِلَ ذلك ونَقَلَتْ سُنْفُهُ بعضُها إلى ميناء تطوان وبعضاً آخر إلى ميناء الصويرة ، وأثارَ هذا الفشلُ العسكري والديبلوماسي غضبَ السلطان على كاتبه الغزال ، فعزله من الخيمة وأقصاه ، فعاد إلى بلده فاس ويقي به عاطلاً إلى أن كُفَّ بصره ومات.

وتنبغي الإشارةُ إلى أن الغزالَ حاولَ الدفاعَ عن نفسه وتبرئة ساحته ، فزعمَ أنه كتبَ في صدر المعاهدة (أن المهادنة بيننا بحراً لا برّاً) وأن الاسبانيين كشطوا قُرْنِي لَام ألف (لا) وعرقوا قاعدتها المستديرة فصارتُ واواً وصارت الجملةُ كالتالي : (أن المهادنة بيننا بحراً وبرّاً) ، ولكنَّ السلطانَ لم يقتنع بهذا الزعم ، وأنكرَ على الغزال اختصارَه في القول واختزالَه في التعبير الذي يُسهلُ على الخصمِ التزويرَ إن كانَ وقعَ حقاً من طرفه تزوير ، وكان من الواجب أن يكتبَ ما أوصاهُ بعمله معهم بعبارة مُطولة كأن يقول : إن المهادنة بيننا وبينكم إنما هي في البحر ، أما في البرِّ فلا مهادنة ، أو عبارة شبيهة تؤدي نفس المعنى.

انظر المنكرات اليومية لهذا الحصار التي سجّلها المهندسُ الإسباني خوان كبييرو - وكان شامد عيان ومُكثِّفاً بإصلاح تحصينات مليلية - وعزبها الدكتور الحسن الفجيجي ونشرتها المطبعة الملكية بالرباط (1317 هـ - 1996 م) تحت عنوان سيدي محمد بن عبد الله وقضية مليلية المحتلة (1774 - 1775) .

وننتقل بعد كل هذا إلى الكلام على علم المترجم وأدبه وءآثاره ، فنقول إن جميع الذين كتبوا عنه أو أوردوا له ذكراً في كتبهم ورسائلهم - من معاصرين له ومتأخرين عن عصره - أجمعوا على أنه كان فقيهاً عالماً أديباً كاتباً شاعراً جميل الخط ، بل إن منهم من وصفه بأخر أديباء زمانه ، ونحن لا نشعر بمبالغة في هذه النعوت والأوصاف في حدود مفاهيم العلم والفقه والأدب في ذلك العهد ، وذلك لعدّة أسباب ، أولها نشأته في بيت علم وكتابة ، إذ كان أبوه المهدي أحد مشاهير الكتاب في عهد السلطان المولى إسماعيل ، وثانيها أن مستخدمه السلطان سيدي محمد بن عبد الله ما كان ليسند إليه رئاسة ديوان إنشائه مع وجود من هو أفصح منه لساناً وأبلغ إنشأه ، وثالثها ما يُحسُّ به قارئه ءآثاره من حسن تعبيره وبديع إنشائه وغازرة مادته اللغوية وقدرته العجيبة على الوصف الدقيق لكل ما تقع عليه عينه من مباني وغروس ونظم وترتبيات ومخترعات وءآلات وأدوات وملابس وفرش وماكولات ، وهو لا يستكف أن يُسمّي الأشياء بالأسماء التي تسمى بها في أرضها سواء كانت أعجمية أجنبية أو عامية بلدية إذا لم يجد لها مقابلاً في اللغة العربية ، وإذا عسر عليه إيجاد اسم لمسمى مما يشاهده صرّح بعجزه عن تسميته ، وهذه طريقة في الكتابة استحسنها ، ولو اتبعتها المُحدثون من كتاب العصر لمهدوا الطريق لتطور اللغة العربية ومسايرتها لما يحدث في العلوم والآداب والفنون من تطور ، ولما بقوا سائرين على غير هدى في متاهات هذه القواميس العديدة التي تضعها لهم مجامع علمية مختلفة والتي لا يعمل بها أحد ، وقارئ الكتاب الذي وضعه المترجم عن رحلته إلى إسبانيا ورسائله التي كان يكتبها إلى الملوك فمن دونهم بأوربا يجد فيها الشيء الكثير من هذه المُحدثات والبدع اللغوية التي لا تؤثر في شيء على السياق الكتابي العام كما لا تشوش على القارئ في فهم ما يقصده الكاتب (449).

449) من الكلمات الإسبانية التي استعملها وكرر استعمالها في كتابه (نتيجة الاجتهاد) الفسيان (الضباط) والشلطاظ (الجنود) والهونبة (القنبلة واللغم) والشلية (الكرسي) والشمرير (القيمة) والغرايلية (الرهبان) والأمنطال (المستشفى) والأكداش (العربات) والبلاصا (الساحة والميدان) والكراروط (عجلات جر المدافع) إلخ .

ومن الكلمات العامية المغربية التي منها ما له أصل في العربية الشراحيب (النوافذ) والمكائة (الآلة التي تُعرف بها الساعات والدقائق) وفراتن البحر (موجاته العاتية) والكمخة والمويّر (نوعان من

وإذا كنت لا أعيبُ هذا على المترجم ككاتب ، فإنني أعيبُ عليه تملُّقه المكشوفَ وادعاءه أشياء لا أعتقدُ أنه كانَ هوَ يؤمنُ بها في قرارة نفسه ، وأعيبُ عليه أكثرَ من ذلك إفشاءه لأسرارٍ ما كانَ يجوزُ لدبلوماسي أو لكاتبٍ في نواوين السلاطين أن يفشيها ، فبالاطلاع على عدد من الوثائق التي كتبها بخطه الجميل والمحفوظة في الأرشيف الإسباني نجد أن المترجم كان يطلعُ الإسبانيين على كل ما كانَ السلطانُ يكتبُ به إليه أو يكتبُ هو به إلى السلطان ، وهو شيءٌ يكادُ يعدُّ خيانةً لولا أننا نعتقدُ أنه كانَ يفعلُ ذلك مجاملةً وإظهاراً لحسن النية ورغبةً في التقريب بين إسبانيا والمغرب ، وكيفما كان الحكم على المترجم في هذه المسألة فإننا نحمدُ لإسبانيا حفظها لتلك المكاتيب في أرشيفها لما فيها من الفوائد السياسيَّة التي لا وجودَ لها مع الأسف الشديد في أرشيفنا الوطني.

وقد خلَّف المترجمُ آثاراً علمية وأدبية : كتبَ ورسائلَ وأشعار ، أشهرها رحلته السَّفاريَّة إلى إسبانيا المُسمَّاة نتيجة الاجتهاد ، في المهاندنة والجهاد ، ونسخها المخطوطة مَوْجودة في مكتباتٍ كثيرةٍ ببلاد المغرب العربي والمشرق وأوربا ، وقد كتبها بعد رجوعه إلى المغرب وأتحف بها سلطانه ، دوَّنَ فيها ملاحظاته ومُشاهداته ، ملنَّزماً ما أوصاه السلطان بوصفه من آثار المسلمين الباقية بالاندلس ، سالكاً نفسَ الطريقة التي سلكها قبله محمد (حمو) بن عبد الوهاب الوزير الغساني سفيرُ السلطان مولاي إسماعيل إلى إسبانيا في كتابه (رحلة الوزير ، في افتكاك الأسير) ، وقد لفتت نتيجة الاجتهاد الأنظارَ منذ القرن الماضي ، ففي سنة 1861 ترجمَ المستعربُ جورجوس صفحاتٍ منها في (المجلة الإفريقية) وعرضَ وصفَ الغزال لمسجد قرطبة ناقلاً النصوصَ التي جمعها المؤلف ونشرها بنصها العربي ، وفي سنة 1918 لخصَ بودان Bodin الرحلة تلخيصاً مشوهاً في أربعين صفحة باللغة الفرنسية ، وفي سنة 1949 نشرها بتطوان صديقي الراحل

المنسوجات) والزليج (الفضيساء) والأروى (الإسطل) واللثمين (البرنقال) والخصمة (النافورة) والشباك (النافذة تتوسطها قضبان حديدية) والنوبة (ضربة موسيقية) وفروود الخشب (أواخ سمكية طويلة منه) الخ .

ومن الكلمات التركية : البوغاز (المضيق) والباشادور (السفير) والصقالة (بكرة توضع فوقها المدافع) الخ .

ألفريد البستاني اعتماداً على نسخة المكتبة الوطنية بمدريد وحدّهما على الرغم من وجود نسخ عديدة للرحلة بإسبانيا والمنطقة التي كانت تحت نفوذها بالمغرب يومئذ ، وقد ابتعد البستاني المنكور عن سبيل المُحقّقين الأمانء فيما نشره ، لأنه حنّف من الرحلة جُملاً وعبارات بل صفحات لا لشيء إلا لأنها لا تتفق مع عقيدته النصرانية ، وفي سنة 1980 أعادت طبعها دارُ الغرب الإسلامي ببيروت طبعة وافية بتحقيق الأستاذ إسماعيل العربي ، وهي طبعة جميلة أنيقة لكنها لا تخلو من أخطاء كثيرة مطبعية وغير مطبعية ، والرحلة المنكورة هي خير مرآة يستجلي القارئ من خلالها أسلوب الغزّال الكتابي وعاطفته الدينية ودقته في الوصف ومراعاته للأدب الواجب للسلطان مُستخدمه.

ومن آثار المترجم الباقية ثلاث رسائل في مدح مَخدومه ، سُمّي أولها اليواقيت الأدبية ، بجيد المملكة المحمدية ، وسُمّي الثانية الأطروفة الهندسية ، والحكمة الشطرنجية الإنسية ، وسُمّي الثالثة نتيجة الفتح ، المستتبطة من سورة الفتح ، وثلاثها مكتوبة بخطه الجميل ، موجودة بالخرزانة الملكية الكائنة بالجنان الكبير بمراكش وكانت من قبل بالخرزانة الزيدانية بمكناس ، ومنها أيضاً نسخ بالخرزانة الحسينية الملكية بالرباط ، وقال مؤلفها عن طريقته فيها : إنه سلك في مدح مَخدومه مُسلكاً لم يُسبق إليه ، واستنبت ما لم يهتد إليه بلغاء مُدّاحه ، فليغزّال أمداحه الباغ العريض ، في مُنافسة أهل الأدب ويلغّاء القريض ، وءالى على نفسه ، أن لا يأتي في أمداح سيّده بما يستطيعه أبناء جنسه الخ الخ

ومن آثاره القلمية كُتُب سَماء النور الشامل ، في مناقب فحل الرجال الكامل ، عرض فيه ترجمة ومناقب الشيخ محمد بن عيسى الفهدي دفين مكناس ، طبع في مطبعة الصدق الخيرية بالقاهرة عام 1348 هـ في 56 صفحة من القطع الصغير ، وله كتابٌ آخر مُختصر في الموضوع نفسه طبع بمطبعة الدولة التونسية الرسمية عام 1302 هـ في 56 صفحة ، نكر فيه أنه دخل في الطريقة العيساوية (طريقة الشيخ المنكور) عام 1162 على يد عبد السلام بن أحمد برآدة كبير مُقَمِّمها بفاس ، ويقال في الكتابين

المذكورين الذين لم اطلع على أولهما ما يُقال في أمثالها من كُتِبَ المناقب التي ألفت قبلهما وبعدهما المشحونة بالخرافات والأساطير التي لا يُصدّقها ذو عقل سليم ، وإن المرءَ ليعجبُ من نزول كاتب أديب ، وشاعر أريب ، وسياسي لبيب ، مثل أحمد الغزال المترجم إلى حضيض الانتساب إلى طريقة يتسم مريدوها بالهمجية وإتيان أعمال تُشبه أعمال الوحوش الضاربة في الغابات الأدغال كأكل الشوك وافتراس الحيوانات الحية ومصاحبة العقارب والأفاعي وكل حيوان سامّ مما يتنافى مع طهارة الشريعة الإسلامية ونقاها وصفاتها.

ونسب له صاحب (معجم المطبوعات المغربية) كتاباً آخر سماه
نزهة الاحسان ، ومفاتيح الصلوات الحسان ولم يذكره أحد غيره .

وقبل ختم هذه الترجمة نوردُ قصيدةً من شعره مدح بها مخدومه
السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، وسنرى أن أسلوبه فيها لا يخرج
عن أسلوب الشعراء الأقدمين ، جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ، من البدء
بالتشبيب أو الوصف أو البكاء على الأطلال وفراق الأحبة ، وقد عارض
بها قصيدة شهيرة لأديب الأندلس الكبير محمد بن عبد الله ابن الخطيب
(450) وهي التالية:

وهل أمرعت أجزاء ساحتها الغر ؟	سلا بانه الجرعاء هل جادها قطر
بروداً لها من كف راقمها نشر ؟	وهل نسجت أيدي الحياء بروضها
تبسم من أنغار أكمامه الزهر	فيا لك روضاً من بكاء غمامه
عرائس تزهر فوقها حلل خضر	كان به الأرواح تهتز نضرة

(450) هي القصيدة الشهيرة التي خاطب بها محمد (لسان الدين) ابن الخطيب السلطان
إبراهيم (ابو سالم) المريني حين قدم عليه لفاص صحبة مخدومه المخلوع محمد بن يوسف ابن الأحمر
النصري سلطان غرناطة الملقب بالغني بالله ، وذلك يوم 6 محرم عام 761 هـ ومطلعها :

وهل أعشب الوادي وتم به الزهر ؟	سلا هل لثيها من مخبرة نكر
عفت أيها إلا التوم والنكر ؟	وهل باكر الوسمي داراً على اللوا

وهي طويلة مؤثرة ، ونصها مثبت في كثير من كتب الأدب والتاريخ المغربية ، مثل نوح الطوب وأزهار
الرياض والاستقصا .

قيان لها في صوغ. أَلحانيها جهز
تسلسل من ظلم الرضاب بها خمز
تناسق فيها تحت فائنها در
خدود غواني الغيد لآخ بها بشر
لواحظ من أهواه ماج بها سحر
خرائد دب في معاطفها سكر
فيملأ أرجاء المكان لها نشر
إذا صيغ فيه المدح أو نظم الشعر
تقاصر عنها الوهم والوصف والحصر
وصار إلى عليانها يخضع الدهر
وأسمى يراها فوق هامته البدر
وترتاع في أعماها القضب البنز
وعم على آفاق أجناسهم قهر
ولم يُنجم في الأرض بر ولا بحر
يقون بها الأنفاس فهي لهم عمر
يحيق به في الحين من بأسه مكر
وحل بها من سوء أفعالها خسر
ترعرع منها الجو والبحر والبدر
صواعق حتف لا يطاق لها أسر
ويذد أهل الكفر عنها لهم دعر
إذا انتهضت للأمر يسبقها النصر
ويالك من فتح به سمح الدهر
وحاول أن يلقاه فانعكس الامر
ليعظم في الأعمال منه له الأجر

كان بها ورق الحمام سجعاً
كان ثغور الأقحوان مباسم
كان الشفاة اللعس منها شقائق
كان احمرار الورد في ريق الحيا
كان ذبول النرجس الغض عادة
كان غصون البان والرنيد ميساً
كان شذا الأزهار ينفحها الصبا
خلال أمير المومنين (محمّد)
إمام له في بادخ العز رتبة
تسامى على سامي السماك مكانها
وماذ لها شم الشوامخ هنية
تذل لها الآساد في أجماتها
تزلزل أهل الشرك منها وأذعنوا
وصاروا عبيداً من مهابة بأسها
يؤتون بالإذلال والهون جزية (451)
ومن لم يرم إعطاءها متكبرا
كما حاق بالمهدومة (452) الخزّي جهرة
تصدى لها فخر الملوك بغزوة
وصب عليها من بوارق بطشه
فأفسدها قهراً وخرّب دورها
ومن ذا يلاقي صولة هاشمية
فيالك من عز تكامل سعده
تقاصر عن إدراكه شأو سابق
فأخّره الرحمان للعادل الرضا

451) يُشير إلى المبالغ المالية التي تعهدت دول أوربية عديدة بدفعها كل سنة للمغرب محافظة على سلامة مُغنها التي تمر قرب سواحه .

452) يُريد بالمهدومة مدينة مليلية المغربية التي تحتلها إسبانيا بساحل المغرب الشمالي ، وقد تقدمت الإشارة إلى حصار السلطان سيدي محمد بن عبد الله إيّاها وقصف حاميتها وبروجها بالمدافع في التعليق السابق نمرة 448 .

كما ختم الأتفَاعَ في فضلها الوثرُ
وعِزّاً وفخراً أو يكون لها خطرُ ؟
وتعنو إلى أوصافك الانجم الزُّهرُ ؟
ومن من نداء الجم يغترف البحرُ
وسيرته في الخلق فاكتمل الفخرُ
وغنياً لأهل الأرض إن نالهم فقرُ
يكون لها من جود راحتك العشرُ
وجعفرُ والمهديُّ والوائقُ الصدرُ
فأصبح وهو اليومَ ليسَ له نكرُ
فعادت عروساً بالبهاء لها قدرُ
تغرُدُ في أفنان ادواجها الطيرُ
وصار لهم في كلِّ شاسعةٍ فخرُ

* * *

تناسقَ من غالي المديح بها درُ
وتخجلُ من أفاظها الأنجم الزهرُ
ونادى جهاراً : هاكذا ينظم الشعرُ !
عرانسُ مدح والقبولُ لها مهرُ
وأني بها لا شكَّ ينضحني البحرُ
سننشدُ ما قد قاله العالمُ الخبرُ :
فهيهاتُ يحصى الرملُ أو يحصرُ القطرُ
ومن بذلُ المجهودِ حقاً له العذرُ
وفخراً إلى الإسلام ما بعده فخرُ
به تسعدُ الدنيا ويبتهجُ الدهرُ
ودامَ مدى الأيامِ يخدمك النصرُ

بك اختتمَ الإحسانُ والعدلُ والندا
وكيف تُدانيك الملوكُ سماحةً
ولم لا تفوقُ الناسَ مجداً وسؤدداً
وأنت سليلُ المصطفى سيدِ الورى
ورثت نداءه والسجايا وعدله
فأصبحت للإسلام طودَ حمايةٍ
تودُ البحورُ الزخراثُ لو أنها
تناسى الرشيدُ والأمينُ وصنوه
نسخت حديثَ القوم في الجود والندا
أنتنا بك الأيامُ عندَ مشيها
وعادت رياضُ العلم عابقةَ الشذا
وشيدت ذرا الآداب فاعتزُّ أهله

فخذها من العبدِ المُجِبِّ قِلادةً
يودُ جريزَ والفرزقُ حَقَّها
تطرزُ عنبُ النظم منها بمجدكم
فقابل ثناها بالقبول فإنها
وجزمي كلَّ الجزم أنك فاعلُ
وإن قصرت في حصر مجدك إنها
إذا نحنُ أثينا عليك بمدحة
ولكننا ناتي بما نستطيعه
أدام لنا الرحمانُ ملكك عزَّة
وخلد ربُّ العرش أمرك في الورى
ودمت قريزَ العين للدين والهدى

تُوَفِّي بفاس فجرَ يوم الأحد 15 جُمادى الأولى عام 1191 هـ (22) يونيو سنة 1777 م) ودفن بصَحْن زاوية الشيخ عبد القادر الفاسي بحومة القَلْقِيَّين (453).

(1739) أحمد بن عبد الجليل الشرايبي الفاسي ، علامة شهير من أهل فاس ، كانَ ماهراً في فنون عديدة من فقهه وفرائض وحساب وتوثيق ، نزيهاً وجيهاً.

وصفه محمد بن جعفر الكتّاني في (سلوة الأنفاس) بالفقيه العلامة الأمتل ، الفرضي الحيسوبي الموثق الأحفل.

له تاليف في المحاصّة ورسالة في حساب الكسور توجد منها نسختان مخطوطتان بالخزانة العلمية الصبيحية بسلا محفوظتين تحت نمرة 1061

(453) إتحاف أعلام الناس 3 : 166 و 168 و 169 و 264 و 266 و 305 و 309 و 310 و 312 و 313 و 314 و 318 و 338 و 347 وإتحاف المطالع 1 : 43 والأعلام للزركلي 1 : 260 والإعلام ، بمن حل مُرَاكَشٌ وأغمات من الأعلام 2 : 393 ع 269 والاستكصا 8 : 38 وإيضاح المكنون ص والبستان الطريف ص 398 و 405 و 406 و 420 وتاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان 3 : 326 وتاريخ الأندلس الغربي لبروكلمان 2 : 465 وتاريخ تطوان 2 : 264 وتاريخ الجزائر العام 3 : 235 وتاريخ الدولة السعيدة 2 : 329 وتاريخ الشعر والشعراء بفاس ص 83 وتذكرة المحسنين (مصورٌ مخطوط) ص 153 والترجمان المعرب ، عن دول المشرق والمغرب ص 79 طبع باريس سنة 1886 والترجمانة الكبرى ، في أخبار العالم برأ وبخرا ص 60 طبع الرباط سنة 1991 والجيش العرمرم الخُماسي 1 : 545 و 1 : 145 و 149 (طبعة حجرية) ، وحركة الأندلس في المغرب على عهد السلطان مولاي إسماعيل (أطروحة مرقونة) ص 1128 والحياة الأنبيية في المغرب على عهد النُوَلة العلوية ص 312 ودرّة السلوك (مصور مخطوط) ص 124 ونبول مؤرخ المغرب الأقصى ص 124 و 167 و 174 و 234 و 366 ودعوة الحق (مجلة) ص 13 ع 3 ص 184 والروضه السليمانية (مصور مخطوط) ص 182 - 185 - 186 والمنزغ اللطيف ص 145 والمصادر العربية لتاريخ المغرب 1 : 226 ع 606 و 230 و 231 ومُعجم المطبوعات المغربية ص 259 ومُعجم المؤلفين 1 : 240 و 2 : 185 و 5 : 65 و 8 : 40 والمشرق (مجلة) 41 : 459 والموسوعة 3 : 154 وموسوعة أعلام المغرب 7 : 2412 ومؤرخو الشرفاء ص 233 ونتيجة الاجتهاد (المقدمة) والعدوتان (مجلة) 1 : 8 وفهرس الخزانة العلمية الصبيحية ص 441 وفهرس المخطوطات العربية بالخزانة العامة بالرباط 2 : 234 و سلوة الانفاس 1 : 331 و شرح الشمقمقية لعبد الله كنون وهدية العارفين 1 : 176 ، واليوافيت الثمينة ص 54 .

تُوفِي بفاس ليلة الأربعاء 12 شوال عام 1191 هـ ودُفِنَ قَرَبَ رَوْضَةِ
الشيخ العائدي خارج باب فتوح (454)

(* أحمد بن محمد الطاهري - ظ حَمَدون بن محمد بن حمدون بن
مسعود الطاهري - توفي 1191

(1740) أحمد بن علي ابن عبد الصادق الطرابلسي ، محدث حافظ
من أسرة بني عبد الصادق الشهيرة بطرابلس الغرب ، وأصل أسرته من
قبيلة بني سليم العربية ، من فريق منها يُقال له العيادية والعيادية ، استوطنوا
أولا الخضراء من أرض فزان ثم انتقلوا منه إلى ساحل حامد فاستقروا به
وتناسلوا ونشأ عنهم به خلق كثير ، فلذا يقال في نَسَبِ المترجم العيادي
والحامدي معاً .

أخذ ابن عبد الصادق هذا عن أبيه علي الذي كان من الفقهاء
المشهورين والمؤلفين المذكورين ، وهو عُدته في قراءته ودراسته ، ولما
شبَّ رحل إلى مصر فأخذ بها عن عديد من مشايخ العلم كالشيخ محمد البلدي
والشيخ عبد الرحمان الصنادقي الدمشقي وكلاهما أجازاه ، ولما امتلأ وطأبه
بمصر علماً وفقهاً ولغة وحديثاً عاد إلى طرابلس لينشر بها معارفه ولُيَواجَه
أيضاً العديداً من المشاكل والصعاب .

وصفه محمود مقديش في كتابه (نزهة الأنظار ، في عجائب التواريخ
والأخبار) بالرجل الفاضل الفقيه المحدث النحوي ، ونكر أنه كان عارفاً
بالسير والمغازي وأيام الناس ووقائعهم ، فصيحاً كامل القامة حسن الصورة
والسيرة سريع الحفظ كثير النقل ، ذا مروءة وشهامة .

أما المصاعب التي واجهته بعد عودته إلى وطنه فترجع إلى حسد
الحُساد الذين سعى به بعضهم عند سلطانهم حتى اضطرَّ إلى الفرار منه خوفاً

(454) إتحاف المطالع 1 : 41 والإكليل والتاج (نسخة مرقونة) ص 103 وتذكرة المحسنين
(مصور مخطوط) ص 153 والموسوعة 3 : 103 وفهرس الخزائن العلمية الصبحية ص 491
وسلوة الألفاس 3 : 51

من بطشه والالتجاء إلى فزان الذي أكرم أميره نُزُلَهُ وأحسن مَنَواهُ وجعله مُسْتَشَارَهُ في الأحكام ، إذ صار لا يمضي حكماً إلا عن مشورته ، فما وافق عليه منها أمضاه ، وما رَدَّهُ رَدَّهُ ، وبعدهما أقام عنده مدة وأمين شراً حاسديه عاد إلى طرابلس وتزوَّج وتصدَّى لبثُ العلم وصاحبهُ الشيخ محمد ابو عتور الصفاقسي ، ولكنه لم يلبث طويلاً حتى عاد حاسدوه إلى السعي به ففرَّ هذه المرة إلى جزيرة جربة ، ونزل على الشيخ إبراهيم الجُمَني الذي لم يُقصر في الاعتناء به ، واستشفَّع له لدي سلطان طرابلس في إرسال رُوحه إليه فقبل شفاعته وأرسلها إليه مع جدما ، فقرأ حينئذ قراره بجربة وشرع يُدرس بمسجد الغرباء بعدما جعل له الباشا مرتباً لقاء تدريسه ، فاستقامت حاله ، وابتسمت بعد عيوسها أيامه ، ومن الطلبة الذين أخذوا عنه بها الشيخ محمود مَقْدِيش الذي قال إنه ابتدأ القراءة عليه عام 1167 ووصف حالته في تدريس الفقه بقوله : وكان للشيخ سيدي أحمد قوَّة غَوْص على غوامض الفقه وحل عُدَّة مشكله لقوة حفظه ونقله وتفريغ سره فاستفدنا منه خيراً كثيراً .

على أنه حتى وهو في حال اغترابه عن وطنه وانقطاعه للتدريس وبث العلم لم يسلم من الأذى ، فقد امتحنه أبناء جلود كما امتحنوا الشيخ ابراهيم الجميني نفسه ، ولكنه لم يقدر على الفرار كما فعل المرة الأولى ، والمرة الثانية ، فأشخصوه إلى تونس مُقَيِّداً يعاني حَسْرَاتِ الذَّل والهوان ، فلما وصلها شفَّع له صديقه محمد بوعتور عند السلطان فشَقَّعه فيه ، فاستحضر أهله من جربة واستقرَّ بتونس بعدما اعطاه السلطان مدرسة بئر الحجار التي استجدها وعيَّن له مرتباً يكفيه مؤونة عياله .

من الآخذين عنه الشيخ أحمد بن الصغير المساكني وأجازه كما أجاز مقديش بما أجازه به شيخاه البليدي والصنادقي ، وكانت إجازته للمساكني بالمدرسة الباشية عام 1178 هـ ونص إجازته بإياه مكتوب في 13 ورقة ، كان محفوظاً بمكتبة العلامة المرخوم حسن حُسَيني عبد الوهاب التي ءالت إلى دار الكتب الوطنية بتونس .

توفي عام 1192 هـ (455)

وتقدّمت في هذا الجزء (ص 41 ع 1579) ترجمة أحمد بن عبد الصادق السجلماسي .

(1741) أحمد بن محمد الأساوي التاكموتي ، فقيه محدث من ناحية سوس بالمغرب الأقصى أخذ عن جماعة من فقهاء جهته ، ولازم منهم الشيخ محمد بن أحمد الحضيكي صاحب (الرحلة) و(الطبقات) فأجازّه وأذن له في تعليم العلوم الشرعية ماعدا بعض متونها التي يستعين بها الطلبة على طلب الدنيا .

وكان فقيهاً مدققاً ، وصوفياً مُحققاً ، ومدرساً ماهراً ، ذا عناية بالحديث النبوي وجوامعهِ ومسانده كصحيح الإمام البخاري ، انقطع طول حياته لتدريس العلم برباط تاكومت وزاوية تالت ، فكان الطلبة وأعيان القبائل يفتنون عليه من جهات كثيرة ، منهم من يقصده لطلب العلم ومنهم من يزوره للتبرك ببقائه ، فانفتح به منهم خلق كثير ، كالعالم الصوفي أبي بكر بن أحمد التاكموتي ومحمد بن أحمد من (أفا أزنكاض) ، وكان يعقد لطلبته وزائريه مجالس يامرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحضهم بلغتهم على إحياء السنة وإماتة البدعة وتعليم نسائهم وأولادهم نكوراً وإناتاً كتاب الله والضروري من أحكام الدين .

توفي في آخر جمادى الأخيرة من عام 1193 هـ وقبره ببلده مشهور (456).

(1742) أحمد بن الحاج جمى الله الشنجيطي ، فقيه نحوي لغوي من إقليم شنجيط بصحراء المغرب المسمى اليوم موريتانيا ، أخذ عن شيوخ

(455) أعلام ليبيا ص 42 وديوان المؤلفين الليبيين ص 60 ونزهة الأقطار 2 : 445 وفهرس مخطوطات مكتبة حسن حنفي عبد الوهاب : 449 وشجرة النور الزكية 1 : 351 ع 1398 و367 (في ترجمة أحمد المساكني)

بلده كأحمد بن أحمد الوافي ، وعبد الله بن محمد ابن القاضي ، ومحمد بن مولود ، واعتماده من بينهم على محمد بن أحمد الغلاوي.

ذكر ابنه عبد الله : أنه بلغ الغاية القصوى في النحو والتفسير وعلم القضاء ، ولا يُبَارَى في الأدب ولا في التصوف ، يحفظ (الجامع الصغير) عن ظهر قلب ، ويضربُ به المثل في العقل والفعل واللسان.

له مؤلفات مفيدة عديدة ، منها ميمية في المحمول والموضوع ، وكتاب في تشابه القرآن ، وفوائد من الاتقان ، وكتاب في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونوازل فقهية.

مات في رجب عام 1193 هـ (457)

(1743) أحمد بن مزيان الورجي ، فقيه جزائري يُعرف بنسبته إلى ورجة ، قرية عظيمة بجمال زواوة ذات بساتين تُضرة وعيون جارية ، لقبه الرحالة الحسين بن محمد الورثيلاني ونكره في رحلته المُسمّاة (نزهة الأنظار ، في فضل علم التاريخ والأخبار) ، ووصفه بالشيخ الفاضل والعالم الشهير ، من له اليد العليا في العلوم كلها المنقول منها والمعقول ، وقال إنه خمسن البردة تخميساً جيداً لا يُفَرِّقُ قارئه بين ما هو من نظمه وبين ما هو من نظم الشاعر البوصيري ، وأنه ألف كتاباً في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يوجد له نظير لأنه نكر في تصاريف اللغة وحاز قصب السبق فيها على حدّ تعبيره ، وكان مقصوداً من الناس فلا تراهم إلا حافين به ، ونسب له كرامات.

أخذ عنه الشيخ أحمد بن محمد السعدي وغيره.

توفي بعد عام 1193 هـ (458)

(457) فتح الشكوك ص 57 ع 39

(458) تعريف الخلف ، برجال السلف 2 : 82 ونزهة الأنظار ص 16 - 17 ومعجم أعلام الجزائر

(1744) أحمد بن أبي جيدة الفاسي ، فقيه من أهل فاس ، من الأسرة الفاسية الفهرية الشهيرة ، يعرف بين قومه بالعارف ، ولد بفاس عام 1165 (459) ودرس بها العربية والفقه والأصول والمنطق والحديث والبيان وغيرها من العلوم الدينية واللغوية ، ومن شيوخه الذين ساهموا في تأديبه وتعليمه عمر الفاسي ومحمد بن الحسن بناني ومحمد بن الطيب القادري وعبد القادر ابن شقرون وزين العابدين العراقي الخ الخ

وكان علامة جليلا ، تصدر للتدريس فأقبل عليه الطلبة من كل جانب ، وأحب أهل بلده لاستقامته وبعده عن الدعوى.

توفي بفاس صغير السن عام 1194 هـ ودُفن بزواوية جدّه الشيخ عبد القادر الفاسي الكائنة بمدخل حومة القلّيين (460)

(1745) أحمد بن عمر ابن الوافي المحضري ، فقيه من صحراء شنجيط المغربية التي تُدعى اليوم موريتانيا أخذ عن الشيخ الأمين بن الطالب الحبيب الحرشي وغيره ، انقطع للتعليم ليله ونهاره ، وكان له صبر عظيم عليه وعلى إيضاح فوائده حتى يمل حاضرُه ولا يمل هو ، وانتفع بعلمه طلبة كثيرين ، منهم محمد البرتلي الولاتي وذكره في كتابه (فتح الشكور).

مات ليلة الأحد 30 ذي القعدة عام 1194 هـ (461)

(1746) أحمد بن محمد بن حسن الشرفي الصفاقسي ، فقيه كبير من بيت بني الشرفي المعروفين في صفاقس بالعلم والأدب والمروءة ، ولد بها عام 1100 وأخذ عن قريبه الشيخ محمد بن المؤدب الشرفي وهو عمده ، وكان فقيهاً حاذقاً ماهراً ، تمكن من علوم الدين وفاق أهل زمانه في الفتاوي والأحكام والتوثيق والفرائض والحساب ، لا يُفتي إلا بمشهور

(459) انفراد المرحوم عبد السلام الفاسي بجعل ولادته عام 1150

(460) إتحاف المطالع 1 : 50 وعناية أولى المجد ص 66 وسلوة الأتفاس 1 : 324 وشجرة النور الزكية 1 : 358 ع 1429 والنبواقيت الثمينة 1 : 54

المذهب ، وسارث فتاويه وتوثيقاته في بلاد إفريقية فاعتمدها الناس وقيلوها
وسلموا كلامه حتى في العاديات لبعد نظره وصحة فكره ، فكان عمدتهم في
أمر دينهم وديارهم.

وجرت عليه المحنة لما ثارت الفتنة بين الباشا علي الأول وعمه الباي
حسين بن علي ، فأشخص مثل بقية الفقهاء إلى تونس ، فأقام بها مدة اشتهر
خلالها فضله و تبينت براءته من كل سوء ، فأذن له الباشا علي بالرجوع
إلى بلده ، وأبقاه على ما كان عليه من الفتوى.

ولتلميذه الشاعر الفحل علي بن محمد الغراب الصفاقسي قصيدة فائقة
طويلة في مدحه مطلعها :

طيب النسيم على رسم الديار قف وحيها من محبب وامق دنف
تنظر في ديوانه.

توفي في رمضان عام 1195 هـ (462)

(1747) أحمد بن محمد الظريفي الكوشتي ، من علماء إقليم سوس
وفقائه ، أخذ عن محمد بن يحيى الشبلي وغيره ، وكان عالماً بالنحو واللغة
والحساب والفقه والحديث ، حاضر البديهة سريع الجواب ، فصيح اللسان
حسن الخلق والخلق ، معظماً عند الخاصة والعامة ، يقصده الناس للشفاعات
فلا ترد له شفاعته .

مات بمسجد إقرائه بعد صلاة عشاء يوم الخميس 30 شوال عام
1195 هـ بعد ما عمّر أزيد من مئة سنة (463) .

(462) ديوان علي الغراب الصفاقسي ص 164 ونزهة الأقطار 2 : 394 وشجرة النور الزكية
1389 ع 349

(463) رجالات العلم بسوس ص 62 وطبقات الخصنيكي ص..... ومعتمة المغرب 7 : 2146

(1748) أحمد بن أحمد العرائشي التسماني ، فقيه مغربي أصله من قبيلة تَمَسْمَان الساكنة بإقليم الناظور على ساحل البحر المتوسط ، كان ذا عناية بأمر الجهاد والتسلح للدفاع عن البلاد ، له أرجوزة في نحو ثلاثمئة بيت سماها (روض الجهاد الفائق) ، لمن أراد الغزو بالصواعق) تكلم فيها على كيفية صنع القنابل الكروية حسب الأساليب المحلية ، وكيفية تعمير المدافع والمهاريس بالبارود وقذف العدو به ، توجَدُ منها نسخٌ مخطوطةٌ بالخزانة العامة بالرباط (د 1/1342) والخزانة الحسنية بالرباط (2/490) و (1942) والخزانة الأحمديّة السويديّة بفاس .

لم أقف علي تاريخ وفاته ، وكان حياً عام 1195 هـ وهو العام الذي نظم فيه الأرجوزة المذكورة (464) .

(1749) أحمد بن الطيب الوزاني الحسني (465) أحد أقطاب الزاوية الصوفية بوزان (466) ، خلف والدَه (مولاي) الطيب في مشيخته الطريقة وإدارة الزاوية عام 1181 هـ .

مات بوزان يوم السبت 18 صفر عام 1196 هـ (467)

(464) نليل مؤرخ المغرب الأقصى ص 401 والمصادر العربية لتاريخ المغرب 2 : 73 ع 841 والموسوعة 3 : 89 .

(465) فيما يلي مُشجر نسب المترجم : أحمد بن الطيب بن محمد بن (مولاي) عبد الله الشريف بن إبراهيم بن موسى بن الحسن بن موسى بن إبراهيم بن عمر بن أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن يملح بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن مزوار بن حيدرة بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المُثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) .

(466) وزان مدينة بإقليم سيدي قاسم مبنية فوق ربوة على ارتفاع 325 م وسط قبائل مصمودة ورهونة ، تبعد 150 كلم عن فاس و 200 كلم عن طنجة ، أسسها مولاي عبد الله الشريف عام 1089 هـ واشتهرت بغابات الزيتون المحيطة بها ، ويصناعتها اليدوية ، وجامعها الكبير الذي تضم خزائنه مجموعة كبيرة من المخطوطات النفيسة ، كان عددها يتجاوز 3500 مخطوط .

(467) [تحاف المطالع 1 : 53 والاستقصا 7 : 107 و 8 : 85 وتحفة الإخوان ، ببعض مناقب شرفاء وزان ص 156 والدرر البهية 2 : 87 ونشر المثاني 4 : 266 وسلوة الأتفاس 1 : 104 وشجرة النور الزكية 1 : 355 .

وهذا الرجل ليس على شرطني في هذا الكتاب ، وإنما تَكَرَّتْ اسْمُهُ مختصراً لأنه يرد في سلسلة أسماء شيوخ الطريقة الوزانية التي لعبت أدواراً روحية وسياسية في أقطار المغرب العربي .

(1750) أحمد بن علي بن جميل الجزولي السوسي ، فقيه من إقليم سوس بالمغرب الأقصى ، ينتسب لجعفر الطيار ابن عم رسول الله (ص) فلذا يقال في نسبه الجعفري ، ولد بسوس وأخذ العلم عن علماء بلده ، ثم رحل عام 1182 إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، فمرَّ بمصر في طريقه ، وبعد ما حج عاد إليها لاستكمال دراسته ، فأخذ عن الشيخ حسن بن إبراهيم الجبرتي كثيراً من الرياضيات وكان يُشاركه في الأخذ عنه والتلمذ عليه ولده المؤرخ عبد الرحمان بن حسن الجبرتي صاحب (عجائب الآثار) والشيخ سالم القيرواني ومحمد وأبو بكر ابنا الشيخ التاودي ابن سودة حين وردا مع أبيهما في تلك السنة للحج .

ثم تأقت نفس المترجم لطلب الشهادة ، فذهب إلى بلاد الروم مجاهداً وتعلم اللغة التركية ، وخلال الحروب التي خاضها أصيب بجراحات في بدنه وعولج حتى برىء ، ثم عاد إلى مصر عام 1191 بقصد استيظانها ، فنزَّجَ بها وأقام بها مُقبلاً على العلم مُكبأً على مطالعة كتبه ، لاسيما كتب الشيخ محيي الدين ابن عربي وكتب الشعراني .

وكان يغلب عليه الزهد والصلاح والاعراض عن متاع الدنيا رغم إقبالها عليه ، جاداً في إخفاء حاله عن الناس .

أخبر الشيخ محمد بن عبد السلام ابن ناصر الدرعي أنه لَقِيَهُ قَبْلَ موته ببومين ، فسأله عن حاله ، فقال يا فلان : إني احببتُ لقاء الله تعالى .

توفي بالقاهرة يوم الخميس 3 ربيع الأول عام 1197 هـ ودُفِنَ بالقرافة (468).

(468) عجائب الآثار 1 : 571 ونقله بالحرف السيد حسن الصادقي في رسالته المعنونة بـ (تراجم مغربية دفينّة في القصر الوسيط والحديث) 2 : 398 .

1751) أحمد بن عمر الفاسي الفهري ، من فقهاء الأسرة الفاسية الفهرية وأدبائها ، ولد بفاس ، ونشأ في حجر أبيه الشيخ العلامة الشهير عمر بن عبد الله الفاسي وتحت رعايته ، وبعد ما أتم حفظ القرآن وأحكمه رسماً وضبطاً شرع في دراسة العلم ، فأخذه عن علماء كثيرين كان ثلاثة منهم عمدته فيه ، وهم الفقيه محمد الهواري ، وعبد الرحمان حسين ، وعبد القادر ابن شقرون ، وكان يحضر وإياهم مجالس أبيه الشيخ عمر ، وما زال يقطعُ اشواطاً في الإدراك والتحصيل حتى أصبح في طليعة مَنْ يُشار إليهم من العلماء بالبنان نحواً وبياناً ومنطقاً وكلاماً وفقهاً وحديثاً ، مع ملكة واسعة في قرض الشعر وإنشاء الرسائل .

ولما توفي والده جلس للتدريس بعده في كرسيه بجامع القرويين ، (طالماً في سماء الإجابة كالللال يُزجا كمال بدره) ، ولكن السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي لما سمع بعلو كعبه وطول باعه في العلم والأدب استخلصه لخدمته كالوزير وجعله من خاصة جلسائه ، فلم يُبق له الخدمه مع السلطان وقتاً لتدريس العلم ، وكان يُرافق السلطان في حله وترحاله إلى أن عجل الموت عليه قبل أوانه وهو في صحبته حين كان في رحلته الفيلاية.

ذكره سليمان الحوات في كتابه (ثمره أنسي) حينما تعرض لتتلمذه على أبيه الشيخ عمر ، فقال : (لازمته مُختصاً به صحبة ولده الأنجب ، الفاضل الأجل الأحسب ، الفقيه المدرس أبي العباس سيدي احمد).

توفي بفيلاية في شهر شعبان عام 1197 هـ ودفن هناك بزاوية الشيخ يوسف بن عمر (469).

(1752) أحمد البرانسي الثعالبي ، والبرانسي حرفة لا نسب ، لعل واحداً من سلفه كان ينسج البرانس أو يخيطنها فجرث عليه النسبة إلى حرفته ، وإلا فالمترجم يذكر أنه سليل الشيخ عبد الرحمان الثعالبي دفين الجزائر ، والثعالبة يزعمون أنهم جعفريون من ذرية جعفر الطيار ابن عم رسول الله (ص) ويدعون بسبب ذلك الشرف .

كان المترجم من العلماء الراسخين المتبحرين في المعقول والمنقول ، جاداً في طلب المراتب العليا حتى صار رئيساً للمفتين ، ذا عفة وديانة وأقدام على تغيير المنكر .

وهذا الرجل جعله الفقيه الحسن الحجوي في (الفكر السامي) من أعلام المفتين في المذهب المالكي بالقطر الجزائري (470) ، ويخيل لي أنه جزائري بنسبه في ثعالبية الجزائر فقط أو بمولده بها فقط ، وإلا فالنصوص التاريخية تدل على أنه عاش في تونس وشارك بها في النشاط العلمي والسياسي ، وأنه لم يكن مفتياً للمالكية بل للحنفية ، فقد ذكره تلميذه محمد بيرم الثاني شيخ الاسلام بتونس في شرح نظمه للمفتين بتونس على المذهب الحنفي عند ما ترجم لنفسه .

وذكره أحمد ابن أبي الضياف في كتابه (إتحاف أهل الزمان) عند ما تعرض لذكر الوباء الكبير الذي وقع في تونس في أول عهد الباي حمودة باشا الحسيني فقال إن الباشا المنكور أمر عند ظهور الوباء بحرق ثياب الموتى وفرش بيوتهم وغلقها ، فضج الناس من حرق الثياب والباي مجتهد في ذلك ، (فكلمه الشيخ المفتي العالم ، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ، أبو العباس أحمد البرانسي والعلماء بأن لا يجمع على الناس مصيبتني النفس والمال ، والواجب الاستسلام لقضاء الله وقدره ، ومن ورثة هاؤلاء الأموات أيتام وأرامل ، وإن رايت ذلك من الطب فلورثة الموتى أن يطلبوا ثمن ما حرق لهم) (471) كما ذكر صاحب (اليواقيت الثمينة) أنه استقى ترجمة

(470) الفكر السامي 2 : 292

(471) إتحاف أهل الزمان 3 : 21

المترجم من الشيخ عمر الرياحي التونسي ، وكل ذلك يُرجح أن الرجل عاش في تونس وأنه حنفي المذهب .

مات عام 1197 هـ (472).

(1753) أحمد (حدو) بن محمد البكري الدلائي ، أحد متأخري فقهاء الأسرة الدلائية العلمية النبوية وقضاةها ، ولد بفاس وأخذ بها عن أبيه وعن عمه الحارثي بن محمد بن الشاذلي وغيرهما من علماء العصر وشيوخ الوقت ، وكان غاية في الحفظ والاتقان ، ضرب بسهم مُصيب فيما كان عليه السلف من اختيار الكلام ، والخبرة بالنثر والنظام ، ذا معرفة بالحديث والفقهِ والحساب والآداب والمنطق والتاريخ ، حافظاً لأيام العرب ووقائعها وحكمها وأمثالها .

تصدّر للتدريس وتعاطى الشهادة بسماط العدول بفاس قبل أن يتولى قضاءها مدة ، ثم استدعاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله لإقراء ولده الأمير (مولاي) عبد السلام برودانة وولاه القضاء بها ، فخطب بجامعها الكبير ودرس به وانتفع به كثير من الناس ، وما زال على ذلك إلى أن أدرّكه أجله .

توفي برودانة عام 1198 هـ ودُفِنَ بضريح سيدي وسيدي أحد صالحها المشهورين (473).

(1754) أحمد العصفوري فقيه أديب من أهل تونس ، وأصل سلفه من الأندلس ، وتُنسبُ أسرته إلى علي بن مومن ابن عصفور إمام النحو في وقته .

(472) إتحاف أهل الزمان 3 : 21 والفكر السامي 2 : 292 والبواقيث الثمينة 1 : 55 .

(473) إتحاف المطالع 1 : 57 والبدور الضاوية (نسخة مرقونة) ص 858 ونزهة الأخيار المرُضيين ، في مناقب الدلايين البكريين (مصور مخطوط) ص 24 وقضاة فاس 2 : 269 .

ولد بتونس ، ونشأ في بيت علم ومجد وأدب ، وأقبل من صغره على طلب العلم بجامع الزيتونة وملازمة من كان يُدرّسُ به من كبار العلماء وجهابذة الأدياء ، كالشيخ الشهير محمد بن علي الغرياني الطرابلسي ، وما زال يترقى في سلّم المعرفة والإدراك حتى صارَ واحداً من أفاضل الرجال الذين تتجه اليهم الأنظار ، ويحظون بالتقدير والاعتبار .

وكان فقيهاً مُحققاً وأديباً نابغاً برعَ في علوم الدين براعته في فنون الأدب ، فاستفادَ منه طلابُهما ، وليَ مشيخةَ المدرسة العصفورية بسوق العطارين وتُعرف أيضاً بالحكيمية ، وهي التي تحوّلت فيما بعدُ إلى المدرسة الخلدونية ، وطالَت مدتهُ ومدةُ من تداولَ مشيختها من أسرته .

له مؤلفات منها :

1 - تعطير نفحات نسيم الغياض ، في تحرير طالعة نسيم الرياض ، شرحٌ به ديباجة (نسيم الرياض ، في شرح شفا القاضي عياض) تأليف شهاب الدين الخفاجي ، يوجدُ بعضه بخطِ يده في المكتبة الوطنية بتونس .

2 - والفوائد العصفورية ، على العقيدة النورية ، وهي شرحٌ لعقيدة الشيخ علي النوري الصفاقسي أتمها عام 1169

وله شعرٌ كثير ، منه قوله يُهنئُ الباشا علي باي بن حسين باي لما أنشأ بحلق الوادي سفناً جهاديةً رُميت في البحر في شهر ربيع الأول عام 1178 :

سَفِينٌ نَجَاوُ أَنْرَكَتْ مَا تَرُومُهُ وَسَلَّ بِهَا بَخْرٌ بِهِ مَاتَ رُومُهُ وَأَيْدَاهَا نَصْرٌ لَهُ تَسْتَدِيمُهُ وَتَرْجَعُ بِالغَنَمِ الْمُفَلِّ (474) خُصُومُهُ إِلَى تُونِسِ وَالسَّبْيِ شَدَّتْ كُلُّومُهُ حَمَاءٌ وَتَفَعَّأَ لِلأَمِيرِ عُمُومُهُ مِنْ أَرْتَسَمَتْ فِي المَكْرَمَاتِ رُسُومُهُ	وَسَلَّ بِهَا بَخْرٌ بِهِ مَاتَ رُومُهُ وَسَلَّ بِهَا بَخْرٌ بِهِ مَاتَ رُومُهُ وَسَلَّ بِهَا بَخْرٌ بِهِ مَاتَ رُومُهُ وَسَلَّ بِهَا بَخْرٌ بِهِ مَاتَ رُومُهُ وَسَلَّ بِهَا بَخْرٌ بِهِ مَاتَ رُومُهُ وَسَلَّ بِهَا بَخْرٌ بِهِ مَاتَ رُومُهُ وَسَلَّ بِهَا بَخْرٌ بِهِ مَاتَ رُومُهُ وَسَلَّ بِهَا بَخْرٌ بِهِ مَاتَ رُومُهُ
--	--

إلى الفلك الأعلى السني نجومه
تبيد ليالي الدهر ، وهي تدومه
وصار حميداً بالسداد نيمه
وميناه ، حتى يستقيم سقيمه
تدبره عارؤه ورؤومه
فيرضى به من حنكته علومه
وإن كثرت في الفكر فيه هومه
فيوقعه تنزاح عنه حسومه
ويتعشهم بشر له ونسيمه
فما قال مراتب ذهني سمومه
وأنهم عدل له وحلومه
يهول له وسواسه وغوممه
وقد صد عنو العاديات رجومه
فلم يلف ذو نقد له ما يلومه
فما سامها منه الردى وهجومه
ولو علمت أضعاف ما قد ترومه
ولم يلق بخساً في الذي قد يسومه
يغالي بأمداح لها لا ألومه
كئيباً إذا لم يمدح من أشيمه
وعطره المدح الذي لا يريمه
فلازمه ، لا زال عنه لزومه
ومن نال مجداً فالمدح خديمه
لزوم نديم يضطفيه نديمه
يشاهد من إفضاله ما يديمه
تلوح صفات ، والبيان خصيمه
قلائد نر بالشذور نظيمه
كشوق الذي يصبو إليه حميمه
ومن لم ير التكرار فهي غريمه

سليل حسين الباي من نال همة
مقلد أعناق الرجال أيابياً
رأى خلل البر استقام برأيه
فعاد بلخط الرأي ينظر بحره
وأنشأ أسطولا تنوع شكله
يسير بما يديه صاحب رأيه
ولا يزعوي عنه المهديس نو الحجا
يرى منتهى الأمر الذي رام فعله
يتابع برا بره أهل وده
ويغضي حياء عند سقطه زاهي
ويمة التجار من كل بلدة
وساعد بالأموال من كان خائفاً
رئيس يعيد الناس من شدة الأذى
سياسته تقضي بكل فعليه
سفائن مينات البلاد لأمنها
تركن لمرسى تونس كل نجعة
يحط بها أحماله كل سافن
لذا كثرت فيها التفاريق : من عدا
ومن يمدح أملاك دهره تلقه
فسوق امتداح الباي للناس نافق
رأى المجد من كل الجهات ثوى به
وأصبح مخدوماً بأمداح السن
يلازمه في صخبة المجد ثاوباً
يزيد غراماً حبه في حشا الذي
مضى رام تقصيراً مريد مديحه
فأخرج من أفكاره نرر حكمت
تشوق له الأسماع والذفن ، والحشا
وترتاح للتكرار كالمحتسى طلاً

أَمِيرًا رَسَا فِي الصَّالِحَاتِ صَمِيمُهُ
وَتَسْلِيمُ ذِي الْعَرْشِ الْمَجِيدِ غِيَوْمُهُ

تَنَازَعُهُ حُبًّا لِذِكْرِ مَلِيكِيهَا
عَلَيْهِ مِنَ النَّصْرِ الْمُفَاضِ عَبَابُهُ

ومنه قصيدة في مدح الباي المنكور ضمنها بيت نصيب :

ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب !

فعاجروا فاثنوا بالذي أنت أهله

والقصيدة هي :

أَيَادِيكَ لِلْعَافِينَ سُخْبٌ سَوَاكِبُ
وَفَهْمُكَ فِي حَلِّ الْعَوِيصَاتِ تَأَقِبُ
سَلِيلُ حُسَيْنِ الْبَايِ ، فِيكَ الْعَجَائِبُ
لِغَيْرِكَ ، حَتَّى جَانِبَتِكَ الْمَعَائِبُ
فَتَقْضِي وَتَخْشَى مِنْ ذَهَابِ الْكِتَابِ
مُحِبُّ نِكَاءٍ مِنْكَ فَهُوَ مُصَاحِبُ
أَرَانَا الضَّحَى وَانْزَاحَ عَنَّا الْغِيَابِ

أما عابته من كلفة فيه عائب ؟
بناديه مما يرتضى ويناسب
وأفعاله كالراح فيها غرائب
وتفرح ذا شجو ، لها السمع شارب
فعودي فيها ما حبيت رغائب
إذا ما تجليها الكؤوس السواكب ؟
فجاء بسحر وهو للعقل سالب
ملك قواف أعجزته المناقب
ولكن لتقوى الله ، والله حاجب
فلم تستطع دفعا له فهو جائب
فينعم الحفيظ الله جل المراب
ويُنْفِيكَ مَا لَاحَتْ بِلَيْلِ كَوَاكِبُ
فَتَاهَتْ عَلْوًا مِنْ عَلَاكِ الْمَرَاتِبُ
فَحَكَمْتَ فِيهَا الْجُودَ ، وَاللَّهُ وَاهِبُ

مَعَالِيكَ جَلَّتْ مَا حَوَى الْحَصْرَ حَاسِبُ ،
وَرَأَيْكَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُوَفَّقُ ،
فَيَا أَيُّهَا الْمَوْلَى عَلَيَّ بِأَشَةِ الرَّضَا
جَمَعْتَ خِصَالَ الْمَجْدِ لَمْ تَبْقَ سُؤْدَا
وَصَاحِبَكَ الْجَلْمَ الْعَزِيزُ مَعَ الْعَلَا
وَوَافَاكَ عِلْمٌ إِذْ طَلَبْتَ كَأَنَّهُ
مُحَيَّاكَ إِذْ يَبْدُو بِغَيْهَبِ حُنْدِسِ

يزيد على بدر الدجى عند ثمه :
يسامر في الأسحار قبل وراء
بمعسول الفاظ أراها كسكر
فتسكر ذا صحو ، وتنعش ساكرا
بها المنيت يحيى خالدا عند بنها
فما ذا المدام القرفف الراح والطلا
لها كل معنى نصد الذوق نره
متى رام في نظم له حصر منجه
فيا أحلم الأملاك من غير نلة
ووافاك حتى صار فيك سجية
وأيقنت أن الله أولاك حفظه
وقيت الردى ، والله يصحبك الهدى
تدير ملكا قد أتاك وراثه
ودامت لك الدنيا دواما مؤبدا

فَقَادَتْ إِلَيْكَ الْيَعْمَلَاتِ خَفِيفَةً عَفَاةَ الْجَدَى ، وَالْيَعْمَلَاتُ نَجَائِبُ
فَأَنْقَلَبَتْهَا مِنْ أَنْعَمٍ فِي حَقَائِبِ فَسَارَتْ بِهِمْ سَيْرًا خَطَاهَا تَقَارِبُ
(فَعَاجِبُوا فَأَنْتُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ) !

تُوفِّيَ بِنُونِسَ عَامَ 1199 هـ (475) .

1755) أحمد بن علال الشرايبي المراكشي ، شاعر زجال من أهل مراكش ، كان يحترف صنعة الشراييل (476) فعرف بالنسبة إليها كما دعي أيضاً بالمراكشي ، أخذ عن الشيخ أحمد السوسي وصحبه في رحلته المشرقية لأداء فريضة الحج ، زاره الشيخ التاودي ابن سودة في داره بحومة القصور من مراكش ونكره في فهرسته عند تعرضه لذكر من لقيه من صالحى المغرب واطلع على ديوان له جمعت فيه أزجاله الملحونة ما بين توستلات ومقامات ، نحو ما للساحلي في (منازل السائرين ، وأدعية وأحوال الصالحين) .

وكانت العامة منقسمة في شأنه ، فمنهم من كان ينسب له كرامات ، ومنهم من كان يقول فيه كثيراً خصوصاً قبل موته ، والظاهر أن الذين كانوا ينكرون عليه إنما حملهم على ذلك تأثير الفن الموسيقي عليه ، فقد كان الرجل رقيق الحاشية يهيج لسماع الألحان الجارية على مقتضى الطبوع من الاستهلال والزيدان ، ويضرب في الآلات الموسيقية ، ويرقص طرباً بتوارد الحالات ، ويتكلم بالگراميات الملحونة ، حتى يظهر من هواه مكنونه ، ثم يتخلص بعد ذلك لمدح رسول الله (ص) ، ومثل هذه الحالات ، من عزف ورقص وتغزل وتشبيب ، لم تكن ليستسيغها نوو العقول الجامدة المتحجرة في تلك الوقت الحالكة المظلم وإن صلتى صاحبها وصام وحج وكان من أهل المروءة والخلق القويم .

(475) تراجم المؤلفين التونسيين 3 : 397 ع 365 ونزهة الأقطار 2 : 359 والكتاب الباشي 151 و 180 و 199 ومسامرات الظريف ص 57 ومشاهير التونسيين ص 106 وعنوان الأريب 558 ع 245 .

(476) الشراييل جمع شراييل نوع مطرز رفيع من أحنية النساء .

ونورد فيما يلي زجلاً من أزجاله ، أو «حُلة» من حُلَّه تَظَمَّها في مَدْح
نبي الهدى والرحمة سيدنا محمد الهادي الأمين ، وقد بذلنا الجهد في تنقيف
قناتها ، لأنها عامية اللغة وعانت فيها أيدي النُساخ تحريفاً وتصحيفاً :

باسم الرحمان الرحيم حُلًّا نبداها ف سلوك الذهبان والجواهر تشرق بجمالو
والدُرّ الوهاج

ف مدح المختار راحة روجي ومنها ديني ومذهبي ملتي خالص نهديتها لو
من داخل المهاج

صلّى الله عليه ما نشرث الشمس ضياها وما انفسق الليل وانفجا بعد الفجر كحالو
وكواكب الابراج

عين الرّحما كامل الشان زهو ونزاها ونعيم سلوان صار محو للقلب شغالو
غاية كل علاج

عين الحق والحقائق رفع غطاها وتوضحت مسالك الشريعا من فضل كمالو
وسبل المنهاج

ونصر دين الله لأمتو ونشرت سناها ونفا نهج الشرك ف الغياهب خافض لضلالو
والدين المعواج

يارسول الله صرختك ديما نرجاها ما تخفي عليك حالتني وراقني ف الغصن نبالو
بادر بالفراج

يا عين الوجود الشفاعا ليك غطاها رب راني باقي غزلي زايد تخبالو
وانا ليك نراج

صَلَّى اللّهُ عَلَيْكَ مَا تَنْصَبُ امْطَارًا بِمَيَاهَا وَمَا دَعَا دَاعِي وَصَاحَ بِحُسْنِ اسْتِهْلَالِهِ
وَفَرَاتِنِ الْأَمْوَاجِ

حَرَمَةٌ لَيْلًا اسْرَى بِبَيْكَ رَبِّي لِلْمُنْتَهَى وَاجْتَبَاكَ وَقَرَبِكَ وَنَبِيْتُ لِحُجُبِ جَلَالِهِ
وَرَفَعَ لِيكَ ذِرَاجَ

اجْتَنِبْنِي لَوْطًا وَطَائِكُمْ غَرَضِي بُوْطَاهَا وَتَمْرُغٌ وَجْهِي عَلَى الثَّرَا وَالْمَقْصُودُ نِتَالِهِ
وَنَمُوعِي مُوَاجِ

فَ بَابِ الرَّحْمَا مَعَ السَّلَامِ شَرِيًّا تُسْعَاهَا مَا بَيْنَ الصَّفِّينِ تَنْطَرِبُ حِينَ نُرُومُ وَصَالِهِ
تَذْهَبُ كُلَّ اخْرَاجِ

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الرَّسُولِ صَلَاةً تَرْضَاهَا وَعَلَى ءَالِهِ مَعَ الصَّحَابِ دِيمَ تَتْلَاهُ لَوْ
وَعَلَى الْأَرْوَاجِ

هَازِي حُلًّا مُنَوَّعًا فَاقْتِ بَيْبَاهَا فَ نَشِيدُ الْمَغْرُومِ بِالنَّبِيِّ رَبِّ تَقَبَّلْهَا لَوْ
فَ بِابِكَ مَحْوَاجِ

يَا خَالِقُ الْأَرْوَاحِ رُوحِي بِالْعَفْوِ مِنْكَ تَلْقَاهَا فَ يَوْمَ مَا يَلْقَاكَ لَا تَخَيَّبَ رَغْبَتُو وَأَمَالُو
وَاجْعَلْ لِي مَخْرَاجِ

يَا نِعَمَ الْمُجِيبِ صَرَخْتِكَ مَا لِي سِوَاهَا فَ جَوَازِ الصِّرَاطِ وَالْفَيْزِ وَالْمَخْشَرِ وَأَهْوَالِهِ
وَقِيَامِ الْحِجَاكِ

صَلَّى اللّهُ عَلَى الْهَاشِمِيِّ الْمَمَجَّدِ طَاهَا مَنْ لَا خَلْقَ لِلّهِ فَ السَّمَاءِ وَلَا فِ الْأَرْضِ بِحَالِهِ
مُحَمَّدُ مَوْلَى النَّجَاحِ

مات بمراكش عام 1200 هـ وحضر جنازته خلقٌ كثير ، وله مقامٌ بقعر الدرب المُسمَّى به بحومة القصور بُني عليه بيتٌ هناك عن يسار الداخل يُعمل له فيه موسمٌ في الليلة الأولى من كلِّ شهر رجب ، تُنشدُ خلالها أزجاله في مدح الرسول الكريم (477).

(1756) أحمدُ بنُ الرضي ابن عثمان المكناسي ، عالمٌ مُحدث أديب من أهل مكناس ، أخذ بفاس عن جلة العلماء وعلية الفقهاء مثل التاودي ابن سودة ومحمد بن الحسن بناني وعمر الفاسي ، وزاملهم في الأخذ عنهم المؤرخ أبو القاسم الزياني والشاعر أحمد ابن الونان الملوكي والسفير أحمد بن المهدي الغزال وقد سلفت تراجمهم جميعاً .

وكان كاتباً بليغاً وشاعراً مُفلقاً ومُحدثاً مُتمكناً وفقياً مُحققاً ، نعتَه سليمان الحوات بالشاعر المفلق والأديب البليغ ، وحلاه عبد الرحمان ابن زيدان العلوي بنايعة زمانه العلامة المشارك المحدث النقاد ، الفصيح البليغ، صاحب الملكة والافتدار نظماً ونثراً .

ولما بلغ السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي خبر تَفوقِهِ وتَبوعِهِ استنكَبَهُ في ديوانه وأحظاه ، فكان يُحضره في مجالسه الحديثية ويستدعيه مع نخبة من كتابه للمشاركة في نُزْهِهِ وفَرَجِهِ ، ونقله مع جماعة من العلماء المحدثين إلى مراكش لتدريس العلم بمساجدها ، وبنَّه في صدور أهلها ، وكان يُعَدُّ عليه من أفضاله ، ويُسدلُّ عليه أريّة التوقير والاحترام .

من شِعْره قوله يمدحُ مخدومَه السلطان سيدي محمد بن عبد الله :

غرامٌ لا يُحيطُ به بيانٌ وشوقٌ ليسَ يشرحُه لسانٌ
وقلبٌ لا يُزايِلُه اضطرابٌ عظيمٌ ، كيف يُمسكُه العنانُ
لحى الله المُتَمِّمَ لا يُيالي بما يلقي وإن عظمَ الهوانُ

(477) إتخاف المطالع 1 : 62 والإغلام ، بمن حل مراكش وأغماث من الأعلام 2 : 398 والروضة المقصودة ، في مآثر بني سودة 2 : 535 وفهرسة الشيخ التاودي ابن سودة (مصور مخطوط) ص 57 والسعادة الأبدية ص 144 .

عليها الحصرُ يقصرُ والبيانُ
به البطلُ المسوّدُ والجبانُ
سنا الملكِ المؤيّدُ ما استكانوا
مناطقها لخدمته الحسانُ
سبيلا فيه رُشدُهُم استبانوا
له ، وبذا لعمرُك ما تُهانُ
وإن غربتُ كما شهدَ العيانُ

أطارحه الهوى ءاثارُ قوم
تعرّوا مسلّكاً صعباً تساوى
ولكن لو لناظرهم تبدى
ملكٌ في بساطِ الحسنِ شدّت
بطاعته فضوا لما رأوها
وقبلهم رأينا الشمسَ تعنو
تقبّلُ أخصّيه لدى شروق

* * *

إذا سدّدت أسهُمَا أمانُ ؟
بصارمها يُحدّده سِنانُ
طريحاً لا يطاوعه بنانُ
وثغرُك ما تنظّم أم جمانُ
لبارق مَبسميكِ به اقترانُ
لمكرٍ لا تُماكره القيانُ
بضوءٍ من ثناياه يُعانُ
لسارغٍ بالسجودِ إليه بانُ
تنزّه أن يُكَيّفه لسانُ
على الدنيا تجودُ بك الجفانُ
بقرّب منك يُسعّدني الزمانُ
وغصنُ الوصلِ توجّه افتتانُ
وبعدك ما به قَمري يُزانُ
بنور سناك عن عيني رانُ
عليه : كما يدينُ فتي يدانُ
أسايرُهُم بذاتي حيثُ كانوا
ولا أشكو إذا نابَ امتحانُ
عسى أن لا يبينَ له عيانُ
على حملِ القرامِ به أعانُ

بديع الحسنِ من لحظّيك هل لي
أعارثُ أعيناً حوراً وثارثُ
فكم مثلي صريعُ هوى لديها
أخذك ما أرى أم غضُ وريو
كأن سناه بالآجالِ يقضي
تعالى الله حتّى البرقُ يهدي
يؤمّل أن يُخادعه عسى أن
ولو أبدى قوامك بعضُ لينِ
بلى ، في كلِّ عضوٍ منك معنى
وما ظنّي - وبعضُ الظنِّ إنم -
متى يامنُ أنالَ البدرِ حسناً
رعاك الله من زمنِ تقضى
بربع كنتُ ءالفه رياضاً
فلا صجبتُ رياحَ اليمنِ ركباً
أما علموا بأنّ الدهرَ حقُّ
مطايا الشوقِ أتبعُهُم كأني
لمن أشكو ضنّي يعنادُ جسّمي
فكم أودعته صدرأ فسيحاً
قسمتُ العمرَ أجزاءً لعلي

أَرْجِي الوصلَ أحياناً وحيناً
ولو أهل الصليب رأوه يوماً
أشخصه فيعروني افتتاناً
على قدرِ بدين هُدها دانوا !
ومنه مخاطباً كبيرَ وزراء السلطان على لسان من لا يصلُ لحاجته
منه إلا بواسطته ، وقد بلغ به الاحتياجُ الغاية ، والإملاقُ فوقَ النهاية :

عمادَ الملك ما أعلا منارك
بك القلمُ استطالَ على رماح
وما أجرى من الجنوى بحارك
فلا لسنٍ يشقُّ له غبارك
وصرتَ من المكارم في مقام
فكم طوقتَ من نُرِّ الأمانى
مخانقَ عاطلِ أضْحَى جوارك
وأودتَ في نوائبها تدارك
هلمَّ معظما يا بنَ المبارك
فلا زالتَ تخاطبك المعالى

وقوله :

وأشنبَ أبدي الحُسنُ فيه بدائعاً
ترى العودَ إن جسَّته منه أناملُ
أزهرها تُجلا على عُصنِ القدِّ
كغيداءٍ قد تاهتَ فرئتُ من الوجدِ
أراك حُلولَ الرُوحِ في الحَجَرِ الصلِّدِ
به بينَ أربابِ النُهي وريثَ زندي
فديتكِ بدرأ في سِما الحُسنِ كاملاً

وقوله :

شعرَ نظامك أم رياضُ الآس
فكأنما ألقاظه نشرُ الصِّبا
متهذبِ الأخلاقِ والأنفاسِ
أم كالمدامة طرسُه كالكَاسِ
عن ثغره مُتبسِّماً للناسِ
طوداً على مَنِّ المكارمِ راسي
لا زلتَ موفورَ المجادة والسِّنا

وقوله مخاطباً بعضَ الأدياء وهو مريض :

أحببتنا حتى الحروفُ تحرَّفتْ
فأصبحَ معمورُ الرسائلِ منكمُ
وحتى يراعُ السُّلمُ قد حاربَ الجبرا
مهامة لا تنفكُ موحشةً قفراً
كأنَّا جنينا الودَّ في دينكم وزراً
وعدبتمونا بالجفا دونَ زلةٍ

تُوُفِّيَ عام 1200 هـ وجدتُ ذلك في جُذَانِيهِ مِنْ مَجْدَّتِي ، ولا
أَسْتَحْضِرُ الآنَ الكِتَابَ أو الكِنَاشَ الَّذِي نَقَلْتُ مِنْهُ ذَلِكَ التَّارِيخَ .
وستاتي في حَرْف الميم تَرْجَمَةٌ قَرِيبَهُ وَمُعَاصِرَهُ السَّفِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ
الوَهَّابِ ابْنِ عَثْمَانَ (478) .

(1757) أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ التَّامِرِيِّ عَالِمٌ مَشَارِكٌ حَرِيصٌ عَلَى
التَّحْصِيلِ ، مَوْصُوفٌ بِالْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ ، يَظْهَرُ مِنْ نَسْبَتِهِ أَنَّهُ حِيحِي مِنْ
قَبِيلَةِ ءَايَةِ تَامِرِ الوَاقِعَةِ شِمَالِي أَجْدِيرٍ فِي الطَّرِيقِ مِنْهَا إِلَى الصَّوِيرَةِ ، ذَكَرَهُ
الشَّيْخُ النُّطَيْبُ ابْنُ الْحَاجِّ فِي بَعْضِ مُقِيدَاتِهِ .
مَاتَ بِمَرَاكِشَ عَامَ 1200 هـ (479).

انتهى الجزء السادس يليه الجزء السابع

(478) إتحاف أعلام الناس 1 : 353 وإتحاف المطالع 1 : 61 والإعلام 2 : 394 ع 271
والبستان الظريف ص 420 والترجمانة الكبرى ص 61 والتعريف بالشيوخ التاودي ابن سودة ص
32 و 41 وثمرة أنسي ص 99 ودعوة الحق (مجلة) س 7 ع 4 ص 52 و س 13 ع 3 ص 186
والروضة المقصودة ص 722 ومفلمة القراءان والحديث ص 161 والموسوعة 1 : 108 والنبوغ
المغربي 3 : 90 .

(479) إتحاف المطالع 1 : 60 والإعلام 2 : 394 ع 272 ومعلمة المغرب 7 : 2179 .

فهرس

الجزء السادس من (أعلام المغرب العربي)

نمرة الصفحة

نمرة الترجمة

- 1558) أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلاهي الصنهاجي 5
- 1559) أحمد بن زيدان بن السلطان أحمد المنصور السغدوي 8
- 1560) أحمد بن عبد الواحد الإيسي القدوري 9
- 1561) أحمد بن قاسم الفقّاي (أفوقاي) الحَجري 9
- 1562) أحمد بن الحسن الداودي المناني الحيجي 29
- 1563) أحمد بن إبراهيم الأنصاري المكروتي الدرعي 30
- 1564) أحمد بن أحمد السوداني 30
- 1565) أحمد (الخَصير) بن محمد (بوعسرية) الفاسي الفهري 31
- 1566) أحمد بن محمد الزموري الفاسي 31
- 1567) أحمد خوجة الصنابلي التونسي 32
- 1568) أحمد بن محمد المدعو عبد العزيز الشريف الأندلسي 34
- 1569) أحمد بن محمد الولاتي المراكشي 36
- 1570) أحمد بن علي الفاسي الفهري 37
- 1571) أحمد بن علي المصلوحي 38
- 1572) أحمد بن محمد الرقادي 38
- 1573) أحمد بن محمد القلصادي القرشي الفاسي 38
- 1574) أحمد بن محمد العربي الغومي الغماري المكناسي 38

نمرة الصفحة

نمرة الترجمة

- 1575) أحمدُ بنُ محمد طانية 39
- 1576) أحمدُ بنُ محمد الحاج الدلاي الصنهاجي..... 39
- 1577) أحمدُ بنُ إبراهيم السمللي 40
- 1578) أحمدُ بنُ علي ابن عمران السلاسي الفاسي..... 40
- 1579) أحمدُ بنُ عبد الصادق السجلماسي 41
- 1580) أحمدُ بنُ محمد السكّراي الحسنّي 41
- 1581) أحمدُ بنُ علي الدانسي 42
- 1582) أحمدُ بنُ محمد الشيخ بن زيدان السّغدي 42
- 1583) أحمدُ بنُ سعيد العروسي السمللي..... 45
- 1584) أحمدُ بنُ سليمان الداودي التلمساني 45
- 1585) أحمدُ (حمدون) بنُ محمد بن موسى الأبار الفاسي..... 51
- 1586) أحمدُ بنُ عيسى اليربوعي الطرابلسي..... 52
- 1587) أحمدُ الخطيب قاضي مراکش..... 53
- 1588) أحمدُ بنُ يوسف العلوي السّجلماسي 55
- 1589) أحمدُ بنُ محمد الطالب القصري 55
- 1590) أحمدُ بنُ علي المرّاش الزرهوني 55
- 1591) أحمدُ بنُ محمد بن قاسم البيجري المكناسي..... 55
- 1592) أحمدُ بنُ محمد ابن حمّو السريفي 56
- 1593) أحمد (الصغير) بنُ محمد بن أبي بكر الدلاي 56
- 1594) أحمدُ بنُ موسى البطوي 57
- 1595) أحمدُ الدغوشي الدلاي 58
- 1596) أحمدُ بن عبد الرحمان ابن جلال المغراوي الفاسي..... 62
- 1597) أحمدُ بنُ محمد بن يعزى ابن عبد السميع الغاتيني الرسموكي.. 63
- 1598) أحمدُ بنُ محمد بن مروان التاجموعي السّجلماسي 67

نمرة الصفحة

نمرة الترجمة

- 1599) أحمدُ بنُ سعيد الكنسوسي المراكشي 67
- 1600) أحمدُ بن عبد العزيز الحيحي 68
- 1601) أحمدُ (حمدون) بنُ محمد المزوار الزجني الفاسي 68
- 1602) أحمدُ بنُ عبد العزيز بن محمد بن مروان التاجمويتي 69
- 1603) أحمدُ بنُ محمد المريني 71
- 1604) أحمدُ بنُ القاسم الودائي الشنجيطي 71
- 1605) أحمدُ بنُ عبد العزيز الفيلاي 72
- 1606) أحمدُ بنُ عبد الكريم المطفري 72
- 1607) أحمدُ الصادق بنُ أويس التاركني اللمتوني 73
- 1608) أحمدُ بنُ عبد الله بن محمد الحاج الدلاي 73
- 1609) أحمدُ المحمودي 86
- 1610) أحمدُ بنُ حسن الشريف مفتي تونس 87
- 1611) أحمدُ بنُ محمد ابن حمدان التلمساني 88
- 1612) أحمدُ بنُ عبد الله بن يعقوب السملالي الحسني 88
- 1613) أحمدُ بنُ عبد العزيز الشرفي الصفاقسي 89
- 1614) أحمدُ بنُ سعيد المثليدي 90
- 1615) أحمدُ بنُ أحمد الفاسي الفهري 91
- 1616) أحمدُ بنُ محمد بن عيسى ءادم 91
- 1617) أحمدُ بن أبي بكر المحجوبي الولاتي 92
- 1618) أحمدُ بنُ محرز بن الشريف العلوي 93
- 1619) أحمدُ شلبي داي تونس 94
- 1620) أحمدُ السبع القصري 95
- 1621) أحمدُ بنُ منصور الهادفي 96
- 1622) أحمدُ بنُ محمد المكني الطرابُلسي 96

نمرة الترجمة

نمرة الصفحة

- 1623) أحمدُ بنُ محمد العمراني التونسي 97
1624) أحمدُ بنُ إبراهيم العطار المراكشي 97
1625) أحمدُ بنُ (محمد) الشاذلي الدلامي 101
1626) أحمدُ بنُ عيسى الغرياني الطرابلسي 102
1627) أحمدُ بنُ العربي ابن الحاج السلمي 102
1628) أحمدُ بنُ محمد السلامي العلمي 109
1629) أحمدُ بنُ محمد القادري اليمني 110
1630) أحمدُ بنُ حسين البهلول الطرابلسي 111
1631) أحمدُ بنُ محمد الدراق 123
1632) أحمدُ بنُ (محمد) المسناوي الدلامي 124
1633) أحمدُ بنُ أحمد الطود العمراني 125
1634) أحمدُ بنُ سعيد قدورة الجزائري 125
1635) أحمدُ مجاهد التونسي 126
1636) أحمدُ بنُ علي الرصاع التونسي 126
1637) أحمدُ بنُ محمد بن عبد الله مَعْن الفاسي 127
1638) أحمدُ بنُ عبد الحي الحلبي 130
1639) أحمدُ بنُ يحيى والزهران الرباطي 149
1640) أحمدُ بنُ محمد ابن ناجي السجلماسي 150
1641) أحمدُ بنُ محمد بن حَمَد العجمي المكني التونسي 151
1642) أحمدُ بنُ مصطفى الطرودي التونسي 152 و 344
1643) أحمدُ بنُ عبد القادر بن يحيى السوسي 153
1644) أحمدُ بنُ علي الجرندي الفاسي 153
1645) أحمدُ بنُ يوسف الولتي 153
1646) أحمدُ بنُ علي بن الطالب الوفي الغلاوي 154
1647) أحمدُ بنُ محمد بن جابر النايلي الطرابلسي 154

نمرة الترجمة

نمرة الصفحة

- 1648 (أحمدُ بنُ محمد البرنسي الشفشاوني 155
- 1649 (أحمدُ بنُ محمد بن داوود الحوزي (أحوزي) الهشتوكي 157
- 1650 (أحمدُ بنُ عبد القادر التستاوتي الحسني 161
- 1651 (أحمدُ بنُ محمد .. ابن يعقوب الولاي 179
- 1652 (أحمدُ الحارثي بن محمد ابن عطية الزناتي السلوي 183
- 1653 (أحمدُ (الخليفة) بنُ محمد بن محمد ابن ناصر الدرعي 184
- 1654 (أحمدُ بنُ علي المراكشي 193
- 1655 (أحمدُ بنُ محمد بن علي عمُور الفاسي 195
- 1656 (أحمدُ ابنُ دائوش المكناسي 200
- 1657 (أحمدُ بنُ محمد التونسي 202
- 1658 (أحمدُ عزُوز التُونُسي 203
- * أحمدُ بنُ الحسن اليعمدي ظ محمد بن الحسن بن أحمد اليعمدي ،
تُوفي 1132
- 1659 (أحمدُ بنُ محمد ابن الحاج السلمي (الحفيد) 204
- 1660 (أحمدُ بنُ عبد القادر القادري الفاسي 206
- 1661 (أحمدُ بنُ سليمان الرسموكي 213
- 1662 (أحمدُ بنُ عبد الله..ابن بيورك الهشتوكي الأسفاركيسي 221
- 1663 (أحمدُ بنُ محمد (بوعسرية) بن أحمد الفاسي الفهري 222
- 1664 (أحمدُ بنُ أبي القاسم العثماني الجرسيفي 223
- 1665 (أحمدُ بنُ مصطفى بن محمد برناز التونسي 223
- 1666 (أحمدُ بنُ محمد الكراري الرفاعي 226
- 1667 (أحمدُ بنُ قاسم ابن ساسي البوني 227
- 1668 (أحمدُ بنُ محمد بن أحمد الشريف التونسي 237
- 1669 (أحمدُ بنُ أبي عزة الودبي 238
- 1670 (أحمدُ بنُ أند عبد الله الولاي الحجوبي 238

نمرة الترجمة

نمرة الصفحة

- 1671) أحمدُ الشَوَّافُ بن حبيب الله الوتَيْدي الودَّاني 239
- 1672) أحمدُ بنُ عبد الدايم الأنصاري الطرابلسي 239
- 1673) أحمدُ بنُ فتوح التازي 241
- 1674) أحمدُ بنُ علال الوجَّاري القضاعي الفاسي 244
- 1675) أحمدُ بنُ العربي ابن سليمان الأندلسي الفاسي 248
- 1676) أحمد (الذهبي) بن إسماعيل بن الشريف العلوي (السلطان).... 250
- 1677) أحمدُ بنُ يحيى الرسموكي 253
- 1678) أحمدُ بنُ يوسف بن محمد (بوعسرية) الفاسي الفهري 254
- 1679) أحمدُ بنُ محمد الوكاكي السوسي 254
- 1680) أحمدُ بنُ عبد الوهاب الوزير الغساني الفاسي 254
- 1681) أحمدُ بنُ أحمد الشدادي الحسني الفاسي 261
- 1682) أحمدُ بنُ صالح الكتاوي الدرعي 263
- 1683) أحمدُ بنُ علي المنالي الزبادي الفاسي 267
- 1684) أحمدُ بنُ علي التاكوشي 267
- 1685) أحمدُ بنُ عبد الله الصوابي 268
- 1686) أحمدُ بنُ محمد الخَميدي 270
- 1687) أحمدُ بنُ سعيد العُميري المكناسي..... 280
- 1688) أحمدُ بنُ حليم الورفلي الليبي 281
- 1689) أحمدُ بنُ محمد الجماني 281
- 1690) أحمدُ بنُ أحمد العربي التلمساني 281
- 1691) أحمدُ بنُ علي النوري الصفاقسي 282
- 1692) أحمدُ بنُ محمد العباسي السَملاي 282
- 1693) أحمدُ بنُ فاضل الشريف الحسني 284
- 1694) أحمدُ بنُ عبد الرحمان النائب الأنصاري الطرابلسي..... 284
- 1695) أحمدُ بنُ مبارك بن علي اللَمطي السجلماسي 285

نمرة الصفحة

نمرة الترجمة

- 1696) أحمدُ بنُ أبي القاسم الصُّبْحِي 293
1697) أحمد بن موسى بن محمد (الكبير) ابن الشيخ محمد ابن ناصر
الدرعي 294
1698) أحمدُ بنُ عبد الكريم المجيلدي 301
1699) أحمدُ بنُ علي بن عبد الله الحَمَامِي الرِيفِي 306
1700) أحمدُ بنُ محمد السرايري التطواني 311
1701) أحمدُ بنُ الأمين الغلاوي التواتي 312
1702) أحمدُ بن يوسف القرمائلي والي طرابلس 312
1703) أحمدُ بنُ عبد الله الشراذي الزراري القُضاعي 317
1704) أحمدُ بنُ محمد (الخياط) ابن ابراهيم الدكالي المشنزائي 318
1705) أحمدُ بنُ محمد ابن القاضي الإيكلّي التملّي 319
1706) أحمدُ بنُ علي بن احمد الشُدّادي الاريسي الحسني 319
1707) أحمد (بن عاشر) بن عبد الرحمان الحافي السلوي 320
1708) أحمدُ بنُ مسعود الكنسوسي 323
1709) أحمدُ الحبيب بن محمد الصديقي اللمطي السجلماسي 323
1710) أحمدُ هويدي التونسي 326
1711) أحمدُ بنُ ابراهيم اليعقوبي الأوزي 329
1712) أحمدُ الزروق بنُ محيي الدين ابن عبد اللطيف الجزائري 329
1713) أحمدُ بنُ الحسن الورشاني الحسني المكودي 330
1714) أحمدُ بنُ عبد اللطيف التونسي 332
1715) أحمدُ بنُ ابراهيم الركني الصنهاجي 336
1716) أحمدُ بنُ محمد الأضرَم القَيرواني 337
1717) * أحمد بن مصطفى الطرودي 344
1717) أحمدُ بنُ هيبَة ابن نغماش البركني 346
1718) أحمدُ بنُ عبد العزيز الهلالي السجلماسي 348

نمرة الترجمة

نمرة الصفحة

- 1719) أحمدُ بنُ محمد ابن زاكور الفاسي 358
- 1720) أحمدُ بنُ محمد الصقلي الحسيني الفاسي 359
- 1721) أحمدُ بنُ محمد معتوق المنزلي 360
- 1722) أحمدُ بنُ عبد الله الغربي الرباطي 363
- 1723) أحمدُ بنُ أحمد ابن الإمام الشريف 367
- 1724) أحمدُ بنُ محمد ابن الشيخ (الشغ) 367
- 1725) أحمدُ بنُ محمد الوردزاي 367
- 1726) أحمدُ بنُ الأمين بن الحبيب الحرشي 371
- 1727) أحمدُ بنُ عثمان الغلاوي 371
- 1728) أحمدُ (المفتي) بن عبد الله الجرسيفي التيملي 372
- 1729) أحمدُ بنُ محمد ابن القاضي التلمساني 373
- 1730) أحمدُ سَمِيَّة القيرواني 375
- 1731) أحمدُ بنُ محمد بن العربي الحضري المراكشي 380
- 1732) أحمدُ (الشاهد) بن عبد السلام العلمي الشفشاوني 381
- 1733) أحمدُ بنُ محمد ابن الونان الملوكي الجميري الفاسي 382
- 1734) أحمدُ الدراق الفاسي 391
- 1735) أحمدُ بن البشير الكلسوسي 392
- 1736) أحمدُ بن خليفة العلوي الشنجيطي 393
- 1737) أحمدُ بن محمد ابن الكاهية الآسفي 393
- 1738) أحمدُ بن المهدي الغزال الجميري 394
- 1739) أحمدُ بن عبد الجليل الشرايبي الفاسي 412
- 1740) أحمدُ بن علي ابن عبد الصادق الطرابلسي 413
- أحمدُ بن محمد الطاهري 415
- 1741) أحمدُ بن محمد الأساوي التاكموتي 415
- 1742) أحمدُ بن الحاج جمى الله الشنجيطي 415

نمرة الصفحة

نمرة الترجمة

- 1743) أحمد بن مزيان الورجي الزواوي 416
1744) أحمد بن أبي جيدة الفاسي الفهري 417
1745) أحمد بن عمر ابن الوافي الحضري 417
1746) أحمد بن محمد بن حسن الشريف الصفاقسي 417
1747) أحمد بن محمد الظريفي الكوشتي 418
1748) أحمد بن أحمد العرائشي التمساني 419
1749) أحمد بن الطيب الوزاني الحسني 419
1750) أحمد بن علي بن جميل الجزولي السوسي 420
1751) أحمد بن عمر الفاسي الفهري 421
1752) أحمد البرانسي الثعالي 422
1753) أحمد (حنو) بن محمد البكري الدلائي 423
1754) أحمد العصفوري 423
1755) أحمد بن علال الشرايبي المراكشي 427
1756) أحمد بن الرضي ابن عثمان المكناسي 430
1757) أحمد بن محمد التامري 433

نحت الطبع

انبعاثُ أمة

الجزء الثالث والأربعون

* * *

الوثائق

المجموعة العاشرة

* * *

العلائق السياسية للدولة العلوية

تأليف عبد الرحمان ابن زيدان

* * *

ضريح محمد الخامس

تأليف عثمان عثمان إسماعيل

* * *

الارتباط الثقافي بين المغرب وصحرائه

إعداد جمعية رباط الفتح

* * *

يا بُني

للأستاذ أحمد حسن العمارتي

* * *

أعلام المغرب العربي

الجزء السابع

* * *

مُعْجَمُ الشُعَارِيَّاتِ

* * *

فاس منبع الإشعاع في القارة الأفريقية

تأليف الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

* * *

كتاب قبائل الصحراء المغربية

تأليف الدكتور حمداتي شبيها ماء العينين

* * *

إصلاح الجيش المغربي في القرن التاسع عشر

تأليف الدكتورة بهيجة سيمو



رقم الإيداع القانوني : 1064 / 1998
ردمك : 1 - 15 - 905 - 9981